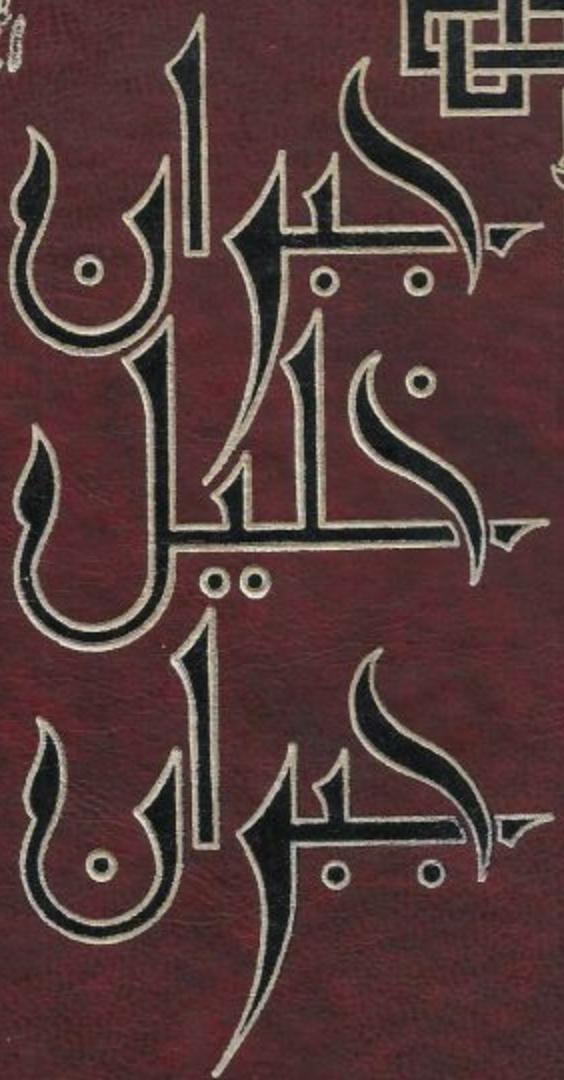


المجموعه التجاويلي ل المؤلفات



المعرّبة عن الإنكليزية



البر بـ الشـارـذـانـات
خـبرـانـ خـلـيـلـ خـبرـانـ

المجموعه الكامله للمؤلفات

جبران خليل جبران

المعرّبة عن الانكليزية

تقديم
د. جميل جبر

ولازلبيت
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الحيل
الطبعة الأولى
١٤١٤ - ١٩٩٤ م

تقديم

في قصيدة جبران المنشورة «بين الخراب» يظهر سليمان بصفته حكيمًا وملكاً قديراً في نظر الناس، ومحباً عظيماً وشاعر حبّ، ويعرف بأنه كان على ضلال في سعيه وراء القوة والمجد، فإن الزمن لاشى قوته وكاد يقضي على شهرته لو لم يكن عظيماً في حبه ينشد له الأناشيد، فهو الآن يدرك الحقيقة العظمى التالية: «الأبدية لا تحفظ إلا المحبة لأنها مثلها».

وكان جبران في هذه القصيدة يتكلّم عن نفسه من حيث إنه لم يكن عظيماً إلا لأنه ينشد للحبّ، بعد أن أثاره الحبّ، فبقي خالداً في نفوس قرائه لأن المحبة كانت وراء كتاباته ورسومه ونجاحه في كتاب «النبي» فحفظتها الأبدية لأن المحبة خالدة مثلها.

وفي آخر كتاب «دموعة وابتسامة» مقال عنوانه «صوت الشاعر» يختتمه جبران بالعبارة التالية:

«والذي أقوله الآن بلسان واحد يقوله الآتي بالستة عديدة».

لقد صدق جبران؛ فمنذ ذلك الحين والمطابع ودور النشر تطبع وتصدر وتوزّع كتب جبران، وقارئه يزدادون ويزدادون في البلاد العربية وغيرها من بلاد العالم. فبلغات كثيرة تُطبع كتبه وتُقرأ، وأرقام مذهلة تصلنا عن انتشار كتابه «النبي» الذي يشكل جوهرة العقد من مجموعته الإنكليزية المعربة.

لقد أراد جبران في مجموعته الإنكليزية أن يقول كلمته التي كان يشعر بأنها ستكون من أجمل بنات أفكاره، وكانت هذه الكلمة هي «النبي» كما نفهم من كتاب نعيمه عن جبران. وأراد أن يقولها بالإإنكليزية بعد تشجيع ملاكه الحارس ونقصد به ماري هاسكل التي كان لها أعظم تأثير إيجابي في حياته،

وريما توجه إلى الإنكليزية لأنه شعر آنذاك بأنه يملك الجدارة لفعل ذلك، وأن العالم الذي يتكلم الإنكليزية هو أوسع من العالم الذي يتكلم العربية وأغنى.

الكتب التي ألفها بالإنكليزية وضمتها المجموعة المعروفة بالمجموعة الإنكليزية هي كما يلي مرتبة بحسب تاريخ صدورها:

المجنون	1918	يسوع ابن الإنسان	1928
السابق	1920	آلهة الأرض	1931
النبي	1923	الثانية	1932
رمل وزبد	1926	حديقة النبي	1933

في «المجنون» تبدي اتجاهات تتميز بحدة في التفكير وبايجاز في التعبير وباستخدام للرمزية؛ كما يتميز بالسخرية البالغة.

وفي «رمل وزبد» يتجلّى استخدام جبران للمثل في ذاته استخداماً واسعاً للغاية مختصراً به الفكرة اختصاراً شديداً، إذ وضع كتاب رمل وزبد برمته في هذا الشكل.

أما كتاب «النبي» وهو رائعة جبران، فالاعتقاد بالله - الذات الكبri - أساس حكمة النبي وجوهرها، وهو ترنيمة تمجد الإنسان والحياة، وفيه ذلك الشر المنمق غاية التنميق وفيه ما فيه من خصائص الشعر كالرؤيا والإيقاع والصورة ورقة شعور لا نلقاها إلا عند الرومنطيقيين وفي الأسفار الشعرية في التوراة، كما أن النبي جبران يدعى المصطفى وهو لقب من ألقاب النبي محمد.

وفي «يسوع ابن الإنسان» يعبر جبران عن عقيدته المغايرة للعقيدة المسيحية في النظرة إلى المسيح، فاليسوع ليس إلهاً تجسد إنساناً، بل هو إنسان بكل معنى الكلمة لكنه بلغ أعلى مراتب الإنسانية سمواً روحيًا . . .

أما كتابه «آلهة الأرض» فهو كما وصف جبران كتابته بأنها «صادرة من جحيم الشاعر» وفيه تظهر العيشية واللعب بمصائر البشر، ونقطة منيرة واحدة في اللوحة السوداء هي الحب الخالد.

وفي كتابه «النائـة» تبرز شدة الظلم والسخرية المرة عندما يمتلئ القلب البشري باليأس والتشاؤم.

أما كتابه الأخير «حقيقة النبي» فقد أراد جبران أن يتحدث فيه عن علاقة الإنسان بالطبيعة بعد أن تحدث في «النبي» عن علاقة الإنسان بالإنسان، ولكن الموت لم يفسح له في المجال فجاءت بربارة يونغ لتضيف إلى الصفحات المعدودة التي كتبها جبران من أجل هذا الكتاب، صفحات وفصولاً سبق أن كتبها جبران في أوقات متباعدة منها «الويلات التسع» وقد كتبت قبل الحرب العالمية الأولى؛ وهذا الكتاب هو كلمة الوداع التي يختتم بها جبران حياته.

وبكلمة واحدة إن مجموعة جبران الإنكليزية لا غنى عنها للقارئ العربي فهي في الأهمية تفوق المجموعة العربية في رأي النقاد الذين يعتبرون كتاب «النبي» الدرورة بين تأليف جبران. فكتاب «النبي» فيها أصبح كتاباً شعيباً - إذا صلح التعبير - في الوسط الأميركي، ومنذ سنة ١٩٥٧ يبعت منه النسخة المليون ولقد ترجم إلى لغات عديدة.

وغمي عن البيان أن جبران الشاعر والأديب هو جبران الفنان الرسام ذو الخيال المطلق والعين النّفاذة البصيرة التي تلتقط أسرار الأضواء والظلال. فإذا كان جبران قد جعل من الكتابة فناً تصويرياً بالكلمة ليؤدي دوراً وظيفياً لا زخرفياً فحسب، فإن كتبه لا تؤدي الغرض منها كاملاً إلا إذا دعمت بالصور التي رسمها جبران من أجل هذه الكتب بالذات.

ولما كانت طبعات مؤلفات جبران تخلو كلياً أو جزئياً، من صور اللوحات التي رسمها والتي تعبر تعبراً إيحائياً عن فكره وسموه وترافقه؛ ولما كان جبران الرسام، في نظر الكثير الكثير من النقاد يفضل على جبران الكاتب؛ فقد جتنا بهذه الطبعة لمجموعة جبران المعاشرة عن الإنكليزية، وقد أرفقناها ببعض الصور التي رسمها جبران، وهي تكمل كتاباته وتتابع إيحاءاتها بشكل مستمر كلما وقعت عليها العين. وبذلك تصبح هذه المجموعة الأنثقة الطباعة كنزًا أدبياً وفنياً ثميناً يحرص محبو الأدب والفن على اقتناه.

وإن دار الجيل لترجو أن تكون دائمًا عند حسن ظن القارئ المتذوق،
وفي المستوى الذي تعلم به الأجيال الناشئة.
والله ولي التوفيق، وعليه الاتكال أولاً وأخيراً.

المجنوّن

نمرّب
الارشادت انطونيوس شحر

كيف صرت مجنوناً؟

هذه قصتي إلى كل من يود أن يعرف كيف صرت مجنوناً: في قديم الأيام قبل ميلاد كثيرين من الآلهة نهضت من نوم عميق فوجدت أن جميع براقي قد سُرقت - البراقع السبعة التي حكتها وتقنعت بها في حيواتي السبع على الأرض. - فركضت سافر الوجه في الشوارع المزدحمة صارخاً بالناس: «اللصوص! اللصوص! اللصوص الملائكة!» فضحك الرجال والنساء مني وهرب بعضهم إلى بيوتهم خائفين مذعورين.

وعندما بلغت ساحة المدينة إذا بقى قد انتصب على أحد السطوح وصرخ قائلاً: «إن هذا الرجل مجنون أيها الناس!» وما رفعت نظري لأراه حتى قبلت الشمس وجهي العاري لأول مرة. لأول مرة قبلت الشمس وجهي العاري فالتهبت نفسي بمحبة الشمس ولم أعد بحاجة إلى براقي. وكأنما أنا في غيبة صرخت قائلاً: «مباركون مباركون أولئك اللصوص الذين سرقوا براقي!».

هكذا صرت مجنوناً، ولكنني قد وجدت بجنوني هذا، الحرية والنجاة معاً: حرية الانفراد، والنجاة من أن يدرك الناس كياني، لأن الذي يدركون كياننا إنما يستعبدون بعض ما فينا.

ولكن لا أخرين كثيراً بمنجاتي، فإن اللص وإن كان في غيابة السجن فهو في مأمن من أقرانه اللصوص!

الله

عندما ارتعشت شفتي بالنطق لأول مرة صعدت إلى الجبل المقدس
وناديت الله قائلاً: إبني عبدك يا ربِّي، مشيتك الخفية شريعتي، وسائلٌ
خاضعاً لك سحابة الحياة».

فلم يجني الله بل مرت كعاصفة هوجاء واختفى عن ناظري.

وبعد ألف سنة صعدت ثانية إلى الجبل المقدس وخاطبت الله
 قائلاً : «أنا جبلاً يديك يا خالقي، من تراب الأرض صنعتني وينفسة من
روحك العلوية أحيايتي. فأنا مدين لك بكلّيتي».

فلم يجني الله، وكألف من الأجنحة الخاطفة اجتاز بي عابراً.

وبعد ألف سنة صعدت إلى الجبل المقدس أيضاً وناجبت الله الثالثة
 قائلاً: «يا ابناه القدوس، أنا ابنك الحبيب. بالرأفة والمحبة ولدتنِي وبالمحبة
والعبادة سارث ملكتك».

فلم يجني الله في هذه المرة أيضاً. وكالضباب الذي يغشى قصيّ التلال
توارى عن عيني.

وبعد ألف سنة صعدت إلى الجبل المقدس وخاطبت الله رابعة قائلاً: «يا
اهي العظيم الحكيم العليم، يا كمالي ومحبتي، أنا أمسك وأنت غدي. أنا
عروق لك في ظلمات الأرض وأنت أزهر لي في أنوار السموات ونحن ننمو
معاً أمام وجه الشمس».

فعطف الله إذ ذاك عليّ وانحنى فوقِي وهمس في أذني كلمات تذوب رقة
وحلاوة، وكما يطوي البحر جدواً منحدراً إليه طواني الله في أعماقه.

وعندما انحدرت إلى الأودية والسهول كان الله هنالك أيضاً.

يا صاحبي

يا صاحبي: إنني لست على ما يبدو لك مني، فما مظاهري سوى رداء
دقيق الصنع محوك من خيوط التساهل والحسنى، ألتقت به ليدرأ عنى تطفلك
ويقيك من إهمالي وتغافلي. وأما ذاتي الخفية الكبرى التي أدعوها أنا فسرّ
غامض مكنون في أعماق سكون نفسي ولا يدركه أحد سواي، وهنالك سيبقى
أبداً غامضاً مستتراً.

يا صاحبي: إنني أود أن لا تصدق ما أقول وأن لا تثق بما أفعل، لأنَّ
اقوالى ليست سوى صدى لأفكارك، وأفعالى ليست سوى أشباح آمالك..

يا صاحبي: عندما تقول لي: «الريح تهبت شرقاً» أجييك على الفور
 قائلاً: «نعم إنها تهبت شرقاً» لأنني لا أريد أن يخطر لك أن أفكارى السابحة
مع أمواج البحر لا تستطيع أن تحلق طائرة على متون الرياح. أما أنت فقد
مزقت الأرياح نسيج أفكارك القديمة البالية فبُتْ قاصراً عن إدراك أفكارى
العميقة المرفرفة فوق البحار. وحسنَ أنك لم تدرك كنهها لأنني أريد أن أمشي
على البحر وحدي.

يا صاحبي: عندما تبزغ شمس نهارك تدنو ظلمة ليلي، ومع ذلك فإنني
أحدثك من وراء ستائر ظلمتي عن أشعة الشمس الذهبية التي ترقص عند
الظهيرة على قنن الجبال وعما تحدثه في رقصها من الظلل الظليلة المناسبة
إلى الأودية والحقول - أحدثك عن كل ذلك لأنك لا تستطيع أن تسمع أناشيد
ظلمتي ولا أن ترى خفقات جناحي بين الكواكب والنجوم. وما أحلى أنك لا
تسمع ولا ترى ذلك لأنني أثر أن أسامر الليل وحدي.

يا صاحبي: عندما تصعد إلى سمائك أهبط إلى جحيمى. ومع أنه
تفصلني عنك هوة لا يستطيع عبورها تظلّ تنادياني قائلاً: «يا رفيقي، يا
صاحبى»، فأجييك: «يا رفيقي، يا صاحبى»، لأنني لا أريد أن ترى جحيمى،
فإن لهيبه يحرق باصرتىك ودخانه يسدّ منخريك. أما أنا فإني أضنّ بجحيمى
أن يزوره من كان على شاكلتك، لأنني أفضل أن أكون في جحيمى وحدي.

يا صاحبي: أنت تقول إنك تعشق الحق والفضيلة والجمال، وأنا أقول مقتدياً بك إنه يليق بالإنسان أن يعشق مثل هذه المناقب، غير أنني أضحك من محبتك في قلبي ساتراً ضحكي عنك، لأنني أريد أن أضحك وحدى.

يا صاحبي: إنك رجل فاضل متيقظ حكيم، بل إنك رجل كامل. ولذلك فإنني ضناً بكرامتك أخاطبك بحكمة وتيقظ - ولكنني مجنون منجدب عن العالم الذي تقطنه أنت إلى عالم غريب بعيد، وإنني أستر عنك جنوني لأنني أود أن أكون مجنوناً وحدى.

أنت لست بصاحبي، يا صاحِـاً ولكن كيف السبيل لأقناعك فتفقه وتفهم؟ إن طريقي غير طريقك ولكننا نمشي معاً جنباً إلى جنب.

اللعين

قلت مرة للعين^(١): «ألم تسأم نفسك الإقامة في هذا الحقل وحيداً منفرداً؟»

فأجابني قائلاً: إن لي في التخويف للدَّة لا يسبُّ غورها، ولذا فإنني راضٍ عن عملي ولا أمله». ففكرت هنئه ثم قلت له: «بالصواب أجبت، فإنه قد سبق لي فخبرت هذه الللة بمنفسي».

فأجابني قائلاً: «إنك واهم يا هذا، فإن هذه الللة لا يعرف طعمها إلا من كان محسوباً بالقش مثلي».

فتركته إذ ذاك وانصرفت وأنا لا أدرِّي هل مدحني أم تنقصني. وانقضى عام صبار اللعين في أثنائه فيلسوفاً علامَةً. وعندما مررت به ثانيةرأيت غرائبين يبنيان عشاً تحت قبعته.

(١) هو الشاخص الذي ينصب في هيئة الرجل بين الزرع لطرد الوروش.

بين هجعة ويقطلة

كان في المدينة حيثما ولدت امرأة وابنة، وكانت لهما عادة أن تمشيا وهما نائمتان.

فحدث في إحدى ليالي الصيف الهدئة الجميلة أن نهضت الأم وابنتها من نومهما على جاري عادتهما ومشتا - وهما نائمتان - في حديقتهما المبرقعة بالضباب .

وفيما هما ماشيتان قالت الأم لابتها: «تاباً لكِ من عدو شريراً أنت التي هدمت شبابي وابت حياتها على أنقاض حياتي آه لو أستطيع أن أقتلك!».

فأجابت الابنة وقالت: «أيتها المرأة الممقوطة والحيزبون الأنانية الرثة القائمة بيسي وبين ذاتي الطليقة، يا من تود أن تكون حياتي صدى لحياتها الرثة البالية! ألا ليتك تهلكين!».

وفي تلك اللحظة صاح الديك فأفاقت معاً من نومهما وهما بعد في الحديقة ماشيتان.

فقالت الأم بلطف: «أذاك أنت يا حمامتي؟»

فأجابت الابنة بحلاوة: «نعم أنا ابنته يا حنوثي!».

الناسكان

عاش الناسكان في قنة جبل عالي، وكانوا دائبين في عبادة الله وحبهما الواحد للآخر.

وكان لهذين الناسكين قصعة من الخرف لم يكن لهما غيرها مقتني.

ففي أحد الأيام وسوس الخناس في قلب الناسك الكهل فجاء إلى رفيقه الشاب وقال له: «لقد مضى على حياتنا معاً زمن طويل وقد آن لنا أن نفترق.

ولذا فإنني أريد أن نقسم مقتنياتنا.»

فأكتب الناسك الشاب وأجابه قائلاً: «إن انفصالك عني يطرح قلبي وحقك يا أخي. ولكن إن كان ثمة من ضرورة للهابك فلتكن مشيتك.».

ثم تناول القصعة الخزفية بيده وقال له: «إن هذه القصعة هي كل ما نقتني أيها الأخ العزيز، ولما كانت قسمتها بيننا مستحيلة فأرجى أن تكون لك وحدك.»

فأجابه الناسك الكهل وهو يتميز غيطاً قائلاً: «إنني لا أطلب منك صدقة ولا أقبل متعاعاً ليس لي، ولذا يجب أن نقسم القصعة فينال كل منا نصيبه منها.».

فقال له الشاب برقه: إذا قسمتنا القصعة فأية منفعة ترجى من قسمتها سواء لك أم لي؟ دعنا إن حسن لديك نترعرع عليها.»

فأجابه الكهل وقال: «إنني لا أريد سوى حصتي كما تقضي العدالة بيننا. ولن أرضي البة عن القرعة العميماء التي تحطّ من قدر العدالة وتجعلني مقاماً أعرض العدالة وحصتي لصدفة عميماء. ولذا أطلب قسمة القصعة.»

فلم يبق إذ ذاك مجال للشاب أن يبحث معه في الموضوع، فقال له: «إذا كانت هذه حقيقة رغبتك أيها الأخ الحبيب ووددت أن يكون الأمر على ما وصفت فلتقسام القصعة.»

فاسود وجه الناسك الكهل وصرخ به قائلاً: «تبأ لك، ما أجبنك وما أقعدك عن الخصم أيها الخامل البليدا!».

الكلب الحكيم

من كلب حكيم ذات يوم بجماعة من السنانير، ولما دنا منهم رأهم متصوفين عنه ولم يعبأوا بقدوره.. فرقف يتأملهم مستغرباً أمرهم.

وفيما هو يتطلع إليهم نهض من بين الجماعة سنور بادن تبدر على وجهه اسابر الهيبة والرقار، فنظر إلى رفقاءه وقال لهم: «صلروا أيها الاخوة المؤمنون، فإني الحق أقول لكم إنكم إذا صلبيتم وكررتم صلاتكم بحرارة يستجعاب تضر عكم وتمطركم السماء فثراناً في الحال».

فلما سمع الكلب الحكيم تلك العظة البالغة ضحك منهم في قلبه وارتدا منهم وهو يردد لنفسه قوله: «ما أغبن السنانير وما أعمى بصائرهم عن إدراك ما في الكتب أليس مكتوباً، بل ألم أقرا أنا، وأجددادي من قبل أخبروني أن ما تمطر السماء إعجاية للصلوات والتضرعات والابتهاles ليس فثراناً بل عظاماً».

اطلبوا تجدوا

كان في قديم الزمان إنسان وكان له ملة رايد من الإبر.

ففي أحد الأيام جاءت إليه أم يسع وفقالت له: «يا صاحب، إن رداء ابني متفرق واريد أن أرنته له قبل أن يذهب إلى الهيكل، أ فلا تفرضني إبرة».

فلم يطعها إبرة، غير أنه أطعها عظة باللغة كانت عنده، مرضوعها «اطلبرا تجدرا»، لكنه تأخذها إلى ابنها قبل أن يذهب إلى الهيكل.

الذوات السبع

في سكون الليل العميق وقد بدأ النعاس يغالبني جلست ذاتي السبع
يتحادثن.

فقالت الذات الأولى: «لقد مرت الأيام والأعوام على وجودي في هذا
المجنون وليس لي ما أفعله سوى تجديد آلامه نهاراً وأحزانه ليلاً. وقد كرهت
نفسى القيام بهذه الوظيفة المملة، فلأثورن عليه.»

فأجابتها الذات الثانية قائلة: «إنك أوفر مني حظاً يا أختاه. فقد قدر لي
أن أكون شريكة لهذا المجنون في أفراحه وملذاته فأضحكه لضحكه وأترنم في
ساعات سروره، وبأقدام مثلثة الأجنحة أرقص لأفكاره البراقة، فإن تكن ثورة،
فمن أحق بها مني؟».

فقالت الذات الثالثة: «أواه أيتها الرفيقات إن عملي أدعى إلى الثورة من
عمليكم. فأنا الذات المريضة حباً المتهلة شوقاً الهائمة حنيناً إلا إن الثورة
على هذا المجنون من شأنى وأنا ذات الشقاء والأسى.»

فقالت الرابعة: «إنني أكثر منك شقاء أيتها الرفيقات. فقد قدر لي أن
أثير كرامـن البغض وأوقفـن نيرـان الكـره والـحـقد في قـلب هـذا المـجنـون. فأـنا،
الـذـاتـ الـثـائـرـ الـهـوـجـاءـ الـمـولـودـةـ فـيـ كـهـوـفـ الجـحـيمـ السـوـدـاءـ، أـحـقـ منـكـ بالـثـورـةـ
عـلـىـ مـهـمـتـيـ.»

وقالت الذات الخامسة: «إنـيـ أغـبـطـكـنـ جـمـيعـاـ أـيـتهاـ الـأـخـواتـ بـماـ قـدـرـ
لـكـنـ مـنـ الـعـلـمـ السـعـيدـ، فـقـدـ آثـرـ الـدـهـرـ أـنـ أـجـدـ أـحـلـامـ هـذاـ مـجـنـونـ التـيـ لاـ
تـنـتـهـيـ، وـأـهـيـجـ جـوـعـهـ وـعـطـشـهـ الـلـذـينـ لـاـ يـسـكـنـانـ، هـائـمـةـ بـهـ عـلـىـ وـجـهـيـ فـيـ
فـضـاءـ الـلـانـهـاـيـةـ مـنـ غـيـرـ أـنـ تـذـوقـ طـعـمـ الـرـاحـةـ، نـاـشـدـةـ مـاـ لـمـ يـعـرـفـ قـطـ وـمـاـ لـمـ
يـخـلـقـ بـعـدـ. فأـنـاـ أـنـاـ أـولـىـ مـنـكـنـ بـالـثـورـةـ وـالـعـصـيـانـ.»

فقال الذات السادسة: «ما أسعـدـكـنـ أـيـتهاـ الـأـخـواتـ وـمـاـ أـتـعـسـنـيـ وـأـشـقـانـيـ
فـأـنـاـ الذـاتـ الـمـشـغـلـةـ الـعـامـلـةـ الـحـقـيرـةـ التـيـ بـيـديـهاـ الـدـائـبـتـينـ وـعـيـنـيـهاـ السـاـهـرـتـينـ

ترسم من أيامها صوراً وتمنح العناصر الدينية العديمة الشكل أشكالاً جميلة
خالدة - إلا إنه أجدر بي أنا الذات المعتزلة الهداء أن أنقم وأثور».

فتطلعت الذات السابعة في كل منها وقالت: «أف من肯 جمِيعاً ما
أغرب ثورتك على هذا الرجل المسكين بحجة أن لكل منKen عملاً محموداً.
حبداً لو أسعدتني الأيام بعمل محدود كأعمالكـنـ. فأنا ذات بطالة لا عمل لها،
اجلس أبداً بين اللاـنهـاـيـيـنـ - الصمت والظلمـ - في حين أن كل واحدة منKen
دائـةـ في تجـديـدـ الحـيـاـةـ على تنـوـعـ مـظـاهـرـهاـ. بـرـبـكـنـ قـلـنـ ليـ أـيـتهاـ الشـقـيقـاتـ منـ
منـ أـحـقـ بالـثـورـةـ، أـنـنـ أـمـ أـنـ؟ـ»

ولما فرغت الذات السابعة من كلامها نظرت إليها الذوات السـتـ بشـفـقةـ
وحـنـانـ وـلـمـ يـجـرـنـ جـوابـاـ.

وـجـنـ اللـيلـ فـرـقـدنـ وـفيـ طـيـاتـ صـدـورـهـنـ استـسـلامـ جـديـدـ وـخـضـوعـ سـعـيدـ
كـلـ لـمـ قـسـمـ لـهـاـ مـنـ الـواـجـبـ المـحـدـودـاـ.

أما الذات السابعة فظلت شـاـخـصـةـ تـراـقـبـ الـلـاشـيـءـ الـذـيـ وـرـاءـ كـلـ شـيـءـ.

العدالة!

وكان عرس في قصر الأمير في إحدى الليالي، وكان المدعون يدخلون
ويخرجون. فدخل رجل مع الداخلين وحيـاـ الأميرـ باـحـتـرـامـ وـوـقـارـ. فـنـظـرـ إـلـيـهـ
الـجـمـيـعـ بـدـهـشـةـ لـأـنـ إـحـدـيـ عـيـنـيـ كـانـتـ مـفـقـوـةـ وـالـدـمـ يـنـزـفـ مـنـ نـقـرـتـهـ الـفـارـغـةـ.

فـسـأـلـهـ الـأـمـيرـ قـائـلـاـ: «ـمـاـ دـهـاكـ يـاـ صـاحـ؟ـ»ـ فـأـجـابـهـ الرـجـلـ قـائـلـاـ: «ـأـنـ لـصـ
أـيـهـ الـأـمـيرـ، وـقـدـ اـغـتـنـمـتـ فـرـصـةـ فـيـ ظـلـمـةـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ عـلـىـ جـارـيـ عـادـتـيـ وـذـهـبـتـ
لـأـسـرـقـ أـمـوـالـ أـحـدـ الصـيـارـفـةـ. وـفـيـماـ أـتـسـلـقـ الـجـدـارـ لـأـدـخـلـ دـكـانـ الصـيـرـفـيـ
ضـلـلـتـ سـبـيـلـيـ وـدـخـلـتـ مـنـ نـافـذـةـ جـارـهـ الـحـائـكـ. فـعـدـوـتـ طـالـبـاـ الـهـربـ وـأـنـ لـأـ
أـبـصـرـ شـيـئـاـ لـشـدـةـ الـظـلـامـ، فـلـطـمـ نـوـلـ الـحـائـكـ عـيـنـيـ وـفـقـأـهـاـ. وـلـذـلـكـ قـدـ أـتـيـكـ
الـآنـ مـلـتـمـسـاـ أـنـ تـنـصـفـنـيـ مـنـ الـحـائـكـ.ـ»ـ

فأرسل الأمير واستدعاى الحايثك . فاحضر الحايثك في الحال ، فامر الأمير أن تقلع عينه .

فقال له الحايثك : « بالصواب حكمت أيها الأمير ، فإن العدالة تقضي بقلع عيني ، ولكنه غير خاف على سموك أنني أحتاج في حرفتي إلى عينين لكي أرى حاشيتي الشقة التي أنسجها . غير أن لي جاراً إسكافاً له عينان مثلثي ولكنه لا يحتاج في مهنته إلا إلى عين واحدة . فاستدعاه إن أردت واقلع إحدى عينيه للمحافظة على الشريعة . »

فأرسل الأمير في الحال واستدعاى الإسكاف ، فحضر واقتلت عينه وهكذا تأيدت العدالة

الشعلب

خرج الشعلب من مأواه عند شروق الشمس ، فتطلع إلى ظله مندهلاً وقال : « سأتغدى اليوم جملأاً . » ثم مضى في سبيله يفتشر عن الجمال الصباح كله . وعند الظهيرة تفرس في ظله ثانية وقال مندهشاً : « بلى ، إن فارة واحدة تكفيني . »

الملك الحكيم

كان في إحدى المدن النائية ملك جبار حكيم ، وكان مخوفاً لجبروته محبوباً لحكمته .

وكان في وسط تلك المدينة بئر ماء نقى عذب ، يشرب منها جميع سكان المدينة من الملك وأعوانه فما دون لأنه لم يكن في المدينة بئر سواها .

وفيما الناس نائم في إحدى الليالي جاءت ساحرة إلى المدينة خلسة

وألقت في البئر سبع نقط من سائل غريب وقالت: «كل من يشرب من هذا الماء فيما بعد يصير مجنوناً».

وفي الصباح التالي شرب كل سكان المدينة من ماء البئر وجنوا على نحو ما قالت الساحرة. ولكن الملك والوزير لم يشربا من ذلك الماء.

وعندما بلغ الخبر آذان المدينة طاف سكانها من حي إلى حي ومن زقاق إلى زقاق وهم يتشارون قائلاً: «قد جن ملكتنا ووزيره. إن ملكتنا ووزيره قد أضاعا رشدهما. إننا نأبى أن يملك علينا ملك مجنون». هيا بنا نخلعه عن عرشه!».

وفي ذلك المساء سمع الملك بما جرى فأمر على الفور بأن يملأ حق ذهبي (كان قد ورثه عن أجداده) من مياه البئر. فملأوه في الحال وأحضروه إليه. فأخذه الملك بيده وأداره إلى فمه، وبعد أن ارتوى من مائه دفعه إلى وزيره فأتاى الوزير على ثمالته.

فعرف سكان المدينة بذلك وفرحوا فرحاً عظيماً جداً لأن ملکهم وزيره ثابا إلى رشدهما.

الطموح

جلس ثلاثة رجال إلى خوان في حانة. وكان الأول حائكاً والثاني نجاراً والثالث حفار قبور.

فقال الحائك لرفيقيه: «قد بعتالي يوم كفتناً بدليعاً من الكتان بدینارين. فلنشرب ما طاب لنا من الخمر.

فأجابه النجار وقال: «أما أنا فقد بعت أثمن نعش عندي. فلنأكل أخر اللحوم مع الخمر».

فقال لهما حفار القبور: «إنني لم أحفر اليوم سوى قبر واحد. أيها الصديقان، ولكن الذي استأجرني دفع لي الأجر مضاعفاً. فلنستحل بقليل من العسل..»

فحفلت الخمارة بهم في تلك الليلة لأنهم طلبوا الخمر واللحم والعسل مراراً وكانوا يرقصون طرباً.

أما صاحب الحانة فكان يتلفت بين آونة وأخرى إلى زوجته متسمّاً وهو يكاد لا يصدق ما يراه بعينيه، لأن ضيوفه الثلاثة كانوا ينفقون المال من غير حساب.

وظل الأصحاب في الحانة إلى ساعة متأخرة من الليل يأكلون ويشربون. وبعد أن امتلأوا من كل شيء انصرفوا وهم يغدون ويضجرون.

وكان صاحب الحانة وزوجته واقفين بباب حانتهم يشيعان ضيوفهما بأنظارهما.

فقالت المرأة لزوجها: حبذا لو يسعدنا الحظ في كل يوم بمثل هؤلاء الزبائن الكرماء الشرفاء، فإننا نتمكن وقتئذ من إعفاء ابننا الوحيد من خدمة هذه الحانة القدرة ونستطيع تعليمه ليصير في المستقبل قسيراً.

اللذة الجديدة

اخترعت في ليلتي الماضية لذة جديدة.

وبينما كنت أتمتع بها لأول مرة رأيت ملاكاً وشيطاناً قد وقفَا ببابي يتخاصمان ويتناقشان على تعريف الذئي.

فكان الأول يصرخ بأعلى صوته قائلاً: «إنها خطيئة مميتة.».

فيعرضه الثاني قائلاً بصوت أشد من صوته: «لا، لعمري إنها فضيلة.»

اللغة الأخرى

حدث أنه بعد ميلادي بثلاثة أيام كتبت مكتناً في مهدي الحريري أنفرس بلهفة غريبة في العالم الجديد حوالي.

فقالت أمي للمرضى: «كيف حال ولدي اليوم؟» فأجابتها قائلة: «هو بخير يا سيدتي، فقد أطعنته ثلاث مرات، ولم أر قط قبله طفلًا بشوشًا مثله.»

فما سمعت ذلك حتى ثار ثائر غضبي وصرخت قائلًا: «لا تصدقني، لا تصدقني ذلك يا أماه، فإن فراشي خشن الملمس، والحليب الذي رضعته من المذاق، ورائحة الثدي كريهة في أنفي، فيا شدّ ما بي من تعasse!».

فلم تفهم أمي لغتي وكذلك المرضى لم تفقه ما قلته لأنني خاطبتهما بلغة عالم الذي أتيت منه.

وفي اليوم الحادى والعشرين لولادتى، وهو اليوم الذى تعمدت فيه، قال الكاهن لأمي: «إننى أهنتك يا سيدتي لأن ابنك ولد مسيحيًا».

فقلت للkahen مندهشًا: «إذا كان الأمر كما تقول فأحرِ بأمرك التي فى السماء أن تكون تعسة بك لأنك لم تولد بعد مسيحيًا».

فلم يفهم الكاهن ما قلته له بلغتي.

وبعد سبعة أقمار جاءنا عراف فتفسر في وجهي ملياً وقال لأمي: «إن ابنك هذا سيكون زعيماً داهية وسيتبعه الناس طائعين».

فصرخت بأعلى صوتي قائلًا: «تلك نبوءة كاذبة، فأنا أدرى بنفسي وأعلم يقيناً أنني سأدرس الموسيقى والغناء ولن أكون إلا موسيقياً».

ولشدّ ما دهشت إذ لم يفهم أحدٌ لغتي مع أنني كنت قد بلغت ذلك الحد من عمري.

ولقد مرّ على ذلك ثلاثة وثلاثون سنة وقد ماتت أمي والمرضى والkahen (ظلل الله أرواحهم برحمته). أما العراف فلا يزال حياً يرزق. وقد

رأيته في الأمس أمام الهيكل فحدثه وحدثني وأطلعته على انحرافتي في سلك
أبناء الموسيقى فقال لي: «قد طالما وثقت بأنك ستكون موسيقياً كبيراً، ولقد
سبقت في أيام طفولتك فانبات أمك بمستقبلك هذا». فصدقني قرله لأنني نسيت لغة العالم الذي أثبت منه.

الرمانة

عشت مرات في قلب رمانة، وبينما أنا جالس يوماً في خلني سمعت حبة تقول: «أسألك في المستقبل شجرة متعلقة تترنم الأرياح بأغصانها وترقص الشمس على أوراقها، وساكون قرية جميلة على ممر الفصل».

فأجابت حبة ثانية وقالت: «ما أجهلك أيتها الرفيقة! فلاني حين كنت صنفيرة مثلك حلمت أحلامك. ولكنني بعد أن صرت قادرة على تحديد كل شيء، بمقاييس ومعيار أدركت أنَّ جمِيع أمالي كانت باطلة».

ثم قالت حبة ثالثة: «أما أنا فلأنني لا أرى فينا ما ينبع بمثل هذا المستقبل العظيم».

فأجابت حبة رابعة وقالت: «إذا لم ترم حياتنا إلى مستقبل أثيل رايمس
فياطلة هي».

فوقفت إذا ذاك حبة خامسة وقالت: «ما بالنا نتعجادل فيما سيزول إليه
أمرنا في المستقبل في حين أننا لا نعرف ما نحن عليه البرم؟»
فقال حبة سادسة: «إننا سننال أبداً على ما نحن عليه الآن».

فأجابتها حبة سابعة قائلة: «إن في ذهني صورة راضحة للمستقبل ولكنني لا استطع أن أرسمها باللغاذا». ١

ثم تكلمت حنة ثانية وناسبة وعاشرة وسبعين كثيرة حتى تكلم الجميع

فلم أفهم شيئاً لوفرة الأصوات وبلبلتها.
فتركـت الرمانة في ذلك اليوم وأتيت فسكنـت في سـفرـجـلة حيث لا يوجد
إلا قـليل من العـجـوب تعيش بصـمت وسـكـون.

القفصان

كان في حديقة أبي قفصـان.
وكان في أحـدـهـما أـسـدـ أحـضـرـ عـبـيدـ أبيـ منـ بـرـاريـ نـيـنـوـيـ، وـفـيـ الثـانـيـ
زـرـزـورـ غـرـيدـ لاـ يـمـلـ الإـنـشـادـ.
كان الزـرـزـورـ يـاتـيـ فيـ كـلـ فـجـرـ إـلـىـ الأـسـدـ فـيـ حـيـيـهـ قـائـلاـ لـهـ: «عـمـ صـبـاحـاـ ياـ
أـخـيـ السـجـينـ».

النملـاتـ الـثـلـاثـ

اجـتـمـعـ ثـلـاثـ نـمـلـاتـ عـلـىـ أـنـفـ رـجـلـ كـانـ نـائـمـاـ فـيـ الشـمـسـ، فـحـبـتـ كـلـ
مـنـهـ الـأـخـرـىـ بـتـحـيـةـ قـيـلـتـهاـ. ثـمـ وـقـنـ هـنـالـكـ يـتـحـدـثـونـ.

فـقـالتـ النـمـلـةـ الـأـوـلـىـ: «إـنـ هـذـهـ التـلـالـ وـالـسـهـولـ الـتـيـ نـحـنـ عـلـيـهـاـ الـيـوـمـ هـيـ
أـقـرـ جـهـةـ وـطـنـتـهاـ فـيـ حـيـاتـيـ عـلـىـ الـأـرـضـ، فـقـدـ طـفـتـ النـهـارـ بـطـولـهـ اـفـتـشـ عـنـ
حـبـةـ مـنـ أـيـ نـرـعـ كـانـ فـلـمـ أـلـفـرـ بـشـيـءـ».

فـأـسـجـابـتـ النـمـلـةـ الـثـانـيـةـ وـقـالتـ: «قـدـ طـالـمـ سـمعـتـ أـبـنـاءـ قـبـيلـتـيـ يـتـحـدـثـونـ
عـنـ مـكـانـ يـطـلـقـونـ عـلـيـهـ اـسـمـ الـأـرـضـ الـمـلـسـاءـ الـجـرـداءـ وـمـاـ أـكـثـرـ مـاـ لـهـمـ فـيـ
دـوـرـانـهـاـ وـسـرـكـنـهـاـ مـنـ الـأـرـاءـ وـإـنـهـ لـيـلـوحـ لـيـ أـنـنـاـ نـسـيرـ الـيـوـمـ عـلـيـهـ لـأـنـنـيـ جـلـتـ
فـيـ جـمـيعـ مـنـعـرـجـاتـهـاـ وـعـطـفـاتـهـاـ وـخـبـرـتـ بـنـفـسـيـ حـقـيـقـتـهـاـ».

فرفعت النملة الثالثة رأسها وقالت: «أيتها الصديقتان، نحن الان واقفون على أنف النملة العظمى - النملة الجباره اللامتناهية، التي تعاظم جسمها حتى عجزت عن رؤيتها عيوننا، واتسع ظلها حتى قصرت عن استقصائه مقاييسنا. وارتفع صوتها حتى كلت عن سماعه آذاننا. هذه هي النملة الأزلية المائة الأربعاء بلا نهايتها.»

وعندما فرغت النملة الثالثة من كلامها نظرت كل من رفيقتيها إلى الأخرى وضحكتا من حديثها.

وفي تلك اللحظة تحرك الرجل في رقتته فرفع يده وحک أنهه فانسحقت النملات الثلاث تحت أصابعه.

حفار القبور

بينما كنت يوماً أدفن ذاتاً من ذواتي الميتة إذ وقف بي حفار القبور.

وقال لي:

«أنت هو الرجل الفرد الذي وقع بقلبي دون جميع الذين يأتون إلى هذه المقبرة.»

فقلت له: «لقد سرني قولك يا صاح، ولكن لماذا وقعت بقلبك دون سوالي من الناس؟»

فأجابني قائلاً: «إن سواك يأتي باكيًا ويعود باكيًا، أما أنت فلأنك تجيء ضاحكاً وترجع ضاحكاً.»

على درجات الهيكل

رأيت في مساء الأمس امرأة جالسة على درجات الهيكل.
وكان جالساً معها رجلان واحد عن يمينها والآخر عن يسارها ينظران
إليها.

وقد لاحظت متعجبًا أن وجنتها اليمنى كانت شاحبة وأن وجنتها اليسرى
كانت موردة.

المدينة المباركة

خُبِرت في حداثتي عن مدينة كان جميع الناس يعيشون فيها وفق تعاليم الكتاب، فقلت لنفسي: «لأشعر إلى تلك المدينة سعياً فأحظى بما فيها من البركة العليا».

وكانت المدينة بعيدة فأعددت للسفر كامل العدة. وبعد مسیر أربعين يوماً أشرفت عليها. وفي اليوم التالي دخلت إليها فإذا كل سكانها أعزور أقطع. فأخذتني الحيرة وقلت لنفسي: «وهل على كل من يعيش في هذه المدينة المقدسة أن يكون أعزور أقطع؟».

ثم لاحظت أن القوم كانوا ينظرون إلى بدهشة أعظم من دهشتني، لأنهم هم أيضاً كانوا متعجبين من عيني ويدبي.

وفيما هم يتحدثون سألتهم قائلاً: «هل هذه هي المدينة المقدسة حيث يعيش كل إنسان وفق تعاليم الكتاب؟».
 فقالوا: «نعم هذه هي المدينة».

فقلت لهم: «وماذا حلّ بكم؟ أين عيونكم اليمنى وأيديكم اليمنى؟»
فرثى الشعب لحالي وأشفقوا على جهالتي وقالوا: «تعال وانظر».

ثم قادني واحد من متقدميهم إلى داخل الهيكل القائم في وسط المدينة.

وعندما دخلت الهيكل رأيت في الصدر رابية من العيون والأيدي الذاهلة، فقلت لهم، والدهش آخذ مني كل مأخذ: «بربكم قولوا لي أي غاز سفاح أغاث عليكم فحكم بقطع أيديكم وقلع عيونكم؟»

فأن الجميع بمرارة متعجبين من جهلي ودنا مني أحد شيوخهم وقال لي: «يا ابني. إنما نحن الذين فعلنا ذلك بأنفسنا لأن الله سلطنا على الشر الذي كان حالاً بنا فاستأصلنا جرثومته». ثم قادني إلى مذبح عالي وجميع الشعب يتبعنا، وهناك أشار بإصبعه إلى آية محفورة فوق المذبح وطلب إلى أن أقرأها فقرأت:

«إذا كانت عينك اليمنى تشتكك فاقلعها وألقها عنك، فخير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسده كله في جهنم. وإذا شكتك يدك اليمنى فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسده كله في جهنم».

فادركتُ إذ ذاك سرّهم والتفت إليهم صارخاً: «أليس بينكم رجل أو امرأة بعيدين أو يدين؟».

فأجابوا قائلين: «كلا، ليس بيننا أحدٌ سوى الصغار الذين لم يبلغوا بعد رشدهم ليقرأوا الكتاب ويتعلموا بوصاياه».

وعندما خرجنا من الهيكل أسرعت فغادرت تلك المدينة المباركة، لأنني كنت بالغاً رشدي وقدراً على قراءة الكتاب.

الإله الصالح والإله الشرير

اجتمع الإله الصالح مرة بالإله الشرير على قمة جبل. فقال الإله الصالح للشرير: «نعم صباحاً يا أخي».

فلم ينبع الإله الشرير ببنت شفة. فقال له الإله الصالح: «يلوح لي أيها الزميل أن مزاجك متعرّك اليوم».

فأجاب الإله الشرير قائلاً: «نعم، أنا مستاء جداً لأن القوم في هذه المدة الأخيرة صاروا لا يميزون بيني وبينك، وكثيراً ما أسمعهم ينادونني باسمك ولا أكره على نفسي منك ومن اسمك».

فقال له الإله الصالح: «إن هذا هو ما يحدث لي أيضاً في كل يوم أيها العزيز، فإن كثيرين من الناس ينادونني باسمك ويحسبونني إليك».

فمضى الإله الشرير في سيله وهو يحرق الأزم في قلبه لاعنا حماقة الإنسان وجهله.

في خيبتي غلبتني

يا خيبتي، يا خيبة! يا وحدتي وانفرادي! إنك لأعز الذي من ألف انتصار، وأ humili على قلبي من كل أمجاد الأقطار.

يا خيبتي، يا خيبة!

يا معرفتي لنفسي واحتقاري للذاتي، بكِ أعرف أنني لا أزال فتئاً سريعاً الخطى، فلا تغرنني أكاليل الغار الذابلة الثانية. بكِ قد خطيت بوحدتي وانفرادي وتلوقت للدة فراري واحتقاري.

يا خيبتي، يا خيبة!

يا سيفي البثار وترسي البراق. قد قرأت في عينيكِ:
أن الإنسان متى جلس على عرش الملك فقد صار عبداً.

ومتى أدرك الناس أعمق روحه فقد طوى كتاب حياته .
ومتى بلغ أوجَ كماله فقد قضى نحبه .

بل هو كالثمرة إذا نضجت سقطت واندثرت .
يا خبيبي ، يا خيبة !

يا رفيقي الباسل الودود ، أنتِ وحدكِ تسمعين إنشادي وصراخي
وسكتي ، وليس غيرك بمقدوري عن خفقات الأجنحة وهدير البحار ، وعن
قدائف البراكين الثائرة في دوامس الليالي .
أنتِ وحدكِ تتسلقين صخور نفسى الجلمودية الشامخة .
يا خبيبي ، يا خيبة ! يا شجاعتي التي لا تموت !

أنتِ تصبحين معي في العاصفة ، وتحفرين معي قبوراً لما يموت مني
ومنك ، وتقفين معي أمام وجه الشمس بجلدِ وثباتِ ، فنكون معاً هائلين
راغبين .

الليل والمجنون

المجنون : «أنا مثلك أيها الليل قاتم عاري ، أمشي على طريق ناري يمتدّ
فوق أحلام نهاري . وحيثما تمسّ رجلي الأرض ، فهناك تنبثق سنديانة جباره» .

الليل : «كلا ، لست مثلي أيها المجنون ، فإنك ما زلت تتلفت إلى ورائك
لترى آثار قدميك على الرمال» .

المجنون : «أنا مثلك أيها الليل صامت وعميق ، وفي قلب وحدتي تتکن
إلاهة تتخض بمولود علوي تتألف بكيانه الجنة والجحيم» .

الليل : «كلا ، لست مثلي أيها المجنون ، فإنك لا تزال ترتعش أمام الآلام
فيهولك سمع أناشيد الهاوية» .

المجنون: «أنا مثلك أيها الليل، آيد جبار، فإن أذني مثقلتان بنحيب
الأسم المستعبدة والتحسر على العمالك المهجورة».

الليل: «كلا، لست مثلك أيها المجنون، لأنك لاتزال تتخذ ذاتك
الصغرى رفيقاً وفيها، ولا تستطيع أن تتخذ لك من ذاتك الجبار صديقاً».

المجنون: «أنا مثلك أيها الليل صارم وفظيع، فإن قلبي لا يطرب إلا
لرؤيا لهيب المراكب المحترقة في البحار، وشفتي لا تستلذان سوى دماء
الأبطال المصروعين في ساحات الوغى».

الليل: «كلا، لست مثلك أيها المجنون، لأن بك شوقاً إلى أخت روحك
متسلطاً عليك يُسِيرك كيف شاء. ولم تصرّ بعد شريعة لنفسك».

المجنون: «أنا مثلك أيها الليل، جدلٌ وطروب، فإن الرجل الذي
يرافقني سكران أبداً من الخمرة العذراء، والمرأة التي تصادقني ترتكب الإثم
وهي منشحة الصدر».

الليل: «كلا، لست مثلك أيها المجنون، لأن روحك مقنعة بقناع ذي
طيات سبع وأنت للآن لم تحمل قلبك على كفّك».

المجنون: «أنا مثلك أيها الليل، صبور وكثير. فإن في صدري الوفاً من
قبور المحبين الذين ماتوا مخلصين فاحتقطهم الدموع وكفتهم القبلات
الذابلة».

الليل: «وهل أنت مثلي؟ أحقاً أنت مثلي أيها المجنون؟ وهل تستطيع أن
تمتنع العاصفة جواداً وتمتشق اليرق حساماً؟».

المجنون: «أنا مثلك أيها الليل. أنا مثلك قدير عظيم. وقد بنيت عرشي
على آكام الآلهة الساقطة وجعلت الأيام تمر أمامي صاغرة تقتل أهداب ثوبى
من غير أن تجرؤ على التطلع إلى وجهي».

ـ الليل: «هل أنت مثلي يا ابن قلبي الدامس المدلهم؟ هل أنت مثلي؟
وهل تخظر لك أفكارِي الجامحة أم تتكلم لغتي الواسعة البيان؟».

المجنون: «بلى، إننا أخوان توأمان أيها الليل، فأنت تكشف مكنونات
اللامنهاية، وأنا أكشف مكنونات نفسي».

الوجوه

رأيت وجهها يظهر بآلف مظاهر. ووجهها مظهره واحد أبداً كأنما قد سبك
في قالب.

ورأيت وجهها قدرت أن أقرأ تحت طلاوته الظاهرة بشاعته المستترة،
ووجهها ما رأيت روعة جماله المحتجب حتى رفعت قناعه الظاهر.

ورأيت وجهها شيئاً قد تجعد ولكن على لا شيء، ووجهها ناعماً قد
ارتسمت على ملامحه جميع الأشياء.

أنا أعرف الوجوه لأنني أنظر إليها من خلال ما ينسجه بصري فأرى
الحقيقة التي وراءها بياصرتي.

البحر الأعظم

ذهبت ونفسى إلى البحر العظيم لستحمل بمائه، وعندما وصلنا إلى
الساحل طفتا نبحث عن مكان مستور عن الأنظار.

وفيما نحن نمشي رأينا رجلاً جالساً على صخرة غبراء وفي يده كيس
يأخذ منه حفنات من الملح ويرمي بها إلى البحر.

فقالت لي نفسي: هوذا المتشائم الذي لا يرى من الحياة سوى ظلها.
فلترك هذا المكان لأننا لا نستطيع أن نستحمل أماته..».

فتركنا ذلك المكان وسرنا إلى أن بلغنا جونا في الشاطئ، فإذا برجل

واقف على صخرة بيضاء وفي يده صندوقة مرصعة بالجواهر يتناول منها قطعاً من السكر ويرمي بها إلى البحر.

فقالت لي نفسي: «هو ذا المتفائل الذي يستبشر بما لا يشر فيه. فيجب أن لا يرى جسدينا العاريين.»

فتابعنا مسيرنا إلى أن بلغنا إلى شاطئ قريب فرأينا رجلاً يلتقط أسماكاً ميتة ويعيدها إلى الماء بعطف وحنان.

فقالت لي نفسي: «هو ذا الإنساني الشقيق الذي يحاول إرجاع الحياة لمن في القبور، فلنبعذ عنه.»

فعبرنا به وسرنا إلى موضع آخر فرأينا رجلاً يخطط ظله على المياه فتحثّي الأمواج وتمحو خطوطه، ثم يعود فيخطشه مرة بعد مرة.

فقالت لي نفسي: «هذا هو المتصرف الذي يقيم من أوهامه صنماً يعبده. فلنتركه.»

فخلفناه وراءنا إلى جونٍ صغير في مكان آخر فرأينا رجلاً يكشط الزبد عن سطح الماء ويضعه في كأس من العقيق.

فقالت لي نفسي: «هذا الخيالي الذي يحوك من خيوط العنكبوت رداء يلبسه، وهو لا يستحق أن يرى جسدينا العاريين.»

ثم سرنا قليلاً فسمينا بفتحة صوتاً يقول: «هذا هو البحراً هذا هو البحر العميقاً هذا هو البحر الواسع الجباراً» فسعينا إلى حيث خرج الصوت، فإذا برجل قد ولّ ظهره شطر البحر ووضع على أذنيه صدفة كالقرن وقد يصغي إلى ما تُرجمعه من الصدى.

فقالت لي نفسي: سر بنا، فهذا هو الدهري الذي ينصرف عن الكلمات التي تتتجاوز فهمه إلى الجزيئات التافهة التي لا طائل تحتها.»

فخلفناه وراءنا وانطلقنا إلى موضع آخر. فإذا برجل منحنٍ بين الصخور

وقد غمر رأسه بالرمل، فقلت لنفسي: «هلمي يا نفس لست حم هنا لأن هذا الرجل لا يستطيع أن يبصرنا».

فهزت نفسي رأسها وقالت: كلا وألف كلا! فإن هذا الذي تراه هو شر خلق الله. هو الرافضي الخبيث الذي يحجب نفسه عن مأساة الحياة فتحجب الحياة أفراحها عن قلبه.

فبدت إذ ذاك على وجه نفسي أمارات الحزن والأسى، وبصوت تقطعه المراارة قالت: «هلم بنا نصرف من هذه الشواطئ لأنه ليس فيها مكان خفي آمن لست حم فيه. فلن أرضي أن تعبث هذه الريح بشعرى الذهبي، ولا أن يكشف هذا الهواء عن صدري الناصع، ولا أن يظهر هذا النور عُريني المقدس».

حيثثـِ تركنا ذلك البحر ناشدين البحر الأعظم.

المصلوب

صرخت بالناس قائلاً: «أوذ لو تصليبني». فقالوا: «ولماذا يكون دمك على رؤوسنا؟» فقلت لهم: «وكيف تفخرون بأنفسكم إن لم تصلبو المجانين؟».

فقبلوا قولي وصلبوني. وهذا الصليب ثورة نفسي. وعندما كنت معلقاً بين الأرض والسماء رفعوا رؤوسهم وحدقوا إليّ وهم يتمايلون عجباً لأن رؤوسهم لم ترتفع قبل إلى ما فوق أقدامهم.

وفيمـا هم مجتمعون حول الصليب رفع واحد منهم صوته وقال لي: «عن أي ذنب تكفر يا هذا؟».

ثم قال آخر: «بربك قل لنا ما الذي دعاك إلى التضحية بنفسك؟».

وتلاه ثالث فسأله قائلًا: «أو تظن أيها الجاهل أنك تشتري مجد العالم بهذا الشمن البخس الذي تقدمه؟».

ثم قال رابع: «تأملوا ابتسامته الخرساء كأن لم يحل به شيء! وهل في استطاعة بشري أن يتسم لمثل هذا الألم؟».

فالتفت إليهم إذ ذاك وقلت لهم: «اذكروا ابتسامتي هذه ولا تذكروا شيئاً غيرها. فأنا لا أكفر عن ذنب ولا أسعى إلى تضحيه ولا أرغب في مجد وليس لي ما أصفح عنه. ولكنني قد عطشت فسألتكم دمي شراباً. وهل من شراب يبرد غلة المجنون سوى دمه؟ أجل! وكنت أبكم فسألتكم الجراح أنوراً. وكنت سجينًا في ظلمة أيامكم وليلاتكم فالتمست سبيلاً يؤدي بي إلى أيام أبيه من أيامكم وليلاتي أسعد من ليلاتكم».

«وها أنا ذا ماض الآن إلى حيث مضى كثيرون ممن صُلبوا قبلني. ولكن لا يخطر لكم أننا معاشر المصلوبين نعبأ بصلبكم، لأننا قدر لنا أن نُصلب من قبل جباررة أشدّ منكم قدرةً وبطشاً بين الأرضين الدنيا والسماءات العليا».

الفلكي

رأيت وصديقاً لي أعمى جالساً في ظلال الهيكل وحده، فقال لي صديقي: «هذا أحكم رجل في قومنا».

فتركت إذ ذاك صديقي ودنوت من الأعمى فحييته وقعدت بجانبه أجاذبه أطراف الحديث. وبعد هنيئة سالته قائلًا: «منذكم أنت أعمى يا سيد؟».

فأجابني وقال: «منذ ولادتي يا بني».

فقلت له: «وأي مذهب من مذاهب الحكمة تتبع؟»
فأجاب قائلًا: «أنا فلكي منجم».

ثم وضع يده على صدره وزاد قائلاً: «إني أرصد هذه الشموس وهذه الأقمار وهذه النجوم».

الحنين الأعظم

ها أنا جالس بين أخي الجبل وأختي البحر، ونحن الثلاثة واحد في عزلتنا تربطنا محبة عميقه قوية غريبة.

محبة أعمق من أعماق أخي وأقوى من قوة أخي وأغرب من غرائب جنوبي.

وكم هنالك من دهور تقضت قبل أن بدد الفجر الأول دياجير الظلمة عنا فرأى أحذنا آناء.

قد شاهدنا ولادة كثير من العوالم واتكمالها وانحلالها بيد أننا بعد أحداث توافقون.

أجل، نحن أحداث توافقون ولكننا وحيدون مهملون.

نتكئ متعاقدين عناقًا أبدية ولكننا غير مستريحين. وهل من راحة لشوق مستبعد وشهوة لا تنفد؟

أين إله النار المتلهب فيدفعه مضجع أخي؟

بل أين إلهة الغيث الفياضة فتخمد براكيں أخي؟

وأنا أشقى الاثنين. من أين لي المرأة التي تتسلط على قلبي؟

في سكينة الليل تردد أخي في أحلامها اسم إله النار المجهول لتدفتها.

وينادي أخي إلهة الغيث القصية لتبريد غلته. أما أنا فمن ترى أنا دمي في غفلتي؟

لست والله أدرى! لست والله أدرى!

ها أنا ذا جالس بين أخي الجبل وأختي البحر،
ونحن الثلاثة واحد في عزلتنا،
تربطنا محبة عميقه قوية غريبة.

وريقة عشب وورقة خريف

قالت وريقة عشب لورقة خريف: «إنك تُحدثين بسقوطك جلة فتبغرين
أحلام شتائي».

فأجابتها الورقة مفتاظة: «أيتها الدينية أصلًا وفصلاً الفضة المعقدة
للسان، من أين لك الأحلام وأنت ملتتصقة بقدارات الغراء بعيدة عن موسيقى
الفضاء لا تميزين بين الغناء والمواء؟».

قالت ورقة الخريف ذلك وهبطت على الأرض فنامت.
وعندما جاء الربيع أفاقت من نومها فإذا بها وريقة عشب.

ثم أقبل الخريف ووافتها هبعة الشتاء فتشعر الهواء حواليها أوراق الأشجار
الذابلة فتململت في ذاتها قائلة: «أف من أوراق الخريف الثقيلة! إنها تحدث
بسقوطها جلة وضجيجاً فتبغرين أحلام شتائي».

العين

قالت العين يوماً لرفقاتها الحواس: «إنني أرى وراء هذه الأردية جبلًا
مبرقاً بالغيوم فما أجمله جبلًا!»

فأصقت الأذن هنيئة لحديثها ثم قالت لها: «أين ذلك الجبل الذي
تنتظرين؟ إنني لا أسمع صوته».

ثم قالت اليد: «أما أنا فعبياً أحاول أنأشعر به أو أمسه. فليس هنالك جبل البتة».

وقال لها الأنف: «إنني لا أستطيع أن أفهم كيف يوجد الجبل وأنا لا أقدر أن أشمّه. ألا إن وجوده لمستحيل».

فتحولت العين إلى جهة أخرى ضاحكة في ذاتها. أما الحواس الأخرى فعقدن مجلساً بحث فيه عما دعا العين إلى مثل هذا الضلال. وبعد البحث الدقيق قررن بإجماع الآراء: «إن العين قد خرجت ولا شك عن صوابها».

العالمان

كان في مدينة أفكار القديمة عالمان. وكان كلّ منهما يمقت معرفة الآخر ويحتقرها. وكان الأول كافراً والثاني مؤمناً.

وحدث أنهما اجتمعا مرة في ساحة المدينة وطفقا يتجادلان ويتحاججان أمام أنصارهما في وجود الآلهة أو عدم وجودها. وبعد أن حمي وطيس الجدال بينهما بضع ساعات مضى كلّ منهما في سبيله.

وفي ذلك المساء عينه ذهب الكافر إلى الهيكل وجثا على ركبتيه أمام المذبح مستغفراً للآلهة عن جموح ماضيه وصار مؤمناً.

وفي الساعة نفسها أخذ المؤمن كتبه المقدسة فحرقها في ساحة المدينة وصار زنديقاً كافراً.

عندما ولدت كآبتي

عندما ولدت كآبتي أرضعتها حليب العناية وسهرت عليها بعين الحب والحنان.

فنممت كآبتي كما ينمو كلّ حي - قوية جميلة تفيض بهجة وإشراقاً.

فأحببت كآبتي وأحبتني كآبتي، وأحببنا معاً العالم المحيط بنا، لأن كآبتي كانت رقيقة القلب عطوفاً فصيرت قلبي رقيقة عطوفاً.

وعندما كنا نتحدث معاً، أنا وكآبتي، كنا نأخذ الأحلام أجنحةً لأياماً ومناطق لليالينا، لأن كآبتي كانت فصيحة طليقة اللسان فصيرت لسانني فصيحة طليقاً.

وعندما كنّا نغنى معاً، أنا وكآبتي، كان جيراننا يجلسون إلى نوافذهم مصغين إلى غنائنا، لأن غناءنا كان عميقاً كاعماق البحر وغريباً كغرائب الذكرى.

وعندما كنا نمشي، أنا وكآبتي، كان الناس يرثون إلينا بعيون تشغّ حباً وإعجاضاً متحدثين بنا بأرق الألفاظ وأحلاماً، غير أن بعضـاً منهم كانوا ينظرون إلينا بعيون الحسد، لأن الكآبة كانت منقبة محمودة وأنا كنت متباهياً فخوراً بالكآبة.

ثم ماتت كآبتي كما يموت كلّ حي وبقيت أنا وحدّي مفكراً متاماً.

وها أنا ذا أتكلّم الآن فتستقلّ أذناني صوتي، وأنشد فلا يصنفي أحدٌ من جيراني لإنشادي، وأطوف في الشوارع فلا يعبأ أحد بي، غير أنني أتعزّى إذ أسمع في منامي أصواتاً تقول متحسّرة:

«انظروا انظروا فهنا يرقد الرجل الذي ماتت كآبته».

وعندما ولدت مسرتي

وعندما ولدت مسرتي حملتها على ذراعي وصعدت بها إلى سطح بيتي
أنا دyi قائلًا: «تعالوا يا جيراني ومعارفي، تعالوا وانظروا فقد ولدت مسرتي
اليوم. تعالوا وانظروا فيض مسرتي الصاحكة أمام الشمس».

وشدّ ما كان دهشـي لأنـه لم يأت أحدـ من جـيرـاني لـيرـى مـسـرـتي.

وظللت سبعة أشهر أعلن مسرتي للناس بكرة وأصلـاً من على سطح بيـتي
ولـكن لم يـصـبحـ أحدـ قـطـ لـصـوـتـيـ. فـبـقـيـتـ وـمـسـرـتـيـ وـحـيدـينـ مـهـمـلـيـنـ لاـ يـعـبـأـ أـحـدـ
بـنـاـ.

وـمـاـ مـرـ عـلـىـ ذـلـكـ سـنـةـ حـتـىـ سـمـتـ مـسـرـتـيـ حـيـاتـهاـ فـامـتـقـعـ لـوـنـهـاـ وـاعـتـلـتـ إـذـ
لـمـ يـنـبـضـ بـحـبـتهاـ قـلـبـ سـوـيـ قـلـبـيـ، وـلـمـ يـقـبـلـ فـمـهـاـ سـوـيـ فـمـيـ.

فـقـضـتـ مـسـرـتـيـ فـيـ وـحـشـتـهاـ وـأـمـسـيـتـ لـاـ ذـكـرـهـ إـلـاـ عـنـدـمـاـ ذـكـرـ كـابـتـيـ.

وـمـاـ الـذـكـرـىـ سـوـيـ وـرـقـةـ خـرـيفـ لـاـ تـرـتـعـشـ فـيـ الـهـوـاءـ هـنـيـةـ حـتـىـ تـكـفـنـ
بـالـتـرـابـ دـهـرـاـ.

العالم الكامل

يا إله النـفـوسـ الضـائـعـةـ، أـيـهـاـ الضـائـعـ بـيـنـ الـآـلـهـةـ اـسـتـمـعـنـيـ. أـيـهـاـ الـقـدـرـ
الـرـحـيمـ السـاهـرـ عـلـىـ نـفـوسـنـاـ التـائـهـةـ الـمـجـنـونـةـ اـصـغـ إـلـيـ: فـإـنـيـ وـأـنـاـ نـاقـصـ أـعـيـشـ
بـيـنـ الـكـامـلـيـنـ مـنـ الـبـشـرـ. أـنـاـ، أـنـاـ الـبـشـرـيةـ الـمـشـوـشـةـ، السـدـيـمـ الـمـضـطـرـبـ
الـعـنـاصـرـ، أـتـخـطـرـ بـيـنـ عـوـالـمـ تـامـةـ مـنـ شـعـوبـ قـدـ كـمـلـتـ شـرـائـعـهـمـ وـتـنـزـهـتـ
نـظـمـهـمـ وـتـنـسـقـتـ أـفـكـارـهـمـ وـتـرـتـبـتـ أـحـلـامـهـمـ وـتـسـجـلـتـ رـؤـاهـمـ فـيـ الـأـسـفارـ
وـالـدـوـاـوـيـنـ.

ربـاهـاـ إـنـ هـوـلـاءـ النـاسـ يـقـيـسـونـ فـضـائـلـهـمـ بـالـمـقـايـيسـ وـيـزـنـونـ خـطاـيـاهـمـ
بـالـمـواـزـيـنـ، وـلـديـهـمـ سـجـلـاتـ وـفـهـارـسـ لـمـاـ لـمـ يـحـصـيـ مـنـ التـوـافـهـ وـالـنـقـائـصـ الـتـيـ

ليست بالخطايا فتُعرف ولا بالفضائل فتنصف.

ويقسمون أيامهم ولياليهم إلى أقسام مقتنة مرتبة. فيفعلون كل شيء في حينه على وفق ما يخطر لهم. فالأكل والشرب والنوم وكساء العريمة ثم السامة والضجر - كل في حينه.

والعمل واللعب والغناء والرقص ثم الاستراحة عندما تحين ساعتها.

التفكير بهذا الشعور بذلك ثم العدول عن التفكير والشعور عندما يشرق نجم الأمل السعيد فوق الأفق البعيد.

سلبُ الجار بثغر باسم ومنح العطايا بيد تتوقع الثناء والشكر، ثم المديح بفطنة والملامة بتزّعٍ، وقتل النفس وإحراق الجسد بقبلة، وغسل اليدين عند المساء كأن لم يكن هنالك من شيء.

المحبة بتقليد مطروق، والتسلية على منوال مسبق، وعبادة الآلهة كما يحق ويليق، والاحتياط على الشياطين والمكر بالزنديق، ثم نسيان كل ما جرى وصار كأن الذاكرة حلم من أحلام الأغوار.

التصور لغاية والتأمل بعنایة والمسرة بدرأية والتالم بوقاية ثم إفراغ كأس الآمال ورجاء أن تملأها الأيام في المال.

رباه، رباه! إن جميع هذه يسبق الفكر فيحبّل بها والعزميّة فتلدها والدقة فتربيها والنظام فيسودها والعقل فيديرها، ثم تنحر وتلحد في زوايا سكينة النّفوس فتبقى قبورها الموسومة بالعلامات والأرقام عظة لنا ولجميع الأنام.

أجل، هذا هو العالم الكامل الذي قد بلغ أوجهه، عالم الغرائب والمعجزات، بل هو أنضج ثمرة في جنّان الله وأسمى عالم بين عوالمه. ولكن لَمْ أنا ههنا يا رب؟ لَمْ أنا ههنا وأنا ثمرة عجراة لم أتبل بعد شهورتها من النماء، وعاصفة صماء هوجاء لا شرقاً تبتغي ولا غرباً، وذرة هائمة تائهة من كوكب محترق ثائر؟

لَمْ أنا ههنا؟ لَمْ أنا ههنا يا إله النّفوس الضائعة، أيها الضائع بين الآلهة؟

السابق

تعریف

الارشمندريت انطونيوس بشير

آنت سابق نفسك

أنت سابق نفسك يا صاح، وما الأبراج التي أقمتها في حياتك سوى أساس لذاتك الجبارة. وهذه الذات في حينها ستكون أساساً لغيرها.

وأنا مثلك سابقٌ نفسي، لأن الظلَّ المنبسطُ أمامي عند شروع الشمس
سيتقلص تحت قدمي عند الظهيرة. وسيعقب هذا الشروعُ شروعاً آخر،
فيحدث ظلًا ثانياً أمامي، ولكن هذا الظلَّ عينه سيتقلص تحت قدمي أيضاً في
ظهيرة أخرى.

منذ البدء ونحن سابقه نفوسنا، وسنبقى سابقي نفوسنا إلى الأبد. وليس ما حشدا ونحشد في حياتنا سوى بذور نعتها لحقول لم تفلح بعد. نحن الحقول ونحن الزارعون. نحن الأثمار ونحن المستثمرون.

عندما كنت يا صاح فكرة هائمة في الضباب كنت هنالك فكرة هائمة مثلك، فتشدثك ونشدتنى، فكانت من تشوقاتنا الأحلام، والأحلام كانت زماناً بلا قيود، والأحلام كانت فضاء بلا حدود.

وعندما كنت كلمة صامتة بين شفتي الحياة المرتعشتين، كنت أنا مثلك هنالك كلمة صامتة، وما تلفظت الحياة بنا حتى يرزاها إلى الوجود وقلبنا

يُخْفِقَانْ بِتَذَكَّرَاتِ الْأَمْسِ وَالْحَنْينِ إِلَى الْغَدِ. وَمَا الْأَمْسُ سَوْيِ الْمَوْتِ مَطْرُودًا
وَلَا الْغَدُ سَوْيِ الْمِيلَادِ مَقْصُودًا.

وَهَا نَحْنُ الآنِ فِي يَدِي اللَّهِ، فَإِنْتَ شَمْسٌ مُنِيرٌ فِي يَمْنَاهُ، وَأَنَا أَرْضٌ
مُسْتَنِيرٌ فِي يَسْرَاهُ، وَلَكُنْ قُوَّتِكُ الْإِلَارَةُ لَيْسَتْ بِأَفْضَلِ مِنْ قُوَّتِي عَلَى
الْإِسْتَنَارَةِ.

وَمَا نَحْنُ، الشَّمْسُ وَالْأَرْضُ، إِلَّا بَدَاءَ لِشَمْسٍ أَعْظَمْ وَأَرْضٍ أَعْظَمْ،
وَسَبَقَنَا بَدَاءَ إِلَى الْأَبْدِ.

أَنْتَ سَابِقُ نَفْسِكَ أَيْهَا الغَرِيبُ الْعَابِرُ بِبَابِ حَدِيقَتِيِّ، وَأَنَا مُثْلُكُ سَابِقِ
نَفْسِيِّ، وَلَوْ كُنْتُ أَجْلِسُ فِي ظَلَالِ أَشْجَارِيِّ وَأَبْدُو سَاكِنَاهَا هَادِهَا.

البهلوُل

جَاءَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ رَجُلٌ مِنِ الْبَادِيَةِ إِلَى مَدِينَةِ الشَّرِيعَةِ الْمُظَيْمَةِ، وَكَانَ
بَهْلُولًا خِيَالِيًّا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ مَتَاعٍ سَوْيِ ثُوبِهِ وَعَصَمِاهُ.

فَكَانَ يَطُوفُ فِي شُوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَيَتَأْمِلُ هِيَاكِلَهَا وَأَبْرَاجَهَا وَفَصُورَهَا
بِإعْجَابٍ وَإِجْلَالٍ، لَأَنَّ مَدِينَةَ الشَّرِيعَةِ كَانَتْ غَايَةً فِي الْجَمَالِ. وَكَانَ بَيْنَ الْأَوْنَةِ
وَالْأُخْرَى يَخَاطِبُ الْعَابِرِيْنَ بِهِ مُسْتَهْمَمًا عَنْ مَدِيْتِهِمْ وَغَرَائِبِهِمْ، فَلَمْ يَفْهَمُوهُ لِغَتِهِ
كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ لِغَةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

وَعِنْدَ اِنْتِصَافِ النَّهَارِ وَقَفَ أَمَامَ فَنْدَقِ فَسِيحِ الْأَرْجَاءِ، بَدِيعِ الْهَنْدَسَةِ
وَالْإِتْقَانِ، وَكَانَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ وَيَخْرُجُونَ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ اِعْتَرَاضٍ.

فَقَالَ الْبَهْلُولُ فِي ذَاتِهِ: «لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مَزَارُ مَقْدَسٍ» وَدَخَلَ مَعَ
الْدَاخِلِيْنَ.

وَشَدَّ مَا كَانَ حِيرَتَهُ عِنْدَمَا وَجَدَ نَفْسَهُ فِي بَهْوِ عَظِيمٍ، وَكَبْرَاءِ الْقَوْمِ، مِنْ
رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، جَالِسُونَ إِلَى كَثِيرٍ مِنِ الْمَوَانِدِ الْأَنِيقَةِ، يَأْكُلُونَ وَيَشْرِبُونَ،

والموسيقيون يشنفون اذانهم باطرب العزف والغناء.

فقال البهلول إذ ذاك في ذاته: «قد ضللت، فما هذه بالعبادة التي توهمت، بل هذه مأدبة أعدها الأمير لشعبه تذكاراً لحادث جلل».

وفي تلك الدقيقة دنا منه رجل، خُيّل إليه أنه عبد الأمير، وسأله أن يجلس مع الجالسين، فجلس. فقدمت إليه اللحوم، والخمور، والحلوى أفسرها وأشهها، فأكل هنيئاً وشرب مريئاً.

وعندما بلغ كفافه هم بالانصراف، ولكنه ما وصل إلى الباب حتى دنا منه رجل بادن متألق اللباس فأوقفه.

فقال البهلول في نفسه: «لا شك أن هذا هو الأمير بعينه». فانحنى أمامه وحياه باحترام وشكراً بلغة قبيلته.

أما الرجل البادن فخاطبه بلغة المدينة، قائلاً له: «يا سيدي، إنك لم تدفع بعد ثمن غدائك».

فلم يفهم البهلول شيئاً، ولكنه شكره ثانية من صميم قلبه. فتأمله الرجل البادن جيداً، وبعد أن أنعم النظر في وجهه مليئاً، أدرك أنه غريب عن المدينة، وعرف من ثيابه الرثة أنه فقير الحال وليس له ما يدفعه ثمن غدائه، فصافق منادياً، فجاء على الفور أربعة من حراس المدينة ومثلوا بين يديه، فقصص عليهم قصة البهلول، فألقوا القبض عليه في الحال، ومشوا بهاثين اثنين إلى جانبيه، أما البهلول فكان يتأمل ملابسهم المزركشة، وهو يكاد يطير فرحاً، قائلاً في سرّه: «لا شك في أن هؤلاء من أشرف المدينة».

فسار الحراس به إلى أن بلغوا دار القضاء، فدخلوا إلى قاعة المحاكمة، فرأى البهلول أمامه، في صدر تلك القاعة، رجلاً جليلاً، جالساً على منصة عالية، تجلله المهابة وتزيده لحيته البيضاء المسترسلة على صدره هيبةً ووقاراً. فخُيّل إليه أنه الملك بعينه، وطارت نفسه فرحاً لمثوله أمامه.

ثم بسط الحراس دعواهم إلى القاضي، فعين القاضي محاميين، واحداً ليدعى على البهلول، وأخر ليتولى الدفاع عنه. فنهض المحاميان الواحد تلو الآخر وأدلى كل بحججه.

أما البهلول، فظنّ إنّهما يرحبان به باسم الملك، فامتلاً قلبه بعواطف المتنّة ومعرفة الجميل للملك، وللأمير، على كل ما جرى له.

وعند انتهاء المحاكمة حكم القاضي بما يأتي على البهلول: «يجب أن تكتب جريمته على لوحة، وتعلق على صدره، ثم يركب حصاناً عارياً، ويطاف به في المدينة، ويسيّر المزمرون والمطبلون أمامه».

فُنِقدَ الحكم في الحال، وأُرْكِبَ البهلول حصاناً عارياً وطيف به في شوارع المدينة، وسار المزمرون والمطبلون أمامه. وكان سكان المدينة يتراکضون على سماع الأصوات فينظرون إليه وهو على تلك الحالة، ويغربون في الضحك أفراداً وجماعات. وكان الأولاد يركضون وراءه من شارع إلى شارع زرافات زرافات.

أما البهلول فكان يتظر إليهم بعينين مشرقتين فرحاً والدهش آخذ منه مأخذة. لأنّه كان يعتقد أن اللوحة المعلقة على صدره إنما هي وسام قدمه له الملك عريون بركته ورضاه عن زيارته، وإن ذلك العوكب ما سار إلا احتفاء بحضورته.

وحدث أنّه فيما هو راكب والجمع يحشده، رأى بينهم بدويّاً من قبيلته، فاختلط قلبه طرباً، وهتف به بأعلى صوته قائلاً: «بريك يا صاح! أين نحن الآن؟ أليست هذه المدينة التي يسمّيها شيوخنا مدينة رغائب القلب، وشعبها الأريحيون الفياضون، الذين يحتفون بعاير السبيل في قصورهم، ويرافقهم أمراوّهم، ويشرف ملوكهم صدره بالنياشين فاتحاً له أبواب مدینته الهاابطة من السماء؟».

فلم يقل البدوي الثاني كلمة قط، ولكنّه تبسم وهزّ رأسه.

أما الموكب فاستمر في سيره. وكان وجه البهلوان مرتفعاً أبداً والنور يفيض من عينيه.

المحبة

يقولون ان ابن آوى يشرب من الجدول الواحد الذي يشرب منه الأسد. ويقولون إن النسر والشوجة ينقدان الجيفة الواحدة وهما متلقان متسالمان. فيما أيتها المحبة العادلة، ويا من كبحت جماح رغائي بيديك القديرة، وتحولت مجاعتي وعطشي إلى إباء وشمم، لا تأذني للقوى العزوم في أن يأكل الخبز، أو يشرب الخمر، اللذين يستهويان ذاتي الضعيفة.

ذرني بالآخر فأقضى جوحاً يل دعي قلبي يتلهب عطشاً.
واتركني أموت وأفني، قبل أن أمد يدي لقدر لم تملأه أو كأس لم تباركها.

الملك الناسك

خبرت أن فتى يعيش في غابة بين الجبال، وأنه كان فيما مضى ملكاً على بلاد واسعة الأرجاء في عبر النهرین. وقيل لي أيضاً إن هذا الفتى قد تخلى، بملء اختياره، عن عرشه وعن أرض أمجاده، وجاء ليستوطن القفار. فقلت في نفسي: لأسعى إلى ذلك الرجل سعياً، وأقف على ما في قلبه من أسرار، لأن من يتنزل عن الملك فهو بلا شك أعظم من الملك !!

فذهبت على الفور إلى الغابة حيثما كان قاطناً. فوجدته جالساً في ظلال سروة بيضاء، وبيلده قصبة كان ممسكاً بها كأنما هي صولجانه. فحييته تحية الملوك، وبعد أن رد التحية التفت إليّ وقال بلطف: «ما عساك تبتغي في هذا الغاب الأعزل يا صاحبي؟ أبحث تشنـد ذاتاً ضائعةً في الظلـال الخضراء، أم هي

عوده إلى مسقط رأسك عند انقضاء شغل النهار؟

فأجبته قائلًا: «إنني ما نشتد إلاك، ولا شاقني إلا الوقوف على ما حدا
بك إلى استبدال مملكتك الكبيرة بهذه الغابة الحقيرة!»

قال: «وجيزة هي قصتي، فقد انطفأت فتاكين غروري فجأة وإليك
حكاياتي: بينما كنت جالساً إلى نافذة في قصري، كان وزيري يتمشى مع سفير
أجنبي في حديقتي. وعندما صارا على مقربة من نافذتي سمعت الوزير يتكلم
عن نفسه قائلًا: «أنا مثل الملك أتعطش للخمرة المعتقة، وأعشق جميع ضروب
المقامرة، ويثير بي ثائر الغضب كسيدي الملك.» ثم توارى الوزير والسفير
بين الأشجار. ولكنها ما لبثا أن عادا بعد برهة، وإذا بالوزير يتكلم عنّي في
هذه المرة قائلًا: «إن سيدي الملك مثلّي يحسن الرماية، ويتعشق الألحان،
وهو مثلّي يستحم ثلاثة في النهار.»

وسكت لحظة ثم زاد قائلًا: «في عشية ذلك اليوم تركت بلاطي، ولا
شيء معي سوى عباءتي، لأنّي لم أشاً بعد ذلك أن أكون ملكاً على قوم يدعون
نقاءِ نفسم ويعزون فضائلهم إلى». .
فقلت له: «ما أغرب قصتك، وما أعجب أمرك!».

فأجابني قائلًا: «ليس هنالك من غرابة يا صاحبي، فقد قرعت أبواب
سكيتي طامعاً منها بالكثير، فلم يكن لك منها سوى اليسير. بربك قل لي:
من لا يستبدل مملكة بخاتمة تترنم فيها الفصول، وترقص طروباً أبداً؟ كثيرون
هم الذين تركوا ممالكهم ليستبدلوا بها أدنى مراتب الوحيدة والتمتع بحياة
العزلة السعيدة، وكم هنالك من سور هبطت من جوها الأعلى، لتعيش مع
المناجذ في أنفاقها الصامتة فتتفهم أسرار الغرباء! بل ما أكثر الذين يعتزلون
ملكة الأحلام لئلا يظهروا للناس أنهم بعيدون عنّ لا أحلام في نفوسهم،
والذين يعتزلون مملكة العري، ساترين عري نفوسهم، حتى لا يستحي الأحرار
من النظر إلى الحق عارياً والتأمل بالجمال سافراً. وأعظم من هؤلاء جميعهم
ذاك الذي يعتزل مملكة الحزن، لكي لا يظهر للناس معجباً مفاخرأً بكابته».

ثم نهض متوكناً على قصبه و قال: «ارجع الآن الى المدينة العظمى، وقف ببابها مراقباً جميع الداخلين والخارجين منها. واعنَّ بأن تجدَ الرجل الذي على رغم أنه ولد ملكاً فهو بدون مملكة. والرجل الذي على رغم أنه مسودٌ بجسده فهو سائد بروحه، ولكنَّه لا يدرِّي بذلك ولا رعاياه يدرُّون بسيادته. والرجل الذي يبدو للعيان حاكماً ولكنَّه في الحقيقة عبد لعبد عبيده». وبعد أن فرغ من كلامه نظر إلى، فلاحت لي منه ابتسامة خلتها ألف فجر.

ثم تحول عنِّي متغللاً في قلب الغابة.

أما أنا فرجعت إلى المدينة، ووقفت ببابها أراقب العابرين بي، على نحو ما قال لي. وما أكثر الملوك الذين مرّت ظلالهم فوقِي، منذ ذلك اليوم حتى الساعة، وأقل الرعايا الذين من فرقهم ظلي!

الظلم مرتعه وخيم

هذه أغنية الثنينة التي تحرس كهوف البحر السابعة:
«سيأتي قريبني راكباً على الأمواج،
وسيملاً الأرض رعباً بهديره العجاج،
وستندلع نيران منخريه في أفاصي الفضاء.
«عند خسوف القمر سأزف إليه،
وعند كسوف الشمس سألد جورجيوس آخر فيذهبني».
هذه أغنية الثنينة التي تحرس كهوف البحر السابعة.

بنت الأسد

وقف أربعة عبيد يرتوحون بمرأوهم لملكة حيزبون كانت نائمة على عرশها تغطّ غطيطاً غليظاً. وكان في حضن الملكة هرّة متكئة تموء وهي تنظر إلى العبيد نظرة كره واشمئاز.

فقال العبد الأول لرفقائه: «ما أبغى هذه الحيزبون نائمة! انظروا كيف تراخت شفاتها، وهي تصعد أنفاسها كأنما الشيطان آخذ بخناقها».

فماءات الهرة قائلة: «إن بشاعتها في رقتها ليست جزءاً من بشاعتكم في عبوديتكم وأنتم مستيقظون».

ثم قال العبد الثاني: «ومن الغريب أن النوم لم يلطف ملامح وجهها، بل زادها تجعداً، فهي ولا شك حالمه حلماً شريراً راعباً».

فماءات الهرة قائلة لهم: «حبذا لو تنامون أنتم وتحلمون بحريرتكم!»
فقال العبد الثالث لرفقائه أيضاً: «يلوح لي أنها ترى في منامها موكب جميع ضحاياها الذين قتلتهم ظلماً وعدواناً».

فماءات الهرة قائلة: «نعم، فهي ترى مواكب أجدادكم وحفدتكم».

ثم قال العبد الرابع: «ما أغباكم تتحدثون عن هذه الملكة وهي نائمة، وماذا يجديكم الحديث نفعاً أو يجديني؟ العله يخف عني نصبيبي في وقوفي وعنائي في ترويعي لها؟»

فقالت الهرة وهي تموء: «أجل، إنكم ستتوحون إلى دهر الظاهرين، لأنكما على الأرض كذلك في السماء».

وفي تلك اللحظة تحركت الملكة في نومها فسقط تاجها على الأرض
فقال واحدٌ من العبيد: «إن في ذلك لشوماً»

فماءات الهرة وقالت: «مصالحب قوم عند قوم فوائد».

فقال العبد الثاني: «ماذا يحلّ بنا إذا أفاقت الآن من نومها ورأت تاجها ساقطاً على الأرض؟ والله إنها تذبحنا جميعنا!»

فمامات الهرة قائلة: «قد كانت تذبحكم منذ ميلادكم أيها الأغبياء وأنتم لا تعلمون».

وقال العبد الثالث: «إنها ولا شك تذبحنا، وتعتبر أنها بعملها هذا إنما تقرب عبادة آلهتها».

فمامات الهرة قائلة: «لأنصختي للآلهة إلا الضعفاء».

أما العبد الرابع فأسكت رفقاه عن الكلام، والتقط التاج بثأر ووضعه على رأس الملكة من غير أن يرقطها.

فمامات الهرة وقالت بصوت عال: «الحق أقول لكم إنه لا يلتفت التجان المتدرجـة سوى العبيد». وبعد هنـية استيقظت الملكة، وتلفـت حوالـها مـثنـائية ثم قـالت لـعـيـدـها: «يـخـيـلـ إـلـيـ أـنـيـ حـلـمـتـ بـأـنـيـ رـأـيـتـ أـرـبـعـ حـشـراتـ يـطـارـدـهـاـ عـقـرـبـ حـولـ جـذـعـ سـنـديـانـةـ جـبـارـةـ. قـبـحـهـ اللهـ مـنـ حـلـمـ مـزـعـجـ»

وأطبقـتـ عـيـنـيهـاـ فـنـامـتـ ثـانـيـةـ بـعـدـ أـنـ مـلـأـتـ القـاعـةـ بـعـطـيـطـهـاـ، فـطـفـقـ العـيـدـ الـأـرـبـعـ يـرـقـحـونـ لـهـاـ عـلـىـ جـارـيـ عـادـتـهـمـ.

أما الـهـرـةـ فـمـامـتـ قـائـلـةـ: «رـوـحـواـ، رـوـحـواـ أـيـهـاـ الـعـمـيـانـ وـالـأـغـبـيـاءـ، فـأـنـتـمـ لـاـ تـرـوـحـونـ إـلـاـ نـارـاـ تـلـتـهـمـ وـجـوـدـكـمـ!».

القديس

زرت في حداثتي قديساً في صومعته الهدأة، القائمة بين التلال، وفيما كنا نبحث ماهية الفضيلة أطل علينا لصٌ وهو يتعرج على الجانبين فوق الروابي، والتعب قد أعياه. وعندما وصل إلى الصومعة جثا على ركبتيه أمام القديس وقال له: «أيها القديس الشفيف قد جئتكم طالباً تعزية، فإن آلامي قد تعللت فوق رأسي».

فأجابه القديس قائلاً: «يا ابني، إن آثامي أنا أيضاً قد تعالت فوق رأسي».

فقال له اللص: «عفوك يا سيد! فأنا سارق، وقاطع طريق، ويستحيل أن تكون مثلي».

فأجابه القديس: «إنك واهم يا ابني، فإنني بالحقيقة مثلك سارق وقاطع طريق».

فقال له اللص: «ماذا تقول يا سيد؟ فأنا قاتل ودماء الكثيرين من الناس تصرخ في أذني».

فأجابه القديس؛ «وأنا أيضاً قاتل يا ابني وفي أذني تصرخ دماء الكثيرين».

فقال له اللص : «يا سيد! أنا قد ارتكبت شروراً لاتحصى ، وجرائم لا عداد لها، فكيف تساوي نفسك بي وأنت رجل الله البار؟»

فأجابه القديس وقال: «لو أنك عرفت كثرة شروري لما ذكرت شروريك».

فانتصب اللص إذ ذاك وحدق إلى القديس طويلاً، وملئ عينيه دهشة وغرابة، ومضى من غير أن ينبع ببنت شفة.

أما أنا فكنت صامتاً إلى تلك الدقيقة. فالتفت آنذاك إلى القديس، وسألته قائلاً: «ما دعاك إلى أن تنسب لنفسك شروراً لم ترتكبها قط يا سيد؟ إلا ترى أن هذا الرجل قد مضى ولم يعد من المصدقين بدعوك، والمؤمنين ببشارتك؟»

فأجاب القديس وقال: «أجل يا بني، فإنك بالصواب حكمت، بأنه لم يعد من المصدقين بدعوتي، ولكن الحق أقول لك إنه قد انصرف والعزماء يملأ فؤاده».

وفي تلك اللحظة سمعنا اللص يعني من بعيد، وكانت الأودية تردد صدى صوته الممتلىء بالمسرة والتعزية.

الطمع

رأيت في جولاني في الأرض وحشاً على جزيرة جرداه له رأس بشري،
وحوافر من حديد.

وكان يأكل من الأرض ويشرب من البحر بلا انقطاع. فووقة أرافقه
ردها، ثم دنوت منه وسألته قائلاً: «ألم تبلغ كفافك بعد؟ أليس لجوعك من
شبع أو لظماك من ارتواء؟»

فأجابني وقال: «نعم، نعم قد بلغت كفافي بل قد مللت الأكل والشرب
ولكتني أحاف أن لا تبقى إلى غد أرض لأكل منها وبحر لأرتوى من مائه».

الذات العظمى

حدث بعد تتويع نفسى بىع، ملك جبيل، أنه انصرف إلى مقصورته، وهي
الغرفة التي بناها له عراؤو الجبل النسالك، فنزع تاجه، وخلع «برفيره» ووقف
في وسط المقصورة، مفكراً في عظمته المتناهية، كملك جبيل الواسع السلطان
في ذلك الزمان.

وكان في صدر تلك المقصورة مرآة مفضضة الإطار، أهدتها إليه أمه،
فالتفت إليها بعنة، وإذا برجل عاري قد خرج منها وتقدم إليه.

فأخذ الرعب بمجامع قلبه وصرخ بالرجل قائلاً: «ماذا تريد أيها الرجل؟»
فأجابه الرجل وقال: «أود شيئاً واحداً منها الملك، وهو أن تخبرني لماذا
توجوك ملكاً على هذه البلاد؟»

فقال له الملك: «قد توجوني مليكاً عليهم لأنني أنبيل رجال بينهم».

فقال له الرجل: «والله لو كنت أنبيل مما أنت لما قبلت الملك».

فأجابه الملك: «بل إنما توجوني لأنني أشدتهم بأساً وقدرة».

فقال له الرجل: «لو كنت بالحقيقة أشدّهم بأساً لما قبلت أن تكون مليكاً عليهم».

فقال له الملك: «ألا إنما توجني شعبي لأنني أوفّر لهم حكمة».
فأجابه الرجل قائلاً: «والله لو كنت أوفر حكمة مما أنت الآن لما اخترت أن تكون ملكاً».

فسقط الملك حيثند على الأرض و بكى بكاء مرأة. أما الرجل العاري فكان ينظر إليه بشفقة و حنان آسفاً على جهله و غروره. ثم تناول تاج الملك المتدرج على الأرض و وضعه بلطف على رأسه المنحنى، وعاد فدخل في المرأة كما خرج وهو ينظر إلى الع CLK برقه و حسرة.

أما الملك فنهض بغتةً إلى المرأة. وتأملها جيداً فلم ير هنالك أحداً إلاه و تاجه على رأسه.

الحرب واللام الصغيرة

كان في أحد المروج نعجة وحمل يرعيان. وكان فوقهما في الجو نسر يحوم ناظراً إلى الحمل بعين جائعة يبغي افتراسه. وبينما هو يهم بالهبوط لاقتناص فريسته، جاء نسر آخر وبدأ يرفرف فوق النعجة وصغيرها وفي أعماقه جشع زميله.

فتلاقياً وتقاتلا حتى ملا صراخهما الوحشي أطراف الفضاء. فرفعت النعجة نظرها إليهما منذهلة، والتفتت إلى حملها وقالت: «تأمل يا ولدي، ما أغرب قتال هذين الطائرين الكريمين! أليس من العار عليهما أن يتقاتلا، وهذا الجو الواسع كافٍ لكليهما ليعيشا متسللين؟ ولكن صلّ يا صغرى، صلّ في قلبك إلى الله، لكي يرسل سلاماً إلى أخويك المعججتين!»
فصلّي الحمل من أعماق قلبه!.

الناددون

في عشية أحد الأيام كان المسافر راكباً حصانه وسائراً إلى الساحل، فوصل في طريقه إلى فندق. فترجل وربط حصانه إلى شجرة أمام الباب، لأنَّه كان واثقاً بالليل وبالناس شأن أفرانه المسافرين إلى السواحل، ثم دخل إلى الفندق مع الداخلين.

وعند انتصاف الليل كان جميع من في الفندق نياماً، فجاء لصٌّ وسرق حصان المسافر فلم يدرِّ به أحد.

وفي الصباح نهض المسافر من نومه، وجاء على الفور إلى حيث ربط حصانه فلم يجده. وبعد أن فتش عنه جيداً عرف أنَّ لصاً سرقه في تلك الليلة، فتأثر كثيراً على فقد حصانه، ولكنه حزن بالأكثر على أنَّ بين الناس من يغريه البشر فيعمد إلى السرقة.

وعندما عرف رفقاؤه المسافرون بما جرى له، تجمعوا حوليه، وبدأوا ينحوون عليه باللائمة معنفين إياه.

فقال الأول: «ما أحمقك أيها الرجل لما زربت حصانك خارج الأصطبل؟»

ثم قال له الثاني: «إنني أستغرب كيف أنك لم تحجل (تقيد) الحصان عندما زربته. فما أوفر جهلك؟»

فقال الثالث لرفيقيه: «إن السفر إلى البحر على ظهور الخيول غباءٌ من أساسه.

فقال الرابع: «أما أنا فأعتقد أنه لا يقتني الخيول إلا كل بليد بطيء الخطى».

لدهش المسافر لبلاغتهم وفصاحتهم في الوعظ والإرشاد بعد فوات الأوان. ثم قال لهم وهو يتميز غيظاً: «أيها الأصحاب، عندما سرق حصاني جاءتكم الفصاحة عفواً، فأسرعتم الواحد تلو الآخر تعددون هفوatic وزلاتي

ولكن يدهشني كيف أنكم، مع ما أوتيتم من قوة البيان، لم يقل أحد منكم
كلمة عَمَّن سرق الحصان!»

الشعراء

كان أربعة من الشعراء جالسين إلى خوان، وكان على الخوان إناء من
الخمر.

فقال الشاعر الأول: «يُخَيِّلُ إِلَيْيَ أَنِّي أَرَى عَبِيرَ هَذَا الْخَمْرِ مَرْفُوفًا فِي
الفضاءِ، كَسْحَابَةٌ مِّنَ الطَّيْورِ فِي غَابَ مَسْحُورٍ».

فرفع الشاعر الثاني رأسه وقال: «أَمَّا أَنَا فَلَوْنَى أَسْمَعَ بِأَذْنِي الْبَاطِنَةَ هَذِهِ
الْطَّيْورَ تَغْرِدُ فَتَأْخُذُ الْأَحَانِهَا بِمَجَامِعِ قَلْبِي فَتَأْسُرُهُ كَمَا تَأْسُرَ الزَّنْبُقَةَ النَّحْلَةَ بَيْنَ
وَرِيقَاتِهَا».

فأغمض الشاعر الثالث عينيه ورفع ذراعه وقال: «أَمَّا أَنَا فَلَوْنَى أَكَادُ
أَلَامِسْهَا بِيَدِي، أَشَعِرُ بِحَفِيفِ أَجْنِحَتِهَا يَهْبِطُ فِي وَجْهِي كَأَنَّهُ لَهَاثُ جَنِيَّةَ نَائِمَةً».

فنھض الشاعر الرابع إذ ذاك، ورفع الإناء بيديه وقال: «عَفُوكُمْ أَيُّهَا
الأخوان! فَلَوْنَى ضَعِيفُ الْبَصَرِ، ثَقِيلُ السَّمْعِ، كَلِيلُ اللَّمْسِ، فَلَيْسَ فِي طَاقَتِي أَنْ
أَرَى عَبِيرَ هَذِهِ الْخَمْرَةِ، وَلَا أَنْ أَسْمَعَ غَنَاءَهَا، وَلَا أَنْ أَشَعِرَ بِرَفْرَفةِ أَجْنِحَتِهَا.
أَوَاهَا إِنِّي لَا أَشَعِرُ بِغَيْرِ الْخَمْرَةِ ذَاتِهَا، وَلَذِلِكَ يَجُبُ أَنْ أَشْرِبَهَا لِتُرْقَظَ حَوَاسِي
الْخَامِلَةِ، وَتُشْعَلَ رُوحِي بِنَارِ بَرَكَتِكُمُ الْعُلُوَّيَّةِ وَوَحْيِكُمُ الطَّهُورِ».

ثم وضع إناء الخمر على شفتيه وأتى على آخر نقطة فيه.

أما الشعراء الثلاثة رفقاءه، فكانوا ينظرون إليه بدهشة، فاتحين
أشداقهم. وفي عيونهم غُلَّةٌ لَا تُرُوِي لِهُبَّتِهَا وَبِغَضَّةٌ لَا تُخْمِدُ حَدَّتِهَا.

دواره الريح

قالت دواره الريح للريح: «قبحك الله، ما أقتلك وما أملك! أليس في وسعك أن تهبي في وجه غير وجهي؟ لا تعلمين أنك بعملك هذا إنما تعكرين صفو ثباتي الذي أعطانيه الله؟»

فلم يجتب الريح بكلمة قطّ، ولكنها ضحكت في الفضاء.

ملك اردوسة

مثُل شيخ مدينة «اردوسة» مرة في حضرة الملك، والتمسوا منه أمراً يقضي بمنع المسكرات في مدنه.

فلم يجتب الملك سولهم، بل ولاهم ظهره وتركهم ومضى، ضاحكاً منهم في سرّه.

فانصرف الشیوخ من حضرته قانطین.

ولما بلغوا باب القصر رأوا وزير الملك، وكان هذا الوزير داهية، فلحظ اضطرابهم وعرف قصتهم.

فقال لهم: «أواه أيها الأصحاب! فإن الحظ لم يسعدكم لأنكم لو أتيتم إلينا عندما يكون ملكنا سكران لكتتم حصلتم في الحال على ما طلبتم!»

طائر ايماني

من اعمق قلبي هب طائرٌ وصعد محلقاً في الفضاء، وكان كلما حلق في الجزر، أكثر فأكثر، يزداد كبراً فكيراً فبدا أولاً كالخطاف، ثم صار كالقبرة، فكالنسر، إلى أن أصبح كسحابة الربيع اتساعاً، فملا السماوات المرصعة بالنجوم.

من أعماق قلبي هبّ، وحلق في الفضاء، وكان يزداد حجمه كلما طار.

ومع ذلك فإنه ظلّ ساكناً في أعماق قلبي.

فيما إيماني، يا معرفتي الجامحة القديرة،

كيف أبلغ سموك، فأرى وأياك ذات الإنسان الفضلي المرسومة على أديم السماء؟

كيف أحول هذا البحر الذي في أعماق نفسي، إلى ضباب كثيف، وأهيم وإياك في فضاء اللانهاية؟

أو هل يستطيع السجين في ظلمات الهيكل أن يرى قباب الهيكل المذهبة؟

أم هل للنواة أن تمدد فتغلف الشمر كما كان يغلفها من ذي قبل؟

أجل يا إيماني الحليم! أجل. فإني مقيد بالسلسل الحديدية في غيابات هذا السجن المحدود، تفصلني عنك هذه الحواجز المصنوعة من اللحم والعظم، وليس لي أن اطير معك الآن إلى عالم الالحادود.

بيد أنك من قلبي تنبثق محلقاً في الفضاء الواسع، وأنت لا تزال قاطناً في أعماق قلبي الوجيع، ولاني بذلك لراضٍ مستسلم قنوع.

الخلافات

حدث عندما كانت مملكة «عيسانا» في فراش مخاضها والملك وعيون بلاطه يتربون نجاتها من آلامها الشديدة، وهم جالسون على أحمر من الجمر في قاعة الشiran المجنحة^(١) أن دخل عليهم فجأة رسول مستعجل، وركع عند

(١) كان عند قدماء الأشوريين إله له رأس إنسان وجسم ثور وأجنحة طائر، وكانوا يرمزون برأسه عن الفكر، ويجسمه عن العزم، وبأجنته عن الخيال. وهذا ما عنده المؤلف بقوله «قاعة الشiran المجنحة».

قدمي الملك وقال: «أيها الملك المعظم، إنني أحمل لكم بشائر الفرج، وللملكة، ولعبيد الملك أجمعين، وذلك أن محارب «الجائز» عدوك اللدود، ملك «البترون» قد قضى نحبه».

فلما سمع الملك وكبار رجال دولته هذه البشري نهضوا متتصبين على أقدامهم، وهلروا فرحين لأنه لو طال أجل محارب الجبار سنة واحدة، لغزا أرض «عيشانا» وقاد سكانها عبيداً إلى بلاده.

وفي تلك اللحظة دخل طبيب البلاط إلى قاعة الشiran المجنحة، ودخلت وراءه قابلة الملكة، فانحنى الطبيب احتراماً للملك وقال له: «ليعش سيدي الملك إلى الأبد، فها قد رزقك الله طفلاً ذكرأ، سيختلفك على العرش، ويخلد حكمك على شعوب «عيشانا» عديد السنين!»

فتنهل الملك، وطارت روحه فرحاً، لاته في اللحظة الواحدة هلك عدوه، وتأصلت الخلافة في نسله.

وكان في مدينة «عيشانا» في ذلك العهدنبي حق، ولكنه كان فتى جريئاً باسل الروح، فأمر الملك أن يحضر النبي بين يديه في تلك الليلة، فحضر في الحال.

فقال له الملك : «تنبأ أيها النبي، وقل لنا كيف سيكون مستقبل ابني الذي ولد الآن للمملكة».

فأجابه النبي على الفور قائلاً: «اصبح ايها الملك فأبنك الصدق عن مستقبل ابنك الذي ولد لك اليوم: فإن روح عدوك - عدوك اللدود الملك محارب - الذي مات في مساء الأمس ، لم تثبت على متن الأرياح سوى ليلة واحدة وقد هبطت إلى الأرض ثانية تطلب جسداً تأوي إليه، فلم تَرْ أفضل من جسد ابنك هذا الذي ولد لك اليوم فتقعصته».

فاستنشاط الملك غيظاً، واستل سيفه، وقطع رأس النبي بيده والزيد يخرج من فمه غضباً.

وها قد مرت الأيام، وتصرمت جبال السنين على تلك الحادثة، وحكماء «عيشانا» يُسرّون واحدهم للأخر قائلين: «أما فيل لنا في القدم، وأثبتت الأيام ذلك القول، إن «عيشانا» يحكمها عدوها؟».

المعرفة ونصف المعرفة

جلس أربع ضفادع على قرمة حطب عائمة على حافة نهر كبير. فجاءت موجة هوجاء واحتطفت القرمة إلى وسط النهر، فحملتها المياه وسارت بها ببطء مع مجرى النهر. فرقصت الضفادع فرحاً بهذه السباحة اللطيفة فوق المياه، لأنّه لم يسبق لهنّ أن أبحرن بعيداً من ذي قبل.

وبعد هنّيّة صرخت الضفدعه الأولى قائلة: يا لها من قرمة عجيبة غريبة! تأملن أيّتها الرفيقات كيف تسير مثل سائر الأحياء. والله إنّي لم أسمع قط بمثلها».

فأجابتها الضفدعه الثانية وقالت: «إن هذه القرمة لا تمشي، ولا تتحرك أيّتها الصديقة، وهي ليست عجيبة غريبة كما توهّمت، ولكنّ مياه النهر المنحدرة بطبيعتها إلى البحر تحمل هذه القرمة معها وتحملنا نحن أيضاً بانحدارها».

فقالت الضفدعه الثالثة: «لا لعمري، فقد أخطأتا أيّتها الرفيقتان في خيالكما الغريب. فإن القرمة لا تتحرك والنهر أيضاً لا يتحرك، وإنما الحقيقة أن فكرنا هو المتحرك فيما، وهو الذي يقودنا إلى الاعتقاد بحركة الأجسام الجامدة».

وتناولت الضفداع الثلاث في ما هو متحرك بالحقيقة. وحسي وطيس الجدال وعلا الصراخ بينهن ولم يتّفقن على رأي واحد.

ثم التفتن إلى الضفدعه الرابعة التي كانت إلى تلك الساعة هادئة صامتة

تصغي إليهن بانتباه واستيعاب، وسألنها رأيها في الموضوع.

فقالت لهن: «كلكن محققات أيتها الرفيقات، ولا واحدة منكن على ضلال. فإن الحركة كائنة في القرمة وفي النهر وفي فكرنا في وقت واحد».

فلم يرقهن ذلك الكلام، لأن كل واحدة منها كانت تعتقد أنها وحدها المصيبة وأن رفيقاتها لفبي ضلال مبين.

وما أغرب ما حدث بعد ذلك! فإن الصفادع الثلاث تسلمن بعد العداء، وتجمعن فرميئ بالضفادعة الرابعة من على القرمة إلى النهر.

الصحيفة البيضاء

قالت صحيفة ورق بيضاء كالثلج: «قد بُرئت نقية طاهرة وسأظلّ نقية إلى الأبد. وإنني لأؤثر أن أحرق وأنحول إلى رماد أبيض، على أن آذن للظلمة فتدنو مني وللأقدار فتلامستي».

فسمعت قنية العبر قولها ووضاحت في قلبها القاتم المظلم ولكنها خافت ولم تدُّ منها.

وسمعتها الأقلام أيضاً على اختلاف ألوانها ولم تقربها قط.

وهكذا ظلت صحيفة الورق البيضاء كالثلج - نقية طاهرة - ولكن .. فارغة.

العالم والشاعر

قالت الحية للحسون: «ما أجمل طيرانك أيها الحسون! ولكن حبذا لو أتيك تستطيع أن تنسل إلى ثقوب الأرض وأوكارها. حيث تختلي عصارة الحياة في هدوء وسكون!».

فأجابها الحسون وقال: «أي وربِّي! إِنَّكِ واسعة المعرفة بعيدتها، بل أنتِ أحكم جميع المخلوقات، ولكن حبذا لو أُنكَ تطيرين».

فقالت الحية كأنها لم تسمع شيئاً: «مسكين أنت أيها الحسون! فلأنك لا تستطيع أن تبصر أسرار العمق مثلي، ولا تقدر أن تتخطر في خزائن المالك الخفية، فترى أسرارها ومحفوظاتها. أما أنا فلا أبعد بك، فقد كنت في الأمس متکنة في كهف من الياقوت الأحمر أشبه بقلب رمانة ناضجة، وأضال الأشعة تحولها إلى وردة من نور. فمن أعطي سواي في هذا العالم أن يرى مثل هذه الغرائب؟».

فقال لها الحسون: «بالصواب قد حكمت أيتها الحكمة، فلا أحد إلاك يستطيع أن يفترش ما تبلور من تذكرة العصور، وأثار الدهور. ولكن وأسفاه، فلأنك لا تغريدين!».

فقالت الحية: «إنني أعرف نباتاً تمتد جذوره إلى أحشاء الأرض، وكل من يأكل من تلك الجذور يصير أجمل من «عشتروت».

فأجابها الحسون قائلاً: «لا أحد، لا أحد إلاك قد اهتدى إلى حسر القناع عن فكر الأرض السحري. ولكن وأسفاه، فلأنك لا تطيرين!».

فقالت الحية: «وأعرف جدولًا أرجوانيًا يجري تحت جبل عظيم، وكل من يشرب من هذا الجدول يصير خالداً خلود الآلهة. وليس بين الطير أو الحيوان من اهتدى إلى ذلك الجدول سواي».

فأجاب الحسون وقال: بلى والله. فإن في منالك أن تكوني خالدة مثل الآلهة لو شئت. ولكن وأسفاه، فلأنك لا تغريدين!».

فقالت الحية: «وأعرف هيكلًا مطموراً تحت تراب الأرض، لم يهتد إليه باحثٌ أو منقبٌ بعد، أزوره مرّة في الشهر. وهو من بناء جباررة الأزمنة الغابرة. وقد نقشت على جدرانه أسرار جميع الأزمنة والأمكنة، وكل من يقرأها ويفهمها يوازي الآلهة في العقل والمعرفة».

فأجابها الحسون قائلاً: «بلى أيتها الحكيمية العزيزة، فإنك لو شئت لاستطعت أن تكتفي بلين جسدك جميع معارف الأجيال. ولكنك وأسفاه لا تقدرين أن تطيري!».

فاشمأزت الحياة إذ ذاك من حديثه. وارتدى عنده إلى وكرها، وهي تبرير في ذاتها قائلة: «قبحه الله من غرید فارغ الرأس!».

أما الحسون فطار وهو يغنى بأعلى صوته قائلاً: «واسفاه، إنك لا تغدين! وأسفاه، وأسفاه يا حكيمتي، إنك لا تطيرين!».

الأثمان

كان رجل يحفر في حقله. وفيما هو يحفر عثر على تمثال بديع من المرمر الجميل، فأخذه ومضى به إلى رجل كان شديد الولع بالآثار والعاديات وعرضه عليه، فاشتراه منه بأبهظ الأثمان، ومضى كل منها في سبيله.

وبينما كان البائع راجعاً إلى بيته أخذ يفكر في ذاته قائلاً: «ما أكثر ما في هذا المال من القوة والحياة! إنه بالحقيقة ليدهشني تيف أن رجلاً عاقلاً ينفق مالاً هذا مقداره لقاء صخر أصم فاقد الحركة، كان مدفوناً في الأرض منذ ألف سنة ولم يحلم به أحد».

وفي الساعة عينها كان المشتري يتأمل التمثال مفكراً وقائلاً في ذاته: «تبارك ما فيك من الجمال! تبارك ما فيك من الحياة! حلم أية نفس علوية أنت؟ هذه بالحقيقة نصارةً أعطيتها من نوم ألف سنة في سكينة الأرض! إنني والله لا أفهم كيف يمكن الإنسان أن يبيع مثل هذه الطرفة النادرة بمال جامد زائل».

البحار الأخرى

قالت سمكة لأنتها: «يوجد فوق بحراً هناً آخر، وفيه مخلوقات متنوعة تعيش وتسبح هنالك كما نعيش نحن هنا ونسبح».

فأجابتها أنتها وقالت: «تلك أوهام! تلك أوهام! ألا تعلمين أيتها العزيزة أن كل مخلوق يترك بحراً قيد قيراط واحد، ويبقى خارجاً عنه، يموت في الحال؟ إذن، فما هي حجتك على وجود أحياء أخرى في بحار أخرى؟».

التوبة

دخل رجلٌ في ليلة ظلماء إلى حديقة جاره، فسرق أكبر بطيخة ووصلت إليها يده وحملها وجاء بها إلى بيته.

وعندما كسرها وجد أنها عجراء لم تبلغ بعد نموها، فتحرّك ضميره في داخله إذ ذاك، وأوسعه تأنيباً، فندر على أنه سرق البطيخة... .

المختضر والشوجة

مهلاً ولا تلجمي يا أختاه، مهلاً
فعما قريب أترك لك هذه البقية التلفة،
فإنها تستفرغ صبرك بطول نزاعها.

إنني أضن بجوعك أن يتربّع تصرم هذه الهنีهات، لأن هذه القيود وإن كانت من اللهاش، فإن كسرها لعسیر. إن رغبتي في الموت، وهي أبعد رغائي، مقيدة بسلسل رغبتي في الحياة، وهي أدنى رغائي.

عفوك أيتها الرفيقة، فإنني متماهلٌ بطيء.

هي الذكرى تمسك بروحى فتعيد إلية تذكريات مضت فترتها مواكب
الأيام الذهابة،
ومرأى شباب غابر قضيته في حلم.

وتشخص أمامي وجهها يأمر أجفاني بala تغمض.
وتعيد إلى مسمعي صوتاً لا يزال صدأه متزدداً في أذني،
ويبدأ تلامس يدي ولا أراها.
عفوك أيتها الرفيقة، فقد طال انتظارك.

ولكن ها قد دنت الساعة وكل شيء عابر زائل: الوجه والعينان واليدان،
والضباب الذي جاء بها.

ها قد حللت العقدة،
قد تقطع الحبل.
وذلك الذي ليس بالطعام ولا بالشراب قد تنفس وراح.
تقدمي يا رفيقتي الجائعة، تقدمي فقد أعدت المائدة والطعام حقير يسير
ولكنه يقدم بمحبة.

هلمي واغرزي منقارك في جنبي الأيسر،
وآخر جسي من بين قضبان قفصه هذا الطائر الأصغر،
الذي لن يرفرف جناحاه فيما بعد.
برئك خديه وحلقي به في رحاب الفضاء.
هلمي، هلمي إلى يا صديقتي،
فانا مُضيفك الليلة، وأنت ضيفي العزيز، فأهلأ ومرحباً.

وراء وحدتي

إن وراء وحدتي وحدة أبعد وأقصى .
وما انفرادي للمعتزل فيها سوى ساحة تغص بالمزدحمين .
وما سكوني للساكنين فيها سوى جلبة وضجيج .
إتنى حدث مضطرب هائم بعد ، فكيف أبلغ تلك الوحدة القاصية ؟
إن الحان ذلك الوادي تتموج في أذني ،
وظلاله السوداء تحجب الطريق عن عيني ،
فكيف أسير إلى تلك الوحدة العلوية ؟
إن وراء هذه الأودية والتلال غابة حب وافتنان ،
وما سكوني لمن فيها سوى عاصفة هوجاء صماء ،
وما افتتاني لعاشقها سوى انخداع وغرور .

إتنى حدث مضطرب هائم بعد ، فكيف أبلغ تلك الغابة القدسية ؟
فإن طعم الدماء لا يزال في فمي ،
وقوس أبي ونشابه ما برحه في يدي ،
فكيف أسير إلى تلك الوحدة العلوية ؟

إن لي وراء هذه الذات السجينة ذاتاً حرقة طليقة ،
وما أحلامي في عقيدتها سوى حرب في ظلام ،
وما رغائبي تجاه رغائبها سوى قرقعة عظام .

إتنى حدث مهان ذليل بعد ،
فكيف أكون ذاتي الحرقة طليقة ؟
أجل ، كيف أكون ذاتي الحرقة طليقة -
قبل أن أثار لنفسي فأذبح جميع ذواتي المستعبدة ،
أو قبل أن يصير جميع الناس أحراضاً طلقاء ؟
إذ كيف تطير أوراقي متربنة فوق الريح -
قبل أن تذوي جذوري في ظلام الأرض ؟

بل كيف يحلق نسر روحي طائراً أمام وجه الشمس -
قبل أن تترك فراغي عشها الذي بننته لها بعرق وجهي؟

البيضة الأخيرة

في غلس الليل العميق، وقد هبت النسيم معطرأً بأنفاس الفجر الأولى،
نهض «السابق» - وهو صدى الصوت الذي لم تسمع به أذنّ بعد - فترك مقصورته
وتصعد إلى سطح بيته. ويبعد أن وقف هنالك طويلاً ينظر إلى المدينة الهاجعة
في سكينة الليل، رفع رأسه، وكأنما قد تجمع حواليه أرواح أولئك النائمين
المستيقظة، وفتح فاه وخاطبهم قائلاً:

«يا إخوتي وجيراني، ويا أيها المازون ببابي في كل يوم، إتنى أود أن
أناجيكم في نومكم، وفي وادي أحلامكم، أود أن أمشي مطلقاً عارياً، فإن
ساعات يقظتكم أشدّ غفلة من نومكم، وأذانكم المثقلة بالضجيج كليلة صماء.

«لقد أحببتم كثيراً وفوق الكثير.

«لقد أحببت الواحد منكم كما لو كان كلّكم،

«وأحببتم جمِيعاً كما لو كنتم واحداً».

«ففي ربيع قلبي كنت أترنم في جنانكم،

«وفي صيف قلبي كنت أحرس بيادركم.

«أجل، قد أحببتم جميعكم، جباركم وصلوووككم، أبرصكم
وصحيمكم، وأحببت من يتلمس منكم سبيله في الظلام، كمن يرقص أيامه
على العجب والآكام.

«أحببتك أيها القوي، مع أن آثار حوافرك الحديدية لا تزال ظاهرة في
لحمي.

«أحبيتك أيها الضعيف على رغم أنك جفت إيماني، وعطلت عليَّ
صيري».

«أحبيتك أيها الغني، في حين أنَّ عسلك كان علقاً في فمي. وأحبيتك
أيها الفقير مع أنك عرفت عوزي وفراغ ذات يدي».

«أحبيتك أيها الشاعر المقلد، الذي يستغير قياثة جاره ليضرب عليها
بأصابعه العميم، أحبيتك كرماً ولطفاً. وأحبيتك أيها العالم الدائب عمره في
جمع الأكفان الرثة من حقل الخراف الممقوت».

«أحبيتك أيها الكاهن الجالس في سكون أمسه متسائلاً عن مصير غده».

«أحبيتك أيها العابد الذي يتخد له من أشباح رغائبَ الله يعبدَها».

«أحبيتك أيتها المرأة، المتعطشة وكأسها مملوءة أبداً، لأنني عرفت
سرِّك».

«أحبيتك أيتها المرأة الساهرة ليلاتها، مشففَةً عليكِ».

«أحبيتك أيها الشرير قاتلاً في نفسي: «إنَّ للحياة كثيراً فتقوله»».

«أحبيتك أيها الأبكم قاتلاً في سري: «حبذا لو أسمع نطقاً يعبر عما في
صمتِه»».

«أحبيتك أيها القاضي والناقد، ولكنكم عندما رأيتُماني مصلوبياً
قلتما: «ما ألطف نزف دماء من عروقه، وما أجمل الخطوط التي ترسمها في
مسيلها على جلده الناصع!»».

أجل، أحبيتكم جميعكم، فتاكم وشيخكم،
«أحبيت قصيتك المرتجفة كستديانتكم الجباره الراسخة،
ولكن وأسفاه فإنَّ قلبي الطافع بحبكم قد حُولَ قلوبكم عنِّي،
لأنَّ في وسعكم أن ترتشفوا خمرة المحبة من القدر الصغير ولكنكم لا
تقوون على شربها من النهر الفياض».

«إنكم تستطعون أن تسمعوا صوت المحبة عندما تهمس في آذانكم، ولتكنكم تصمون آذانكم عندما تصيّع المحبة مهلاً بأعلى صوتها.

«وعندما رأيتم أنني قد أحببتم جميعكم بالسوية، تهكمتم قائلين: «ما أسهل انقياد قلبه، وما أبعد الفطرة عن مسالكه! إن محبته هذه محبة متسلٍّ جائع، قد تعود التقاط الفتات، ولو كان جالساً إلى موائد الملوك، بل هي محبة ضعيف حقير، لأن القوي لا يحب إلا الأقوياء».

«وعندما رأيتم أنني أحببتم جنباً مفرطاً قلتم: «إن محبته هذه محبة أعمى لا يميز بين جمال الواحد وبشاشة الآخر. بل هي محبة عديم الذوق، الذي يشرب الخل كأنه يشرب الخمر. بل إنما هي محبة فضوليّة مدعٍّ، إذ أي غريب يستطيع أن يحبّنا كأبينا وأمنا وأختنا وأخينا؟».

«وهذه أقوالكم وغيرها كثير، لأنكم طالما أشرتم إلى بأصابعكم في شوارع المدينة وساحاتها وقلتم بعضكم لبعض ساخرين:

«بربكم انظروا الصغير الكبير، الذي لا يعبأ بالفصول والسنين، فهو عند الظهيرة يلّاعب أولادنا، وعند المساء يجالس شيوخنا، مدعياً الحكمة والفهم».

«أما أنا فكنت أقول في قلبي: «لا بأس في ذلك، فإنني سأحبهم أكثر فأكثر، ولكنني سوف أسدل على محبتي ستاراً من البغض، وأستر عطفني بشدید كرهي. وسأترفع ببريق من حديد، ولا أسعى وراءهم إلا مسلحًا مدرعاً».

«وبعد ذلك أقيمت يداً ثقيلة على رضوضكم وجراحكم، وكما تعصف العاصفة في الليل رعدت في آذانكم،

«ومن على السطوح قد أذعنكم للملائكة فرّيسين مراثين خداعين، وفقاقيع أرض كاذبة فارغة.

«قد لعنت فاصلري النظر فيكم كما تلعن الخفافيش العميماء،

«وشبهت الملتصقين بالأرض والأدئاء منكم بالمناجد (جمع خلد) العادمة التفوس.

«أما الفصحاء والبلغاء بينكم فدعوتهم متشعبي الألسنة، ودعوت الصامت الساكن فيكم متحجر القلب والشفتين، وقلت في البسيط الساذج: «إن الأموات لا يملون الموت».

«قد حكمت على الساعين وراء المعرفة البشرية منكم ومن أبنائكم كمجدفين على الروح القدس،

«وحكمت أيضاً على المأخوذين والمجدوبيين بحب الأرواح وما وراء الطبيعة كمصطادي أشباح، يرمون شباكهم في مياه راكدة، ولا يصطادون سوى ظلالهم البليدة.

«كذا شهرتكم بشفتي، ولكن قلبي، والدماء تنزف منه، كان يدعوكم بارق الأسماء وأحلاماً.

«أجل أيها الأصحاب والجيран، فإن المحبة قد خاطبتك مسوقة بساط ذاتها،

«والكثرياء قد رقت أمامكم متعرجة بغار خييتها مذبوحة بالآلامها،

«وتعطشى لمحبتكم قد ثار ثائره على السطوح،

«ولكن محبتي كانت تسألكم صفحأ وهي راكعة صامتة.

«ولكن إليكم المعجزة يا قوم:

«إن تسترني قد فتح عيونكم، وبغضي قد أيقظ قلوبكم.

«والآن أنتم تحبونني

«إنكم لا تحبون سوى السيف التي تطعن قلوبكم والسهام التي تخرق صدوركم،

«لأنكم لا تعزون إلا بجرائمكم، ولا تسکرون إلا بخمرة دمائكم.

«وكما يتجمع الفراش حول اللهيب، ساعياً وراء حتفه، تجتمعون أنتم كل يوم في حديقتي، وبوجوه مرتفعة، وعيون شاخصة، تراقبونني وأنا أمزق نسيج أيامكم، فتتهامسون فيما بينكم فائلين:

«إنه يبصر بنور الله، ويتكلّم كأنبياء المتقدمين، فيحرسر القناع عن

نفوسنا، ويحطم أقفال قلوبنا، وكما يعرف النسر مسالك الشعالب، يعرف هو أيضاً طرقنا ومسالكنا».

«بلى، فإنني بالحقيقة أعرف طرقم، ولكن كما يعرف النسر طرق فراخه، وإنني، بمسرة قلب، قد كشفت لكم سري، ولكنني لحاجة بي إلى قربكم، أتظاهر بالجهاء، ونحوهاً مني على دنو قضاء محبتكم أقوم على حراسة سدود محبني».

ويعد أن فيغ السابق من كلامه غطى وجهه بيديه ويبكي بكاءً مراً، لأنه أدرك في قلبه أن المحبة المحترقة في عريها، لأعظم من المحبة التي تنشد الظفر في تسترها وتتغىّرها، وخجل إذ ذاك من ذاته.

ثم رفع رأسه بفترة، وكأنه أفاق من نوم عميق، وبسط ذراعيه وقال: «ها قد ولّ الليل، ونحن أولاد الليل يجب أن نموت عندما يأتي الفجر متوكلاً على التلال، وستبعث من رمادنا محبة أقوى من محبتنا، وستضحك في نور الشمس، وستكون خالدة».

النبي

تعریب
الارشمندريت انطونیوس بشیر

النبي

وظلَّ المصطفى، المختار الحبيب، الذي كان فجراً لذاته، يتربَّب عودة سفيته في مدينة أورفليس الثنتي عشرة سنة ليركبها عائداً إلى الجزيرة التي ولد فيها.

وفي السنة الثانية عشرة، في اليوم السابع من أيلول شهر الحصاد، صعد إلى قمة إحدى التلال القائمة وراء جدران المدينة وألقى نظرة عميقَةَ إلى البحر، فرأى سفيته تمخر عباب البحر مغمورة بالضباب.

فاختلطَ قلبه في أعماقه، وطارت روحه فوق البحر فرحاً، فأغمض عينيه. ثم صلَّى في سكون نفسه.

* * *

غير أنه ما هبط عن التلة حتى فاجأته كآبة صماء، فقال في قلبه:
كيف انصرف من هذه المدينة بسلام، وأسير في البحر من غير كآبة؟
كلا إنني لن أُبرح هذه الأرض حتى تسيل الدماء من جراح روحي.

فقد كانت أيام كآبتي طويلة ضمن جدرانها، وأطول منها كانت ليالي وحدتي وانفرادي، ومن ذا يستطيع أن ينفصل عن كآبته ووحدته من غير أن يتالم في قلبه؟

كثيرة هي أجزاء روحي التي فرقتها في هذه الشوارع، وكثير هم أبناء

حنيني الذين يمشون عراة بين التلال، فكيف أفارقهم من غير أن أنقل كاهلي
وأضغط روحي!

فليس ما أفارقه بالثوب الذي أنزعه عني اليوم ثم أرتديه غداً، بل هو
بشرة أمرّقها بيدي.

كلا، ولس فكراً أخلفه ورائي، بل هو قلب جملته مجاعتي وجعله
عطشى رقيقاً خفوقاً.

* * *

بيد أنني لا أستطيع أن أبطئ في سفري.

فإن البحر الذي يدعوك كل الأشياء إليه يستدعيوني، فيجب علي أن أركب
سفينتي وأسير في الحال إلى قلبه.

ولو أقمت الليلة هنا، فإني، مع أن ساعات الليل ملتهبة، أجمد
وأتبلور وأتقيد بقيود الأرض الثقيلة.

وإني أود لو يتاح لي أن يصحبني جميع الذين هننا. ولكن أنني يكون
لي ذلك؟

فإن الصوت لا يستطيع أن يحمل اللسان والشفتين اللواتي تسلحن
بجناحيه. ولذلك فهو وحده يخترق حجب الفضاء.

أجل، والنسر، يا صاح، لا يحمل عشه بل يطير وحده محلقاً في عنان
السماء.

وعندما بلغ المصطفى سفح التلة التفت ثانية إلى البحر فرأى سفينته تدنو
من المرفأ، وأبناء بلاده يروحون ويجهبون على مقدمتها.

فهتف لهم من صميم فؤاده وقال:
يا أبناء أمتي الأولى، أيها الراكبون متون الأمواج المدللون متها
وجزرها.



«وجه النَّهْيِ»

كم من مرة أبهرتني في أحلامي! وها قد أتيتكم ورأيتكم في يقظتي التي هي أعمق أحلامي.

إنني على أتم الأهبة للإبحار، وفي أعماقى شوق عظيم يترقب هبوب الريح على القلوع بفارغ الصبر.

ولكتني أود أن أتنفس مرة واحدة في هذا الجر الهدى وأن أبعث بنظره
عطف واحدة إلى الوراء .

وحيثـَد أقف معكم، ملـَحاً بين الملـَحين.

أما أنت أيها البحر العظيم، أيها الأم الهاجمة.

أنت أيها البحر العظيم الذي فيك وحدك يجد النهر والمجدول سلامهما وحريتهم.

فاعلم أن هذا الجدول لن يدور إلا دورة واحدة بعد، ولن يسمع أحد خريره على هذا المuber بعد اليوم، وحيثند آتي إليك، نقطة طليقة إلى أوقيانوس طليق.

• • •

وفيما هو ماشِ رأى عن بعد رجالاً ونساء يتركون حقوقهم وكردهم ويهرولون إلى أبواب المدينة.

وسمعهم يصرخون بعضهم البعض من حقل إلى حقل مرددين اسمه وكل منهم يحدث رفيقه بقدوم سفيته.

* * *

فقال في نفسه :
أيكون يوم الفراق يوم الاجتماع ؟
أم يجري على الأفواه أن مسائي كان فجراً لي ؟
وماذا يجدر بي أن أقدم للفلاح الذي ترك سكته في نصف تلمه ، وللكرزام

الذي أوقف دولاب معاصرته؟
أيتها قلبي إلى شجرة كثيرة الأثمار فأقطف منها وأعطيهم؟
أم تفيض رغباتي كالينبوع فاماً كثوًسهم؟
هل أنا قيشارة فتلامسني يد القدر، أم أنا مزمار فتمر بي أنفاسه؟
أجل، لأنني هائم أنشد السكينة، ولكن ما هو الكنز الذي وجدته في
السكينة لكي أوزعه بطمأنينة؟
وإن كان هذا اليوم يوم حصادي ففي أية حقول بذررت بذاري، وفي أي
فصل من الفصول المجهولة كان ذلك؟
وإن كانت هذه هي الساعة التي يجدر بي أن أرفع فيها مصابحي واضعاً
إياه على مناري، فإن النور الذي يتضاعد منه ليس مني.
لأنني سارفع مصابحي فارغاً مظلماً.
ولكن حارس الليل سيملاه زيتاً، وسينيره أيضاً.
قال هذا معيراً عنه بالألفاظ. ولكن كثيراً مثل هذا حفظه في قلبه من غير
أن يعلنه، لأنه هو نفسه لم يقدر أن يوضح سره العميق.

* * *

وعندما دخل المدينة استقبله الشعب بأسره، وكانوا يهتفون له مرحباً به
بصوت واحد.

فوقه شيوخ المدينة وقالوا له:
بريك لا تفارقنا هكذا سريعاً.
فقد كنت ظهيراً في شفقنا،
وقد أوصى شبابك الأحلام في نفوسنا.

وأنت لست بالغريب بيننا، كلاً، ولا أنت بالضيف بل أنت ولدنا وقسيم
أرواحنا الحبيب.

فلا تجعل عيوننا تشთق إلى رؤية وجهك.

ثم قال له الكهان والكافئات:
لا تاذن لأمواج البحر أن تفصل بيننا، فتجعل الأعوام التي قضيتها بيننا
نسياً منسياً.

فقد كنت فينا روحًا محيبة، وكان خيالك نوراً يشرق على وجوهنا.
قد تعشقتك قلوبنا، وعلقتك أرواحنا،
ولكن محبتنا تقنت بحجب الصمت، فلم نستطع أن نعبر عنها.
بيد أنها تصرخ إليك الآن بأعلى صوتها، وتمزق حجابها بيديها لكي تظهر
للك حقيقتها.

فإن المحبة منذ البدء لا تعرف عمقها إلا ساعة الفراق.

* * *

ثم جاء إليه كثيرون متسللين متضرعين. فلم يرده على أحد جواباً. ولكنه
كان يحنى رأسه، وكان الواقفون حوله ينتظرون عبراته تتتساقط بغزاره على
وجنتيه وصدره.

وظل يمشي مع الشعب حتى وصلوا إلى الساحة الكبرى أمام الهيكل.

المطرة

وحدث إذ ذاك أن امرأة عرافه خرجت من المقدس، اسمها المطرة.
فنظر إليها نظرة ملؤها الحب والحنان، لأنها كانت أول من سعى إليه
وآمن به مع أنه لم يكن له إلا ليلة وضحاها في مديتها.
فحينما باحترام وقالت له:

يا نبی اللہ، قد طالما کنت تسعی وراء ضمائرک المنشودة، مفتشاً عن سفیتک التي كانت بعيدة عنك.

وها قد وصلت سفیتک، ولم يبقَ من بد لسفرك.

عظيم هو حنينك إلى أرض أحلامك وتذکاراتك ومواطن الفائقات من رغباتك، ولذلك فإن محبتنا لا تقيدك، وحاجتنا إليك لا تمسك بك.

ولكننا واحدة نسألک قبل أن تفارقنا:
أن تخطب فينا وتعطينا من الحق الذي عندك.

ونحن نعطيه لأولادنا، وأولادنا لأولادهم وحفدتهم، وهكذا يثبت
كلامک فينا على ممر العصور.

ففي وحدتك كنت ترقب أيامنا، وفي يقظتك كنت تصغي إلى بکائنا
وضحكنا في غفلتنا.

لذلك نصرع إليك أن تكشف مكنوناتنا للدوافع، وتخبرنا بكل ما أظهر
لک من أسرار الحياة من المهد إلى اللحد.

فأجاب قائلاً:

يا أبناء أورفليس، بماذا أحدثکم إن لم أظهر لكم ما يختلي في نفوسکم
وبتحرک به ضمائركم حتى في هذه الساعة؟.

المحبة

حيثيل قال له المطرة: هات لنا خطبة في المحبة.

فرفع راسه ونظر إلى الشعب نظرة محبة وحنان، فصمتوا جميعهم
خاسعين. فقال لهم بصوت عظيم:
إذا أشارت المحبة إليکم فاتبعوها،



«المحبة»

وإن كانت مسالكها صعبة متقدمة .
وإذا ضمتم بجناحيها فأطيعوها ،
وإن جر حكم السيف المستور بين ريشها
وإذا خاطبتم المحبة فصدقواها ،
وإن عطل صوتها أحلامكم وبددها كما تجعل الريح الشمالية البستان
قاعاً صفصفأً .

* * *

لأنه كما أن المحبة تكللكم ، فهي أيضاً تصليكم .
وكما تعمل على نموكم ، هكذا تعلمكم وتستأصل الفاسد منكم .
وكما ترفع إلى أعلى شجرة حياتكم فتعانق أغصانها اللطيفة المرعشة
 أمام وجه الشمس ،
 هكذا تنحدر إلى جذورها الملتصقة بالتراب وتهزها في سكينة الليل .

* * *

المحبة تضيقكم إلى قلبها كأغمار الحنطة .
وتدرسكم على بيادها لكي تظهر عريكم .
وتغربلكم لكي تحرركم من قشوركم .
وطعنكم لكي تجعلكم أنقياء كالثلج .
وتعجنكم بدموعها حتى تلينوا ،
 ثم تعدّكم لنارها المقدسة ، لكي تصيروا خبزاً مقدساً يقرب على مائدة
 رب المقدسة .

* * *

كل هذا تصنعه المحبة بكم لكي تدركوا أسرار قلوبكم، فتصبحوا بهذا الإدراك جزءاً من (قلب الحياة).

غير أنكم إذا خفتم، وقصرتم سعيكم على الطمأنينة واللذة في المحبة: فالاجدر بكم أن تستروا عريكم وتخرجوا من بيدر المحبة إلى العالم البعيد حيثما تضيّعكم، ولكن ليس كل ضيّعكم، وتبكون، ولكن ليس كل ما في ماقيكم من الدموع.

المحبة لا تعطي إلا نفسها، ولا تأخذ إلا من نفسها.

المحبة لا تملك شيئاً، ولا تريد أن يملّكها أحد: لأن المحبة مكتفية بالمحبة.

* * *

أما أنت إذا أحببت فلا تقل: «إن الله في قلبي»، بل قل بالأحرى: «أنا في قلب الله».

ولا يخطر لك البتة أنك تستطيع أن تتسلط على مسالك المحبة، لأن المحبة إن رأت فيك استحقاقاً لنعمتها، تتسلط هي على مسالكك.

والمحبة لا رغبة لها إلا في أن تكمل نفسها.

ولكن إذا أحببت، وكان لا بد من أن تكون لك رغبات خاصة بك، فلتكن هذه رغباتك:

أن تذوب وتكون كجدول متدقق يشنف آذان الليل بإنفاسه.

أن تخbir الآلام التي في العطف المتناهي.

أن يجرحك إدراكك الحقيقي للمحبة في حبة قلبك، وأن تنزف دماًوك وأنت راضٍ مغبظ.

أن تنهض عند الفجر بقلب مجنب خفوق، فتؤدي واجب الشكر ملتمساً
يوم محبة آخر.

أن تستريح عند الظهيرة وتنادي نفسك يوجد المحبة.
أن تعود إلى منزلك عند المساء شاكراً:

فتنا حيئلاً والصلة لأجل من أحببت تردد في قلبك، وأنشودة الحمد
والثناء مرسمة على شفتيك.

الزواج

ثم قالت له المطرة ثانية: وما رأيك في الزواج أيها المعلم؟
فأجاب قائلاً:

قد ولدتم معاً، وستظلون معاً إلى الأبد.

وستكونون معاً عندما تبتد أيامكم أجنة الموت البيضاء.

أجل، وستكونون معاً حتى في سكون تذكريات الله.

ولكن فليكن بين وجودكم معاً فسحات تفصلكم بعضكم عن بعض، حتى
ترقص أرياح السموات فيما بينكم.

أحيروا بعضكم ببعضاً؛ ولكن لا تقيدوا المحبة بالقيود، بل لتكن المحبة
بحراً متوججاً بين شواطئ نفوسكم.

ليملا كل واحد منكم كأس رفيقه، ولكن لا تشربوا من كأس واحدة.

اعطوا من خبزكم كل واحد لرفيقه ولكن لا تأكلوا من الرغيف الواحد.

غنوا وارقصوا معاً، وكونوا فرحين أبداً، ولكن فليكن كل منكم وحده،



«الزواج»

كما أن أوتار القيثارة يقوم كل واحد منها وحده ولكنها جمِيعاً تخرج
نفماً واحداً.

* * *

ليعطي كل منكم قلبه لرفيقه، ولكن حذار أن يكون هذا العطاء لأجل
الحفظ،

لأن يد الحياة وحدها تستطيع أن تحفظ بقلوبكم.

قفوا معاً ولكن لا يقرب أحدكم من الآخر كثيراً: لأن عمودي الهيكل
يقفان منفصلين،

والسنديانة والسروة لا تنموا الواحدة منهما في ظل رفيقها.

الأبناء

ثم دنت منه امرأة تحمل طفلها على ذراعيها وقالت له: هات حدثنا عن
الأولاد.

فقال:

إن أولادكم ليسوا أولاداً لكم.

إنهم أبناء وبنات الحياة المشتاقة إلى نفسها، بكم يأتون إلى العالم ولكن
ليس منكم.

ومع أنهم يعيشون معكم فهم ليسوا ملكاً لكم.

أنتم تستطيعون أن تمنحوهم محبتكم، ولكنكم لا تقدرون أن تغرسوا
فيهم بدور أفكاركم، لأن لهم أفكاراً خاصة بهم.

وفي طاقتكم أن تصنعوا المساكن لأجسادهم.
ولكن نفوسهم لا تقطن في مساكنكم.



«الأبناء»

فهي تقطن في مسكن الغد، الذي لا تستطيعون أن تزوروه ولا في
أحلامكم.

وأن لكم أن تجاهدوا لكي تصيروا مثلهم.

ولكنكم عبئاً تحاولون أن يجعلوهم مثلكم.

لأن الحياة لا ترجع إلى الوراء، ولا تلد لها الإقامة في منزل الأمس.

أنتم الأقواس وأولادكم سهام حية قد رمت بها الحياة عن أقواسكم.

فإن رامي السهام ينظر العلامة المنصوبة على طريق اللانهاية، فيلوبيكم
بقدرتهم لكي تكون سهامه سريعة بعيدة المدى.

لذلك فليكن التواذكم بين يدي رامي السهام الحكيم لأجل المسرة
والغبطة.

لأنه كما يحب السهم الذي يطير من قوسه، هكذا يحب القوس التي
تثبت بين يديه.

العطاء

ثم قال له رجل ثني: هات حدثنا عن العطاء.

فأجاب قائلاً:

إنك إذا أعطيت فإنما تعطي القليل من ثروتك.

ولكن لا قيمة لما تعطيه ما لم يكن جزءاً من ذاتك، لأنه أي شيء هي
ثروتك؟

أليست مادة فانية تخزنها في خزانتك، وتحافظ عليها جهداً خوفاً من أن
تحتاج إليها غداً؟

والغد. ماذا يستطيع الغد أن يقدم للكلب البالغ الفطنة الذي يطمر

العظام في الرمال غير المطروقة وهو يتبع الحجاج إلى المدينة المقدسة؟
أوليس الخوف من الحاجة هو الحاجة بعينها؟
أوليس الظماء الشديد للماء عندما تكون بشر الظامن ملأة هو العطش
الذي لا تروى غلته.

* * *

من الناس من يعطون قليلاً من الكثير الذي عندهم وهم يعطونه لأجل
الشهرة، ورغبتهم الخفية في الشهرة الباطلة تضييع الفائدة من عطائهم.
ومنهم من يملكون قليلاً ويعطونه بأسره.

ومنهم المؤمنون بالحياة وبسخاء الحياة. هؤلاء لا تفرغ صناديقهم
 وخزائنهم ممتلئة أبداً.

ومن الناس من يعطون بفرح، وفرحهم مكافأة لهم.
ومنهم من يعطون بألم، وألمهم معنودية لهم.
وهنالك الذين يعطون ولا يعرفون معنى للألم في عطائهم، ولا يتطلّبون
 فرحاً، ولا يرغبون في إذاعة فضائلهم، هؤلاء يعطون مما عندهم كما يعطي
 الريحان عبيره العطر في ذلك الوادي.

بمثل أيدي هؤلاء يتكلّم الله، ومن خلال عيونهم يبتسم على الأرض.
جميل أن تعطي من يسألك ما هو في حاجة إليه،
 ولكن أجمل من ذلك أن تعطي من لا يسألك وأنّت تعرف حاجته، فإن
 من يفتح يديه وقلبه للعطاء يكون فرحة بسعيه إلى من يتقبل عطاءه والاهداء
 إليه أعظم منه بالعطاء نفسه.

وهل في ثروتك شيء تقدر أن تستبيه لنفسك؟
 فإن كل ما تملكه اليوم سيتفرق ولا شك يوماً ما،



(الطباطبى)

لذلك أعطي منه الآن، ليكون فصل العطاء من فصول حياتك أنت دون ورثتك.

وقد طالما سمعتني تقول متباخحاً: «إنني أحب أن أعطي، ولكن المستحقين فقط».

فهل نسيت، يا صاح، أن الأشجار في بستانك لا تقول فولك، ومثلها القطعان في مراعيك؟

فهي تعطي لكي تحيا، لأنها إذا لم تعطِ عرضت حياتها للتهلكة.
 الحق أقول لك، إن الرجل الذي يستحق أن يتقبل عطية الحياة ويتمتع بأيامه ولاليه، هو مستحق لكل شيء منك.
والذي يستحق أن يشرب من أوقيانوس الحياة يستحق أن يملأ كأسه من جدولك الصغير.

لأنه أي صحراء أعظم من الصحراء ذات الجرأة والجسارة على قبول العطية بما فيها من الفضل والمنة؟

وأنت، من أنت، حتى ان الناس يجب أن يمزقوا صدورهم ويحسروا القناع عن شهامتهم وعزّة نفوسهم لكي ترى جدارتهم لعطائك حاربة وأنفthem مجردة عن الحياة؟

فانظر أولاً هل أنت جدير بأن تكون معطاء، وألة العطاء.
لأن الحياة هي التي تعطي للحياة، في حين أنك، وأنت الفخور بأن قد صدر العطاء منك، لست بالحقيقة سوى شاهد بسيط على عطائك.

* * *

أما أنتم، الذين يتناولون العطاء والإحسان - وكلكم منهم - فلا تتظاهرو بشغل واجب معرفة الجميل، لثلا تضعوا بأيديكم نيراً ثقيل الحمل على رقابكم ورقاب الذين أعطوكم.

بل فلتكن عطایا المعطی أجنحة ترتفعون بها معه :

لأنکم إذا أکثرتم من الشعور بما أنتم عليه من الدين، فإنکم بذلك
تظهرون الشك والريبة في أريحيّة المحسن الذي أمه الأرض السخية، وأبواه
الرب الكريم.

الغذاء

وبعد ذلك جاء إليه فندقی شیخ وقال له: هات حدثنا عن المأكل والمشرب.

فأجاب قائلاً:

أود لو أنك تقدر أن تعيش على غير الأرض.
تكتفي بالنور كنباتات الهراء.

غير أنك مضطر أن تقتل لتعيش، وأن تسرق المولود الصغير من حضن
أمه مختطفاً حلبيها لتبريد ظمائمك.

لذلك فليكن عملك مظهراً من مظاهر العبادة.

ولتكن مائدةك مدبحاً تقرب عليه التقادم النقية الطاهرة من الحقوق
والسهول ضحية لما هو أكثر منها نقاوة في أعماق الإنسان.

* * *

وإذا ذبحت حيواناً فقل له في قلبك:
«إن القوة التي أمرت بذبحك، ستذبحني نظيرك.
وعندما تحين ساعتي سأحرق مثلك.
«لأن الشريعة التي أسلمتك إلى يدي مستسلمي إلى يدي من هو أقوى
مني».

«وليس دمك ودمي سوى عصارة قد أعدت منذ الأزل غذاء لشجرة السماء».

* * *

وإذا نهشت تفاحاً بأسنانك فقل لها في قلبك:
«إن بذورك ستعيش في جسدي»،
«والبراعم التي ستخرج منها في الغد ستزهر في قلبي»،
«وسيتصاعد عبيرك مع أنفاسي»،
«وسأفرح معي في جميع الفصول».

* * *

وإذا قطفت العنب من كرومك في أيام الخريف، وحملته إلى المعصرة،
فقل له في قلبك:

«أنا كرمة مثلث، وستجمع أثماري وتحمل إلى المعصرة، وسيضمنوني
كالخمر الجديدة في زقاق جديدة».

وعندما تستقي الخمرة من زقاقها في أيام الشتاء، أنشد في قلبك أنشودة
لكل كأس تشربها.

وليكن لك من أناشيدك أجمل التذكارات لأيام الخريف وللكرمة
والمعصرة.

العمل

ثم جاء إليه فلاح وقال له: هات حديثنا عن العمل.
فأجاب قائلاً:

إنكم تستغلون لكي تجروا الأرض ونفس الأرض في سيرها.
لأن الكسول غريب عن فصول الأرض، وهائم لا يسير في موكب

الحياة، السائرة بعظامه وجلال في فضاء اللانهاية إلى غير المتناهي.

* * *

فإذا اشتغلت بما أنت سوى مزمار تختليخ في قلبك مناجاة الأيام فتحولت
إلى موسيقى خالدة.

ومن منكم يود أن يكون قصبةً خرساء صماء، وجميع ما حولها يتربّط معاً
بأنغام متفرقة؟

قد طالما أخبرتم أن العمل لعنة؛ والشغل نكبة ومصيبة.

أما أنا فأقول لكم إنكم بالعمل تتحققون جزءاً من حلم الأرض البعيد،
جزءاً خصص لكم عند ميلاد ذلك الحلم.

فإذا واظبتم على العمل النافع تفتحون قلوبكم بالحقيقة لمحبة الحياة.
لأن من أحب الحياة بالعمل النافع تفتح له الحياة أعماقها، وتتدنىه من
أبعد أسرارها.

* * *

ولكن إذا كنتم وأنتم في الآلام تدعون الولادة كآبة، ودعاة الجسد لعنة
مكتوبة على جباهكم، فإني الحق أقول لكم إنّه ما من شيء يستطيع أن يمحو
هذه الكتابة ويغسل جباهكم من (آثارها سوى سعيكم وجهادكم).

وقد ورثتم عن جدودكم القول إن الحياة ظلمة، فرحتم في عهد مشقتكم
ترددون ما قاله قبلكم جدودكم المزعجون.

فالحق أقول لكم إن الحياة تكون بالحقيقة ظلمة حالكة إذا لم ترافقها
الحركة.

والحركة تكون عمياً لا بركة فيها إن لم ترافقها المعرفة.

والمعرفة تكون عميقاً سقيمة إن لم يرافقها العمل.

والعمل يكون باطلًا وبلا ثمر إن لم يقترن بالمحبة، لأنكم إذا اشتغلتم بمحبة فإنما تربطون أنفسكم وأفرادكم بعضها ببعض، ويرتبط كل واحد منكم بربه.

* * *

وما هو العمل المقرن بالمحبة؟

هو أن تحوك الرداء بخيوط مسحوبة من نسيج قلبك مفكراً أن حبيبك سيرتدى ذلك الرداء.

هو أن تبني البيت بحجارة مقطوعة من مقلع حنانك وإخلاصك مفكراً أن حبيبك سيقطن في ذلك البيت.

هو أن تذر البذور بدقة وعناية، وتجمع الحصاد بفرح ولذة حنانك تجمعه لكي يقدّم على مائدة حبيبك.

هو أن تضع في كل عمل من أعمالك نسمة من روحك، وتشق بأن جميع الأموات الأطهار محظوظون بك يراقبون ويتأملون.

* * *

وكلّيّراً ما كنت أسمعكم تناجون أنفسكم، كأنكم في نوم عميق، فائلين: «إن الذي يشتعل بنحت الرخام فيوجد مثلاً محسوساً لنفسه في الحجر الأصمّ هو أشرف من الفلاح الذي يحرث الأرض».

«والذي يستعيّر من قوس قزح ألواناً يحوّل بها قطعة النسيج الحقيقة إلى صورة إنسان، هو أفضل من الإسكاف الذي يصنع الأحذية لأقدامنا».

ولكنني أقول لكم، لا في نوم الليل، بل في يقظة الظهيرة البالغة، إن الريح لا تخاطب السنديانة العجارة بل بهجة أحلى من اللهجة التي تخاطب بها أحرق أعشاب الأرض.

والعظيم العظيم ذلك الذي يحول هينمة الريح إلى أنشودة تزيدها محبته حلاوة وعذوبة .

* * *

أجل، إن العمل هو الصورة الظاهرة للمحبة الكاملة .
فإن لم تقدر أن تشغلي بمحبة و كنت متضجراً ملولاً ، فالاجدر بك أن ترك عملك وتجلس على درجات الهيكل لتلتمس صدقة من العملة المشتغلين بفرح وطمأنينة .

لأنك إذا خبزت خبزاً وأنت لا تجد لك لدة في عملك ، فإنما أنت تخرب علقمًا لا يشبع سوى نصف مجاعة الإنسان .

ولإذا تدمرت وأنت تعصر عنبك ، فإن تدمرك يدس لك سماً في الخمرة المستقطرة من ذلك العصير .

وإن أنسدت أناشيد الملائكة ، ولم تحب أن تكون منشداً ، فإنما أنت تصمم آذان الناس بأنغامك عن الإصغاء إلى أناشيد الليل وأناشيد النهار .

الفرح والترح

ثم قالت له امرأة: هات لنا شيئاً عن الفرح والترح .

فأجاب قائلاً:

إن فرحككم هو ترجمكم ساخراً .

والبئر الواحدة التي تستقون منها ماء ضحككم قد طالما ملئت بسخين دموعكم .

وهل في الإمكان أن يكون الحال على غير هذا المنوال؟



«الفرح والترح»

فكلما أعمل وحش الحزن أنيابه في أجسادكم، تضاعف الفرح في أعماق قلوبكم.

لأنه أليست الكأس التي تحفظ خمرتكم هي نفس الكأس التي أحرقت في أتون الخزاف قبل أن بلغت إليكم؟
أم ليست القيثارة التي تزيد في طمأنينة أرواحكم هي نفس الخشب الذي قطع بالمدى والفؤوس؟

فإذا فرحتم فتأملوا مليأً في أعماق قلوبكم تجدوا أن ما أحزنكم قبلًا يفرحكم الآن.

وإذا أحاطت بكم جيوش الكآبة فارجعوا ب بصائركم ثانية إلى أعماق قلوبكم وتأملوا جيداً، تروا هنالك بالحقيقة أنكم تكونون لما كنتم تعتقدون أنه غاية مسراحكم على الأرض.

* * *

ويخيّل إلى أن فريقاً منكم يقول: «إن الفرح أعظم من الترح»، فيعارضه فريق آخر قائلاً: «كلا، بل الترح أعظم من الفرح».

أما أنا فالحق أقول لكم: إنهم توأمان لا ينفصلان، يأتيان معاً ويدهبان معاً، فإذا جلس أحدهما منفرداً إلى مائدتكم، فلا يغرب عن أذهانكم أن رفيقه يكون حينئذ مضطجعاً على أسرتكم.

* * *

أجل، إنكم بالحقيقة معلقون ككتفي الميزان بين تر حكم وفرحكم.
وأنتم بينهما متحركون أبداً، ولا تقف حركتكم إلا إذا كنتم فارغين في أعماقكم.

فإذا جاء أمين خزائن الحياة يرفعكم لكي يزن ذهب وفضته، فلا ترتفع كفة فرحكم ولا ترجع كفة تر حكم، بل تشتتان على حالة واحدة.

المساكن

حيثئذ دنا منه بناء وقال له: هات حدثنا عن البيوت.

فأجاب وقال:

ابن من خيالك مظلة في الصحراء قبل أن تبني بيتك في داخل أسوار المدينة.

لأنه كما أن لك بيتك مقبلًا في شفق حياتك، كذلك للغريب الهائم فيك بيت كبيتك.

إن بيتك هو جسدك الأكبر.

ينمو في حرارة الشمس وينام في سكينة الليل. وكثيراً ما ترافق نومه الأحلام. أفلا يحلم بيتك؟ وهل يترك الحلم المدينة ويُسِير إلى الغابة أم إلى رأس التلة؟

أواه لو أستطيع أن أجمع بيوتكم بيدي، فأبددها في الأحراج والرياحن كما يبذر الزارع زرعه في الحقول.

أواه لو كانت الأودية شوارع لكم، ومسالك التلال الخضراء أزقة تطرقها أقدامكم عوضاً عن أزقتكم وشوارعكم القدرة، ويا ليتكم تنشدون بعضكم بعضاً بين الدوالي والكرم ثم تعودون حاملين عطر الأرض في طيات أثوابكم.

ولكن هذه جميعها تمنيات لم تحن ساعتها بعد.

لأن آباءكم وجدودكم إذ خافوا عليكم الضياع والضلال جمعوكم معاً لكي تكونوا قريين بعضكم من بعض. وسيبقى هذا الخوف مجمعاً لكم زمناً بعد. وستظلّ أسوار المدينة فاصلة موادكم عن حقولكم ولكن إلى حين.

* * *

بربكم أخبروني، يا أبناء أورفليس، ماذا تملكون في هذه البيوت؟ وأي شيء تحفظون به في داخل هذه الأبواب الموصدة؟

هل عندكم السلام، وهو القوة الصامتة التي تظهر ذاتكم الشديدة العزم
المستترة في أعماقكم؟

هل عندكم التذكارات، وهي القنادر اللامعة التي تصل قرن الفكر
الإنساني بعضها ببعض؟

هل عندكم الجمال، الذي يرتفع بالقلب من مصنوعات الخشب
والحجارة إلى الجبل المقدس؟

بربكم أخبروني، هل عندكم كل هذا في بيوتكم؟

أم عندكم الرفاهية فقط، والتحرق للرفاهية الممزوج بالطمع، الرفاهية
التي تدخل البيت ضيفاً، ثم لا تثبت أن تصير مضيئاً، فسيدأ عاتياً عنيفاً؟

ثم تحول إلى رائض جبار يتقلّد السوط بيمنه والكلاب بيساره متخدلاً
رغباتكم الفضلى العووية يتلهى بها.

ومع أن بنان هذه الرفاهية حريري الملمس فإن قلبها حديدي صلد.

فهي تهدئ من حدتكم لكي تنموا، ثم تقف أمام أسرتكم هازئة بكم
وبجلال أجسادكم.

تضحك من حواسكم المدركة، وترفع بها بين الأشواك كأنها أوعية
سهلة الانكسار.

لأن التحرق للرفاهية ينحر أهواء النفس في كبدها فيريديها قتيلة، ثم يسير
في جنازتها فاغراً شدقته مرغياً مزيداً.

* * *

أما أنتم، يا أبناء الفضاء، العائشين في الراحة والنعيم وغير
المستريحين، فلأنكم لن تؤخذوا بالأشراف ولن يقدر رائض على ترويضكم:
لأن بيتكم لن يكون مرسة ولكنه سيكون سارية.

كلا، ولن يكون غشاء براقاً تغطى به الجراح، بل جفناً تحفظ به العين.
وأنتم لن تطروا أججحتم لكي تستطيعوا أن تدخلوا من الأبواب، ولن
تحنوا رؤوسكم لثلا تنطح السقف، كلا، ولن تخشوا أن تتنفسوا خوفاً من أن
تقوض أساسات الجدران وتسقط على الأرض.
أجل، ولن تقطنوا في القبور التي بناها أبناء الموت لأبناء الحياة.
ومع كل ما يزين منازلكم من الجلال والجمال فإنها لن تستطيع أن
تحتفظ بسرّكم أو أن تؤوي حنينكم:
لأن غير المحدود فيكم يقطن في منزل السماء، الذي يوابته سحابة
الصباح ونواذه سكون الليل وأناشيده.

الثياب

ثم قال له الحائك: هات حدثنا عن الثياب.
فأجاب قائلاً:
إن ثيابكم تحجب الكثير من جمالكم، ولكنها لا تستر غير الجميل.
ومع أنكم تنشدون بثيابكم حرية التستر والانفراد، فإنها تقيدكم
وستبعدهم.

ويا ليت في وسعكم أن تستقبلوا الشمس والريح بثياب بشرتكم عوضاً
عن ثياب مصانعكم،
لأن أنفاس الحياة في أشعة الشمس، ويد الحياة تسير مع مجاري
الرياح.

* * *

يقول بعضكم: «إن الرياح الشمالية دون غيرها قد حاكت الثياب التي
تلبسها».

وأنا أقول لكم: «نعم، إن الرياح الشمالية قد فعلت ذلك، ولكن العار
كان نولاً لها؛ ولدونة العضلات كانت لها خيطاً».

وعندما فرغت من عملها ضحكت منكم وهي تعصف في قلب الغاب.
ولكن لا يغرب عن أذهانكم أن الحشمة هي ترسٌ منيعٌ متينٌ للوقاية من
عيون المدنسين.

فإذا زال المدنسون من الوجود، أفلا تصير الحشمة قيداً للفكر وتلويناً له
في حماة العبودية؟

لذلك ضعوا نصب عيونكم أن الأرض تتنهج بملامسة أقدامكم العارية،
والرياح تتوقف إلى ملاعبة شعوركم المسترسلة.

البيع والشراء

ثم دنا منه تاجر وقال له: هات حدثنا عن البيع والشراء.

فأجاب وقال:

إن الأرض تقدم لكم ثمارها، ولو عرفتم كيف تملأون أيديكم من
خيراتها لما خبرتم طعم الحاجة في حياتكم.

لأنكم بغير مبادلة عطايا الأرض لن تجدوا وفرأ من الرزق ولن يشبع
جشعكم.

فيجدر بكم أن تتموا هذه المقايسة بروح المحبة والعدالة، وإنما فإنها
تؤدي بالبعض منكم إلى الشرابة وبغيرهم إلى الطمع والمجاعة.

* * *

وإذا ذهبتم إلى ساحة المدينة أيها الدائرون في خدمة البحر والحقول والكرم، فاجتمعوا بالحادة والخزافين وجامعي الحنوط والطيب.

واضرعوا في تلك الساعة إلى الروح المتسلطة على الأرض، أن تحل عليكم وتبارك مقاييسكم وموازينكم التي تعينون بها مقدار ما تجري عليه مقاييساتكم.

ولا تأذنوا لذوي الأيدي العقيمة من ذوي البطالة أن يشتركون في معاملاتكم، لأنه لا شيء لهم يتاجرون به سوى أقوالهم التي يبيعونها لكم بأعمالكم.

بل قولوا لأمثال هؤلاء:
«تعالوا معنا إلى الحقل، أو فاذهبوا مع أولادنا إلى البحر وألقوا هنا لك شباككم،
«لأن الأرض والبحر يوجدان عليكم، متى عملتم، كما يوجدان علينا».

* * *

وإن جاءكم المغنوون والراقصون والعازفون،
فاشتروا من عطائهم ولا ترفضوه،
لأنهم يجمعون الأنمار والعطور نظيركم، ومع أن ما يقدمونه لكم
مصنوع من مادة الأحلام، فإنه أجمل كساء وأفضل غداء لنفسكم.

* * *

وقبيل أن تبرحوا ساحة المدينة انظروا ألا ينصرف أحد منها فارغ اليدين.
لأن الروح السيدة في الأرض لا تنام بطمأنينة وسلام على تموجات الرياح حتى تشاهد بعينيها أن الصغير فيكم قد نال كالكبير بينكم كل ما هو في حاجة إليه.

الجرائم والعقوبات

حيثٰنٰلِ وقف أحد قضاة المدينة وقال له: «هات لنا خطبة في الجرائم والعقوبات».

فأجاب وقال:

عندما تسير أرواحكم هائمة فوق الرياح،
وتمسون منفردين، ليس لكم من يقيكم طوارئ السوء، حيثٰنٰلِ تقترون
الاثم ضد غيركم وضد أنفسكم.

ولأجل ذلك الاثم الذي تقترون به يجب أن تقرعوا برهةً وتنتظروا على
بوابة القدس.

* * *

فإن ذاتكم الإلهية بحر عظيم،
كانت نقية منذ الأزل وستظل نقية إلى آخر الدهور.
وهي كالأثير لا ترفع إلا ذوي الأجنحة.
أجل، إن ذاتكم الإلهية كالشمس،
لا تعرف طرق المناجد^(١) ولا تعبا بأوكار الأفاعي.
غير أنها لا تقطن وحيدة في كيانكم.

لأن كثيراً منكم لا يزال بشراً، وكثيراً غيره لم يصر بشراً بعد، بل هو
مسخ لا صورة له يسبر غافلاً في الضباب وهو ينشد عهد يقظته.
فلا أود أن أحذثكم الآن إلا عن هذا الإنسان فيكم.

لأن هذا الإنسان - دون ذاتكم الإلهية ودون المسلح الهائم في الضباب -،
هو الذي يعرف الجرائم والعقوبات على الجرائم في كيانكم.

* * *

(١) مَنَاجِدُ: جمع خلد من غير لفظه.

قد طالما سمعتكم تتخاطبون فيما بينكم عنمن يقترب إنما كانه ليس منكم
بل غريب عنكم ودخول فيما بينكم.

ولكنني الحق أقول لكم: كما أن القديس والبار لا يستطيعان أن يتساميا
فرق الذات الرفيعة في كل منكم،
هكذا الشرير والضعف لا يستطيعان أن ينحدرا إلى أدنى من الذات
الدنيئة التي في كل واحد منكم.

وكما أن ورقة الشجرة الصغيرة لا تستطيع أن تحول لونها من الخضراء
إلى الصفرة إلا بإرادة الشجرة ومعرفتها الكامنة في أعماقها،

هكذا لا يستطيع فاعل السوء بينكم أن يقترب إنما بدون إرادتكم الخفية
ومعرفتكم التي في قلوبكم.
فإنكم تسيرون معاً في موكب واحد إلى ذاتكم الإلهية.

أنتم الطريق وأنتم المطرقون.
فإذا عثر أحد منكم فإنما تكون عثرته عبرة للقادمين وراءه فيجتنبون
الحجر الذي عثر به.

أجل، وتكون عثرته توبیخاً للذين يسيرون أمامه بأقدام سريعة ثابتة لأنهم
لم ينقلوا حجر العثار من طريقه.

* * *

واليك يا أبناء أورفليس هذه الكلمة التي، وإن حلّت ثقيلة على
قلوبكم، فهي الحقيقة بعينها:
إن القتيل ليس بريئاً من جريمة القتل،
وليس المسروق بلا لوم في سرقته.

لا يستطيع البار أن يتبرأ من أعمال الشرير.

ولا الطاهر النقي اليدين بريء الذمة من قذارة المدنسين.

كثيراً ما يذهب المجرم ضحية لمن وقع عليه جرمه،
كما يغلب أن يحمل المحكوم عليه الأثقال التي كان يجب أن يحملها
الأبرياء وغير المحكومين.

لذلك لا تستطعون أن تضعوا حدّاً يفصل بين الأشرار والصالحين أو
الأبرياء والمذنبين،
لأنهم يقفون معاً أمام وجه الشمس، كما أن الخيط الأبيض والخيط
الأسود ينسجان معاً في نول واحد.
فإذا انقطع الخيط الأسود ينظر الحائك إلى النسيج بأسره ثم يرجع إلى
نوله يفحصه وينظقه.

* * *

لذلك إذا جاء أحدكم بالزوجة الخائنة إلى المحاكمة، فليزن أولاً قلب
زوجها بالموازين، وليرقى نفسه بالمقاييس.

وكل من شاء أن يلطم المجرم بيديه يجدر به أولاً أن ينظر ب بصيرة ذهنه
إلى روح من أوقع الجرم عليه.

وإن رغب أحد منكم في أن يضع الفأس على أصل الشجرة الشريرة باسم
العدالة فلينظر أولاً إلى أعماق جذورها.

وهو لا شك واجد أن جذور الشجرة الشريرة وجذور الصالحة، وغير
المشرفة، كلها مشتبكة معاً في قلب الأرض الصامت.

أما أنتم أيها القضاة الذين يريدون أن يكونوا أبراراً، أي نوع من الأحكام
تصدرتون على الرجل الأمين بجسده السارق بروحه؟

أم أي عقاب تنزلون بذلك الذي يقتل الجسد مرّة ولكن الناس يقتلون
روحه ألف مرّة؟

وكيف تطاردون الرجل الذي مع أنه خداع ظالم بأعماله، فهو موجع
القلب، ذليل، مهان بروحه؟

* * *

أجل، كيف تستطعون أن تعاقبوا الذين لهم من توبیخ ضمائرهم، وهو
أعظم من جرائمهم، أكبر قصاص على الأرض؟

أليس توبیخ الضمير هو نفسه العدالة التي تتورّحها الشريعة التي
تتظاهرون بخدمتها؟

فأنتم لا تستطعون أن تسکبوا بلسم توبیخ الضمير في قلوب الأبراء كما
أنكم لا تقدرون أن تنزعوه من قلوب الأشقياء.

فهو يأتي للذاته في ساعة من الليل لا ننتظرها، داعيًا الناس إلى النهوض
من غفلتهم، والتأمل بحياتهم وما فيها من التعديات والمخالفات.

وأنتم، أيها الراغبون في سير غور العدالة، كيف تقدرون أن تدركوا
كنها إن لم تنظروا إلى جميع الأعمال بعين اليقظة في النور الكامل؟

في مثل هذا النور تعرفون أن الرجل المنتصب والرجل الساقط على
الأرض هما بالحقيقة رجل واحد واقف في الشفق بين ليل ذاته الممسوخة
ونهار ذاته الإلهية.

وأن حجر الزاوية في الهيكل ليس بأعظم من الحجر الذي في أسفل
أساساته.

الشرايين

ثم قال له مشرع: وماذا تعتقد بشرائنا أيها المعلم؟
فأجاب قائلاً:

إنكم تستلدون أن تضعوا شرائع لأنفسكم،
بيد أنكم تستلدون بالأكثر أن تكسروها وتتعدوا فرائضها
لذلك أنتم كالأولاد الذين يلعبون على الشاطئ - يبنون
الرمل ببصر وثبات، ثم لا يلبثون أن يهدموها ضاحكين صاحبى

فعندما تبنون أبراجكم الرملية يأتي البحر برمال جديدة إلى الشاطئ .
وعندما تهدمون أبراجكم يضحك البحر منكم في نفسه ، لأن البحر
يضحك من الأبراء أبداً.

* * *

ولكن ماذا أقول في من ليست الحياة بحراً في عقيدتهم بل ليست الشرائع التي تسنها حكمة الإنسان البالغة أبراًجاً من الرمال فحسب.

أولئك الذين يحسبون أن الحياة صخرة صلدة، وأن الشريعة إزميل حاد يأخذونه بآيديهم لكي ينحتوا هذه الصخرة على صورتهم ومثالهم؟

وماذا أقول في المُقدعين الذين يكرهون الراقصين؟
وفي الشور الذي يحب نيره ويتهم الوعل والإبل والظبي أنها حيوانات
متمردة ناشزة؟

وفي الأفني العتيقة الأيام التي لا تستطيع أن تخلع جلدها، ولذلك تنبرى متهمة جميع الحيوانات بالعرى وقلة الحياة؟

وفي ذلك الذي يسبق غيره إلى وليمة العرس، وعندما يملأ جوفه من الأطعمة ويبلغ حده من النهم والشراهة يترك الوليمة ويدهب في طريقه قاتلاً إن جميم الولايات مخالفة للناموس وجميع الذين يجتمعون إليها متعددو الشريعة؟

• • •

ماذا أقول في أمثال هؤلاء؟ إنهم كجميع الناس يقفون في أشعة الشمس،
ولكنهم يولون الشمس ظهورهم.

فهم لذلك لا ينظرون سوى ظلالهم، وظلالهم هي عند التحقيق شرائعهم
المقدسة.

وهل الشمس في اعتقادهم سوى منشأ الظلال؟
وهل اعترافهم بالشريعة سوى أنهم ينحون ويطأطئون رؤوسهم لكي
يستقصوا ظلالهم على الأرض؟

أما أنتم، الذين يمشون وهم يحدقون إلى الشمس بأجفان غير مرتعشة،
فهل في الأرض من صورة تستطيع أن تستوقفكم هنيهة؟

وأنتم، المسافرين مع الريح، أية صفحة من الصفحات الدالة على
مجاري الرياح تقدر أن تقودكم في مسالككم؟

وما هي الشريعة البشرية التي تغيدكم إذا كنتم لم تحظموا نيركم على
باب سجن من سجون الإنسان؟
وأية شرائع ترهبون إذا كنتم ترقصون ولكنكم لا تعنون بقييد من قيود
العالم الحديدية؟

ومن هو الرجل الذي يستطيع أن يأتي بكم إلى المحاكمة إذا مزقتتم
أثوابكم. ولكنكم لم تضعوها في طريق أحد من الناس؟.

* * *

أجل يا أبناء أورفليس، إنكم تستطيعون أن تخمدوا صوت الطبل،
وتحلوا أوتار القيثارة، ولكن من من أبناء الإنسان يستطيع أن يمنع قبرة السماء
عن الغناء؟.

الحرية

ثم قال له خطيب: هات حدثنا عن الحرية.

فأجاب قائلاً:

قد طالما رأيتم ساجدين على ركبكم أمام أبواب المدينة وإلى جوانب المواقع تعبدون حريرتكم.

وأنتم بذلك أشبه بالعبيد الذين يتذللون أمام سيدهم العسوف الجبار يمدحونه وينشدون له وهو يعمل السيف في رقباهم.

نعم، وفي غابة الهيكل، وظلّ القلعة، كثيراً ما رأيت أشدّكم حرية يحمل حريرته كثیر ثقيل لعنقه وغلّ متین ليديه ورجليه.

رأيت كل ذلك فذاب قلبي في أعماق صدرني، ونزفت دماءه، لأنّكم لا تستطيعون أن تصيروا أحراراً حتى تحول رغبتكم في السعي وراء الحرية إلى سلاح تتسلّحون به، وتنقطعوا عن التحدث بالحرية كغايتكم وممحجتكم.

* * *

إنّكم تصيرون أحراراً بالحقيقة إذا لم تكن أيامكم بلا عمل تعملونه وليليكם بلا حاجة تفكرون بها، أو كآبة تتألمون لذكرها.

بل تكونون أحراراً عندما تمنطق هموم الحياة وأعمالها أحقاءكم بمنطقة الجهاد والعمل، وتُثقل كاهلكم بالمصاعب والمصائب، ولكنكم تنهضون من تحت أثقالها عراةً طليقين.

لأنّكم كيف تستطيعون أن ترتفعوا إلى ما فوق أيامكم وليليكم إذا لم تحطّموا السلسل التي أنتم أنفسكم في فجر إدراككم قيدتم بها ساعة ظهيرتكم الحرّة؟

ألا إن ما تسمونه حرية إنّما هو بالحقيقة أشدّ هذه السلسل قوة، وإن كانت حلقاته تلمع في نور الشمس وتخطف أبصاركم.

* * *

وماذا يجدر بكم طرحه عنكم لكي تصيروا أحراراً سوى كسر صغيرة رقة
في ذاتكم البالية؟

فإن كانت هذه الكسر شريعة جائرة وجب نسخها، لأنها شريعة سطّرتها
يمينكم وحضرتها على جيئنكم.

بيد أنكم لا تستطيعون أن تمحوها عن جاهكم بإحرق كتب الشريعة
التي في دواوينكم، كلا، ولا يتم لكم ذلك بغسل جاه قضاياكم، ولو سكبتم
عليها كل ما في البحار من المياه.

ولأن كانت طاغية تودون خلعه عن عرشه فانظروا أولًا إن كان عرشه
القائم في أعماقكم قد تهدم.

لأنه كيف يستطيع طاغية أن يحكم الأحرار المفتخرین، ما لم يكن
الطغيان أساساً لحرّيتهم والعار قاعدة لكبريائهم؟

ولأن كانت همّاً ترغبون في التخلص منه فإن ذلك الهم إنما أنتم اخترتموه
ولم يضعه أحد عليكم.

ولأن كانت خوفاً تريدون طردك عنكم فإن جرثومة هذا الخوف مغروسة في
صميم قلوبكم وليس في يدي من تخافون.

الحق أقول لكم، إن جميع الأشياء تتحرك في كيانكم متعانقة على الدوام
عنقاً نصفياً: كل ما تستهون وما تخافون، ما تتّعشقون وما تستكرون، ما
تسعون وراءه وما تهربون منه.

جميع هذه الرغبات تتحرك فيكم كالأنوار والظلال.

فإذا أضيحلَّ الظلّ ولم يبق له من أثر، أمسى النور المتلائِي ظلاً لنور
آخر سواه.

وهكذا الحال في حرّيتكم، إذا حلّت قيودها أمست هي نفسها قيداً لحرية
أعظم منها.

العقل والعاطفة

ثم طلبت إليه العرافة ثانية قائلة: هات حدثنا عن العقل والهوى.

فأجاب وقال:

كثيراً ما تكون نفوسكم ميداناً تسير فيه عقولكم ومداركم حرباً عواناً على أهوائكم وشهواتكم.

ولأنني أود أن أكون صانع سلام في نفوسكم،
فأحرّل ما فيكم من تنازع وخصام إلى وحدة وسلام.
ولكن أتى يكون لي ذلك، إذا لم تصيروا أنتم صانعي سلام لنفوسكم
ومحبين جميع عناصركم على السواء؟.

* * *

إن العقل والهوى هما سكان^(١) النفس وشراعها وهي سائرة في بحر العالم.

فإذا انكسر السكان أو تمزق الشراع فإن سفيحة النفس لا تستطيع أن تتبع سيرها، بل ترغم على ملاطمة الأمواج يمنة ويسرة حتى تختلف بكم إلى مكان أمن تحفظون به في وسط البحر.

لأن العقل إذا استقل بالسلطان على الجسد قيد أهواءه. ولكن الأهواء إذا لم يرافقها العقل كانت لهياها يتاجج ليفني نفسه.

فاجعل نفسك تسمو بعقلك إلى مستوى أهوائك، وحينئذ ترى منها ما يطربك ويشرح لك صدرك.

وليكن لك من عقلك دليل وقائد لأهوائك لكي تعيش أهواوك في كل

(١) سكان السفيحة: ما يعرف بالدقة.

يُوْمَ بَعْدِ مَوْتِهَا وَتَنَاهُضُ كَالْعَنْقَاءِ^(١) مَتَسَامِيَةً فَوْقَ رَمَادِهَا.
وَأَرْغَبُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَعْنُوا بِالْعُقْلِ وَالْهُوَى عَنْ أَيْتَكُمْ بِطِيفِينَ عَزِيزِينَ عَلَيْكُمْ.
فَإِنْكُمْ، وَلَا شَكَّ، لَا تَكْرَمُونَ الْوَاحِدَ أَكْثَرَ مِنَ الثَّانِيِّ، لَأَنَّ الَّذِي يَعْتَنِي
بِالْوَاحِدِ وَيَهْمِلُ الْآخَرَ يَخْسِرُ مَحْبَةَ الْاثْنَيْنِ وَثُقْتَهُمَا.

* * *

وَإِذَا جَلَسْتُمْ فِي ظَلَالِ الْحُورِ الْوَارِفَةِ، بَيْنَ التَّلَالِ الْجَمِيلَةِ، تَشَاطِرُونَ
الْحَقُولَ وَالْمَرْوِجَ الْبَعِيدَةَ سَلَامَهَا وَسَكِيْتَهَا وَصَفَّاهَا، فَقُولُوا حِيشَدٌ فِي
قُلُوبِكُمْ: «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَرِيعُ فِي الْعُقْلِ».

وَعِنْدَمَا تَعْصِفُ الْعَاصِفَةُ، وَتَزَعَّزُ الْرِّيَاحُ أَصْوَلُ الْأَشْجَارِ فِي الْأَحْرَاجِ،
وَتَعْلَنُ الرُّعُودُ وَالْبَرُوقُ عَظَمَةَ السَّمَاوَاتِ، فَقُولُوا حِيشَدٌ فِي أَعْمَاقِ قُلُوبِكُمْ
مَتَهِيْبِينَ خَائِسِيْنَ: «إِنَّ اللَّهَ يَتَحرِّكُ فِي الْأَهْوَاءِ».

وَمَا دَمْتُمْ نَسْمَةً مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَوَرْقَةً فِي حَرْجِهِ، فَأَنْتُمْ أَيْضًا يَجِبُ أَنْ
تَسْتَرِيْحُوا فِي الْعُقْلِ وَتَتَحرِّكُوا فِي الْأَهْوَاءِ.

الْأَلَمُ

ثُمَّ نَهَضَتْ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ امْرَأَةٌ وَقَالَتْ لَهُ: هَاتِ حَدِيثَنَا عَنِ الْأَلَمِ.

فَأَجَابَ وَقَالَ:

إِنَّ مَا تَشْعُرُونَ بِهِ مِنَ الْأَلَمِ هُوَ انْكِسَارُ الْقَشْرَةِ الَّتِي تَغْلِفُ إِدْرَاكَكُمْ.
وَكَمَا أَنَّ الْقَشْرَةَ الْصَّلِدَةَ الَّتِي تَحْجَبُ الثَّمَرَةَ يَجِبُ أَنْ تَتَحَطَّمَ حَتَّى يَبْرُزَ
قَلْبُهَا مِنْ ظَلْمَةِ الْأَرْضِ إِلَى نُورِ الشَّمْسِ.

هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا يَجِبُ أَنْ تَحْطِمَ الْأَلَامَ قَشْرُوكُمْ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفُوهُ مَعْنَى

(١) العنقاء: مؤنث عنق، وهو طائر معروف باسمه مجده بجسمه، وفي الخرافات المصرية أنه طائر مقدس كان يأتي من بلاد العرب مرة في كل ستة إلى هليوبوليس فيحرق نفسه على المذبح ثم لا يلبث أن ينهض من وسط الرماد المحترق حياً جميلاً كما كان. ولذلك كان عندهم رمزاً إلى الخلود.



«الألم ماء محسن»

الحياة. لأنكم لو استطعتم أن تعبروا عجائب حياتكم اليومية حقّها من التأمل والدهشة، لما كنتم ترون آلامكم أقلّ غرابة من أفراحكم.

بل كنتم تقبلون فصول قلوبكم كما قد قبلتم في غابر حياتكم الفصول التي مرت في حقولكم.

وكنتم ترقبون وتتأملون بهدوء وسكون شفاء أحزانكم وألامكم.

* * *

أنتم مخهرون في الكثير من آلامكم.

وهذا الكثير من آلامكم هو الجرعة الشديدة المراارة التي بواسطتها يشفى الطبيب الحكيم الساهر في أعماقكم أقسام نفوسكم المريضة.

لذلك آمنوا بطبيب نفوسكم، وثقوا بما يصفه لكم من الدواء الشافي. وتناولوا جرعته المرة بسکينة وطمأنينة.

لأن يمينه وإن بدت ثقيلة قاسية، فهي مقدمة يمين غير المنظور اللطيفة. والكأس التي يقدمها إليكم، وإن أحرقت شفاهكم، فهي مصنوعة من الطين الذي جبلته يدا الفخاري الأزلي بدموعه المقدسة.

معرفة النفس

ثم قال له رجل: هات حدثنا عن معرفة النفس.

فأجاب قائلاً:

إن قلوبكم تعرف في السكينة أسرار الأيام والليالي.

ولكن آذانكم تتشوق لسماع صوت هذه المعرفة الهاابطة على قلوبكم.

غير أنكم تودون لو تعرفون بالألفاظ والعبارات ما تعرفونه بالأفكار والتأملات.

وتتوقون إلى أن تلمسوا بأصابعكم جسد أحلامكم العاري.

* * *

وحسن أنكم تتوقون إلى جميع ذلك.

فإن اليقوع الكامن في أعماق نفوسكم سيفجر يوماً ما ويجري منحدراً إلى البحر.

والكتز المطمور في أعماقكم غير المتناهية سينتفج في ساعة لا تعلمونها وتفتح أبوابه أمام عيونكم.

ولكن حذار أن تأخذوا معكم موازينكم لكي تزنوا بها كتزكم غير المعروف.

كلاً، ولا تسبروا غور معرفتكم بقياس محدود أو حبل مشدود. لأن الذات بحر لا وزن ولا قياس له.

* * *

أجل، ولا تقل في ذاتك: «قد وجدت الحق» بل قل بالأحرى: «قد وجدت حقاً».

ولا تقل: «قد وجدت طريق النفس» بل قل بالأولى: «قد رأيت النفس تمشي على طرقي».

لأن النفس تمشي على جميع المسالك والطرق.

النفس لا تمشي على حبل أو خيط، كلاً ولا هي تنمو كالقصبة.

النفس تعطي ذاتها، كالبثنين^(١) ذي البتلات التي لا يحصى عديدها.

(١) البثنين: نبات يقوم على ساق ولا ورق له، ويسميه المصريون عرائس النيل.

التعليم

ثم قال له معلم: هات لنا كلمة في التعليم.

فقال: ما من رجل يستطيع أن يعلن لكم شيئاً غير ما هو مستقر في فجر معرفتكم وأنتم غافلون عنه.

أما المعلم الذي يسير في ظل الهيكل محاطاً بأتباعه ومربيديه، فهو لا يعطي شيئاً من حكمته، بل إنما يعطي من إيمانه وعطفه ومحبته.

لأنه إذا كان بالحقيقة حكيناً فإنه لا يأمركم أن تدخلوا بيت حكمته، بل يقودكم بالأحرى إلى عتبة فكركم وحكمتكم.

فإن الفلكي يستطيع أن يقصّ عليكم شيئاً من معرفته لنظام السماء، ولكنه لا يقدر أن يعطيكم معرفته.

والموسيقي يستطيع أن ينشدكم أجمل ما في العالم من الأناشيد والأنغام، ولكنه لا يستطيع أن يمنحكم الأذن التي تضبط النظام في النغم ولا الصوت الذي يوجد الألفة في الألحان.

والرياضي النابغ في ضبط الأرقام يستطيع أن يوضح لكم عدد الموزعين والمقاييس وخصائص كل منها، ولكنه لا يستطيع أن يمنحكم معرفته.

لأن الوحي الذي يهبط على رجل ما لا يغير جناحيه لغيره.

وكما أن لكلّ منكم مقاماً منفرداً في معرفة الله إياه، هكذا يجب عليه أن يكون منفرداً في معرفته لله وهي إدراكه لأسرار الأرض.

الصداقة

ثم قال له شاب: هات حذتنا عن الصداقة.

فأجاب وقال:

إن صديقك هو كفاية حاجاتك.

هو حقلك الذي تزرعه بالمحبة وتحصده بالشكر.

هو مائدتك وموقدك.

لأنك تأتي إليه جائعاً، وتسعى وراءه مستدفناً.

* * *

فإذا أوضح لك صديق فكره فلا تخش أن تصرح بما في فكرك من النفي أو أن تحفظ بما في ذهنك من الإيجاب.

لأن الجبل يبدو للمتسلق له أكثر وضوحاً وكبراً من السهل البعيد.

وإذا صمت صديقك ولم يتكلم فلا ينقطع قلبك عن الإصغاء إلى صوت قلبه.

لأن الصداقة لا تحتاج إلى الألفاظ والعبارات في إنماء جميع الأفكار والرغبات والآمنيات التي يشتراك الأصدقاء بفرح عظيم في قطف ثمارها اليانعات.

وإن فارقت صديقك فلا تحزن على فراقه.

لأن ما تتعشقه فيه، أكثر من كل شيء سواه، ربما يكون في حين غيابه أوضح في عيني محبتك منه في حين حضوره.

ولا يكن لكم في الصداقة من غاية ترجونها غير أن تزيدوا في عمق نفوسكم.

لأن المحبة التي لا رجاء لها، سوى كشف الغطاء عن أسرارها، ليست محبة، بل هي شبكة تلقى في بحر الحياة ولا تمسك إلا غير النافع.



«الصدقة»

وليكن أفضل ما عندك لصديقك.

فإن كان يجدر به أن يعرف جزر حياتك.

فالاجدر بك أيضاً أن تظهر له مذها.

لأنه ماذا ترجي من الصديق الذي تسعى إليه لتقضى معه ساعاتك المعدودة في هذا الوجود؟

فاسع بالأحرى إلى الصديق الذي يحيي أيامك وليليك.

لأن له وحده قد أعطى أن يكمل حاجاتك، لا لفراغك وبيوستك.

وليكن ملاك الأفراح واللذات المتبدلة مرفوعاً فوق حلارة الصدقة.

لأن القلب يجد صباحه في الندى العالق بالصغيرات، فينتعش ويستعيد قوته.

الحديث

ثم قال له عالم: هاتِ حديثنا عن الكلام.

فأجاب وقال:

إنكم تتتكلمون عندما توصد دونكم أبواب السلام مع أفكاركم.

و涣ndma تعجزون عن السكينة في وحدة قلوبكم. تقطنون في شفاهكم والصوت يلهبكم ويسليكم.

وفي الكثير من كلامكم يكاد فكركم يقضي ألمًا وكآبة.

لأن الفكر طائر من طيور الفضاء. يبسط جناحيه في قفص الألفاظ ولكنه لا يستطيع أن يحلق طائراً.

* * *

إن بينكم قرماً يقصدون الثثار المهدار، ضيّجاً من الوحدة والانفراد.

لأن سكينة الوحدة تبسط أمام عيونهم صورة واضحة لذواتهم العارية
يرتعدون لدى رؤيتها فيهربون منها.
ومنكم الذين يتكلمون. ولكنهم عن غير معرفة. وبدون سابق قصد.
يظهرون حقيقة لا يدركونها هم أنفسهم.

ومنكم الذين أودع الحق قلوبهم. ولكنهم يأبون أن يلبسوه حلقة اللفظ
وفي أحضان هؤلاء تقطن الروح في هدوء وسكون.

* * *

فإذا رأيت صديقك على جادة الطريق، أو جمعتك به ساحة المدينة،
فدع الروح التي فيك تحرك شفتوك وتدير لسانك.
اسمح المجال للصوت الذي في أعماق صوتك فيخاطب أذن أذنه.

لأن نفسه تحفظ بسر قلبك كما يتذكر فمه طعم الخميرة الطيبة، وإن
نسى الفكر لونها وتحطمت الكأس التي حملتها.

الزمان

ثم قال له فلكي: أيها المعلم، ماذا تعتقد بالزمان؟
فأجابه قائلاً:

أنت تريد أن تقيس الزمان غير المحدود، الذي لا قياس له.
وتواء أن تطبق سلوسك وتعين مسالك روحك على مقتضى الساعات
والقصول.

بل أنت ت يريد أن تجعل الزمان جدولًا تجلس إلى حافته وتراقب انسجام
مياهه وتصعي إلى خريرها.

* * *

بيد أن غير المقيد فيك بالزمان يعرف حقيقة أن الحياة لا تعرف حدود
الزمان.

وأن ليس أمس سوى ذكرى اليوم، وليس الغد سوى حلم اليوم.
وأن القوة التي تترنم وتنتأمل فيك لا تزال قاطنة ضمن حدود تلك الثانية
الأولى التي فرقت الكواكب في الفضاء.

وهل بينكم رجل لا يشعر أن قوته على المحبة فائقة الحدود؟.

بل من هو الذي لا يشعر بتلك المحبة، غير المحدودة، المحصورة في
صميم كيانه، ولا ينتقل من فكر محبة إلى فكر محبة، ومن أعمال محبة إلى
أعمال محبة غيرها؟.

والزمان، أليس الزمان، كالمحبة، لا ينقسم ولا يستقصى؟.

* * *

ولكن إذا شئتم أن تقسّموا الزمان إلى فصول مختلفة في أفكاركم،
فاجعلوا كل فصل من فصوله يحيط بجميع الفصول الأخرى.
واجعلوا الحاضر يعانيق الماضي بالذكريات، والمستقبل بالحنين
والتشوقات.

الخير والشر

ثم قال له أحد شيوخ المدينة: هات حديثاً عن الخير والشر.

فأجاب قائلاً:

إنني أستطيع أن أحديثكم عن الخير، لا الشر الذي فيكم.

لأنه أليس الشر هو بعينه الخير المتالم آلاماً مبرحة من تعطشه
ومجاعته؟.

فإنني الحق أقول لكم، إن الخير إذا جاع سعى إلى الطعام ولو في
الكهوف المظلمة، وإن عطش فإنه يشرب حتى من المياه الرائدة المتتنة.

أنت صالح، يا صاح، إذا كنت واحداً مع ذاتك،

وإذا لم تك واحداً مع ذاتك فأنت لست بالشريف.

لأن البيت المنقسم على ذاته ليس مغاربة للصوصن، ولكنه بيت منقسم على ذاته لا أكثر ولا أقل.

والسفينة التي تضيع سكانها وتهيم في البحار بين الجزائر تحدق بها الآخطار من كل جهة ولكنها لا تفرق إلى قعر البحر.

أنت صالح، يا صاح، إذا جاهدت لكي تعطي الناس من ذاتك، ولكنك لست بالشريف إذا سعيت وراء منفعة نفسك.

لأنك في سعيك وراء منفعة نفسك تشبه جذر الشجرة الذي يريق دموعه على الأرض ثم يمتص الحليب من ثدييها.

الحق أقول لك، إن الثمرة لا تستطيع أن تقول للجذر: «كن مثلي ناضجاً، جميلاً، جواداً، يبذل كل ما فيه لأجل غيره..»

لأن العطاء حاجة من حاجات الثمرة لا تعيش بدونها، كما أن الأخذ حاجة من حاجات الجذر لا يحيا بغيرها.

* * *

أنت صالح، يا صاح، إذا كنت تبلغ كمال يقظتك في خطابك.
بيد أنك لست بالشريف إذا نمت وكان لسانك يهدى من غير مرمى. لأن الكلام، وإن كان مجلبة للعثرات، لا بد أن يشدد لساناً ضعيفاً.

* * *

أنت صالح، يا صاح، إذا كنت تسير إلى محجتك راسخ العزم ثابت الخطى.

غير أنك لست بالشريف إذا كنت تمشي إلى محجتك متلكناً لأن العرج أنفسهم لا يسيرون إلى الوراء.

ولكنك، وأنت صحيح القدم قوي الجسد، أنظر ألا تعرج أمام العرج وأنت تحسب ذلك رقة وظفافاً.

أنت صالح بطرق عديدة، يا صاح. وإذا لم تكن صالحًا فإنك لست بالشريف بل أنت كسول متراخي.

ويا ليت الظباء تستطيع أن تعلم السلاحف البطيئة السرعة والرشاقة.

* * *

أجل، إن الخير الذي فيك إنما هو في حنينك إلى ذاتك الجبار، وهذا الحنين فيكم جميعكم.

غير أنه يشبه في البعض منكم سيلًا جارفًا يجري بقوة منحدراً إلى البحر، فيحمل معه أسرار التلال والأودية وأناشيد الأحراج والجنان.

وهو في غيرهم أشبه بجدول صغير يسير في منبسط من الأرض يريق ماءه في الزوايا والمنعرجات، ولذلك يطول به الزمان قبل أن يصل إلى الشاطئ.

ولتكن لا يقل ذو الحنين الكثير إلى ذي الحنين القليل: «المَاذَا أَنْتَ كَسِيرٌ بِطِينٍ».^{٤٩}

لأن الصالح الصالح لا يسأل العراة: «أين ثيابكم؟» ولا الغرباء: «أين منازلكم؟».

الصلة

ثم قالت له الكاهنة: هات حدثنا عن الصلاة.

فأجاب وقال: ..

إنك تصليين في ضيقتك وفي حاجتك.

ولكن حبدًا لو أنك تصليين في كمال فرحك ووفرة خيراتك؟ ..

وهل الصلاة غير اتساع ذاتك في الأثير الحي؟ ..

فإذا كنت تتعزيـن في أن تسـكـيـ كـأسـ ظـلـمـتـكـ فيـ الفـضـاءـ،ـ فإـنـكـ وـلـأـ شـكـ
تـفـرـحـينـ فيـ أنـ تـسـكـيـ فـيـ فـجـرـ فـوـادـكـ .

وإذا كنت لا تستطـيـعـينـ أنـ تمـسـكـيـ عنـ البـكـاءـ عـنـدـمـاـ تـدعـوكـ نـفـسـكـ إـلـىـ
الـصـلـاـةـ،ـ فـالـأـجـدـرـ بـنـفـسـكـ أـنـ تـنـخـسـكـ بـمـنـخـسـ حـادـ مـرـةـ بـعـدـ مـرـةـ،ـ عـلـىـ رـغـمـ
الـدـمـوعـ الـمـسـاقـطـةـ عـلـىـ وجـنـتـيـكـ،ـ لـكـيـ تـأـتـيـ إـلـىـ الصـلـاـةـ فـرـحةـ باـسـمـةـ.

وإذا صـلـيـتـ فـإـنـتـ تـرـقـعـيـنـ بـرـوحـكـ لـكـيـ تـجـتـمـعـيـ فـيـ تـلـكـ السـاعـةـ بـأـرـواـحـ
الـمـصـلـيـنـ،ـ الـذـيـنـ لـاـ تـسـتـطـيـعـينـ أـنـ تـجـتـمـعـيـ بـهـمـ بـغـيرـ الصـلـاـةـ.

لـذـلـكـ فـلـتـكـ زـيـارـتـكـ لـذـلـكـ الـهـيـكـلـ غـيرـ الـمـنـظـورـ مـدـعـاـةـ لـلـهـيـامـ السـماـويـ
وـالـشـرـكـةـ الـرـوـحـيـةـ السـعـيـدـةـ.

لـأـنـكـ إـذـاـ دـخـلـتـ الـهـيـكـلـ وـلـأـ غـاـيـةـ لـكـ سـوـىـ السـؤـالـ فـإـنـكـ لـنـ تـنـالـيـ شـيـتاـ.
وـإـنـ دـخـلـتـ الـهـيـكـلـ لـكـيـ تـظـهـرـيـ وـفـرـةـ اـتـضـاعـكـ وـخـشـوعـكـ فـإـنـكـ لـنـ تـجـدـيـ
رـفـعةـ.

بـلـ لـوـ جـثـتـ الـهـيـكـلـ وـأـنـتـ تـرـجـيـنـ أـنـ تـلـتـمـسـيـ خـيـرـاـ لـغـيرـكـ مـنـ النـاسـ فـإـنـكـ
لـنـ تـجـابـيـ إـلـىـ سـؤـلـكـ .

لـأـنـهـ يـكـفـيـكـ أـنـ تـدـخـلـيـ الـهـيـكـلـ مـنـ غـيرـ أـنـ يـرـاـكـ أـحـدـ.

* * *

لـأـسـتـطـيـعـ أـنـ أـعـلـمـ الـصـلـاـةـ بـالـأـلـفـاظـ .

لـأـنـ اللهـ لـاـ يـصـغـيـ إـلـىـ كـلـمـاتـكـ مـاـ لـمـ يـضـعـهاـ تـعـالـىـ اـسـمـهـ عـلـىـ شـفـتـيـكـ
وـيـنـطـقـ بـهـاـ بـلـسـانـكـ .

وـلـأـقـدـرـ أـنـ أـعـلـمـ صـلـاـةـ الـبـحـارـ وـالـأـحـرـاجـ وـالـجـبـالـ،ـ بـيـدـ أـنـكـ،ـ وـأـنـتـ
ابـنـةـ الـجـبـالـ وـالـأـحـرـاجـ وـالـبـحـارـ،ـ تـسـتـطـيـعـينـ أـنـ تـجـدـيـ هـذـهـ الصـلـاـةـ مـحـفـورـةـ عـلـىـ
صـفـحـاتـ قـلـبـكـ .



«الصلوة»

مجموعة جبران المعرية - م ٩

فإذا أصغيت في سكينة الليل سمعت الجبال والبحار والأحراج؛ تصلي
بهدوء وخشوع:

«ربنا وإلها، يا ذاتنا المجنحة.
إننا بيارادتك نرى،
وبرغبتك ترحب ونشتهي.
بقدرتك تحول ليالينا، وهي لك، إلى أيام هي لك أيضاً.
إننا لا نستطيع أن نلتمس منك حاجة،
لأنك تعرف حاجاتنا قبل ن تولد في أعماقنا.
أنت حاجتنا، وكلما زدتنا من ذاتك زدتنا من كل شيء».

اللذة

حيثند دنا منه ناسك يزور المدينة مرة في السنة، وقال له: هات حدثنا
عن اللذة

فأجاب وقال:

اللذة أنسودة الحرية،
ولكنها ليست حرية بذاتها.
اللذة زهرة رغباتكم،
ولكنها ليست ثمرة لها.
اللذة عمق ينشد علواً،
ولكن لا هي بالعمق ولا هي بالعلو.
اللذة جنائج قد أفلت من قفصه،
ولكنها ليست فضاء حراً طليقاً.
أجل. إن اللذة بالحقيقة أنسودة الحرية.

وإنه ليطربني أن تترنموا بها في أعمق قلوبكم، ولكنني لا آذن لكم أن تستسلموا بقلوبكم للفناء.

* * *

إن فريقاً من أحدائكم يسعون وراء اللذة سعيهم وراء كل شيء، ولذلك يحكم عليهم بالقصاص والتاديب.

أما أنا فلا أدينهم، ولا أحكم عليهم، ولكنني أسألهما أن يفتشوا وينقبوا.

لأنهم سيجدون اللذة في تفتيشهم، ولكنهم لن يجدوها وحدها فقط:
فإن لها سبع شقيقات، أحقرهن أوفر جمالاً منها.

وأنتم ألم تسمعوا بذلك الرجل الذي كان يحفر الأرض لكي يستخرج الجدor من أعماقها فوجد كنزًا عظيماً؟

* * *

وفريق آخر من شيوخكم يتذكرون لذات شبابهم آسفين، لأنما هي جرائم اقترفوها في أوقات السكر والجهالة.
ولكن الأسف هو بالحقيقة غمامه تغمّ الفكر ولا تؤدبه.

ولذلك يجدر بهم أن يتذكروا لذاته بالحمد والثناء كما يتذكرون حصاد الصيف.

ولكن إذا كان الأسف يعزّيهم فلا بأس أن يتّعزوا به.

وهنالك فريق ثالث من ليسوا بالأحداث لكي يجاهدوا مفتشين عن لذات جديدة. ولا بالشيخ لكي يتذكروا لذات شبابهم.

ولكنهم لشدة خوفهم من عناء الجهاد في التفتيش والألم في التذكريات، يعرضون عن جميع اللذات، لثلاً يهملوا الروح أو يجذفوا عليها.

غير أن لهم من هذا الإعراض بعينه لذة لأنفسهم.

ولذلك فهم أيضاً يجدون كنزًا لذواتهم مع أنهم يحفرون لأجل الجذور
بأيدٍ مرتعشة.

ولكن هل لك أن تخبرني وأنت الناسك الحكيم، من هو الذي يستطيع
أن يكدر على الروح صفوها؟.

أ يستطيع البليل أن يعكر صفو سكينة الليل، أم العباشب نور السماء؟
وهل يقدر لهيب نارك أو دخانها أن يثقل كاهل الريح؟.

أم هل تعتقد أن الروح برقة هادئة وفي استطاعتك كلما خطر لك أن
ترتعج هدوءها بعصابك؟.

كلما أنكرت على ذاتك التمتع بلذة ما تغلق بيديك على تلك اللذة في
مستودعات كيانك.

ومن يدري هل تعود اللذة التي ترفضها اليوم فترغب عودتك إليها في
الغد؟.

لأن جسدك يعرف حاجاته الضرورية وميراثه الحقيقي. فلا يستطيع أحد
أن يخدعه.

أجل، إن جسدك هو قيثارة نفسك،

وأنت وحدك تستطيع أن تخرج منها أنغاماً فتنة أو أصواتاً مشوشة
مضطربة.

* * *

ولعلك تسأل في قلبك قائلاً: «كيف نستطيع أن نميز بين الصالح
والشرير من اللذات؟».

فاذهب إلى الحقول والبساتين وهنالك تتعلم أن لذة النحلة قائمة في
امتصاص العسل من الزهرة.

ولكن لذة الزهرة أيضاً تقوم بتقديم عسلها للنحلة.

والنحلة تعتقد أن الزهرة ينبوع الحياة،

والزهرة تؤمن بأن النحلة هي رسول المحبة المحبية،
والنحلة والزهرة كلتا هما تعتقدان أن اقتباع اللذة وتقديمها حاجتان لا بد
منهما وافتتان لا غنى للحياة عنه.

أجل، يا أبناء أورفليس، كونوا في لذاتكم كالنحل والأزهار.

الجمال

ثم قال له شاعر: هات لنا شيئاً عن الجمال.

فأجابه قائلاً:

أين تفتش عن الجمال، وكيف تقدر أن تهتدي إليه ما لم يكن هو نفسه
طريقاً لك ودليل؟.

وكيف تستطيع أن تتحدث عن الجمال ما لم ينسج لك ثوباً لاقاً
بخطابك؟.

* * *

فالحزين المتألم يقول: الجمال رقة ولطف، وهو يمشي بيننا كالآم الفتية
الحبيبة من جلالها.».

والغضوب يقول: «كلا، بل الجمال قوة ويطش، فهو كالعاشرة يهز
الأرض تحت أقدامنا والسماء فوق رؤوسنا».

والتعب المملوكي يقول: «إن الجمال لطيف المناجة يتكلم في أرواحنا
ويتموج صوته في سكون أذهاننا كما يرتعش النور الضئيل خوفاً من الظلّ
الظليل».»

غير أن القلق المضطرب يقول: «قد سمعنا الجمال يصيح بأعلى صوته
بين الجبال.

«يرافق صوته وقع الحوافر، وخفقان الأجنحة وز مجرة الأسود».

وعند انتصاف الليل يقول حارس المدينة: «سيبغ الجمال مع الفجر من المشرق».

وعند الظهيرة يقول العمال وعابرو السبيل: قد رأينا الجمال يطل على الأرض من نوافذ المغرب.

* * *

وفي الشتاء يقول جامعو الثلوج: سيأتي الجمال مع الربيع وهو يقفز على التلال.

وفي الصيف يقول الحصادون: قد رأينا الجمال يرقص مع أوراق الخريف، وشاهدنا كومة من الثلج على ارأسه.

كل هذا سمعتكم تقولونه في الجمال، .

غير أنكم في الحقيقة لم تقولوا فيه كلمة، وإنما تحدثتم ب حاجاتكم غير المكملة والجمال ليس بالحاجة غير المكملة بل هو انشغال وافتتان.

أجل، وليس الجمال فماً متعطشاً أو يداً ممدودة.

بل هو قلب متلهب، ونفس مفتونة مسحورة.

وليس بالصورة التي ترغبون في رؤيتها أو الأنشودة التي ترجون سماعها.

بل هو صورة تبصرونها ولو أغمضتم عيونكم، وأنشودة تسمعونها ولو أغلقتم آذانكم.

وليس بالعصارة الجارية في عروق الأشجار، ولا بالجناح المتعلق بالمخالب، بل هو بستان تزيينه الأزهار إلى الأبد، وجوقة من الملائكة ترفرف بأجنحتها إلى متهى الدهور.

* * *

نعم يا أبناء أورفلليس. إن الجمال هو الحياة بعينها سافرة عن وجهها الطاهر النقي.

ولكن أنتم الحياة وأنتم الحجاب.

والجمال هو الأبدية تنظر إلى ذاتها في مرآة ولكن أنتم الأبدية وأنتم المرأة.

الدين

ثم دنا منه كاهن شيخ وقال له: هات حدثنا عن الدين.
فأجاب قائلاً:

وهل تكلمتُ اليوم في موضوع آخر غير الدين؟
أليس الدين كل ما في الحياة من الأعمال والتأملات؟
أليس الدين كلّ ما في الحياة مما ليس هو بالعمل ولا بالتأمل بل غرابة
وعجب ينبعان من جداول النفس أبداً وإن عملت اليadan في نحت الحجارة أو
إدارة الأنواك؟.

من يستطيع أن يفصل أيمانه عن أعماله، وعقيدته عن مهنته؟
من يستطيع أن يبسط ساعات عمره أمام عينيه قائلاً:
«هذه لله، وهذه لي، هذه لنفسي، وهذه لجسدي؟»
فإن جميع ساعات الحياة أجنهجة ترفرف في الفضاء منتقلة من ذات إلى ذات.

وإن من ينظر إلى فضيلته نظرته إلى أفضل حلقة يلبسها فالاجدر به أن
يسير بين الناس عارياً.

لأن الريح والشمس لا تمزان بشرته.
وكل من يقييد سلوكه وتصرفة بقيود الفلسفة والتقليد إنما يحبس طائر
نفسه الغريد في قفص من حديد.

لأن أنشودة الحرية لا يمكن أن تخرج من بين العوارض والقضبان.
وكل من يعتقد أن العبادة نافذة يفتحها ثم يغلقها فهو لم يبلغ بعد هيكل
نفسه المفتوحة توافقه من الفجر إلى الفجر.

* * *

إن حياتكم اليومية هي هيكلكم وهي ديانتكم

خذوا السكة والكور والمطرقة والطنبور، وكل ما لديكم من الآلات التي
صنعتها رغبة في قضاء حاجاتكم أو سعياً وراء مسراتكم ولذاتكم.
لأنكم لا تستطيعون أن ترتفعوا بتأملاتكم فوق أعمالكم ولا تقدرون أن
تحدرروا بتصرفاتكم إلى أدنى من خيباتكم.
وليرافقكم جميع معارفكم من أبناء الإنسان.

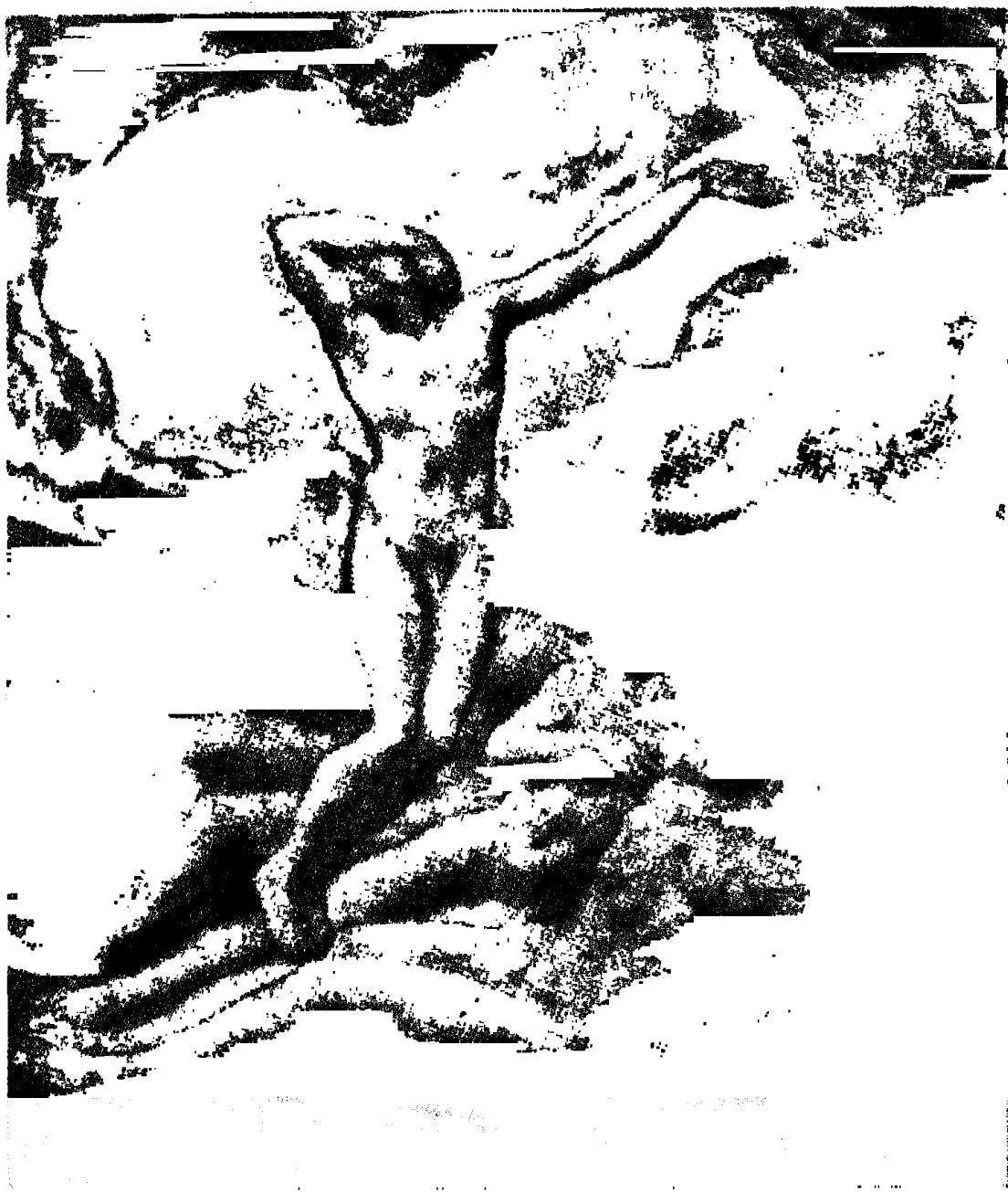
لأنكم لا تستطيعون في عبادتكم أن تحلقوا فوق آمالهم ولا أن تضعوا
ذواتكم إلى أحقر من يأسهم.

* * *

وإن شئتم أن تعرفوا ربكم فلا تعنوا بحل الأحجاجي والألغاز.
بل تأملوا ما حولكم تجدوه لاعباً مع أولادكم.
وارفعوا أنظاركم إلى الفضاء الوسيع تتصوره يمشي في السحاب، ويبيسط
ذراعيه في اليرق، وينزل إلى الأرض مع الأمطار.
تأملوا جيداً تروا ربكم يبتسم بشغور الأزهار، ثم ينهض ويحرك يديه
بالأشجار.

الموت

ثم قالت له المطرة: نود أن تحدثنا الآن عن الموت.
فقال لها: إنكم تريدون أن تعرفوا أسرار الموت
ولكن كيف تجدونها إن لم تسعوا إليها في قلب الحياة؟
لأن البوة التي لا تفتح عينيها إلا في الظلمة، البوة العميماء عن نور
النهار، لا تستطيع أن تنزع الحجاب عن أسرار النور.
فإذا رغبتم بالحقيقة في أن تنظروا روح الموت، فافتحوا أبواب القلوبكم
على مصاريها لنهر الحياة.



«الموت»

لأن الحياة والموت واحد، كما أن النهر والبحر واحد أيضاً.

ففي أعماق آمالكم ورغباتكم تتكتئ معرفتكم الصامتة لما وراء الحياة.
وكما تحلم الحبوب الهاجعة تحت الثلوج بالربيع، هكذا تحلم قلوبكم
بربيعيها.

لذلك فلتكن ثقتكم عظيمة بالأحلام، لأن بوابة الأبدية مختفية فيها.
أما خوفكم من الموت فهو أشبه بارتعاش الراعي الواقف أمام الملك
الذى يريد أن يرفع يمينه فوقه لكي يكرمه وينعم عليه بوسام الرضى والفاخر.
أفلا يفرح الراعي مع ارتعشه لأن مليكه يقلده وسام الشرف والرضى؟
ولكن ألا يشعر مع ذلك بارتعشه وخفقان قلبه؟.

| وهل موت الإنسان هو أكثر من وقوفه عارياً في الريح وذوبانه في حرارة
| الشمس؟.

أم هل انقطاع التنفس غير تحرير النفس من دورانه المتواصل، لكي
يستطيع أن ينهض من سجنه ويحلق في الفضاء ساعياً إلى خالقه من غير قيد
ولا عائق؟.

* * *

إنكم لا تستطيعون أن تترنموا بالأنشيد حتى تشربوا من نهر الصمت.

ولا تستطيعون أن تباشروا الصعود إلى الجبال حتى تبلغوا قمتها.
ولن تقدروا أن ترقصوا حتى تسلّم الأرض جميع أعضائكم.

الوداع

وكان المساء.

فقالت العرافة المطرة: مبارك هذا اليوم وهذا المكان الذي جمعنا بك
ومباركة روحك التي خاطبتك أرواحنا.

فأجاب وقال: «وهل أنا الذي تكلمت؟ ألم أكن أنا ساماً نظيركم؟».

* * *

ثم نزل عن درجات الهيكل ومشى، فتبعه الشعب بأسره.
وظل يجدد في سيره والشعب يلحق به حتى وصل إلى المرفأ فقصد إلى
سفينته ووقف على ظهرها.
حيثند رفع صوته والشعب ينظر إليه وقال لهم:
يا أبناء أورفليس، إن الريح تأمرني أن أفارقكم.

ومع أنني لست كالريح عجولاً، فإنني مرغم أن أطيع أوامرها.
لأننا نحن الهائعين، الدين ينشدون أبداً أشد الطرق وحدة، لا نبدأ
أعمال نهار ما عندما نفرغ من نهار غيره، ولا يجدنا شروق شمس حيث تركنا
الغروب الذي تقدمه.
لأننا، وإن نامت الأرض، مستيقظون نوالى مسيرنا.

* * *

نحن بدور نبات غريب عجيب، وفي بلوغنا واكتمال نمو قلوبنا قد وُهينا
منحة للريح فتفرقنا على وجه الأرض.

* * *

قليلة كانت أيامي بينكم، وأقل منها كلماتي التي تركتها لكم. ولكن إذا
تلاشى صوتي في أذانكم وزالت محبتى من قلوبكم فحيثند آتي إليكم سريعاً.
وأخاطبكم ثانية بقلب أوفر عطفاً من قلبي وشفتين أجزل إثماراً للروح
من شفتني.

أجل، إنني سأرجع مع المد،

فإن حجبني الموت عنكم الآن وضمّني الصمت العظيم بين طيات سكينته، فإنني سأشد إدراككم مرة أخرى ولن تذهب أتعابي في ذلك الحين عبثاً.

فإن كنت قد خاطبتماليوم بالحق الصريح، فإن هذا الحق سيظهر ذاته لكم في ذلك اليوم بصوت أدقى من صوتهاليوم، وبكلمات أقرب إلى أفكاركم من كلماتهاليوم.

* * *

إنني ماضٍ مع الريح، يا أبناء أورفليس، ولكنني لن أهبط إلى العالم السفلي، إلى الفراغ المرعب.

فإذا لم يكن هذا اليوم قد أكمل حاجاتكم وأفعمكم من محبتى، فليكن موعداً ليوم آخر.

فإن حاجات الإنسان تتبدل ولكن محبته لا تتغير ومثلها رغبته في أن تشبع المحبة حاجاته.

فاعلموا إذن أنني سأرجع إليكم من عالم الصمت والسكينة.

لأن الضباب الذي يفارق الأرض عند بزوغ الفجر من غير أن يترك سوى قطرات صغيرة من الندى في الحقول إنما يرتفع في الجو لكي يتجمع هنالك فيؤلف السحاب الذي لا يلبث أن يعود إلى الأرض مطراً غزيراً.

وقد كنت بينكم مثل هذا الضباب.

ففي سكينة الليل كنت أمشي في شوارعكم وكانت أدخل بروحي إلى أعماق منازلكم.

وكانت نبضات قلوبكم تتردد في قلبي وسحائب لهايكم تنتشر على وجهي، وقد عرفتكم بعجركم ويجركم.

نعم، قد عرفت فرحكم وحزنكם، وفي هجوعكم كانت أحلامكم أحلاماً لي.

وكثيراً ما كنت بينكم بحيرة بين الجبال.

فكانت ترسم على صفحات مرآتي قنطرت الشاهقة ومنحدراتكم المترعرجة حتى قطعان أنكاراتكم ورغباتكم العابرة عليها.

وكان ضحك أولادكم يجري إلى سكينتي مع مياه الجداول، وكان حنين شبانكم وشباباتكم يأتي إليّ مع مجاري الأنهر.

ومع أن الجداول والأنهر كانت تبلغ أعمقها فإنها لم تكن تنقطع البتة عن الغناء.

ولكن هنالك ما هو أحلى من الضحك وأذب من الحنين بين من جاء إليّ منكم،

الا وهو الكائن غير المحدود فيكم،

الإنسان البالغ العظمة فيكم الذي لستم سوى أنسجة وعضلات في كيانه، والمرئي الذي ليس غناوكم أمام غنائه سوى اختلاج وهينمة.

وأنتم لا تعرفون العظمة إلا بهذا الإنسان العظيم الذي فيكم، وعندما رأيته حقائقكم، وأحببتم.

لأنه هل في الوجود علوٌ أو بعد تصل إليهما المحبة ولا يحيط بهما في دائرة كيانه العظيمة الاتساع؟

أم هل هنالك تصورات أو تمنيات أو أحلام تستطيع أن تسمو فتبليغ أقصى ارتفاعه؟

أجل إنّ هذا الإنسان العظيم هو بالحقيقة كالسنديانة الجبار المغطاة ببراعم التفاح الجميلة.

فقدرته تقيدكم بالأرض، وشداه يرفعكم إلى أعلى الفضاء، وفي عزمه وصبره على عواصف الطبيعة أنتم خالدون.

قد أخبرتم فيما مضى إنكم كالسلسلة، ضعفاء كأضعف حلقة في
كيانكم.

غير أن هذا إنما هو نصف الحقيقة، فأنتم أيضاً أقوى حلقة من
سلسلتكم.

لأننا إذا حكمنا عليكم بأصغر أعمالكم كثنا كمن يحكم على قوة البحر
بما في زبده من الضعف وسرعة الزوال.

وإن حكمنا عليكم بخيتكم كثنا كمن يلوم الفصول لتعاقبها وعدم ثباتها.

* * *

أجل، إنكم بالحقيقة كالأوقيانوس العظيم.

فمع أن سفناً عظيمة تنتظر مد البحر وجزره على شواطئكم فأنتم
كالأوقيانوس، لا تستطيعون أن تعجلوا مذکم وجزركم.
 وأنتم كالفصول أيضاً يا أبناء أورفليس.

فإنكم تنكرن ربكم في شتايكم،
ولكن الربيع لا ينكركم، بل يتسم لكم في غفلته، من غير أن يغضب
أو يتعكر صفوه.

ولا يخطر لكم أنني أقول لكم هذا لكي أحملكم على أن تهمسوا بعضكم
بعض قائلين: «قد أجاد في مدحنا والثناء علينا، ولم ير سوى الصالح
فيينا».

فإنني أنقل إليكم بالفاظي ما تدركونه أنتم بأفكاركم.

وهل المعرفة اللغوية سوى ظل للمعرفة غير اللغوية؟
لأن أفكاركم وكلماتي ما هي عند التحقيق إلا أمواج تتدفق بها بحيرة
الذاكرة المختومة التي تحتفظ بدواوين ماضينا وما جرياته.

وحوادث الأيام المتصرمة عندما لم تكن الأرض تعرفنا، وكانت تجهل
ذاتها أيضاً.

وأحلام الليالي عندما كانت الأرض خربة خاوية خالية.
قد جاءكم الحكماء قبلي لكي يقدموا لكم من حكمتهم، أما أنا فقد
أتيت إليكم لكي أغرف من معين حكمتكم.

وها أنذا قد وجدت ما هو أعظم من الحكمة. قد وجدت روحًا ملتهبة
فيكم ما ببرحت تستزيد جمع مبعثرات ذاتها، غير أنكم كتم وما زلت غافلين
عن اتساعها وتعاظمها تنوحون وتبتكون على أيامكم الزائلة.
فإن الحياة تفتش عن الحياة في أجسام الذين يخافون القبور.

* * *

ولكن لا قبور ه هنا.

لأن هذه الجبال والسهول إنما هي بالحقيقة سرير ومرقاة. فإذا قادتكم
خطواتكم إلى الحقل الذي وضعتم فيه أسلافكم فتأملوا جيداً جميع جهاته،
ترووا ذواتكم ترقصون مع أولادكم جنباً إلى جنب.
فإنني الحق أقول لكم: إنكم كثيراً ما تفرحون وأنتم لا تعرفون.

وآخرون جاؤوا إليكم وعللوكم بالمواقع الذهبية التي تبنون عليها
صروح إيمانكم، فوهبتم لهم ثروة وقوة وعظمة.

أما أنا فقد أعطيتكم أحقر موعد ولكنكم أظهرتم نحوبي أريحيّة لم
تظهروها لسواي.

فقد أعطيتوني تعطشى الشديد للحياة.

فإنني أصار حكم القول إنه ما من عطية في هذا العالم أجزل فائدة
للإنسان من العطية التي تحول كل ما في كيانه من الميول والرغبات إلى شفتين
محترقين عطشاً، وتجعل حياته جميعها ينبعاً حياً باقياً.

وهذا فخرى وأجرى.

في أية ساعة جئت اليّنبع متعطشاً أجد الماء الحي المتدفق من فم
الينبع متعطشاً أيضاً،

فيشربني هذا الماء كما أشربه.
وقد خَيَّلَ إلى البعض منكم أنني عيوق حسي فـلا أقبل عطية من
عطاياكم.

على أنني بالحقيقة أكره قبول الأجور ولكنني لا أرفض العطايا.
ولأنه غير خاف عليكم أنني كنت أتقوت بأثمار العليق والتوت بين التلال
في حين أنكم كتم ترغبون في أن أجالسكم حول موائدكم.
وكنت أنام في رواق الهيكل في حين أن كلاً منكم كان يفرح لو يتاح له
أن يؤويوني في بيته.

ولكن أليست محبتكم الشديدة الممزوجة بدموع العناية بأيامي وليلتي هي
التي جعلت الطعام حلواً في فمي وحقّت نومي باللوعي والأحلام؟

* * *

لأجل هذا أباركم من أعماق قلبي.
لأنكم تعطون كثيراً ولا تعرفون أنكم تعطون شيئاً.
الحق أقول لكم: إن اللطف الذي ينظر إلى ذاته في مرآة ينقلب حجراً.
والعمل الصالح الذي يسمى نفسه باسماء جميلة يصير والد اللعنة كريهة.
وقد دعاني فريق منكم متوحداً ثملأ بمحبة وحدتي.

أما أنتم فقلتم بعضكم لبعض: لا تبالغوا في عذله وملامته، فإنه يحب
أن يؤلف مجلسه من أشجار الأحراج وليس من أبناء الإنسان وهو يستلذ
الجلوس على رؤوس التلال والنظر إلى مدینتنا.

ولأنني بالحقيقة قد تسلقت التلال ومشيت في أراضٍ بعيدة جداً.
لأنه كيف أمكنني أن أراك من غير أن أكون في علو شاهق أو بعد
شاسع؟

أو كيف يستطيع أحد أن يكون قريباً ما لم يكن بعيداً؟

* * *

وغيركم من كان يناديني ولكن بغير الألفاظ، ويقول لي:
«أيها الغريب، أيها الغريب المتعشق ما لا يُبلغ من الشاهقات، لماذا
تقطن بين قنن الجبال حيثما تبني النسور أعشاشها؟».

لماذا تسعى إلى ما لا سبيل للحصول عليه؟
أي نوع من العواصف تريد أن تصطاد شبكتك،
وما هي الطيور البحارية التي تفتش عنها في السماء؟
هلتم إلينا، وكن واحداً مثناً،
اهبط من علوك، وسكن حدة مجاعتك بخبزنا، واصمد لظى عطشك
بلذيد خمرتنا!»

قالوا هذه الأقوال كلها في وحدة نفوسهم.

ولو كانت وحدتهم أعمق مما هي لأدركوا أنني لم أكن أسعى إلا إلى
إدراك سرّ أفراحكم وألامكم.

ولم أكن أصطاد سوى ذواتكم الكبرى السائرة نحو السماء.
ولكن الصياد قد صار صيداً:
لأن كثيراً من سهامي لم ترك قوسي إلا لكي تسعى إلى صدري.
والطائر قد صار زحافة:
لأنني عندما بسطت جناحي في الشمس صار ظلهما على الأرض
سلحفاة.

وأنا المؤمن صرت مرتاباً:
لأنني كثيراً ما وضعت إصبعي في جنبي رجاء أن أبلغكم إيماني بكم
ومعرفتي لحقيقة تكم.

* * *

وبهذا الإيمان وهذه المعرفة أقول لكم.

إنكم لستم محصورين في سجون أجسادكم، كلا، ولستم مقيدين
بجدران بيوتكم وحدود حقولكم.

فإن الذات الخفية التي تمثل حقيقتكم تقطن فوق الجبال وتهيم مع
الرياح. لأنها لا تدب إلى الشمس مستدفة ولا تتلمس طريقها في الظلمة
مستنيرة، بل هي روح حرة طلقة تغلف الأرض وتركب دقائق الأثير.

* * *

ولأن جاءت كلماتي هذه غامضة على أفهمكم فلا تسعوا وراء إيضاحها.
فإن الغموض والسديم هما بداعة كل شيء لا نهايته.
ولأنني بعمل الرغبة أود أن تتذكروني كبداءة.

والحياة، وجميع الكائنات الحية، إنما تتصور أولاً في الضباب وليس
في البلور.

ومن يدرى أن البلور لم يكن ضباباً متجمداً؟

* * *

وهذا ما أود أن تحتفظوا به مع ذكري:

إن ما يبدو لكم ضعيفاً فيكم هو أقوى وأثبت ما في كيانكم. لأنه أليس
لهائكم هو الذي يقيم بنيان عظامكم ويشدده؟.

بل أليس الحلم الذي لم يحلم به أحد منكم قط هو الذي بني مدباتكم
وعمل كل ما فيها؟

فلو كان لكم أن تنتظروا مجري ذلك اللهاث لما كانت لكم حاجة إلى أن
تنظروا شيئاً آخر غيرها.

ولو استطعتم أن تسمعوا مناجاة ذلك الحلم لما كتمت نرغبون في سماع
أي صوت آخر في العالم.

ولكنكم لا تنتظرون ولا تسمعون، وحسناً تفعلون.
فإن الحجاب المسدوب على عيونكم سترفعه اليد التي حاكته.

والطين الذي يسد آذانكم ستنتزعه الأصابع التي جبلته.
وحيثند تبصرون،
وحيثند تسمعون
بيد أنكم لن تتحسروا على أنكم كتم عمياً أو صماً.
لأنكم في ذلك اليوم ستعرفون المقاصد الخفية في كل شيء.
وستباركون الظلمة كما تباركون النور.

* * *

وعندما قال هذا نظر حواليه، فرأى ريان سفيتني منتصباً أمام السكان وهو ينظر تارة إلى الأشعة وطوراً إلى البحر.

فقال:

إن ريان سفيتني واسع الصدر جزيل الصبر.
فإن الريح تهب بعنف. والأشعة مضطربة.
حتى إن السكان نفسه يحتاج إلى من يديره.
ومع كل هذا فإن ريان سفيتني ينتظر سكوتني.

وهؤلاء الملاحون رفقائي الدين سمعوا جوق المنشدين في البحر
الأعظم، قد أصغوا إلى بطول أناة.

ولكنهم لن يتظروا ثانية واحدة بعد.
فإنني على أتم الأهبة للسفر.

فقد وصل العجدول إلى البحر، وأتيح للأم العظيمة أن تضم ابنها إلى صدرها مرة ثانية.

* * *

فالوداع، الوداع يا أبناء أورفلليس.
قد غربت شمس هذا اليوم.
وأغلق علينا أبوابه كما تغلق زنقة الغور أوراقها على غدها.

فكل ما أعطينا ه هنا ستحتفظ به ،
وإذا لم يكن كافياً لسد حاجاتنا . فإننا نأتي ثانية إلى هذا المكان ونمد
أيدينا معاً لمن أعطانا .

ولا تنسوا أنتي سأتي إليكم مرة أخرى .
فلن يمرّ ز من قليل حتى يشرع حنيفي في جمع الطين والزبد لجسد آخر .
قليلًا ولا تروعني ، وقليلًا وتروعني .
لأن امرأة أخرى ستلدني .

* * *

أودعكم وأودع الشباب الذي قضيت بينكم .
فإننا في الأمس قد اجتمعنا كما في حلم .
قد أنشدتم لي في وحدتي . وبنيت لكم من أشواقكم برجاً في السماء .
ولكن عهد النوم قد انقضى والحلم قد مضى ، ولسنا الآن عند بزوغ
الفجر .

لأن الظهيرة ترقص فوق رؤوسنا ، ويقطتنا الناقصة قد تحولت إلى نهار
كامل ، فيجدر بنا أن نفترق .

فإذا جمعنا شفق الذكرى مرة أخرى فإننا حينئذ نتكلّم معاً ، وحينئذ
تن Sheldon لي أنشودة أوقع في النفس من أنشودة اليوم .

وإن اجتمعت أيدينا في حلم ثانٍ فهناك سنبني برجاً آخر في السماء .

وعندما قال هذا أشار إلى الملائكة إشارة تؤذن بالسفر ، فرفعوا مرساة
السفينة في الحال وحلوا حبالها وساروا نحو الشرق .

فصرخ الشعب كلّه بصوت عظيم كأنّه صادر من قلب واحد ، وتعالى
صراخهم في الشفق فحملته دقائق الهواء فوق البحر كأنّه صوت بوق عظيم .

أما المطرة العرافة فكانت صامتة وحدها، تشيع السفينة بنظرها حتى
توارت في الضباب.

ثم تفرق الشعب كل في سبيله، بيد أنها ظلت وحدها واقفة على شاطئِ
البحر تردد في قلبها كلمات المصيطفى الأخيرة:
«قليلًا ولا ترونني، وقليلًا وترونني،
لأن امرأة أخرى ستلدنني».

دمل وزبٹ

تعريب
الارشمندريت انطونيوس بشير

ليس هذا الكتاب الصغير بأكثر من اسمه - رمل وزبد - حفنة من الرمل
وقبضة من الزبد.

وبالرغم عما ألقى بين حباته وحبات قلبي ، وبالرغم عما سكبت على
زيده من عصارة روحي ، فهو الآن وسيبقى أبداً أقرب إلى الشاطئ منه إلى
البحر وأدنى إلى الشوق المحدود منه إلى اللقاء الذي لا يحده البيان .

بين جانحي كل رجل وكل امرأة قليل من الرمل وقليل من الزبد . ولكن
بعضنا يبيّن ما بين جانحيه وبعضنا يخجل . أما أنا فلم أنجح . فاعذروني
وسامحوني .

جبران خليل جبران

نيويورك في كانون الأول سنة ١٩٢٦

رمل وزبد

على هذه الشواطئ أتمشى أبداً،
بين الرمل والزبد.
إن المد سيمحو آثار قدمي، وستذهب الريح بالزبد.
أما البحر والشاطئ فيظلان إلى الأبد.

*

ملأت يدي مرة بالضباب، ثم فتحتها فإذا بالضباب قد صار دودة.
وأغلقت يدي وفتحتها ثانية فإذا هنالك عصفور.
ثم أغلقت يدي وفتحتها للمرة الثالثة، فإذا في راحتها رجل حزين الوجه
ينظر إلى العلاء.
وأغلقت يدي راجعة، وعندما فتحتها لم أر فيها غير الضباب.
ولكتني سمعت أغنية باللغة الحلاوة.

*

خيّل إلى في الأمس أنني ذرة تتوجه مرتجفة في دائرة الحياة بغير انتظام.
واليوم أعرف كل المعرفة أنني أنا الدائرة وأن الحياة بأسها تتحرك في بذرات
منتظمة.

*

يقولون في يقظتهم: ما أنت والعالم الذي تعيش فيه سوى حبة رمل على
شاطئ غير متناهٍ لبحر غير متناهٍ.
وفي حلمي أقول لهم: أنا هو البحر غير المتناهي، وما جميع العالم

سوى حبات من الرمل على شاطئي .

*

ما عييت إلا أمام من سألني : من أنت ؟

*

فَكَرَ اللَّهُ، فَكَانَ فَكْرُهُ الْأُولُ مَلَاكًا .

وَتَكَلَّمَ اللَّهُ، فَكَانَ كَلْمَتُهُ الْأُولَى إِنْسَانًا .

*

كان الإنسان مخلوقاً هائماً ينشد ذاته الضالة في الأحراب قبل أن منحه البحر والريح كلماته بآلف ألف سنة .

فكيف يستطيع واللحالة هذه أن يعبر عن العتيق من الأيام فيه بأصوات حقيقة لم يتعلّمها إلا في الأمس القريب ؟

*

تكلّم أبو الھول مرة واحدة في حياته . وإليك ما قال : حبة الرمل صحراء ، والصحراء حبة رمل . قال هذا وسكت ثانية ولم يفتح فاه . قدسمعت ما قاله أبو الھول بيد أتنى لم أنهم .

*

رأيت وجه امرأة . فرأيت أولادها ولم يولدوا بعد . ونظرت امرأة إلى وجهي . فعرفت أبيائي وجذودي وقد ماتوا قبل أن تولد .

أوَّلَ الآنَ لَوْ يَتَاحُ لِي أَكْمَلُ ذَاتِي . وَلَكِنَّ أَنِّي لِي ذَلِكَ إِذَا لَمْ أَتَحُولَ إِلَى سِيَادَةٍ يَعِيشُ عَلَيْهَا الْعَاقِلُونَ مِنَ الْأَحْيَاءِ أَلَيْسَ هَذَا ضَالَّةُ كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَى الْأَرْضِ ؟

*
الدرة هيكل بناء الألم حول حبة رمل .

فما هو الحنين الذي بني أجسادنا وما هي الحبوب التي بُنيت حولها ؟

*

عندما رماني الله حصاة صغيرة في هذه البحيرة العجيبة أزعمت هدوءها
بأن أحذثت على سطحها دواير لا يُحصى عددها.
ولكتني عندما بلغت إلى أعماقها صرت هادئة مثلها.

*

أعطي الصمت أفتحم غمرات الليل.
قد ولدت ثانية عندما وقع جسدي بحب نفسي وتزوجا معاً.

*

عرفت في حياتي رجلاً حاد السمع ولكنه كان أبكم. فقد خسر لسانه في
معركة.

وأنا أعرف اليوم الحروب التي حاربها هذا الرجل قبل أن حل به قضاء
الصمت العظيم. ويُسرّني جداً أنه قد مات.

لأن العالم على سعته لا يكفي لنا معاً.

*

طويلاً نمت في أرض مصر صامتاً غافلاً عن الفصول.
ثم ولدتني الشمس، فوقفت ومشيت على حافتي النيل مترنماً مع الأيام
حالماً مع الليالي.

والآن تعمش الشمس عليَّ بآلف قدم لكي أنا نامية في أرض مصر.
ولكن هوذا الأعجوبة والاحمية.

فإن الشمس نفسها التي جمعتني لا تستطيع أن تفرقني.
لذلك ما برحت متتصباً أمشي بخطى ثابتة على حافتي النيل.

*

التذكار شكل من أشكال اللقاء.

*

النسيان شكل من أشكال الحرية.

*

نحن نقيس الزمان بمقتضى حركة الشموس التي لا تحصى وهم يقيسون
الزمان بآلات صغيرة يحملونها في جيوبهم.
فقل لي، رعاك الله، كيف يمكن أن نجتمع معاً في مكان واحد وفي
وقت واحد؟

ليس الفضاء فضاءً بين الأرض والشمس لمن ينظر إليه من نوافذ
المجرة . *

الإنسانية نهر من النور يسير من أودية الأزل إلى بحر الأبد . *

ألا تحسد الأرواح القاطنة في الأثير الإنسان على كابته؟ *

في طريقي إلى المدينة المقدسة لقيت حاجاً آخر، فسألته: أهذه حقيقة
الطريق إلى المدينة المقدسة؟

فأجابني: هلم ورائي تصل إلى المدينة المقدسة. في يوم وليلة.
فتبعته للحال. وسرنا أياماً وسرنا ليالي ولكننا لم نبلغ إلى المدينة
المقدسة .
وشدّ ما كانت دهشتي عظيمة إذ عرفت أنه غضب لأنه لم يسر بي في
الصراط المستقيم . *

اجعلني يا الله فريسة الأسد قبل أن تجعل الأرنب فريستي .

قال لي متزلي: لا تهجرني لأن ماضيك يقطن فيـ .

وقالت لي الطريق: هلم ورائي . فأنا مستقبلك .

أما أنا فأقول لمتزلي والطريق معاً: ليس لي ماضٍ ولا مستقبل . فإذا
أقمت هنا ففي إقامتي ذهاب ، وإذا ذهبت فهنا لك إقامة في ذهابي ، فإن المحبة
والموت وحدهما يغيّران كل شيء . *

كيف أخسر إيماني بعدل الحياة ، وأنا أعرف أن أحلام الذين ينامون على
الريش ليست أجمل من أحلام الذين ينامون على الأرض؟ *

ما أغربني عندما أشكو ألمًا فيه للذى ا

سبع مرات احتقرت نفسي :
أولاً - عندما رأيتها تتلبس بالضعة لتبلغ إلى الرفعة .

ثانياً - عندما رأيتها تقفز أمام المخلصين.

ثالثاً - عندما خيرت بين السهل والصعب فاختارت السهل.

رابعاً - عندما اقترفت إثماً ثم جاءت تعزي ذاتها بأن غيرها يقترف الإثم مثلها.

خامساً - عندما احتملت ما حلّ بها لضعفها. ولكنها نسبت صبرها للقوه.

سادساً - عندما احتقرت بشاعة وجه ما هو عند التحقيق سوى برقع من براعتها.

سابعاً - عندما أنشدت أغنية ثناء ومديح، وحسبتها فضيلة.

أنا لا أعرف الحقيقة المجردة، ولكنني أرکع متضعاً أمام جهلي، وفي هذا فخري وأجرى.

*

بين خيال الانسان وإدراكه مسافة لا يجتازها سوى حينته.

*

الفردوس قائم هناك، وراء ذلك الباب، في الغرفة المجاورة، ولكنني أضيعت مفتاح الباب.

ولعلني لم أضيع بل وضعته في غير موضعه.

* أنت أعمى، وأنا أصم أبكم، إذن ضع يدك بيدي فيدرك أحدهنا الآخر.

* ليست قيمة الانسان بما يبلغ إليه، بل بما يتوقف للبلوغ إليه.

* بعضنا كالحجر وبعضنا كالورق.

فلولا سواد بعضنا لكان البياض أصم.

ولولا بياض بعضنا لكان السواد أعمى.

*

اعطني أذناً أعطيك صوتاً.

العقل إسفنجية، والقلب جدول.

أفليس بالغريب أن أكثرنا يؤثرون الامتصاص على الانطلاق؟

*

إذا تقت إلى البركات التي لا تعرف لها اسماء،

وإذا حزنت وأنت لا تعرف سبباً لحزنك،

فأنت حينئذ تنمو بالحقيقة مع جميع الناميات، وترتفع متسامياً إلى ذاتك العظمى.

*

إذا سكر الانسان برأي حسب أضعف تعبير عنه خمرة طيبة.

أنتم تشربون الخمر لتسكرروا، وأنا أشربها لأصحو من خمرة غيرها.

إذ فرغت كأسى رضيت بفراغها، وإذا لم يكن فيها سوى نصفها اعترضت على نصف امتلاكها.

*
ليستحقيقةالانسان بما يظهره لك، بل بما لا يستطيع أن يظهره. لذلك إذا أردت أن تعرفه، فلا تصح إلى ما يقوله بل إلى ما لا يقوله.

*
نصف ما أقوله لك لامعني له. ولكتني أقول ليتم معنى النصف الآخر.
تعرف الفكاهة إذا عرفت اغتنام الفرص السانحة.

*
لمأشعر بألم الوحشة حين مدح الناس عيوبى الشراة وطعنوا في عيوبى
الخرساء.

*
عندما لا تجد الحياة مغنىً يتغنى بقلبها تلد فيلسوفاً يتكلم بعقلها.
يجب أن تعرف الحقيقة أبداً وتقولها بعض المرات.
ال حقيقي فيما صامت ولكن الاكتسابي ثرثار.

*
لا يستطيع صوت الحياة الذي في أن يصل إلى أذن الحياة التي فيك،
ولكن فلتتكلم على كل حال لثلا نشعر بوحشة الانفراد.

*
إذا تكلمت امرأتان فهما لا تعلنان شيئاً.
وإذا تكلمت امرأة واحدة فإنها تعلن الحياة كلها.
قد يكون للضفادع أصوات أعلى من أصوات البقر.

*
ولكن الضفادع لا تستطيع أن تجرب السكة في الحقل، ولا أن تدير دولاب

المعصرة، ولا يمكنك أن تصنع من جلودها أحذية.

*

لا يحسد الثرثار إلا الأصم.

*

إذا قال الشتاء: إن الربيع في قلبي، فمن ذا يصدق الشتاء؟

*

في كل بزرة حنين.

*

افتح عينيك جيداً وانظر. تجد صورتك في كل الصور.
وافتتح أذنيك جيداً وأصagne، تسمع صوتك في كل الأصوات.

*

يحتاج الحق إلى رجلين: الواحد لينطلق به والآخر ليفهمه.

*

مع أن أمواج الألفاظ تغمرنا أبداً، فإن عمقنا صامت أبداً.

*

كثير من المذاهب كزجاج النافذة، نرى الحقيقة من خلالها، ولكنها
تفصلنا عن الحقيقة.

*

هلم بنا نلعب لعبة «تخبا مليح» ونفترش بعضنا عن بعض، فإذا اختبأت في
قلبي فليس بالصعب علي أن أجده، ولكن إذا اختبأت وراء صدفتك فحيثند عيناً
يحاول الناس أن يهتدوا إليك.

*

تستطيع المرأة أن تقنع وجهها بابتسامة.

*

ما أنبى القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه عن أن ينشد أغنية مع القلوب
الفرحة.

ما أشبه الراغب في فهم المرأة أو تحليل العبرية أو حل سر الصمت

بذلك الرجل الذي يفيق من حلم جميل ليأكل طعام الصباح .

*

سأمشي مع جميع الماشين ، ولا ولن أقف بلا حراك لأرافق موكب العابرين بي .

*

أنت مدین لمن يخدمك بما هو أثمن من الذهب . فأعطيه من قلبك أو فاخدمه .

*

ألا إننا لم نعش عبنا . أفلم يبنوا الأبراج من عظامنا؟ .

*

تكثر التحقيق ولا تبالغ في التدقير . فإنّ فكر الشاعر وذنب العقرب يرجعان في مجدهما إلى الأرض الواحدة .

*

كل تنين يلد مار جرجس يقتله .

*

الأشجار أشعار تكتبها الأرض على السماء ، ونحن نقطعها ونصنع الورق منها لندون فيه فراغنا وببلادنا .

*

إذا وجدت في نفسك ميلاً للكتابة - ولا يعلم سرّ هذا الميل إلا القديسون - فلتكن فيك المعرفة والفنّ والسحر : معرفة موسيقى الألفاظ ، وفن البساطة والسداجة ، وسحر محبة قرائك .

*

يغمeson أقلامهم في دماء قلوبنا ثم يدعون الوحي والإلهام .

*

لو استطاعت الشجرة أن تدون ترجمة حياتها لما اختلفت ترجمتها عن تاريخ أية أمة من الأمم .

*

لو خُيِّرْتُ بين القوة على كتابة الشعر وما في الشعر غير المكتوب من

الهيام، لا اخترت الهيام فهو خير من الشعر.

ولكنك وجميع جيراني وعارفي والقون أبداً بجهلي، وبأني اختار
الرديء دون الصالح.

*
ليس الشعر رأياً تعبّر الألفاظ عنه، بل هو أنشودة تصاعد من جرح دام
أو فم باسم.

*
الألفاظ لا تقييد بقيود الزمان. فيجدر بك إذا تكلمت أو كتبت أن تضع
هذه الحقيقة نصب عينيك.

*
الشاعر ملك خلُع عن عرشه فجلس بين رماد قصره يعمل في صنع صورة
من الرماد.

إنما الشعر كثير من الفرح والآلم والدهشة مع قليل من القاموس.
عيثاً يحاول الشاعر أن يهتدي إلى أم أناشيد قلبه.

*
قلت مرة لشاعر: إننا لا نعرف قيمتك حتى تموت.
فأجاب قائلاً: أجل، إن الموت يسدل النقاب عن وجه الحقيقة أبداً.
وإذا كتمت بالحقيقة توذون أن تعرفوا قيمتي عن طريق الموت فما ذلك إلا لأن في
قلبي أكثر مما على لساني، وفي رغباتي أكثر مما في يدي.

*
إذا ترّنت ب أناشيد الجمال تجد من يصغي لإنشادك ولو كنت في قلب
الصحراء.

الشعر حكمة تسحر القلب.
والحكمة شعر يترّنّم ب أناشيد الفكر.
ولو استطعنا أن نسحر قلب الإنسان ونترّنّم في الوقت نفسه ب أناشيد
فكراه، لقدر إذ ذاك أن يعيش في ظلّ الله.

*
الوحى يشد أبداً، الوحى لا يفسر البتة.

*
كثيراً ما نغني لأولادنا لننام نحن أنفسنا.

جميع كلماتنا فتات يت撒قط عن مائدة الفكر .

*

التفكير عقبة دائمة في سبيل الشعر .

*

إنما المنشد العظيم ذلك الذي يترنم بأنشيد صمتنا .

*

كيف تستطيع أن تغني إذا كان فمك ممتلئاً طعاماً؟
وكيف ترتفع يدك بالبركة إذا كانت ممتلئة ذهباً؟

*

يقولون إن البلبل ينخر صدره بمنخر عندما يعني أغنية محبته .
ونحن جميعاً مثله . إذ بغیر هذا كيف تستطيع أن تغني؟

*

العقيرية أنسودة طائر في بدء ربيع متاخر .

*

إن الروح المجتححة نفسها لا تستطيع أن تتخلص من الحاجات الطبيعية .

*

المجنون موسيقي مثلك ومثلي ، ولكن الآلة التي يضرب عليها لا تخرج
الحانًا .

*

الأنسودة الكامنة في صمت قلب الأم تتردد على شفتي طفلها .

*

ليس في العالم شهوة لا تتحقق .

*

لم أتفق قط مع ذاتي الثانية كل الاتفاق . ويلوح لي أن سر القضية كائن
بيني وبينها .

*

إن ذاتك الثانية حزينة من أجلك أبداً. ولكن ذاتك الثانية تعيش وتنمو على الحزن. ولذلك فإن حزنها يؤول إلى فرح.
لا قتال بين النفس والجسد إلا في أفكار الذين نفوسهم هاجمة وأجسادهم خائنة.

*

إذا بلغت إلى قلب الحياة تجد الجمال في كل شيء، حتى في العيون المتعامية عن الجمال.
الجمال ضالتنا المنشودة في حياتنا كلها، وكل ما سوى ذلك أشكال من الانتظار.

*

ابذر بذرة تنبت لك الأرض زهرة، انشُذ أحلامك في السماء تعطِّيك السماء من تحبها نفسك.

*

مات الشيطان يوم ميلادك.
فليس عليك الآن أن تجتاز الجحيم لكي تجد ملائكة.

*

ما أكثر النساء اللواتي يستعرن قلب الرجل!
ولكن ما أقل اللواتي يستطيعن الاحتفاظ به!
إذا شئت أن تملك شيئاً فلا تدعه لنفسك.

عندما يلمس الرجل بيده يد امرأة، يلمس كلامها قلب الأبدية:
المحبة قناع بين محب ومحب.
كل رجل يحب امرأتين: واحدة يخلقها خياله، والثانية لم تولد بعد.
الرجل الذي لا يغتر للمرأة هفواتها الصغيرة لن يتمتع بفضائلها الكبيرة.
الحب الذي لا يتجدد في كل يوم وليلة يتحول إلى شكل من قوة الاستمرار وهذه في وقتها لا تثبت أن تقلب عبودية.



«المتحابان في النشوة الروحية»

يعانق المحبان ما بينهما أكثر مما يعانق أحدهما الآخر.
المحبة والشك لا يجتمعان.

المحبة كلمة من نور، كتبتها يد من نور، على صحفة من نور.

*

الصداقة مسؤولية لذيذة أبداً وليس الصداقة فرصة للتفعين.
إذا كنت لا تفهم صديقك في جميع الظروف فأنت لا ولن تفهمه.

*

إن أجمل أثوابك قد تُسْجَن في نول ذاتك الأخرى.
وأطيب ما كلّك تتناولها على مائدة ذاتك الأخرى.
وأفضل سرير لراحتك هو في بيت ذاتك الأخرى.
فقل لي بربك كيف تستطيع أن تفصل نفسك عن ذاتك الأخرى؟.

لن يتافق فكرك وقلبي حتى ينقطع فكرك عن أن يعيش بالأرقام ويقف
قلبي عن الحياة بالضباب.

*

لن نفهم بعضنا بعضاً حتى نتحول اللغة إلى سبع كلمات.
كيف تُفْضِّل اختتام قلبي إذا لم ينسحق؟.

*

لا يظهر الحق الذي فيك إلا الألم العظيم أو الفرح العظيم.

فإذا شئت أن تعلن حقيقة ذاتك وجب عليك إما أن ترقص عارياً في
الشمس أو أن تحمل صليبيك.

*

لو أضفت الطبيعة إلى مواعظنا في القناعة لما جرى فيها نهر إلى البحر
ولما تحول شتاً إلى ربيع.

ولو أضفت إلى كل نصائحنا في وجوب الاقتصاد، فكم كان يبنتا الذين
يتتشقون هذا الهواء؟

*

إتك لا ترى، سوى ظلك وأنت تدير ظهرك للشمس.

*

أنت حر أمام شمس النهار.
وأنت حر أمام قمر الليل وكواكب.
وأنت حر حيث لا شمس ولا قمر ولا كواكب.
بل أنت حر عندما تغمض عينيك عن الكيان بكليته.
ولكن أنت عبد لمن تحب لأنك تحبه.
وأنت عبد لمن يحيك لأنه يحبك.

*

جميعنا متسولون نقف على بواة الهيكل، وكل منا ينال قسطه من عطية
الملك وهو يدخل إلى الهيكل ويخرج منه.
ولكتنا جميعاً نحسد بعضنا بعضاً، فنظهر بهذا تصفيينا للملك.

*

إنك لا تستطيع أن تأكل أكثر من حاجتك. فإن نصف الرغيف الذي لا
تأكله يخص الشخص الآخر، ويجب أن تحفظ غيره قليلاً من الخبز لضيف
ربما يمر بك على بقعة.

*

لولا الضيوف ل كانت البيوت قبوراً.

قال ذئب مضياف لحمل مسكين: هل تريد أن تشرف متزلاً بزيارة؟
فأجابه الحمل: كم كان فخري بزيارتكم عظيماً لو لم يكن متزلاً في معدتك.
أوقفت ضيفي على عتبة بابي وقلت له: بربك لا تمسح قدميك وأنت
تدخل، بل امسحهما وأنت تخرج.

ليس السخاء بأن تعطيني ما أنا في حاجة إليه أكثر منك، يمل السخاء بأن تعطيني ما تحتاج إليه أكثر مني.

أنت رحوم إذا أعطيت، ولكن لا تنسَ وانت تعطي أن تدير وجهك عن تعطيه لكي لا ترى حياءه عارياً أمام عينيك.

*

الفرق بين أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء يوم جوع وساعة عطش.

*

نستدين في الغالب من غدنا لكي ندفع ديون أمسنا.

*

كثيراً ما تزورني الملائكة والشياطين، ولكثتي أتخلص منهم. فإذا كان الزائر ملاكاً فإني أصللي صلاة قديمة فيملها ويترك متزلي. وإذا كان شيطاناً فإني أرتكب أمامه خطيئة قديمة فيمر بي مجتازاً.

ليس هذا بالسجن الرديء على كل حال، ولكثني لا أحب هذا الجدار الذي يفصلني عن السجين في الغرفة الثانية.

على أنني أؤكد لك أنني لا أريد أن أقرب من السجان ولا من الذي بني السجن.

*

إن الذين يعطونك حية وأنت تسألهم سمكة ر بما ليس لديهم ما يعطونه غير الحياة. ولذلك يحسب عملهم أرياحية وسخاء.

ينجح الخداع حيناً، ولكنه يسير أبداً إلى الانتحار.

أنت بالحقيقة صفح غفور: إذا كنت تصفح عن القتلة الذين لم يسفروا دمأ، وللصوص الذين لم يسرقوا، والمنافقين الذين لم يكذبوا.

إن الذي يستطيع أن يضع إصبعه على الخط الفاصل بين الخير والشر يستطيع بالحقيقة أن يلامس هدب ثوب الله.

إذا كان قلبك بركاناً فكيف تتوقع أن تزهو الأزهار في يديك؟.

أليس غريباً أتنى كثيراً ما أحب أن يخدعني الناس ويغشوني لكي أضحك
على حساب الذين يفكرون أتنى لا أعرف أنهم يخدعونني؟ .

ماذا أقول في المطارد الذي يمثل دور المطارد؟ .
أعط ثوبك لمن يمسح يديه الوسختين به ، لأنّه ربما يحتاج إليه ، أما أنت
فلا تحتاج إليه .

*

يا للأسف الشديد كيف أن الصيرفي لا يستطيع أن يكون بستانياً!

*

بريك لا تنطف هفواتك الأصلية بفضائلك الاكتسافية ، فأنا أتمسك بهفوaticي
الصغيرة فهي ملك خاص بي .

كم من مرة عزوت لنفسي جرائم لم أرتكبها قط لثلا أظهر أرفع من
يجالستني من المجرمين .

*

إن براقع الحياة نفسها هي براقع لسر أعمق من الحياة .

*

تستطيع أن تدين الآخرين بحسب معرفتك لذاتك .

فهل لك أن تقول لي من هو المجرم بيننا ومن هو البريء؟ .

إن البار بالحقيقة هو ذلك الذي يشعر بأنه سبب لنصف الجرم الذي
أجرمه أنت .

*

لا يكسر الشرائع البشرية إلا اثنان: المجنون والعقري ، وهمما أقرب
الناس إلى قلب الله .

مطاردة بعض وهبت قدمي السرعة .

ليس لي أعداء يا رب، ولكن إذا كان لا بد من وجود عدو لي، فاجعل
يا رب قوته مضارعة لقوتي، لكي لا تكون الغلبة إلا للحق.
ستكون على ولاء تام مع عدوك بعد موتكما.
كثيراً ما ينتحر الإنسان في الدفاع عن نفسه.

عاش في قديم الزمان رجل صلب الناس لأنّه كان يحبّ كثيراً وكان يحبه
الناس كثيراً.

ولعلك تدهش إذ اخبرك أنني رأيته ثلاث مرات في الأمس القريب.
ففي المرة الأولى رأيته يسأل الشرطي أن لا يأخذ زانية إلى السجن؛ وفي المرة
الثانية رأيته يشرب الخمر مع أحد السكيرين؛ وفي المرة الثالثة رأيته يصارع
رجالاً أراد أن يتخد الكنيسة وسيلة للإعلان والتذيع.

*
إذا كان كل ما يقولونه في الخير والشر حقيقياً فإن حياتي كلها سلسلة من
الجرائم.

ليست الرحمة سوى نصف العدالة.

ما ظلمني إلا الذي ظلمت أخيه.
إذا رأيت رجلاً يقاد إلى السجن فقل في قلبك: لعله يهرب من سجن
أضيق وأظلم من السجن الذي يسير إليه.

*
وإذا رأيت سكيراً فقل في قلبك: من يدرى إذا كان هذا الرجل لم يسكر
لكي يتخلص مما هو شر من السكر؟.

*
كثيراً ما حملني الدفاع عن النفس إلى البغض، ولكن لو كنت أوفر قوة
لما لجأت إلى مثل هذه الوسيلة.

ما أبلد من يرقد نظرات البغض في عينيه بخرق ابتسامة في شفتيه!
لا يحسدنني ولا يبغضنني إلا الذين دوني.

ولكن لم يحسدني ولم يبغضني أحدٌ قط ، فأنا إذن لست فوق أحد.
ولا يمدحني ولا يصغرني إلا الذين فوقي .
ولكن لم يمدحني ولم يصغرني أحدٌ قط ، فأنا إذن لست فوق أحد.

*

قولك إنك لا تفهمني مدحِّي لا أستحقه أنا وإهانة لا تستحقها أنت.

*

ما أحقرني عندما تعطيني الحياة ذهباً فأعطيك فضة ثم أحسبني سخياً .

*

عندما تبلغ إلى قلب الحياة تجد أنك لست أرفع من المجرمين ولا أدنى من الأنبياء .

*

غريب أنك تقصير شفقتك على بطيء القدمين دون بطيء الفكر ، وأعمى العينين دون أعمى القلب .

*

تضيي الحكمة على الأعرج ألا يكسر عكاذه على رأس عدوه.

*

ما أعمى الذي يعطيك من جيشه ليأخذ من قلبك ! .

*

الحياة موكب عظيم ، ينظر إليه بطيء الخطى فيحسبه سريعاً جداً ولذلك يهرب منه ، وينظر إليه سريع الخطى فيحسبه بطيناً ويهرب منه .

*

إذا كان لا بد من وجود الخطيئة فإن فريقاً منا يرتكبونها بالتفاهم إلى الوراء لاقتفاء خطوات آبائنا وجدوتنا .

ويقتربها الفريق الآخر بتحدياتهم إلى الأمم للمبالغة في السيادة على
أبنائنا.

*

الصالح الصالح هو ذلك الذي لا يفصل ذاته عن جميع الذين يحسبهم
العالم أشراراً.

*

جمعينا سجناء ولكن بعضنا في سجون ذات نوافذ وبعضنا في سجون
بدون نوافذ.

*

عجب غريب أننا ندافع عن خططانا بأكثر قوة مما ندافع عن صوابنا.
لو اعترفنا بعضنا البعض بخططيانا لضحكنا جمعينا بعضنا على بعض لشدة
فقرنا إلى الابتكار.

ولو أظهرنا جمعينا فضائلنا بعضنا البعض لأغرتنا في الضحك للسبب
عينه.

*

يظل الفرد فوق الشرائع البشرية حتى يقترف إثماً ضد المجتمع البشري
وبعد ذلك لا يكون فوق أحد ولا دون أحد.

*

الحكومة اتفاق بينك وبيني. وأنت وأنا في الغالب على ضلال.

*

الجريمة اسم من أسماء الحاجة أو مظهر من مظاهر المرض.

*

هل هنالك خطأً أعظم من الشعور بخطأ الآخرين؟

*

إذا ضحك أمرؤ منك تستطيع أن تشفق عليه، ولكن إذا ضحكت عليه
فربما لم تستطع أن تصفح عن نفسك.

وإذا أساء أمرؤ إليك فأنت تقدر أن تنسى الإساءة، ولكن إذا أساءت إليه
فأنت ذاكرة إساءتك أبداً.

لذلك ثق بأن هذا الشخص الثاني هو ذاتك الأكثر إحساساً ولكن في
جسم غير جسده.

*

ما أحمقك وأنت تطلب من الناس أن يطيروا بجناحيك ولكنك لا تقدر
أن تعطيهم ريشة!

*

جلس رجل مرة إلى مائدةي فأكل خبزياً وشرب خمرني وذهب ضاحكاً
متئي.

ثم جاءني بعدهد يطلب خبزاً وخمراً، فرددته خائباً فضحك الملاكـة
منـي.

*

البغض جنة راقدة فمن منكم يريد أن يكون قبراً؟

*

حسب القتيل فخرأً أنه ليس بالقاتل.

*

منبر الإنسانية قلبها الصامت لا عقلها الثثار.

*

يحسبونني مجنوناً لأنني لا أبيع أيامي بدنانيرهم.
وأحسبهم مجانيين لأنهم يظنون أن أيامي تباع بالدنانير.
يسطروز أمامنا ثروتهم من الذهب والفضة، ونبسط أمامهم القلب
والآرواح، ومع ذلك يحسبون نفوسهم المضييفين ويحسبوننا الأضياف.
أحب أن أكون الأصغر بين ذوي الأحلام، الراغبين في تحقيق أحلامهم،
ولا أكون الأعظم بين من لا أحلام ولا رغبات لهم.

أدعى الناس إلى الشفقة ذلك الذي يحول أحلامه إلى الفضة والذهب.
جميعنا نتسلق المرتفعات إلى قمة رغبات قلوبنا. فإذا سرق المتسلق إلى
جانبك جرابك وكيسك فسمن بالأول وازاد ثقله بالثاني، فخلده بحلمك وأشفق
عليه: لأن السمن يجعل الصعود صعباً عليه، والقليل الذي أضافه إلى أحماله
يطيل الطريق أمامه.

فإذا رأيته وأنت في نحافتك وهزلك، بطيناً رازحاً تحت حمله، فلا
تأخر عن مساعدته، لأن ذلك يزيد في سرعتك.

*

لا تستطيع أن تحكم على رجل بأكثر مما تعرف عنه، وما أحرر
معرفتك ا.

*

لا أحب أن أصغي إلى غاز يعظ الدين فتح بلادهم.

*

الحر الحقيقي هو الذي يحمل أثقال العبد المقيد بصبر وشكر.

*

منذ ألف سنة قال لي جاري: إنني أكره الحياة لأنه ليس فيها سوى
الالم.

وقد مررت في الأمس بالمقبرة فرأيت الحياة ترقص على قبره.

*

ليس الجهاد في الطبيعة سوى شوق عدم النظام إلى النظام.

*
الوحدة عاصفة صماء تحطم جميع الأغصان اليابسة في شجرة حياتنا،
ولكنها تزيد جذورنا الحية ثباتاً في القلب الحي للأرض الحية.

*
حدثت مستنقعة عن البحر فحسبتني خيالياً يبالغ، وحدثت البحر عن
المستنقعة فظننتني مفترياً يهجو.

*
ما أضيق عيش من يؤثر اجتهاد التمل على إنشاد الجنادب!

*
أسمى الفضائل في هذا العالم ربما تكون أدناها في العالم الثاني.

*
العميق والعلمي ينزلان إلى الأعماق أو يصعدان إلى الأعلى ولا يتحرك
في الدوائر إلا القسيح الرحيب.

*
لولا مقاييسنا وأوزاننا المحدودة لتهبنا أمام الحباب مثلما نتهب أمام
الشموس.

*
العالم بدون خيال جزار تعطلت سكاكينه وموازينه.
ولكن ماذا نعمل ونحن لا نستطيع أن تكون نباتتين بأجمعننا؟
إذا غنيت للجائع سمعك بمعده.

*
ليس الموت بأقرب إلى الشيخ منه إلى الطفل الرضيع، والحياة
كالموت.

إذا كنت ت يريد أن تكون مخلصاً فكن مخلصاً بجمال، وإنما فاضمْتُ، لأن
في جوارنا رجلاً يختضر.

*

من يدري إذا لم تكن الجنازة بين الناس عرساً بين الملائكة؟.

*

تستطيع الحقيقة المنسية أن تموت وترثك في وصيتها سبعة آلاف حقيقة
لتتفق في جنازتها وبناء قبرها.

*

نحن نتكلّم لنخاطب ذواتنا فقط، ولكن كثيراً ما نرفع أصواتنا أكثر مما
ينبغي فيسمعنا الآخرون.

*

الواضح هو ذلك الذي لا يراه أحدٌ حتى تعبّر عنه بملء البساطة.

*

لو لم تكن المجرة في أعماقي فكيف كان يمكن أن أراها أو أعرفها؟.

*

إذا لم أصر طبيباً بين الأطباء فلا يصدقون أنني منجم.

*

ليس اللؤلؤ سوى رأي البحر في الصدف.

وليس الماس سوى رأي الزمن في الفحم.

*

الشهرة شبح الهرى الواقع في النور.

الجذر زهرة تحتقر الشهرة.

*

لا دين ولا علم بدون الجمال.

*

لم أعرف رجلاً عظيماً لم يكن في الأساس الذي وضع عليه صرح عظمته بعض الأشياء الصغيرة، وهذه الصغيرات بعينها هي التي حالت بين جميع العظاماء وبين الخمول والجنون والانتحار.

*

إنما الرجل العظيم ذلك الذي لا يسود ولا يsad.

*

لم يعمل البشر إلا بمقتضى قول القائل: «خير الأمور الوسط» ولذلك نراهم يقتلون المجرمين والأنبياء.

*

المتساهل مريض بحب داء الادعاء.

*

ربما كان عدم الاتفاق أقصر مسافة بين فكرين.

*

أنا اللهيب وأنا الهشيم اليابس وببعضي يأكل بعضي. فهلا حلت وجهك عني لكي لا يعميك دخاني.

*

جميعنا نسعى إلى قمة الجبل المقدس، أفلا تكون طريقنا إذا اعتبرنا

الماضي خريطة أقصر مما إذا اتخذناه دليلاً .

*

لا تكون الحكمة حكمة إذا ترقيت عن البكاء، وتكبرت عن الفبحك،
وتلهّت بنفسها فلم تنشد نفس غيرها.

*

إذا اكتفيت بكل ما تعرفه أنت فأين أضعُ الذي لا تعرفه؟ .

*

قد تعلمت الصمت من الشّرار، والتساهل من المتعصب، واللطف من
الغليظ، والأغرب من كل هذا أنّي لا أعترف بجميل هؤلاء المعلمين.

*

المتعصب بالدين خطيبٌ بالغ الصمم.

*

سکوت الحسود كثير الضوابط.

*

إذا بلغت إلى غاية ما يجب أن تعرِفَة، فأنت على عتبة ما يجب أن تشعر
به.

*

المبالغة حقيقة لا تملك طباعها.

*

إذا كنت لا ترى إلّا ما يظهره النور ولا تسمع إلّا ما تعلنه الأصوات،
فأنت بالحقيقة لا ترى ولا تسمع.

*

الحقيقة لا تتجزأ.

*

لا تستطيع أن تضحك وتكون قاسيًا في وقت واحد.

*

أقرب الناس إلى قلبي ملك لا مملكة له وفقير لا يعرف كيف يتسلل.

*

الفشل في حياته خير من النجاح في ادعائه.

*

احفر أين شئت في الأرض تجد كنزاً، ولكن عليك أن تحفر بإيمان الفلاح.

*

قال ثعلب يطارده عشرون صياداً على خيولهم المطهمة وأمام كل صياد كلبه النبيه: سيقتلوني ولا شك. ولكن ما أحمقهم وما أبلدهم! فإنني لا أعتقد أن عشرين ثعلباً تحققوا إلى درجة أنها تركب عشرين حماراً وتصحب معها عشرين ذئباً لتفترس. رجلاً واحداً.

*

فكر الإنسان دون روحه، يخضع للشرائع التي يستتها الإنسان.

*

إنني سائح وملائحة في وقت واحد وفي كل صباح أكتشف قارة جديدة في نفسي.

*

قالت امرأة: كيف لا تكون الحرب مقدسة وقد مات فيها ابنى؟ .

*

قلت مرة للحياة: أود لو أسمع الموت متكلماً.
فرفعت الحياة صوتها قليلاً وقالت لي: إنك تسمعه الآن.

*

إذا فرغت من حل جميع أسرار الحياة تتوقف إلى الموت لأنّه سرّ من
أسرار الحياة.

*

الولادة والموت مظهران من أنبل مظاهر الشجاعة.

*

يا صاحبي، إتنى سأظلّ وإياك غريبين عن الحياة.
غريبين أحدهنا عن الآخر، وكل عن نفسه.
إلى اليوم الذي تتكلم فيه فأصغي إليك حاسباً صوتك صوتي، وأقف
 أمامك كأنني أقف أمام مرآة.

*

يقولون لي: لو عرفت نفسك لعرفت جميع الناس.

*

فأقول لهم: لن أعرف نفسي حتى أعرف جميع الناس.

*

أنت اثنان: واحد متيقظ في الظلمة والثاني غافل في النور.

*

الناسك الحق هو ذلك الذي يهجر عالم الذرّات ويتمتّع بعالم الكليات
غير المتجزّئة.

بين العالم والشاعر مرجح أخضر، فإذا اجتازه العالم صار حكيمًا، وإذا
اجتازه الشاعر صار نبياً.

1

رأيت في مساء الأمس فلاسفة. يحملون رؤوسهم في سلال ويطوفون في ساحات المدينة وهم ينادون بأعلى الصوت: الحكماء! الحكماء للبيع! . مساكين الفلاسفة! فهم يبيعون رؤوسهم ليطعموا قلوبهم.

2

قال فيلسوف لكتاب الشوارع: إنني أشفق عليك لأن عملك امضيتك قدر.
فأجاب كتاب الشوارع وقال: أشكرك يا سيدي، ولكن قل لي ما هو
عملك؟
فأجاب الفيلسوف متباجحاً: إنني أدرس أخلاق الناس وطبعاتهم وأبحث
في أعمالهم ومنازعهم.

فضيحة كناس الشوارع وسار في عمله قائلاً للفيلسوف: يا مسكيين! يا مسكيين!

1

ليس من يصغي للحق بأصغر من ينطق بالحق.

ما من رجل يستطيع أن يفصل بين الضروري وغير الضروري من الحاجات، لأن هذا العمل من ميزات الملائكة، والملائكة حكماء أذكياء.

ومن يدرى إذا لم تكن الملائكة أفكارنا الفضلى في الفضاء؟ .

*

إنما الأمير كل الأمير ذلك الذي يجد عرشه في قلوب الدراوיש .

*

الجود أن تعطي أكثر مما تستطيع، والإباء أن تأخذ أقل مما تحتاج إليه.

*

لست مديناً بشيء للإنسان عند التحقيق، ولكنك مدین بكل شيء لجميع الناس .

*

جميع الذين عاشوا في الماضي يعيشون معنا اليوم، فهل بيتنا من لا يريد أن يكون مضيافاً؟

*

كثير الرغبات طويل الحياة.

*

يقولون لي: عصفور في اليد ولا عشرة على الشجر.

أما أنا فأقول لهم: إن عصفوراً واحداً على الشجر خير من عشرة في اليد.

*

في الوجود عنصران لا ثالث لهما، وهما الجمال والحق. الجمال في قلوب المعجبين، والحق في سواعد الذين يحرثون الأرض.

*

الجمال العظيم يأسري، ولكن الجمال الأعظم يحررني من أسر ذاته.

*

يشرق الجمال أكثر لمعاناً في قلب المشتاق إليه مما في عيني الذي يراه.

*

إنني أعجب بالرجل الذي يظهر لي فكره، وأمجد الرجل الذي يحسن
القناع عن أحلامه، ولكن لماذا أنا خجول حبي أمام الذي يخدمني؟ .

*

كان الموهوب في الماضي يفاخر بخدمة الملوك.
أما اليوم فإنه يدعى خدمة المساكين.

*

تعرف الملائكة أن كثيرين من الرجال العاملين يأكلون خبزهم بعرق
جبهة الخيالي الكثير الأحلام.

*

الذكاء في الغالب قناع إذا قدرت على تمزيقه رأيت إما عقرية ثائرة أو
حذافة ماكرة.

*

الفهيم ينسب إلى الفهم والبليد ينسبني إلى البلادة. ويلوح لي أنهما
كلاهما مصييان.

*

لا يدرك أسرار قلوبنا إلا من امتلأت قلوبهم بالأسرار.

*

إن الذي يشاركك في ملذاتك دون آلامك سيخسر المفتاح لواحدة من
سبع بوابات في الجنة.

*

أجل، إن النيرفانا^(١) موجودة، وهي تقوم بقيادة خرافك إلى المراعي
الخضراء، ووضع طفلك في سرير لينام، وكتابة السطر الأخير من قصيتك.

*

نختار أفراحتنا وأحزاننا قبل أن تختبرها بزمن طويل.

*

الكتابة جدار بين (بستانين).

*

إذا تعاظم حزنك أو فرحك صغُرت الدنيا في عينيك.

*

الرغبة نصف الحياة، أما عدم الاكتثار فنصف الموت.

*

أمر ما في أحزان يومنا ذكرى أفراح أمسنا.

*

يقولون لي: يجب أن تختار بين ملذات هذا العالم وسلام العالم الثاني.
فأقول لهم: قد اخترت أفراح هذا العالم وسلام العالم الثاني معاً. فلأنني

(١) النيرفانا في اعتقاد البوذيين انقطاع الوجود الشخصي وبلغ النفس إلى وحدة الكمال العامة.

أعرف في قلبي أن الشاعر الأعظم لم يكتب سوى قصيدة واحدة، وهي تامة الوزن تامة القوافي.

*

الإيمان واحده مخضله الجوانب في صحراء القلب لا تبلغ إليها قوافل الفكر.

*

إذا بلغت إلى ملء رفعتك فأنت لا ترغب إلا في الرغبة، ولا تجوع إلا للجوع، ولا تعطش إلا للعطش الأعظم.

*

إذا بحث بأسرارك للريح فلا تلم الريح إذا باحت بها للأشجار.

*

إن أزهار الربيع هي أحلام الشتاء تقرّب على مائدة الملائكة عند الصباح.

*

السلاحف أكثر خبرة بالطرق من الأرانب.

*

أليس من الغريب أن المخلوقات التي بدون سلسلة فقرية تعيش في أصداف آمن من ذوات الفقرات؟.

*

أكثر الناس كلاماً أقلهم ذكاء، وبين الخطيب والدلائل بون شاسع.

*

كن شكوراً لأنك لست مرغماً على الحياة بصيتك أبيك أو مال عمك.
ولكن كن شكوراً أكثر من هذا إذا لم يكن لك من يعيش بصيتك أو
بشرتك.

*

إذا أخطأ المشعوذ في القبض على كرته جاءني مستغثياً مسترحاً.

*

يمدحني الحسود وهو لا يعلم.

*

كنت حلماً في نوم أمك العميق زمناً طويلاً، وعندما أفاقت من نومها
ولدتك.

*

إن خميرة الجنس كائنة في حنين أمك.

*

شاق أبي وأمي ولد فولداي. وشاقني أن يكون لي أب وأم فولدت البحر
والليل.

*

بعض أبنائنا كالاعذار وبعضهم كالذنب.

*

إذا جاء الليل وكنت مظلماً مثله، فاذهب إلى فراشك وكن مظلماً
باختيارك.

وإذا جاء الصباح وأنت لا تزال مظلماً فانهض وقل للنهار ببارادتك
ال الكاملة: إنني ما بربحت مظلماً.

فإن من البلادة أن تقف في وجه الليل والنهار، فهما يضحكان منك لو قلت.

*

ليس الجبل المقطوع بالصباب تلة، وليس السنديانة تحت المطر بالصفصافة الباكية.

*

إليك هذه الأحجية: إن العميق أو العالي هما أقرب أحدهما إلى الآخر من المتوسط لأحدهما.

*

عندما وقفت أمامك مرأة ندية، تأملت في ملياً فرأيت صورتك.
ثم قلت لي: إتنى أحبك.
ولكنك بالحقيقة أحببت ذاتك فيَّ.

*

إذا تلذذت بمحبة قريبك زالت فضيلتك من محبتك.

*

المحبة التي لا تنبع في كل يوم، تموت في كل يوم.

*

لا تستطيع أن تمتلك الشباب ومعرفة الشباب في الوقت الواحد.

لأن الشباب تلهيه المعيشة عن المعرفة، والمعرفة يلهيها البحث عن ذاتها عن المعيشة.

*

قد تنظر من نافذة منزلك فترى بين عابري الطريق راهبة تسير إلى يمينك
ومومساً تسير إلى يسارك.

وفي سذاجتك وطهارة قلبك تقول لذاتك: ما أنبأ هذه وما أصبح تلك!
ولكنك لو أغمضت عينيك وأصغيت هنئها لسمعت صوتاً يتعدد في الأثير
قائلاً بسانك: إن الواحدة تنشدني بالصلة والثانية بالألم، وفي روح كل منهما
مظلة لروحي.

*

مرة في كل مائة سنة يلتقي يسوع الناصري بيسوع الناصري في حديقة بين
جبال لبنان، فيتحادثان طويلاً، وفي كل مرة ينصرف يسوع الناصري وهو يقول
ليسوع الناصري: أخشي يا صاحبي أننا لن نتفق أبداً أبداً.

*

لি�شيع الرب المُتَّخِمين!

*

للرجل العظيم قلبان: قلب يتالم وقلب يتأمل.

*

إذا كذب الإنسان كذبة لا تؤذيك ولا تؤذي أحداً سواك فلماذا لا تقول
في قلبك: إن بيت حقائقه لا يسع خياله ولذلك يتركه إلى فضاء أرحب؟.

*

وراء كل باب موصد سرّ مختوم بسبعة أختام.

*

الانتظار سنابك الزمن.

ما زلنا نحن نهمنا إذا كان الهم نافذة جديدة في الجدار الشرقي لبيتك؟

*

قد تنسى الذي ضحكك معه، ولكنك لن تنسى الذي بكى معه.

*

لا شك أن في الملح قوة مقدسة عجيبة. فهو كائن في دموعنا وفي البحر.

*

إن إلهنا في عطشه المبارك سيشربنا جميعاً: قطرة الندى والدموع معاً.

*

ما أنت إلا ذرة من ذاتك الجباره: فمُّ ينشد خبزاً، ويد عميماء تمسك قدحاً لفم عطشان.

*

إذا ارتفعت عن التعصب لجنسك أو بلادك أو ذاتك ذراعاً واحدة صرت بالحقيقة مثل ربك.

*

لو كنت في موضعك لما أتحيت باللائمة على البحر في وقت الجزر.

*

السفينة جيدة والربان ماهر، ولكن التشویش في معدتك أنت.

*

إن ما نتوق إليه ونعجز عن الحصول عليه أحب إلى قلوبنا مما قد حصلنا عليه.

*

لو جلست على السحابة لما رأيت الحد الفاصل بين بلاد وبلاد ولا
الحجر الفاصل بين حقل وحقل.

ولكن يا للأسف إنك لا تستطيع أن تجلس على السحابة!

*

من سبعة قرون طارت سبع حمامات بيضاء من وادي عميق وحلقت فاصلة
قنة جبل عالي تغطيه الثلوج. فقال أحد الرجال السبعة الذين كانوا يرافقون
الطيران: إتنى أرى نقطة سوداء على جناح الحمامـة السابعة.

والـيـوم يـتـحدـثـ النـاسـ فـيـ ذـلـكـ الـوـادـيـ بـسـبـعـ حـمـامـاتـ سـوـدـاءـ طـارـتـ فـيـ
قـدـيمـ الزـمـانـ إـلـىـ قـنـةـ الجـبـلـ المـغـطـاةـ بـالـثـلـوجـ.

*

جمعت كل أحزاني في الخريف ودفتها في بستانـيـ.

وعندما رجـعـ نـيـسانـ وـجـاءـ الصـيفـ ليـتـزـوـجـ الـأـرـضـ،ـ نـبـتـ فـيـ بـسـتـانـيـ أـزـهـارـ
بـالـغـةـ الـجـمـالـ تـخـتـلـفـ عـنـ جـمـيعـ الـأـزـهـارـ الـأـخـرـىـ.

فـجـاءـ جـيـرـانـيـ لـكـيـ يـنـظـرـواـ أـزـهـارـ بـسـتـانـيـ،ـ وـقـالـواـ لـيـ جـمـيعـهـمـ:ـ إـذـاـ جـاءـ
الـخـرـيفـ وـجـاءـ مـعـهـ وـقـتـ الـبـذـارـ أـفـلاـ تـعـطـيـنـاـ مـنـ بـذـارـ هـذـهـ الـأـزـهـارـ لـكـيـ نـزـرـعـهـاـ
فـيـ بـسـاتـينـنـاـ؟ـ.

*

الـتـعـاسـةـ فـيـ أـمـدـ يـدـيـ فـارـغـةـ لـلـنـاسـ فـلاـ يـضـعـ فـيـهاـ أـحـدـ شـيـئـاـ،ـ أـمـاـ
الـقـنـوطـ فـيـ أـمـدـهـ مـلـأـنـةـ فـلاـ يـأـخـذـ النـاسـ مـنـهـ شـيـئـاـ.

*

أتوه إلى الأبدية لأنني سأجتمع فيها بقصائدي غير المنظومة، وصوري
غير المرسومة.

*

الفن خطوة تخطوها الطبيعة نحو الأبدية.

*

عمل الفن ضباب مسكوب في صورة.

*

إن الأيدي التي تصنع أكاليل الشوك هي أفضل من الأيدي الكسولة.

*

إن أقدس دموعنا لما تعرف الطريق إلى مآقينا.

*

كل إنسان هو ابن لكل ملك ولكل عبد عاش قبله في العالم.

*

لو أنّ جدّ يسوع عرف ما كان مسترًا فيه ألمًا كان يقف وقفه الخشية
والخشوع أمام نفسه؟.

*

هل كانت محبة أمّ يهودا لابنها أقلّ من محبة مريم ليسوع؟.

*

لأخينا يسوع ثلاث عجائب لم تُكتب بعد في الكتاب: الأولى أنه كان
إنساناً مثلّي ومثلك. والثانية أنه كان ذا كياسة وظرف. والثالثة معرفته أنه
غالب مع أنه غلب.

أيها المصلوب، إنك مصلوب على قلبي، والمسامير التي ثقبت يديك
تخترق جدران قلبي.

وغداً عندما يمرّ غريب بهذه الجلجلة لن يظنّ أن دم اثنين نازف هنا، بل
يظنه دم واحد فقط.

*

لعلك سمعت بالجبل المبارك، فهو أعلى جبل في العالم.
فلو بلغت قمته لم يكن لك سوى أمنية واحدة وهي أن تهبط نازلاً وتقيم
مع النازلين في أعمق وادٍ.
ولذلك دُعي الجبل المبارك.

*

كلّ فكر حبسته عن الظهور بالكلام يجب أن أطلقه بالأعمال.

يسوع ابن الإنسان

تعريب
الارشمندريت انطونيوس بشير

يعقوب بن زبدي

ممالك العالم

في يوم من أيام الربيع وقف يسوع في ساحة المدينة في أورشليم وشرع يخاطب الجموع عن ملوكوت السماء.

فأتم الكتبة والفريسين بإقامتهم فخاناً وحفرهم حفراً في طريق الراغبين في الملوكوت، موبخاً وزاجراً.

وكان بين الجموع رجال يدافعون عن الفريسيين والكتبة، ففكروا في أن يقبحوا على يسوع علينا جميعاً.

ولكنه تجنبهم وأعرض عنهم سائراً إلى البوابة الشمالية للمدينة.

وهناك نظر إلينا وقال: لم تأتِ ساعتي بعد، إن هنالك كثيراً سأقوله لكم وكثيراً سأفعله بينكم قبل أن أسلم نفسي للعالم.

ثم قال وفي صوته رنة الفرح والضحك: هلم بنا إلى الشمال لنلاقي الربيع، تعالوا معي إلى التلال، لأن الشتاء قد ولّى ونلوج لبنان تنحدر إلى الأودية لتترنم مع الجداول.

قد قضت الحقول والكرم على النوم، واستيقظت لتحيي الشمس بتينها الأخضر وعنها الرقيق.

وكان يمشي أمامنا ونحن نتبعه كل ذلك اليوم والذي تلاه.

وفي مساء اليوم الثالث وصلنا إلى قمة جبل حرمون، وهناك وقف ينظر إلى مدن السهول.

فأشرق وجهه كأنه الذهب المحترق، وبسط ذراعيه وقال لنا: انظروا إلى الأرض في ثوبها السنديني وتأملوا كيف طرحت السوافي أهدابه بالفضة الامعة.

حقاً إن الأرض جميلة، وكل ما عليها جميل.

ولكن وراء كل ما تنتظرون ملوكوت ساحكمه وأسود فيه، فإذا شتمت ورغبت من قلوبكم فأنتم أيضاً ستذهبون إليه وتحكمون علي.

إن وجهي ووجوهكم لن تتحقق فيه، ولن تحمل يدنا سيفاً ولا صولجاناً، وسيحبنا رعايانا وسيعيشون بسلام من غير أن يعرفوا خوفاً منا.

هكذا تكلم يسوع، أما أنا فإنني كنت أعمى عن جميع ممالك الأرض وكل المدن ذات الأسوار والقلاع، ولم تكن في قلبي سوى رغبة واحدة: أن أتبع المعلم إلى ملوكته.

وفي تلك اللحظة تقدم يهودا الاسخريوطى ودنا من يسوع وقال له: تأمل، إن ممالك العالم واسعة، ومدن داود وسلیمان ستغلب الرومانيين. فإذا شئت أن تكون ملك اليهود فإننا نقف سيفونا ورماحنا لتأييدهك وفوزك على الغرباء.

ولما سمع يسوع هذا التفت إلى يهودا وأمائر الغضب تملأ محياه، وخطبه بصوت راعب كرعد السماء قائلاً له: تختلف عني يا شيطان! وهل يخطر لك أنني جئت في مواكب السنين لأحكم ثلاثة من النمل يوماً واحداً؟

إن عرشي يفوق بصيرتك. وهل يمكن أن الذي يحوط الأرض بجناحيه ينشد ملجاً في عش مهجور منسي؟

أم هل يتشرف بحي ويرتفع بواسطة لابسي الأكفان؟



«المصلوب»

إن مملكتي ليست من هذه الأرض، ومجلسي لم يبن على جماجم
أسلافكم.

فإذا كنتم تنشدون مملكة غير مملكة الروح فالأجدر بكم أن تتركوني
ه هنا، وتحدرروا إلى مغاور أمواتكم حيث يعقد ذوو الرؤوس المتوجة منذ
القديم مجالسهم في قبورهم ليعطوا مجدًا لعظام جدودكم وأباءكم.

كيف تجرؤ أن تجريني بتاج من نهاية المادة في حين أن جبتي تنشد إملا
الشريا وإنما أشوالكم؟

إلا أني لولا حلم حلمة جنس منسي لما كنت آذن لشمسكم أن تشرق
على صبري ولا لقمركم أن يبسط ظلي في طريقكم.

ولولا رغبة نقية اختلجمت في قلب أم طاهرة لكنت جردت نفسي من
أقططي وهررت راجعاً إلى الفضاء.

ولولا الكآبة التي في أعماقكم جميعاً لما كنت أقمت هنا للبكاء
والنوح.

فمن أنت وما شانك يا يهودا الاسخريوطى؟ ولماذا تجريني؟
هل وزنتني في الميزان فوجدتني جديراً بأن أقود جيشاً من الأقزام، وأدبر
مراكب من لا شكل له ضد عدو لا يجتمع إلا في بغضكم ولا يهجم إلا في
مخاوفكم وأوهامكم؟

كثير هو الدود المجتمع حول قدمي، ولكتني لن أصليه ضرباً. قد مللت
الهزل والمجون وستمت نفسي الشفقة على الدبابات التي تحسبني جباناً لأنني
لا أتخطر بين أسوارها وقلاعها الحصينة.

إن من دواعي الشفقة أن أكون محتاجاً إلى الرحمة حتى النهاية. وكم
أود لو كنت قادرًا على أن أدبر خطواتي إلى عالم أكبر من هذا العالم حيث
يعيش رجال أعظم من رجاله، ولكن كيف أفعل ذلك؟

إن كاهنكم وأمبراطوركم يريدان دمي، وسينالان ضالتهم قبل سفري إلى ذلك العالم. إلّي لن أغير سير الشريعة ولن أقيد الجهالة.

دع الجهل يستمر ذاته حتى يملّ ذريته.

دع العميان يقودون العميان إلى الحفرة.

ودع الموتى يدفنون الموتى حتى تخنق الأرض بأثمارها المريرة.

إن مملكتي ليست من هذه الأرض. مملكتي ستكون حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة منكم بمحبة، وباحترام لجمال الحياة، وبغبطة وبهجة لذكرائي.

ثم التفت إلى يهودا فجأة وقال: تختلف عني أيها الرجل، إن ممالككم لن تكون في مملكتي.

* * *

وكان الشفق فنظر إلينا وقال: فلتنزل من هنا، لأن الليل يدنو علينا. فلنسر في النور ما دام لنا النور.

ثم انحدر من التلال ونحن نتبعه. وكان يهودا يتبعنا من بعيد.

وعندما وصلنا إلى السهول خيم الظلام.

فقال له توما بن ثيوفانس: يا معلم قد دنا الظلام ونحن لا نرى الطريق، فإذا شئت سر بنا إلى أنوار تلك القرية لعلنا نجد طعاماً ومواي.

أما يسوع فأجاب توما قائلاً: قد قدتكم إلى الأعلى عندما كنتم جياعاً، وهذا قد أنزلتكم إلى السهول وقد تضاعف جوعكم، ولكنني لا أقدر أن أقيم معكم في هذه الليلة، لأنني أود أن أكون وحدي.

فتقىدم سمعان بطرس وقال: يا معلم، لا تركنا نمشي وحدنا في الظلام، بل ائذن لنا أن نقيم معك في هذه الطريق الضيقة، فالليل وأشباحه لن تطيل إقامتها معنا، لأن الصباح سيجدنا قريباً إذا كنت تعطف وتظلّ معنا.

فأجاب يسوع وقال: في هذه الليلة ستكون للشحالب أوجارها ولطيور السماء أعشاشها، ولكن ابن الإنسان ليس له على الأرض موضع يسند إليه رأسه. وأنا بالحقيقة أريد الآن أن أكون وحدي، فإذا تقسم إلى فإنكم ستجدونني ثانية على البحيرة حيث وجدتكم.

* * *

فانصرفنا عنه وقلوينا تتمّزق ألمًا لأنّا لم نشا أن نفارقه بطوعنا.

وكتاً بين الهنئه والأخرى نقف ونتلتف إلى الوراء لنراه في عظمة وحدته
سائراً نحو الغرب .

أما الرجل الوحيد فينا الذي لم يلتفت إلى الوراء ليرى المعلم في كمال وحدته فهو يهودا الاسخريوطى .

ومن تلك الساعة ساء خلق يهودا وكثير اضطرابه وأظلمت عيناه بسحب كثيفة من الغدر والشر.

حنة أم مريم
ميلاد يسوع

ولد يسوع حفيدي هنا في الناصرة في شهر كانون الأول. وفي الليلة التي ولد فيها يسوع زارنا رجال من المشرق، فقد كانوا أعجاماً جاؤوا إلى اسدريلون مع قوافل الميديين في طريقهم إلى مصر، فإذا لم يجدوا مكاناً في الفندق طلبوا ملجاً في بيتنا.

وقد رحبت بهم وقلت لهم: إن ابنتي ولدت صبياً في هذه الليلة، وأنتم ولا شك تغضبون الطرف عن قصوري إذا لم أقم بواجب الضيافة كما يليق بكم.

فشكروني على قبولهم في منزلي . وبعد العشاء قالوا لي : نود أن نرى الطفل الجديد .

وكان ابن مريم جميل الصورة ، وهي أيضاً كانت جميلة .

وعندما رأى الأعجماء مريم وطفلها أخرجوا ذهباً وفضة من أكياسهم ، ومرةً ولباناً ، وطرحوها كلها عند قدمي الطفل .

ثم سجدوا وصلوا بلغة غريبة لم نفهمها .

وعندما ذهبت بهم إلى غرفة النوم التي أعددتها لهم دخلوا بملء الاحترام مما رأوا وشاهدوا .

وعند الصباح تركونا وساروا في طريقهم إلى مصر .

ولكن قبل انصرافهم قالوا لي : إن هذا الطفل وإن كان ابن يوم واحد فإننا قد رأينا نور إلهنا في عينيه وابتسامة إلهنا على شفتيه .

فنرجو منكم أن تحرسوه بعنتاكم ليحرسكم بعانتكم .

وإذ قالوا هذا ركبوا جمالهم ولم نرهم بعد ذلك .

أما مريم فلم يكن فرحاً بيكرها لپضاهي شدة دهشتها وذهولها أمامه .

فكانت تحدق إليه طويلاً ثم تدبر وجهها إلى النافذة وتتأمل السماء البعيدة متدهلة كأنها ترى رؤى سماوية .

وكان بين قلبها وقلبي أودية بعيدة العمق .

وكان الصبي ينمو بالجسد والروح ، وكان يختلف كل الاختلاف عن جميع أترابه ، فكان محباً للوحدة ، يصعب الحكم عليه ، ولم أقدر أن أضع يدي عليه قطّ .

بيد أنه كان محبوباً من جميع أهل الناصرة ، وفي أعماق قلبي عرفت السبب في ذلك .

وكثيراً ما كان يأخذ طعامنا ويعطيه لعايري السبيل . وكلما أعطيته شيئاً من الحلوي كان يعطيه للأولاد رفقائه قبل أن يذوقه بفمه .



«مریم أم بسون»

وكان يتسلق أشجار البستان ويقطف أثمارها ليحملها إلى غيره ممن لا
أثمار في بساتينهم.

وكثيراً ما رأيته بعني وهو يتسابق مع الأولاد، وإذا يرى أنه أسرع خطى
منهم، يتباطأ في سيره حتى يسبقوه إلى المحجة قبل أن يصل هو إليها.

وكان في بعض الليالي عندما أقوده إلى فراشه يقول لي: أخبرني أتى
وغيرها أن جسدي فقط ينام، ولكن فكري سيظل رفيقاً لهم حتى يأتي فكرهم
إلى صباحي.

وغير هذا كثير من الآيات العجيبة التي كان يقولها لي في صبوته، ولكن
ضعف ذاكرتي في شيخوختي يحول دون تذكرها.

واليوم يقولون لي إنني لن أراه فيما بعد، ولكن كيف أستطيع أن أصدق
ما يقولون؟

إنني ما زلت أسمع ضحكته، وصوت وقع قدميه على أرض الدار لا
يفارق أذني، وكلما قبلت وجنة ابنتي أشعر بعطر قبلاته يفوح في قلبي، وأحسن
بجسده الجميل يتموج بين ذراعي.

ولكن، أليس من الغرابة العجيبة أن ابنتي لا تتكلم عن ابنها البكر أمامي
أبداً؟

وكثيراً ما يخطر لي أن شوقي إليه أعظم من شوقها، لأنها تقف شاهقة
أمام نور النهار كأنها تمثال من النحاس الصامت في حين أن قلبي يذوب في
صدري ويجرني منسكباً كالجدول، ومن يدري، فلعلها تعلم ما لا أعلم. ويا
ليتها تحدثني بما تعرف من الأسرار الغامضة علي.

عساف الملقب بخطيب صور

خطاب يسوع

ماذا أقول عن خطابه؟ لا شك أن قوة خفية في شخصيته كانت تسلح كلماته بسحر عجيب فتأخذ بمجامع قلوب سامعيه، لأنه كان جميلاً الصورة بهيّة المحيياً.

وكان الرجال والنساء يحدقون إلى صورته الكاملة أكثر مما يصغون إلى مباحثه. ولكنه كثيراً ما كان يتكلم بقوة روح عجيبة، وتلك الروح كان لها السلطان الكامل على كل من سمعه.

قد سمعت في حداثتي خطباء روما وأثينا والاسكندرية، ولكن الناصري النذير كان يختلف كل الاختلاف عن جميعهم.

حضر أولئك همهم بترتيب الكلام بصورة تسحر الآذان، ولكنك إذ تسمع الناصري تشعر بأن قلبك يفارقك في الحال ويسير هائماً في أصقاع لم يزرتها أحد بعد.

فهو يقص عليك قصة أو يخاطبك بمثل، ولكن سورية لم تسمع بمثل قصصه وأمثاله في كل تاريخها، لأنه كان يحوك أمثاله وقصصه من خيوط الفصول كما يحوك الزمان نسيجه من خيوط السنين والأجيال.

وإليك مثلاً من طريقته في بدء قصصه: خرج الزارع ليزرع زرعه.

أو كان لرجل غني كروم عديدة.

أو راع عدداً من خرافه عند المساء فوجد خروفاً ناقصاً... .

ومثل هذه الكلمات تحمل ساميته إلى ذواتهم الساذجة وإلى أيامهم القديمة الهدئة.

كلنا عند التحقيق زارع. وجميعنا نعشق الكرمة. وفي مراعي ذاكرتنا يوجد راع وقطيع وخروف ضال. وهنالك أيضاً محارات ومعصرة وبيدر.

أجل، قد عرف الناصري ينبع ذاتنا القديمة وخبر الخيوط التي حاك
القدير نسيجنا منها.

إن خطباء اليونان والرومان خاطبوا الناس عن الحياة في نظر الفكر،
ولكن الناصري تكلم عن حنين كائن في أعمق القلب.
أولئك رأوا الحياة بعيون قد تكون أتقى قليلاً من عينيك وعيني، أما هو
فقد رأى الحياة بنور الله.

وكميراً ما أفكر في أنه خاطب الجموع كما يخاطب الجبل السهل
الواسع. وكان في خطابه قوة لم تصل إليها أفكار أثينا وروما.

مريم المجدلية اجتماعها يسوع لأول مرة

رأيته لأول مرة في شهر حزيران. كان يمشي بين الزروع عندما مررت مع
جواري، وكان وحيداً.

وكان انتظام وقع خطواته في الأرض مختلفاً عن جميع الرجال، وحركة
جسمه لم أر مثلها قط في حياتي.

إن الرجال لا يمشون على الأرض كما مشى هو. وإلى هذه الساعة لا
أدري إذا كان يسير بسرعة أو ببطء.

وكانت جواري يشرون إليه بأصابعهن ويتهمسن فيما بينهن والحياة يخيم
فوقهن. أما أنا فورقت لحظة ورفعت يدي لأحييه، ولكنه لم يلتفت، ولم ينظر
إليه فأبغضته جداً، وشعرت بأن الدم يجمد في عروقي من شدة الغيظ،
وفارقني حرارة جسدي حتى صرت باردة كأنما أنا في عاصفة من الثلج
هوجاء، وكنت أرتجف بكلتي.

وفي تلك الليلة رأيته في منامي، وقد أخبروني فيما بعد أنني كنت أصرخ

صراخاً شديداً في نومي، ولم أعرف طعم الراحة في فراشي في تلك الليلة..

ثم رأيته ثانية في شهر آب، وكان ذلك من خلال نافذتي. فكان جالساً في ظل سروة أمام بستانى، وكان هادئاً كأنه تمثال منحوت من الحجارة، كالأنصاب التي رأيتها قبلًا في إنطاكيه وغيرها من مدن الشمال.

في تلك الدقيقة جاءت خادمتى المصرية وقالت لي: إن ذلك الرجل هو هنا ثانية، وهو جالس هنا لك أمام بستانك.

فحدقت إليه طويلاً. فارتعدت نفسي في أعماقي لأنه كان جميلاً.

كان جسمه فريداً. وقد تناست أعضاؤه. حتى خيل إلىي أن كلاً منها مسحور بحب رفيقه.

وفي الحال لبست أثوابي الدمشقية، وتركت بيتي وسرت إليه.

هل دفعتني وحدتي أم طيب شذاه حملني إليه؟ وهل مجاعة عيني الراغبة في الجمال، أم جماله الذي كان يفتش عن النور في عيني؟.

إنني حتى الساعة لا أعلم.

مشيت إليه بأثوابي المعطرة وحذائي الذهبي، الذي أعطانيه القائد الروماني. نعم ذلك الحذاء بعينه! وعندما وصلت إليه قلت له: أنعمت صباحاً.
فقال: نعمت صباحاً يا ميرiam.

ثم نظر إليّ، فرأث في عيناه السوداوان ما لم يره رجل قبله، فشعرت فجأة كأنني عارية وخجلت في ذاتي.

بيد أنه لم يقل سوى: نعمت صباحاً.

حيثند قلت له: أفالاً تريد أن تدخل إلى بيتي؟.

فقال: أما أنا الآن في بيتك؟.

إنني لم أعلم ما عناء آنذا، ولكني أعلم الآن.

فقلت له: أفالاً تريد أن تشرب الخمر وتكسر الخبز معى؟



«مريم العبدلي»

مجموعة جبران المعرّبة - م ١٤

فأجاب: نعم يا ميرiam، ولكن ليس الآن.

ليس الآن. ليس الآن، هكذا قال لي، وكان صوت البحر في هاتين الكلمتين، وصوت الريح والأشجار، وعندما قالهما لي تكلمت الحياة مع الموت.

فاذكر يا صاح ولا تنس أنني كنت ميتة. فقد كنت امرأة طلقت نفسها. وكنت أغيش بعيدة عن هذه الذات التي تراها الآن. فقد اختصت بجميع الرجال، ولم أختصر بأحد، فكانوا يدعونني عاهرة، وامرأة فيها سبعة شياطين. كنت ملعونة من الجميع ومحسودة من الجميع.

ولكن عندما نظر فجر عينيه إلى عيني غابت جميع كواكب ليلى وصرت ميرiam، ميرiam فقط، امرأة ضاعت عن الأرض التي عرفتها ووجدت نفسها في أماكن جديدة.

ثم قلت له ثانية: هلم إلى بيتي وشاركتني بخمرتي وخبيزي.

فقال: لماذا تلحين على أن أكون ضيفك؟

فقلت: أتوسل إليك أن تدخل إلى بيتي. وكان كل ما بي من الأرض وكل ما بي من السماء ينادي ويدعوه ويطلبه.

حيثند نظر إلي، فأشرقت ظهيرة عينيه على روحي، وقال: إن لك كثرين من المحبين، بيد أنني أنا وحدي أحبك، فإن بقية الرجال يحبون أنفسهم في قربك، أما أنا فأأحبك في نفسك، إن بقية الرجال ينظرون فيك إلى جمال يذوي قبل انتهاء سنيهم، أما الجمال الذي أراه أنا فيك فإنه لن يزول، وفي خريف أيامك لن يخاف ذلك الجمال أن ينظر إلى ذاته في مرآة، ولن يقدر أحد أن يعييه.

أنا وحدي أحب ما لا يُرى فيك.

ثم قال بصوت واطئ: امض في طريقك الآن وإذا كانت هذه السروة لك ولا تريدين أن تجلس في ظلها، فانا أيضاً أسير في طريقي.

فتوسلت إليه بدموع قائلة: يا معلم؛ ادخل إلى بيتي. إن لدّي بخوراً أحرقه أمامك، وطستاً من الفضة لغسل قدميك. أنت غريب ولكنك لست بالغريب، لذلك أتضرع إليك أن تدخل إلى بيتي.

في تلك اللحظة وقف ونظر إلى كما تنظر الفصول إلى الحقل وتبسّم وقال ثانية: إن جميع الرجال يحبونك لأجل ذاتهم أما أنا فأحبك لأجل ذاتك.

قال هذا وسار في طريقه.

* * *

ولكن ما من رجل مشى مشيته فقط. هل ولدت في بستانى نسمة علوية ثم سارت إلى الشرق؟ أم هي عاصفة جاءت تزعزع كل شيء لترده إلى أنسنة الأصلية؟.

أنا لم أعلم. ولكن في ذلك اليوم ذبح غروب عينيه الوحش الذي كان في، فصرت امرأة، صرث ميريام، مريم المجدلية.

فيليمون الصيدلي اليوناني يسوع أمير الأطباء

كان الناصري سيد الأطباء في شعبه. وما من رجل غيره عرف ما عرفه هو عن أجسادنا وعن انصارها ومحنتيّاتها.

فقد أبراً من أمراض غريبة لم يعرفها اليونانيون ولا المصريون. يقولون إنّه أقام الأموات من القبور، وإذا كان هذا حقيقةً أم لا فإنه يظهر قوته، لأن أعاظم الأمور لا يمكن أن تنسب إلا لمن يستطيع أن يقوم بالأمور العظيمة.

ويقولون أيضاً إن يسوع زار الهند وببلاد ما بين النهرين. وإن الكهنة الذين كانوا في تلك البلاد أعلنوا له المعرفة المخفية في أعماقنا.

ولكن من يدري، فقد تكون الآلة منحه تلك المعرفة مباشرة وليس بواسطة الكهنة. لأن الذي تخفيه الآلة عن جميع الناس جيلاً كاملاً كثيراً ما تعلنه لرجل واحد في لحظة واحدة، وأبolo إذ وضع يده على قلب الجھول الوضيع جعله حكماً رفيعاً.

إن أبواباً كثيرة قد فتحت لأبناء صور وتيت؛ وهناك كثير من الأبواب التي كانت موصدة ومحجوبة فانفتحت أمام هذا الرجل. فقد دخل إلى هيكل النفس، الذي هو الجسد، ورأى الأرواح الشريرة التي تتأمر على قوتنا و Yasna، كما رأى الأرواح الصالحة التي تغزل خيوطها.

وفي عقيدتي أنه كان يشفى المرضى على سبيل المقاومة والمعارضة، ولكن الطريقة التي اتخذها لنفسه لم تكن معلومة لدى فلاسفتنا، فكان يدهش الحمى بملامسته الجلدية فترتد هاربة، ويدهل الأعضاء اليابسة بقوة هدوئه العجيب فتطيعه وتعود إلى سلامتها.

أجل، قد عرف الناصري العصارة الزائلة في قشرة شجرتنا المتشققة - ولكن كيف اتصل بتلك العصارة بأصابعه؟ ذلك ما لا أعرفه! وعرف الفولاذ الصحيح تحت الصدا - ولكن ما من رجل يقدر أن يحدثنا كيف حرر السيف من صدأه وأعاد إليه بريقه.

كثيراً ما يخطر لي أنه كان يصغي إلى أعمق الآلام التي في جميع الكائنات الحية أمام الشمس. فيعمد في الحال إلى رفعها ومساعدتها. ليس بمعرفته فقط بل بإظهار طريق قوتها لتنهض من آلامها صحيحة سالمة.

بيد أنه لم يعبأ قط بقدرته كطبيب. بل كان جلّ همه معالجة المواضيع الدينية والسياسية في هذه البلاد، وأنا متالم لأجل هذا، لأننا قبل جميع الأشياء يجب أن نكون أصحاب الأجساد.

ولكن هؤلاء السوريين إذا أصحابهم مرض لا يفتثنون عن الدواء بل ينشدون المباحثة والمجادلة. ومصيبيتهم الكبرى أن أعظم أطبائهم أعرض عن فنّه المفيد واختار أن يكون خطيباً في ساحة المدينة.

سمعان بطرس دعوته مع أخيه

كنت على شاطئ البحيرة عندما رأيت يسوع، ربِّي ومعلمي، لأول مرة.
كان أخي اندراؤس معي، وكنا نلقي شبكتنا في المياه.
وكانت الأمواج طاغية هائجة ولذلك لم نمسك إلا قليلاً من السمك
وكان الحزن يملأ قلبينا.
فوقف يسوع بقربنا فجأة كأنه تكون في تلك اللحظة لأنّا لم نرَه يدنو
منّا.

ثم دعانا كلاً باسمه وقال: إذا تبعتماني فإنني أقودكم إلى مدخل في
الشاطئ حافل بالأسماك.

وإذ نظرت إلى وجهه سقطت الشبكة من يدي، لأن نوراً أشرق في
أعمق فعرفته.

فتكلم أخي اندراؤس وقال له: نحن نعرف جميع مداخل هذه الشواطئ
ونعرف أيضاً أن الأسماك في مثل هذا اليوم الكثير الرياح تشد أعماقاً لا تصل
إليها شباكنا.

فأجاب يسوع وقال: اتبعاني إذن إلى شواطئ البحر الأعظم فأجعلكم
صيادي الناس. ولن تكون شباككم فارغة.
فتركنا سفينتنا وشباكنا وتبعناه.

أما أنا فقد تبعته مسوقاً بقوة غير منظورة كانت تسير معه جنباً إلى جنب.
كنت أمشي إلى جانبه منقطع النفس والعجب آخذ متى كل مأخذ، وكان
أخي اندراؤس وراءنا متغيراً متذهلاً.

وفيما نحن نمشي على الرمل تشجعت وقلت له: يا سيد؛ أنا وأخي
ستتبعك، وحيث سرت فنحن نسير معك، ولكن إذا حسن لديك أن تذهب

معنا إلى منزلنا في هذه الليلة فإنّنا نتبارك بزيارتكم. إن بيتنا ليس كبيرةً وسقفنا ليس عالياً، وستأكل طعاماً حظيراً فيه. بيد أنك إذا دخلت إلى كوخنا فإنّه يصير قصراً في عقیدتنا، وإذا كسرت الخبز معنا فإنّ أمّراء الأرض يحسدوننا على جلوسنا في حضرتك.

فقال لي: نعم سأكون ضيفكم في هذه الليلة.

فطار قلبي فرحاً من جوابه. وهكذا سرنا وراءه صامتين حتى وصلنا إلى البيت.

وعندما وقفت على عتبة الباب قال يسوع: سلام لهذا البيت والساكنين فيه.

ثم دخل ونحن نتبعه.

وهنالك رحبت به زوجتي وحماتي وابنتي وخرجن ساجدات أمامه، وقبلن أطراف أكمامه.

كنّ متحيرات كيف أنه وهو المختار الحبيب يأتي ليكون ضيفنا، لأنهن كنّ رأيته قبلًا في نهر الأردن عندما أعلنه يوحنا للشعب.

وفي الحال شرعت زوجتي وحماتي في تهيئه العشاء.

أما أخي اندراؤس فكان حبيباً بطبيعته، ولكن إيمانه بيسوع كان أعمق من إيماني.

وأما ابنتي التي كانت آنذاك في الثانية عشرة من العمر فإنّها وقفت إلى جانبه وأمسكت طرف ثوبه خوفاً منها أن يتركنا ويسير في الليل ثانية، فكانت متعلقة به كأنها خروف ضال وجده راعيه.

وعندما أعد العشاء جلسنا إلى المائدة فكسر الخبز وسكب الخمر، والتفت إلينا وقال: أيها الأصدقاء باركوني الآن وشاركوني في هذا الطعام كما أن الأب قد باركتنا بإعطائه لنا.

قال هذه الكلمات قبل أن يتناول كسرة واحدة، لأنه أراد أن يحافظ على العادة القديمة: إن الضيف المحترم يصير رب المتنزل.

وإذ جلسنا معه حول المائدة شعرنا في أعماقنا بأننا جالسون إلى وليمة الملك العظيم.

وكانت ابنتي بترونيلة، الصغيرة الساذجة. تتأمل وجهه وتتبع بنظراتها حركات يديه، وكانت سحابة من الدموع تغشى عينيها. وعندما ترك المائدة تبعناه وجلسنا حواليه تحت مظلة الدوالى.

كان يخاطبنا ونحن نصغي إليه وقلوبنا تخفق في أعماقنا كالعصافير.

فقد تكلم عن «المجيء الثاني للإنسان»، وعن فتح أبواب السماء، وعن الملائكة النازلين لحمل السلام والمسرة لجميع الناس، وعن الملائكة الصاعدية لحمل تشوقات الناس للرب الإله.

في تلك الدقيقة نظر إلى عيني وحدق إلى أعماق قلبي وقال: قد اخترتك أنت وأخاك، فيجب أن تذهبان معي. قد اشتغلتمنا وتعيتما وها أنا أريحكمَا. أحملنا نيري وتعلما متي. لأن قلبي ممتلىء بالسلام، وستجد فيه نفسكمَا موطنها وكمال حاجاتها.

وعندما قال هذا وقفت أنا وأخي أمامه وقلت له: يا معلم ستبعدك إلى أقصى الأرض. ولو كان حملنا ثقيلاً كالجبال فإننا سنحمله في طريقنا إلى السماء، ونقبل كل هذا برضى وقناعة.

ثم قال له أخي اندراؤس: يا معلم نود أن تكون خيوطاً بين يديك ونولك، فلك إذا شئت أن تحوك منا قماشاً، لأننا نعلم أننا نكون في ثوب الكلية الرفعة.

فرفت زوجتي رأسها وقالت والدموع تملأ وجنتيها من شدة الفرح:
مبارك أنت الآتي باسم ربنا طويلى للبطن الذى حملك والشدي الذى
أرضعك ! .

كانت ابنتيجالسة عند قدميه تضمهمما إلى صدرها.

أما حماتي التي كانت جالسة إلى عتبة الباب فإنها لم تقل كلمة قط،
ولكنها كانت تبكي بهدوء حتى امتلأ وشاحها من الدموع.

فمشى يسوع إليها ورفع رأسها وحدق إلى عينيها وقال لها: أنت أم
جميع هؤلاء الأصحاب، إنك تبكين الآن من الفرح ولذلك سأحفظ دموعك في
ذاكري .

حيثند طلع البدر الجميل علينا فنظر إليه يسوع هنيهة وقال لنا: قد تأخرنا
في سرنا، فادهروا إلى فراشكم وليرافق الرب راحتكم، أما أنا فأظل في هذه
المظلة حتى الفجر. قد أقيمت شبكتي في هذا اليوم فاصطدت بـ رجلين، وأنا
راضٍ عن صيدي، فاستودعكم الآن وأرجو لكم ليلة سعيدة.

فقالت له حماتي: قد أعدنا لك فراشاً في المنزل فأتوسل إليك أن
تدخل وتستريح .

فأجابها قائلاً: إنني حقاً أريد الراحة. ولكن ليس تحت السقوف،
فاسمحوا لي أن أنام الليلة تحت مظلة الدوالى والنجوم.

فأسرعت وأخرجت الفراش والوسادة واللحاف، فنظر إليها مبتسمأ
وقال: ها أنا اتكئ على فراش قد أعد مرتين ! .

حيثند تركناه ودخلنا إلى البيت، وكانت ابنتي آخر من تركه ودخل
وكانت عيناها تنظران إليه حتى أغلقت الباب.

هكذا عرفت ربى ومعلمي لأول مرة.

ومع أنه مرّ على هذا أعوام عديدة فإنني أذكره كأنما حدث لي في هذا
اليوم .

قيافاً رئيس الكهنة قد قتلناه بضمير نقى

يُجدر بنا إذ نتكلّم عن ذلك الرجل يسوع وعن موته أن نذكر حقيقةَيْن بارزتين: سلامة التوراة في أيدينا، وسلامة المملكة في أيدي الرومانيين.

ولكن ذلك الرجل كان خطراً علينا وعلى روما، فقد سُمِّم أفكار الشعب البسيط وقد بسحر عجيب إلى الثورة علينا وعلى القيصر.

إن عبادي أنفسهم، الرجال منهم والنساء، بعد أن سمعوه يخطب في ساحة المدينة، امتلأوا بروح التمرد والعصيان. وكثيرون منهم تركوا منازلهم ورجعوا إلى الصحراء التي قدموا منها.

ولا تنسَ أيها القارئ أن التوراة هي أساس قوتنا وقبة نصرنا. وما من رجل يقدر أن يهلكنا طالما أن هذه القوة بأيدينا لنفلّ يده. وما من رجل يستطيع أن يخرب أورشليم وجدرانها قائمة على الحجر القديم الذي وضعه دواد بيده. فإذا كان لزرع إبراهيم أن يعيش وينمو فإن هذه الأرض يجب أن تظلّ نقية.

وذلك الرجل يسوع كان يريد أن ينجسها بالمعصية، لذلك قتلناه بضمير نقى بصير بالعواقب، وستقتل كل من يجرؤ أن ينجس شريعة موسى أو يضلّ ميراثنا المقدّس.

نحن وبيلاطس البنطي عرفنا الخطر الذي كان في ذلك الرجل، ولذلك رأينا من الحكمة أن نضع حدًا لحياته. وأنا باذل قصاراي لأنزل بأتّاباعه وبيتعاليمه نفس ما أنزلته به.

إذا كانت اليهودية تود أن تعيش، فإن كل من يقاومها يجب أن يصير إلى التراب. وقبل أن تموت اليهودية ساغطي رأسي الأبيض بالرماد كما فعل صموئيل النبي، وسامزق هذه الحلة المقدسة التي كانت لهرون، وألبس المسرح حتى أسير من هنا إلى الأبد.

يونا امرأة حافظ هيرودس في الأولاد

لم يتزوج يسوع قط ولكنه كان صديقاً للنساء، فقد عرفهن كما يجب أن يعرفهن الجميع، في الصداقة الندية.

وكان يحب الأولاد كما يجب أن يحبهم الناس بالإيمان والفهم.

وكان في نور عينيه حنان الأب ومحبة الشقيق ولهفة الابن.

فهو يحمل صبياً صغيراً ويضعه على ركبتيه ويقول: بمثل هذا قوتكم وحريتكم، وبمثل هذا يتكون ملوكوت الروح.

يقولون إن يسوع لم يعبأ بشريعة موسى، وإنه كان كثير الصفح عن الزواجي في أورشليم والبلاد المحيطة بها.

وأنا نفسي كنت في ذلك الوقت زانية في نظر الناس، لأنني أحبت رجالاً لم يكن زوجاً لي، وكان صدوقياً.

وفي أحد الأيام جاء الصدوقيون إلى بيتي وكان عشيقي معي، فقبضوا عليّ وحبسوني. أما عشيقي فهرب وتركني.

ثم قادوني إلى ساحة المدينة حيث كان يسوع يعلم الجموع.

وكانوا يرغبون في تقديمي إليه ليجربوه ويصطادوه بفخاخهم.

ولكن يسوع لم يحكم عليّ. فقد أليس العار لمن جاؤوا بي إليه ليلبسوني ثوب العار، وأسعهم لوماً وتوبينا.

أما أنا فإنه أطلقني بسلام.

وبعد ذلك صارت جميع أثمار الحياة التي لا طعم لها للذيدة في فمي، والورود التي لا عطر لها صارت منبعاً للعطر الجميل في منحري. فصرت امرأة لا تعرف الذكرى الفاسدة، أجل، صرت حرة، مرتفعة الرأس، كسائر بنى البشر.

رفقة
عروس قانا

حدث هذا قبل أن عرفه الشعب.

كنت في بستان أمي أتعهد الورود عندما وقف يسوع أمام بوابتنا.

فقال: أنا عطشان، أتفضلين عليّ بقليل من ماء بئركم؟

فركضت وأحضرت الكأس الفضية وملأتها ماء وسكبت فيها بعض نقط من قارورة الياسمين.

فشرب وارتوى وكان مسروراً.

ثم نظر في عيني وقال لي: فلتحل عليك بركتي.

وعندما قال هذا شعرت بأن ريحًا علوية تسير في جسدي، ففارقني ما تولاني من الحياة عند رؤيته فقلت: يا سيد، إنني مخطوبة لرجل من قانا الجليل، وبسأزف إليه في اليوم الرابع من الأسبوع المسبق. أفلأ تريد أن تحضر إلى عرسي فتبارك زواجي بحضورك؟

فأجاب وقال: س أحضر يا ابتي.

وما أنسى قوله لي: يا ابتي؟ في حين أنه كان شاباً بعد، وأنا كنت في نحو العشرين من العمر.

ثم سار في طريقه. أما أنا فبقيت واقفة أمام بوابة البستان حتى دعتنى أمي إلى البيت.

وفي اليوم الرابع من الأسبوع التالي أخذني أهلي إلى بيت عريسي وزفوني إليه.

وجاء يسوع تصحبه أمه وأخوه يعقوب.

وكانوا جالسين حول مائدة العرس مع ضيوفنا؛ ورفقات صباعي ينشدن لي أغاني الأعراس التي نظمها سليمان الملك، وكان يسوع يأكل من طعامنا

ويشرب من خمرتنا ويتبسم لجميع الحاضرين . وكان يصغي إلى جميع أناشيد المحب الذي يحضر محبوبته إلى خيمته ، وأغاني الكرام الشاب الذي أحب ابنة رب الكرم وقادها إلى بيت أمه ، والأمير الذي رأى الفتاة الفقيرة فعملها إلى مملكته وتوجهها بتاج آبائه .

ويلوح لي أنه كان يصغي إلى أناشيد أخرى غير هذه لم أقدر أنا أن أسمعها .

وعند غروب الشمس جاء والد العريس إلى أم يسوع وأسر إليها قائلًا : لم يبق عندنا خمر لضيوفنا ، ويوم العرس لم ينته بعد . فسمع يسوع ما أسرّ به الرجل إلى أمه وقال : إن ساقى الخمرة يعرف أنه لا يزال عندكم خمر كثير .

وهكذا كان بالحقيقة . فإن الخمر وجدت بكثرة طيلة إقامة الضيف في منزلنا .

حيثئذ شرع يسوع يخاطبنا ، فكان يحدثنا بعجائب الأرض والسماء ، ويشرح لنا عن ورود السماء التي تزهر عندما يمد الليل بساطه على الأرض ، وعن ورود الأرض التي تزهر عندما تخفي الكواكب في نور النهار .

وكان يقص علينا قصصاً وأمثالاً فيأخذ سحر صوته بمجامع قلوبنا ، فنحدق إلى عينيه كأننا نرى رؤى سماوية متناسين الكأس والصحافة أمامنا . وكانت أشعر وأنا أصغي إليه أنني في أرض قصبة مجهولة .

وبعد هنيئة قال أحد الضيوف لوالد عريسي : قد أبقيت الخمر الجيدة إلى آخر الوليمة ، وغيرك من المضيفين لا يفعلون هذا .

وجميع الذين كانوا في البيت آمنوا أن يسوع اجترح أujeوبة وأنه يجب أن تكون لهم خمرة في آخر وليمة العرس أطيب من الخمرة التي تقدم في بدأته .

أنا أيضاً ظنت أن يسوع سكب الخمرة الجيدة ، ولكنه لم أتعجب ، لأنني كنت قد أصغيت إلى كثير من العجائب في صوته .

وقد ظلّ صوته بعد ذلك قريباً من قلبي حتى ولدت ابني البكر.
وحتى اليوم يتحدث الناس في قريتنا وفي القرى المجاورة بكلام ضيفنا العزيز. وهم يقولون أبداً: إن روح يسوع الناصري هي أفضل خمرة وأعتفها.

فيلسوف فارسي في دمشق الآلهة قديماً وحديثاً

إنني لا أقدر أن أبني بمصير هذا الرجل، ولا أستطيع أن أتنبأ بما سيحدث لتلמידه.

فإن البذرة المختفية في قلب التفاحة هي شجرة غير منظورة، ولكن إذا سقطت تلك البذرة على صخرة فإنها ولا شك صائرة إلى لا شيء.

ولكثني أقول هذا: إن إله إسرائيل العتيق الأيام قاس لا يعرف الرحمة، ولذلك يجب أن يكون لإسرائيل إله جديد: إله لطيف رحوم ينظر إليهم باللين والشفقة، إله ينحدر مع أشعة الشمس ويسير على طريق حدودهم الضيق، عوضاً عن إلههم القديم الجالس أبداً في كرسي القضاء يزن أغلاطهم ويقيس هفوائهم.

يجب أن يكون لإسرائيل إله لا يعرف الحسد سبيلاً إلى قلبه، ولا يحفظ في ذاكرته بالكثير من سيناتهم، إله لا ينتقم منهم بافتقاد ذنوب الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع.

فالإنسان في سوريا كأخيه الإنسان في كل مكان، فهو ينظر إلى مرآة فهمه وهنالك يجد إلهه. وهو يصنع الآلهة على صورته ومثاله، ويعبد كل ما تتعكس فيه صورته.

إلا أن الإنسان بالحقيقة يصل إلى حنينه العميق ليneath ويكمel مجموع رغباته.

ليس في الوجود شيء أعمق من نفس الإنسان، والنفس هي العمق الذي ينشد ذاته، لأنّه ليس ثمة صوت آخر ليتكلّم ولا آذان أخرى لتسمع.

ونحن أنفسنا في بلاد فارس ننظر إلى وجوهنا في قرص الشمس ونرى أجسادنا راقصة في النار التي نشعّلها على مذابحنا.

وفي عقيدتي أن إله يسوع، الذي دعاه أبياً، لن يكون غريباً بين شعب هذا المعلم، ولذلك سيتحقق رغباتهم.

إن آلّه مصر قد ألقوا عنهم أحمال الحجارة وهربوا إلى بريّة النوبة ليكونوا أحراراً بين الذين ما برحوا أحراراً من المعرفة.

وآلّه اليونان ورومة تسير شمسهم إلى الغروب، فقد كانوا كثيري الشبه بالناس ولذلك لم يقدروا أن يعيشوا في تأملات الناس. والغابات التي نشأ فيها سحرهم قطعتها فؤوس الاثنينيين والاسكندريين.

وفي هذه الأرض نرى الأماكن الرفيعة تتتحول رفعتها إلى ضمّعة متشرعي بيروت ونساك انطاكيّة.

فلا ترى غير الشيوخ والمتبعين من النساء والرجال يسيرون إلى هياكتّاباتهم وأجدادهم، ولا ينشد بداعة الطريق إلا الدين ضلوا في آخرها.

ولكن هذا الرجل يسوع، هذا الناصري العجيب، قد تكلّم عن إله يسع في ملئه جميع النفوس، وقد تعاظمت معرفته حتى سمت عن العقوبة، وتسامت محبته حتى ترفعت عن ذكر خطايا خلائقه، وإله الناصري هذا سيجوز بعتبة جميع أبناء الأرض، وسيجلس إلى مواددهم، وسيكون لهم بركة داخل جدرانهم ونوراً في طريقهم.

بيد أنّ لي إلهًا هو إله زورستر، الإله الذي هو شمس في السماء، ونار على الأرض، ونور في حضن الإنسان، وأنا راض به، ولا حاجة بي إلى إله سواه.

داود أحد أتباعه

يسوع العملي

إنني لم أعرف معنى خطبه وأمثاله حتى فارقنا. نعم أنا لم أفهم شيئاً من أقواله حتى اتخدت كلماته أشكالاً حية أمام عيني وكانت ذاتها ب أجساد تمشي في مواكب أيامِي.

وإليكم ما حدث لي: كنت في إحدى الليالي جالساً في بيتي أتأمل وأتذكر كلماته وأعماله لأدونها في كتاب، فدخل ثلاثة لصوص إلى بيتي، ومع أنني عرفت أنهم جاؤوا لسرقة ما عندي فإنني كنت مأخوذاً بالإيمان بما كنت أفكّر فيه إلى هذه الدرجة حتى إنني لم أقاومهم بالسيف ولا سألتهم ماذا تفعلون هنا!

ولكنني واظبت على كتابة مذكراتي عن المعلم.

وعندما انصرف اللصوص ذكرت قوله: من طلب رداءك فأعطيه الثوب أيضاً، وفهمت معناه.

وعندما جلست أدون أقواله لم يكن في الأرض رجل يستطيع أن يحولني عن عملي ولو سرق كل مقتنياتي.

لأنني مع شدة حرصي على مقتنياتي، واهتمامي بحماية ذاتي، فإني أعرف أين أجد هذا الكنز الأعظم.

لوقا

في المرائين

قد احتقر يسوع المرائين، وبالغ في تعنيفهم، وكان غضبه ينقض عليهم انقضاض الصاعقة. وكان صوته رعداً في أذانهم ترتعش لهوله قلوبهم.

وقد طلبوا موته لشدة خوفهم منه، وكانوا كالمناجذ في ظلمة الأرض

يعلمون على هلاك خطواته، ولكنه لم يسقط في فخاخهم.

فكان يضحك منهم، لأنّه عرف جيداً أنّ الروح يجب ألا يهزأ بها، وألا يُسّار بها إلى الحفرة.

وكان يمسك مرآة بيده وهنالك يرى الكسالي والعرج والعايرين والساقطين في جوانب الطريق وهم يسيرون إلى القنة.

فأشفق على الجميع، ورغم في أن يرفعهم إلى ملء قامته ويحمل أثقالهم، أجل، فقد تمنى كثيراً لو يتكلّم ضعفاًوهم على ذراع قوته.

لم يكن شديد الوطأة في حكمه على الكذاب أو اللص أو القاتل، ولكنه قضى قضاء مبرماً على المرائين الذين ييرقون وجوههم ويعطون أيديهم.

كثيراً ما وقفت مفكراً في ذلك القلب الذي كان يقبل جميع القادمين من صحراء الحياة إلى مقدسه العظيم فيهم راحة وملجاً، ولم يغلق بابه إلا في وجوه المرائين فقط.

حدث مرة فيما نحن جالسون معه في بستان الرمان أتني قلت له: يا معلم، أنت تصفح عن الخطأ، وتعزي جميع الضعفاء والسماء ولا ترفض إلا المرائين.

فقال لي: قد وضعت كلماتك في مواضعها عندما دعوت الخطأ ضعفاء وسماء. نعم أنا أصفح عن ضعف أجسادهم وقسم أرواحهم، لأنّ قصورهم عن القيام بواجبهم قد وضع حملاً على أكتافهم إما من آبائهم أو من جيرانهم.

غير أتني لا أحتمل المرائين، لأنّهم يضعون النير الثقيل على رقاب المخلصين والطائعين.

أما الضعفاء الذين تسمّيهم خطأ، فهم كالفراخ التي لا ريش لها الساقطة من العش. ولكن المرائي نسر جالس على صخرة يتوقع فريسة بريئة لينقضّ عليها.

الضعفاء هم رجال ونساء ضيائعون في صحراء. ولكن المرائي غير ضائع. فهو يعرف الطريق ولكنه يضحك بين الرمال والرياح.
لأجل هذا لا أقبل المرائين في شركتي.

هكذا تكلم معلمنا، فلم أفهم معنى كلامه في ذلك الوقت ولكنني أفهم اليوم.

لذلك اجتمع المراقوون في البلاد، وألقوا القبض عليه، وحكموا بقتله، ظانين أنهم مبررون بعذاته لهم. وكانوا يقربون شريعة موسى في مجمع اليهود شهادة وبيّنة ضلّه.

إن الذين يكسرن الشريعة عند بزوغ كل فجر، ثم يكسرنها ثانية عند غروب كل شمس، هم الذين عملوا على موته.

مقتى العظة على الجبل

في أحد أيام الحصاد دعا يسوع وفريقياً من أصدقائه الآخرين إلى التلال. وكانت الأرض تفوح بعطرها وقد تزيّنت بأبهى حلاتها كأنها ابنة ملك عظيم في يوم زفافها. وكانت السماء عروسًا لها.

وعندما وصل إلى الأعلى وقف في غابة الغار والهدوء يجلل طلعته البهية وقال: استريحوا هنا وافتتحوا نوافذ أفكاركم ودوّزنوا أوتار قلوبكم لأن الذي كثيراً أقوله لكم.

فاتكنا على بساط العشب تحيط بنا ورود الصيف، وجلس يسوع في وسطنا.

قال يسوع:
طوبى للرصين بالروح.

طوبى لمن لا تقيدهم مقتنياتهم، لأنهم سيكونون حراراً.

طوبى لمن يتذكرون آلامهم، وفي آلامهم يرقبون أفرادهم.

طوبى للجياع للحق والجمال، لأن مجاعتهم ستتحمل لهم خبزاً،
وعطشهم ماء عذباً.

طوبى للرؤوفين، لأنهم سيعزون بلطفهم ورأفتهم.
طوبى لأنقياء القلب، لأنهم سيكونون واحداً مع الله.

طوبى للرحماء، لأن الرحمة ستكون في نصيبيهم.
طوبى لصانعي السلام، لأن أرواحهم ستقطن فوق المعركة وسيحولون
حقل الخراف إلى جنة غناء.

طوبى للمطاردين، لأن أقدامهم ستكون سريعة وسيكونون مجتدين.
افرحوا وابتهجوا، لأنكم قد وجدتم ملوك السماوات في أعماقكم. إن
مرئي القدماء قد اضطهدوا عندما تغتوا بذلك الملوك. وأنتم أيضاً
ستتضطهدون، وفي هذا شرفكم وفيه أجركم.

أنتم ملح الأرض، فإذا فسد الملح فيماذا يصلح الطعام لقلب الإنسان؟
أنتم نور العالم، فلا تضعوا هذا النور تحت المكيال، بل فليشرق نوركم
من الأعلى لجميع الذين ينشدون مدينة الله.

لا تظنوا أنني جئت لأبطل شرائع الكتبة والفريسين، لأن أيامي بينكم
معدودة وكلماتي محدودة، وليس لدى سوى بضع ساعات سأكمل فيها شريعة
ثانية وأوضح عهداً جديداً.

قد قيل لكم ألا تقتلوا، أما أنا فأقول لكم لا تغضروا الغير سبب.

قد قضى عليكم القدماء أن تحملوا عجلاتكم وحملاتكم وحماماتكم إلى
الهيكل وأن تذبحوها على الذبح، لتتغذى مشام الرب برائحة دهنها، وتُغفر
بذلك زلاتكم.

أما أنا فأقول لكم: هل تقدرون أن تعطوا الرب ما كان له منذ البدء؛ أم

هل تسكنون غضبه، وعرشه يسمو على الأعماق الصامتة، وهو يحقر الفضاء
بذراعيه؟

فتشرعوا بالأحرى عن أخيكم وتصالحوا معه قبل أن تجيئوا إلى الهيكل،
وأعطوا جاركم بمحبة مما عندكم، لأنه في نفس هؤلاء قد بنى الله هيكلًا لن
يخرب، وفي قلوبهم قد أقام مذبحاً لن ينقض.

قيل لكم: عين بعين وسنّ بسنّ: أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر،
لأن المقاومة تغذّي الشر وتزيده قوة. ولا يتقمّن لنفسه غير الضعيف. أما
الأقواء بالروح فإنهم يسامرون ولمن تقع عليه الأذية شرف سام بصفحه
وسماحه.

الشجرة المشمرة وحدها يهزها الناس ويضربونها بالحجارة.

لا تهتموا بالغد بل تأملوا باليوم لأنّه يكفي اليوم أعجوبته.

لا تبالغوا في الاعتداد بأنفسكم عندما تعطون ما هو لكم وانظروا
بالأولى إلى حاجة من تعطون، لأن كل من يعطي غيره من المحتججين يعطيه
آب نفسه بأوفر غزاره.

اعطوا كل محتاج حسب حاجته، لأن الآب لا يعطي ملحًا للعطشان، ولا
حجرًا للجائع، ولا حلبيًا للمفطوم.

ولا تعطوا القدسات للكلاب، ولا تطرحوا درركم للخنازير، لأنكم بهذه
العطايا تهزأون بها، وهي أيضًا ستهزأ بعطاياكم، وقد يحملها بغضها إلى
إهلاكم.

لا تكتنزوا لكم كنوزًا تفسد أو يسرقها اللصوص، بل اكتنزوا لكم كنوزًا لا
تفسد ولا تسرق، ولكنها تزداد جمالاً كلما ازدادت العيون الناظرة إليها. لأنّه
حيث يكون كنزك فهنا لك قلبك أيضًا.

قد قيل لكم: إن القاتل يجب أن يسلم للسيف، وإن اللص يجب أن
يصلب، والزانية يجب أن ترجم. أما أنا فأقول لكم إنكم لستم أبرياء من

جريمة القاتل واللص والزانية؛ وإذا حل العقاب بأجسادهم فإن أرواحكم تظلم في أعماقكم.

بالحقيقة إنَّه ما من جريمة يرتكبها رجل فرد أو امرأة وحدها. إن جميع الجرائم يشترك الجميع في ارتكابها، أما الذي يدفع الجزاء فإنه يقطع حلقةً من السلسلة المعلقة حول كعابكم. وقد يكون يدفع بكابته ثمن أفراحكم الزائلة.

هكذا تكلم يسوع؛ وقد رغبت في السجود أمامه احتراماً وإجلالاً، ولكن خجلي من ذاتي الحقيقة كان يمسك بي فلم أقدر أن أتحرك من مكاني ولا أن أتلفظ بكلمة واحدة.

بيد أنني تشجعت أخيراً وقلت له: إبني أود أن أصلِّي في هذه الدقيقة، ولكن لسانِي ثقيل. فعلماني كيف أصلِّي.

فقال يسوع: إذا صلَّيت فلينطق حنينكم بكلمات الصلاة، وفي أعماقي الآن حنين يود أن يصلِّي هكذا:

أبانا الذي في الأرض والسماءات، ليتقدس اسمك.

لتكن مشيئتك معنا كما هي في الفضاء.

أعطنا من خبزك كفاية ليومنا.

برأفتک اصفح عنا، ووسع مداركنا لنصفح ببعضنا عن بعض.

سر بنا إليك، ومدْ يدك إلينا في الظلمة.

لأنَّ لك الملك، وبك قوتنا وكمالنا.

* * *

وكان المساء، فنزل بنا يسوع من التلال ونحن نتبعه جمِيعاً. أما أنا فكنت أتبَعه وأنا أردد صلاته، متذكراً جميع أقواله، لأنني عرفت أن الكلمات التي تساقطت في ذلك اليوم كقطع الثلج يجب أن تستقر وتتحجر كالبلور، وأن الأجنحة التي كانت تخفق فوق رؤوسنا يجب أن تضرب الأرض كالحوافر الحديدية.

يوحنا بن زبدي
في أسماء يسوع المختلفة

قد أشرتم إلى أن فريقاً متى يدعون يسوع «بالمسيح» وغيرهم «الكلمة»، وأخرون يسمونه «الناصري» وغيرهم «ابن الإنسان».

وها أنا آت لأوضح لكم معاني هذه الأسماء كما أعطي لي أن أفهمها.
فاليسوع، الذي كان في قديم الزمان، هو شعلة الألوهية التي تقيم في روح الإنسان، هو نسمة الحياة التي تزورنا، وتتخذ جسداً ك أجسادنا.
هو مشيئة الله.

هو الكلمة الأولى التي تتكلم بأصواتنا وتنطئ في آذاننا لنفهم ونعلم.
 وكلمة الرب إلهانا قد بنت بيته من اللحم والعظم، وصارت إنساناً مثلك ومثلي.
 لأننا لم نقدر أن نسمع أنشودة الريح التي لا جسد لها، ولم نر ذاتنا العظمى سائرة في الضباب.

مراراً كثيرة جاء المسيح إلى العالم وقد مشى في بلاد كثيرة بيد أنه محسب غريباً بين الناس ومحظوناً أبداً.

ولكن صدى صوته لم يذهب عبثاً، لأن ذاكرة الإنسان كثيراً ما تحتفظ بما لا يعبأ له فكره ليحتفظ به.

هذا هو المسيح، أبعد أعماقنا وأرفع أعالينا، الذي يرافق الإنسان إلى الأبدية.

ألم تسمعوا به على مفارق الطرق في الهند، وفي أرض المجروس، وعلى رمال مصر؟

وهنا في بلادكم الشمالية قد تغنى شعراً لكم القدماء ببروميثيوس حامل النار، الذي تحققت فيه رغبات الإنسان، وتحطمته به قضبان القفص الذي قيد رجاء الناس فأطلق وصار حرّاً، وبأورفيوس الذي تجسد مع الصوت والقيثارة لينعش الروح في الحيوان والإنسان.

أولاً تعرفون شيئاً عن سيسنر الملك، وزوروستر النبي الفارسي، اللذين
استيقظاً من نوم الإنسان القديم ووقفاً على فراش أحلامنا؟
إلا أننا نحن أنفسنا نصير مسحاء عندما نجتمع في الهيكل غير المنظور،
في ألف سنة، حيث يتذبذب يخرج أحدنا متجمداً.
بيد أن آذاننا لا تتحول دائماً للسماع، ولا عيوننا للنظر.

قد ولد يسوع الناصري ونشأ مثلنا، وكان أبوه وأمه كوالدينا وكان هو
إنساناً مثلنا.

ولكن المسيح، الكلمة، الذي كان في البدء، الروح التي ترجو لنا أن
نجياً حياةً كاملة، كل هذا قد جاء إلى يسوع واتحد معه.

فالروح كانت يد رب الشعرية، ويُسوع كان قيثارة لها. الروح كانت
مزموراً، ويُسوع كان لحننا له.

ويُسوع، رجل الناصرة، كان المضيف والممثل للمسيح، الذي مشى
معنا في الشمس ودعانا أصدقائه.

إن تلال الجليل وأوديته لم تسمع في تلك الأيام سوى صوته، وعلى
رغم حداثتي في ذلك العهد كنت أسير في طريقه وأقتفي خطواته.

أجل، قد اقتفيت خطواته وسررت في طريقه لأسمع كلمات المسيح من
شفتي يسوع الجليلي.

إنكم تودون بلا شك أن تعلموا لماذا يدعوه فريق منا ابن الإنسان.
 فهو نفسه قد رغب في أن نسميه بهذا الاسم، لأنه عرف مجاعة الإنسان
وعطشه؛ ورأى الإنسان يفتش عن ذاته العظمى.

إن ابن الإنسان هو المسيح الرؤوف الذي يريد أن يكون مع الجميع.
هو يسوع النذير الذي يرغب في قيادة جميع إخوته إلى المختار الحبيب

الذي مسحه الله بزيت قدسه، هو الكلمة التي كان في البدء مع الله.

إن يسوع الجليلي مقيم في قلبي، وهو الإنسان المتسامي على الناس، والشاعر الذي يصنع الشعراء من جميعنا، بل هو الروح التي تقع على أبواب أرواحنا لنسقيقظ وننهض ونخرج لملاقاة الحقيقة العارية الواثقة بنفسها.

كاهن شاب في كفرناحوم يسوع الساحر

كان ساحراً متلوياً معوجاً، وعرافاً يضلل البسطاء بسحره وتعزيمه. وكان يشعوذ بكلمات أنبيائنا ومقادس آجدادنا.

وكان يطلب شهوده حتى من الأموات، ويتخذ سلطانه وأعوانه من القبور الصامتة.

وكان يفتش عن نساء أورشليم وبنات المزارع بدهاء العناكب التي تفتشر عن الذباب، وكان يصطادهن بفخاخه.

لأن النساء ضعيفات فارغات الرؤوس، وهن يتبعن الرجل الذي تطمئن إلى كلماته العذبة أهواههن الباقية. ولو لا هولاء النساء، السقيمات العقول، والمأخذات بروحه الشيرية، لكان اسمه قد انمحى من ذاكرة الإنسان.

ومن هم الرجال الذين تبعوه؟

كانوا من الطبقة المكدونة والمدوسة بالأقدام. ولم يكن يخطر لهم فقط أن يثوروا على أسيادهم وهم على ما كانوا عليه من الجهل والخوف. ولكنه عندما وعدهم بالمراكز العالية في ملوكوت سرابه استسلموا لأوهامه كما يستسلم الطين للخزاف.

أولاً تعلمون أن العبد لا يرى غير السيادة في أحلامه؛ والضعف الخامل لا يرى نفسه إلا أسدآ؟

فالجليلي كان مشعوذًا خداعاً، وقد صفح عن خطاباً جميـع الخطـاطـة ليسمع التهـليل والهـتـاف «بـأوـصـنـا» من أفواهـم الـقـدرـة، وقد أطـعـم قـلـوبـ الـيـائـسـينـ والـبـؤـسـاءـ لـيـكـونـ لـهـ آـذـانـ كـافـيـةـ لـسـمـاعـ صـوـتـهـ وـجـيشـ يـأـتـمـرـ بـأـوـامـرـهـ.

وقد كسر السبت مع الذين يكسرـونـهـ ليـكـسبـ مـعـاضـدـةـ الـخـارـجـينـ عـلـىـ الشـرـيـعـةـ، وـتـكـلـمـ بـالـسـوـءـ عـلـىـ رـؤـسـاءـ كـهـنـتـنـاـ لـيـلـفـتـ أـنـظـارـ الـمـجـلـسـ الـأـعـلـىـ إـلـيـهـ، وـيـزـيدـ فـيـ شـهـرـتـهـ عـنـ طـرـيقـ الـمعـارـضـةـ.

طالما صـرـحـتـ بـأـنـيـ أـبـغـضـ ذـلـكـ الرـجـلـ، نـعـمـ أـبـغـضـهـ أـكـثـرـ مـنـ بـغـضـيـ للـرـوـمـانـيـنـ الـذـيـنـ يـحـكـمـونـ بـلـادـنـاـ. حـتـىـ إـنـ مـجـيـئـهـ كـانـ مـنـ النـاصـرـةـ، وـهـيـ الـقـرـيـةـ الـتـيـ لـعـنـهـ أـنـبـيـأـنـاـ، فـصـارـتـ مـزـبـلـةـ لـلـأـمـمـ، وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـخـرـجـ مـنـهـ شـيـءـ صـالـحـ.

لـاوـيـ غـنـيـ بـجـوارـ النـاصـرـةـ

يسـوعـ النـجـارـ الـمـاهـرـ

كان نـجـارـاـ مـاهـراـ، فـالـأـبـوـابـ الـتـيـ صـنـعـهـاـ لمـ يـسـتـطـعـ لـصـنـ اـنـ يـخـلـعـهـاـ. وـالـنـوـافـذـ الـتـيـ عـمـلـهـاـ كـانـتـ حـاضـرـةـ أـبـداـ لـتـفـتـحـ لـلـرـيـحـ الـشـرـقـيـةـ وـالـغـرـبـيـةـ.

كان يـصـنـعـ الصـنـادـيقـ مـنـ خـشـبـ الـأـرـزـ فـتـأـتـيـ صـقـيـلـةـ مـتـيـنـةـ، وـالـمـحـارـيـثـ وـالـسـفـافـيدـ مـنـ السـنـدـيـانـ فـتـجـيـءـ قـوـيـةـ سـهـلـةـ الـانـقـيـادـ فـيـ يـدـ الـفـلاحـ.

كان يـحـفـرـ المـقـارـئـ (جـمـعـ مـقـرـأـ) لـمـجـامـعـنـاـ مـنـ خـشـبـ التـوتـ الـذـهـبـيـ، وـعـلـىـ جـانـبـيـ الـخـشـبـيـنـ الـلـتـيـنـ يـوـضـعـ عـلـيـهـمـاـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ كـانـ يـضـعـ جـنـاحـيـنـ مـنـبـسـطـيـنـ، وـتـحـتـهـمـاـ رـؤـوسـ ثـيـرانـ وـحـمـامـ وـغـزلـانـ ذـاتـ عـيـونـ كـبـيرـةـ.

كـلـ هـذـاـ كـانـ يـتـحدـىـ فـيـ صـنـعـهـ طـرـيـقـةـ الـكـلـدـانـيـنـ وـالـيـونـانـ، وـلـكـنـ كـانـ فـيـ فـتـهـ شـيـءـ لـمـ يـكـنـ لـاـ كـلـدـانـيـاـ وـلـاـ يـوـنـانـيـاـ.

قد اشتغلت في بناء بيتي هذا أيدٍ كثيرة منذ ثلاثين سنة، لأنني فتشت عن البنائين والنجارين في جميع قرى الجليل، وكانت لكل منهم مهارة البناء وفته، وكانت راضياً قانعاً بكلّ ما صنعوه لي.

ولكن، هلم وانظر هذين البابين وتلك النافذة التي صنعتها يسوع الناصري، فهي بدقة صنعتها وثباتها تهزا بكلّ ما في بيتي.

أفلا ترى أن هذين البابين يختلفان عن جميع الأبواب التي في البيت؟ وهذه النافذة المفتوحة للشرق، ألا تختلف عن بقية النوافذ؟

إن جميع أبوابي ونوافذني تستسلم لشريعة السنين، ما خلا هذه التي عملها هو، فهي وحدتها ثابتة أمام عناصر الطبيعة.

تأمل هذه العوارض المتقاطعة، كيف وضع إحداها فوق الأخرى، وهذه المسامير كيف أنزلت من الوجه الواحد في العارضة فخرجت من الوجه الثاني وهنالك لو يت لويت بدقة حتى لا تنزح من موضعها.

والعجب الغريب في هذه القضية أن ذلك العامل الذي كان يستحق أجرة رجلين لم يقبض إلا أجرة رجل واحد فقط، وذلك العامل نفسه هو في عقيدة البعض نبي فيبني إسرائيل.

فلو عرفت في ذلك الحين أن هذا الشاب الحامل المنشار والفارأة هونبي لكنت طلبت إليه أن يتكلم عوضاً عن أن يشتغل، ولكن دفعت له الأجرة مضاعفة على كلماته.

وحتى الساعة لا يزال عمال كثيرون يستغلون في بيتي وحقولي، ولكن كيف أقدر أن أميز بين الرجل الذي يده على محراه والرجل الذي يد الله على يده؟

نعم، كيف أستطيع أن أعرف يد الله؟

راع في جنوب لبنان

مثل

رأيته لأول مرة في آخر الصيف يمشي على تلك الطريق مع ثلاثة رجال من رفقاء، وكان الوقت عند المساء، فوقف هنالك يتأمل الطريق في آخر المرج.

أما أنا فكنت أنفخ في مزماري، وقطيعي يرعى حواليي.

وعندما وقف نهضت وسرت إليه ووقفت أمامه.

فسألني قائلاً: أين قبر اليشع؟ أليس قريباً من هذا المكان؟.

فأجبته: هو هناك يا سيدى، تحت تلك الرجمة. وما برح عابرو الطريق حتى اليوم يحمل كل منهم حجراً ويضعه في هذه التلة.
فشكري وسار في طريقه ورفقاوه يسرون وراءه.

وبعد ثلاثة أيام قال لي غملائيل الذي كان راعياً مثلي: إن الرجل الذي مرّ بك هونبي في اليهودية. ولكنني لم أصدقه. بيد أن ذكرى ذلك الرجل لم تفارق ذاكرتي. وعندما جاء الربيع مرّ يسوع بهذا المرج ثانية، وكان في هذه المرة وحده.

أما أنا فلم أكن أنفخ في مزماري في ذلك اليوم، لأنني كنت قد أضعت خروفًا وكنت حزينًا تملأ غيوم الكABA سماء قلبي.

وعندما رأيته مشيت ووقفت أمامه صامتاً، لأنني أردت أن أتعزّى. فنظر إلي وقال: أنت لا تنفخ في مزمارك اليوم، فمن أين جاءت الكABA في عينيك؟

فأجبته: قد ضاع خروف من خراطي، وقد فتشت عنه في كل مكان فلم أجده ولا أعلم ماذا أعمل.

فسكت هنيهة ثم نظر إلي مبتسمًا وقال: انتظرنـي هنا ريشـما أجـد لك خروفـك. وـسار في طـريقـه حتى اـختـفـى بـيـنـ التـلـالـ.

وبعد ساعة من الزمان رجع، وخروفي يمشي إلى جانبه، وفيما هو واقف
أمامي كان الخروف ينظر إلى وجهه كما نظرت أنا.

فأقبلت على الخروف أضمه إلى صدري بفرح عظيم.

فوضع يده على كتفي وقال: إنك منذ اليوم ستحب هذا الخروف أكثر
من جميع الخراف في قطبيك. لأنّه كان ضالاً فوجد.

ثم ضممت خروفي ثانية إلى صدري بفرح عظيم، وكان الخروف
يدنو مني وأنا صامت لا أتبس بنت شفة.

وعندما رفعت راسي لأشكر يسوع رأيته بعيداً عنِي فلم أجسر على أن
أتبعه.

يوحنا المعمدان

لواحد من تلاميذه

إنني لست صامتاً في هذا السجن المظلم في حين أن صوت يسوع يتعالى
في ساحة الحرب، ولا يقدر أحد أن يلقي عليّ يداً أو يقيّد حرّيتي طالما أنه
هو حر.

يقولون لي إن الأفاعي تناسب حول حقوقه، ولكنني أجيّب أن الأفاعي
ستوقف قوته ليسحقها بقدميه.

إنني لست سوى رعد في برقه. ومع أنني تكلمت أولاً فإن الكلمة التي
نطق بها هي كلمته، والغاية التي سعيت إليها هي غايته.

قد قبضوا عليّ بدون إنذار. ولعلهم يلقون أيديهم عليه أيضاً ولكنهم لن
يفعلوا ذلك قبل أن يتلفظ بكل أقواله. وسيغلبهم.

ستمرّ عربته فوقهم، وستلدو سهم حوافر خيوله، وسيكون متتصراً،
سيخرجون إليه بسيوف وحراب، ولكنه سيجابههم بقوة الروح.

سيجري دمه على الأرض، ولكن قاتلبه أنفسهم سيعرفون جراحه
وآلامها، وسيتعمدون بدموعهم حتى يتظروا من خطاياهم.

إن جيوشهم ستهاجم على مدنه بالمجانق الحديدية، ولكنهم سيغرقون في
طريقهم في نهر الأردن.

أما أسواره وأبراجه فستزداد ارتفاعاً، ودروع محاربيه سيتضاعف بريقها
في أشعة الشمس.

يقولون إني متواطئ معه لنجض الشعب على النهوض للثورة ضد
مملكة اليهودية.

وها أنا أجيب. ويا ليت لي نيرانا أصوغ منها كلماتي: إذا كانوا يحسبون
بؤرة الاثم هذه مملكة، إذا فلتخرّب ولتصر إلى لا شيء، وليحل بها ما حل
بصادوم وعموره، وليسَ الرب هذا الجنس، ولتحول هذه الأرض إلى رماد.

نعم أنا حليف يسوع الناصري وراء هذه الجدران الغليظة في سجني،
وهو سيقود جيوشي بما فيها من الفرسان والمشاة. وأنا نفسي، وإن كنت قائداً
في معسكر الرب، فإنني لست أهلاً لأن أحمل سبور حذاته.

اذهبا إليه. وأعيدوا كلماتي على مسامعيه، واطلبوا إليه باسمي أن
يعزيكم ويبارككم.

إني لن أقيم طويلاً في هذا المكان، لأنني في كل ليلة بين اليقظة
واليقظة أشعر بأقدام بطيئة تدوس على الجسد بخطوات متناسقة، وعندما
أصفي جيداً أسمع قطرات المطر تتتساقط على جسدي.

اذهبا إلى يسوع وقولوا له: يوحنا الكدورني الذي تمتلى نفسه من
الأشباح ثم يفرغها ثانية، يصلني من أجلك ، في حين أن حفار القبور يقف
قريباً منه، والسياف يمدد يده لقبض أجرته.

يوسف الذي من الرامة المطالب الأولية ليسوع

تودون أن تعرفوا المطلب الأول ليسوع وها أنا بفرح أخبركم، ولكن ما من رجل يستطيع أن يلامس بأصابعه حياة الكرمة المباركة، أو ينظر بعينيه العصارة المقدسة التي تغذي أغصانها.

ومع أنني تذوقت عنب هذه الكرمة. وشربت الخمرة الجديدة من المعصرة، فأنا عاجز عن أن أخبركم بكل شيء.

ولكتني أقدر أن أحديثكم بما أعرف عنه: إن معلمنا وحبيبنالم يعيش سوى ثلاثة فصول من فصول الأنبياء، وأنا أعني ربيع إنشاده، وصيف وجده، وخريف آلامه، وكل فصل من هذه الفصول كان عبارة عن ألف سنة.

فربما في إنشاده قضاه مترئماً في الجليل، فهناك كان يجمع محبيه حواليه. وعلى شواطئ البحيرة، الخضراء تكلم أولاً عن الآب. وعن العترة والحرية.

على بحيرة الجليل خسرنا أنفسنا لنجد طريقنا إلى الآب. أواه؛ ما أتفه ما خسرنا بالنسبة إلى ما ربنا!

هناك ترنم الملائكة في آذانا وأمرؤنا أن نهجر الأرض المجدهبة لنجحظى بفردوس رغبات القلب.

هناك كان يتكلم عن الحقول والمراعي الخضراء وعن منحدرات لبنان حيث تختبئ الزنابق الخضراء لكي لا تفطن لها القوافل المارة في غبار الوادي.

وهناك كان يخاطبنا عن العوسيج البري الذي يبتسم في الشمس ويقرب بخوره للريح المجتازة به.

وكان يقول: إن الزنابق والعوسيج تعيش يوماً واحداً، ولكن ذلك اليوم هو الأبدية التي تُقضى بالحرية.

وفي أحد الأمساء، وقد جلسنا إلى حافة جدول صغير، قال لنا: انظروا إلى الجدول واصغوا إلى موسيقاه، فهو ينشد أبداً، ومع أنه ينشد البحر أبداً فهو يتربّع بأسراره من الظهيرة إلى الظهرة.

أودّ لو أنكم تنشدون الاب كما ينشد هذا الجدول بحره.

ثم جاء صيف وَجَدِهِ، وبلغت إلينا حرارة محبته، فحضر كل كلامه بالآخرين - بالجار، وعبر السبيل، والغريب، ورفقاء الصبوة.

فخاطبنا عن السائح المسافر من الشرق إلى مصر، والفالح الراوح بشيرانه إلى بيته عند المساء، وضيف الساعة الذي يقوده ^{أجل} الظلام إلى بابنا.

وكان يقول: إن جاركم هو ذاتكم غير المعروفة، تتجسد أمامكم لتصير منظورة. فمياهمكم الهدامة ستعكس لكم وجهه، وإذا تأملتم بها جيداً فأنتم ولا شك ستنتظرون وجوهكم.

ولذا أصغيتم في سكينة الليل فإنكم ستسمعوه متكلماً وسيكون خفقان قلوبكم في كلماته.

فاعملوا به نفس ما تودون أن يعمله هو بكم.

هذه هي شريعتي، وأنا أقولها لكم ولأولادكم، وهو يقولونها لأولادهم حتى تنفق كنوز الزمان وتضمحل خزائن الأجيال.

وفي يوم ثان قال لنا: لا نكن وحدك في جياتك لأنك تعيش في أعمال الآخرين، وهو وإن جهلوا يعيشون معك سحابة أيامك.

إنهم لا يقترفون جريمة من غير أن تكون يدك مع أيديهم.

وهم لا يسقطون من غير أن تسقط معهم، ولا ينهضون إلا وأنت تنهض معهم.

إن طريقهم إلى المقدس هي طريقك، وإذا نشروا إلى قبر السقوط فأنت أيضاً ناشر معهم.

أنت وقريبك بزرتان مزروعتان في حقل واحد. وأنتما تنموا معاً وتتموجان معاً أمام الريح. ولكن لا يستطيع أحدكم أن يدعى ملكية الحقل. لأن البذرة السائرة إلى النماء لا تقدر أن تدعي حتى ولا ملكية وجدها وافتاتها.

اليوم أنا معكم، ولكني غداً أمضي إلى الغرب، غير أنني قبل أن أمضي أقول لكم: إن جاركم هو ذاتكم غير المعروفة، تتجسد أمامكم لتصير منظورة. فانشدو بمحبة لتعرفوا أنفسكم؛ لأنكم بهذه المعرفة فقط تستطعون أن تكونوا إخوة لي.

ثم جاء خريف آلامه.

فخاطبنا عن الحرية، كما كان يخاطبنا في الجليل في ربيع إنشاده، ولكن كلماته في هذه المرة كانت تنسد أعمق أعمق فهمنا.

فكان يتكلم عن الأوراق التي لا تنسد أناشيدها إلا إذا حركتها الرياح. وعن الإنسان مشبهاً إياه بكأس يملأها ملاك الخدمة اليوم لتبرد عطش ملاك آخر. ومع ذلك فسواء كانت هذه الكأس ممتلئة أو فارغة فإنها تظل لامعة ببلورها على مائدة العلي القدير.

ومن أقواله: أنتم الكأس وأنتم الخمرة. فاشربوا من خمرة أنفسكم حتى الثمالة، أو تذكروني فتروي غلة عطشكם.

وفي طريقنا إلى الجنوب قال لنا: إن أورشليم، الجالسة بكبرياء على قنة مجدها، ستندحر إلى أعماق جهنم الوادي المظلم وفي وسط خرابها ساقف وحيداً.

وسينتحول الهيكل إلى غبار ورماد، وحول أرقوته ستسمعون صرائح الأرامل والأيتام، والناس في عجلتهم للهرب سيتعامون عن رؤية وجوه إخوتهم، لأن الخوف سيشملهم جميعاً.

ولكن حتى في ذلك الوقت، إذا اجتمع اثنان منكم وتلفظاً باسمي ونظراً

إلى الغرب، فإنكم تبصرونني فتتراجع أصداء كلماتي هذه إلى آذانكم.

وعندما وصلنا إلى تلة بيت عنبا قال: لنمض إلى أورشليم. فإن المدينة تتظمنا. سأدخل البوابة راكباً على جحش. وسأخاطب الجموع.

إن الراغبين في تقييدي كثيرون، وأكثر منهم النافخون في النار ليحرقوني، ولكنكم بموتي ستتجدون حياة وستكونون أحرازاً.

إنهم يطلبون نسمة الحياة الحائمة بين القلب والفكر كما يحوم الخطاف بين العقل وعشه، ولكن نسمة حياتي قد هربت منهم ولذلك لن يغلبني.

إن الأسوار التي بناها الآباء حولي لن تسقط، والأرض التي قدسها في كياني لن تتنجس.

في إذا جاء الفجر فإن النهار ستتوج رأسي فأجتمع بكم لمجابهة النهار. وذلك النهار سيكون طويلاً ولن يرى العالم مساءه.

يقول الكتبة والغريسين إن الأرض متعطشة لدمي، ويسرني أن أبرد عطش الأرض بدمي، ولكن نقط هذا الدم ستنهض بأغصان السنديان والقيقب، وستحمل الرياح الشرقية بلوطها إلى جميع البلدان.

ثم قال أيضاً: إن اليهودية تريد ملكاً لتهجم على جيوش روما.

إنني لا أريد أن أكون ملكاً لها، لأن تيجان صهيون قد صنعت للجباه الصغيرة، وخاتم سليمان صغير على هذه الأصبع. تأملوا يدي؛ ألا ترون أنها أقوى من أن تحمل صولجاناً، وأقدر من أن تمتشق حساماً؟

ألا إنني لا أريد أن أثير السوري ضد الروماني. ولكن أنتم بكلماتي ستوقظون المدينة الغافلة، فتخاطبها روحى في فجرها الثاني.

إن كلماتي ستؤلف جيشاً لا تراه العيون، حافلاً بالخيول والعربات؛ وبغير فأس ولا حربة سأغلب كهنة أورشليم، وانتصر على القياصرة.

إنني لا أجلس على عرش قد جلس عليه العبيد ليحكموا غيرهم من

العيid، كلاً؛ ولا أريد أن أثر على أبناء إيطاليا.
ولكنني سأكون عاصفة في سمائهم، وأنشودة في نفسم .
وسيذكرني الجميع ، سيدعني الجميع يسوع الممسوح .
جميع هذه الأقوال قالها يسوع خارج أسوار أورشليم قبل أن دخل
المدينة .
وقد انطبعت كلماته على صفحات القلوب كأنما حُفرت بالأزاميل .

نثائيل
لم يكن يسوع وديعاً
يقولون إنَّ يسوع الناصري كان وضيعاً وديعاً،
ويقولون إنه كان رجلاً بازاً عادلاً، ولكنه كان ضعيفاً، وإنَّ كثيراً ما كان
يتخيَّر ويندهل أمام الأقوياء والأشداء ، وأنَّه عندما كان يقف أمام ذوي السلطان
لم يكن سوى حمل أمام سباع .
أما أنا فأقول: إنَّ يسوع كان له سلطان فوق جميع الناس ، وإنَّه عرف
قوته وأعلنها بين تلال الجليل ، وفي مدن اليهودية وفيينيقية .
فإيَّيَّ رجل ضعيف مستسلم يقول: أنا الحياة ، وأنا طريق الحق؟ وأيَّيَّ
رجل وديع وحقير يجرؤ أن يقول: أنا في الله أبينا وإلهنا الآب في؟
وأيَّيَّ رجل لا يعرف قوته يقول: إنَّ من لا يؤمن بهذه الحياة ولا بالحياة
الأبدية؟
وأيَّيَّ رجل لا يثق بالغد ويقدر أن يصرح بمثل هذا الإعلان: إنَّ عالركم
سيزول ويتحول إلى رماد تذريه الريح قبل أن تزول كلمة من كلماتي؟

أم هل شك في قوته عندما قال للذين حملوا الزانية إليه ليجربوه: من كان
منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر؟

وهل خاف ذوي السلطان عندما طرد الصيارة من ساحة الهيكل مع أنهم
كانوا من الكهنة؟

وهل كان مقصوص الجناحين عندما صرخ قائلاً: إن مملكتي فوق
ممالك الأرضية؟ أم هل كان يختبئ بالألفاظ عندما قال المرة بعد المرة:
انقضوا هذا الهيكل وأنا أعيد بناءه بثلاثة أيام؟

وهل يستطيع الجبان أن يهزّ يمينه في وجه ذوي السلطان فيدعوه: كذبة
أدنىاء وقدررين من جسدين؟

إن رجلاً كانت له الجرأة على قول مثل هذا لأسياد اليهودية لا يمكن أن
يكون وديعاً إلا أن النسر لا يبني عشه في الصفصاف الباكي، والسبع لا يفتش
عن عرينه بين الأدغال.

قد سئمت والتهبت أحشائي من قول ضعفاء القلوب إن يسوع كان وضيعاً
وديماً ليبرروا ضعفهم وصغاره قلوبهم، وخصوصاً عندما أسمع المدوسين
بالأقدام ينشدون تعزيتهم بوضع المعلم في صفوفهم.

نعم، قد ضجر قلبي من أمثال هؤلاء، فأنا أبشر بصياد قدير وروح
جبيلية لا تعرف الغلبة.

سابة الانطاكي
يصف شاول الطرسوسي

سمعت في هذا اليوم شاول الطرسوسي يبشر بال المسيح لليهود في هذه المدينة.

فهو يسمى نفسه بولس الان، رسول الأمم.

قد عرفت هذا الرجل في حداثتي، وكان في تلك الأيام يضطهد أصدقاء الناصري. وأنا ما زلت أذكر جيداً مسرته ورضاه إذ كان يتأمل أصحابه وهم يترجمون الشاب التوراني استفانوس.

إن بولس هذا رجل عجيب غريب . إن نفسه ليست بنفس الرجل العز . فهو كثيراً ما يبدو كالحيوان في الغابة ، طارده الصيادون وجرحوه فجاء ينشد كهفاً يخفي ألمه عن العالم .

وهو لا يتكلّم عن يسوع ولا يعيد أقواله، بل يعظ عن ماسيّا الذي أنبأ عنه الأنبياء .

ومع أنه من علماء اليهود فهو يخاطب أصحابه اليهود باليونانية ويونانيته عرجاء ، وهو لا يحسن اختيار ألفاظه لمواضعها . ييد أنه رجل ذو قوة خفية ، والناس يؤيدونه بإقبالهم على سماعه . وكثيراً ما يؤكد لهم أموراً هو نفسه لا يشق بها .

فنحن الذين عرفنا يسوع وسمينا خطبه نقول إنه علم الإنسان كيف يحطّم قيود عبوديته ليتحرر من سجون أمسه .

ولكن بولس هذا يصنع قيوداً جديدة لرجل الغد . فهو يضرب بمطريقته على السندان باسم رجل هو نفسه لا يعرفه .

فالناصري يرغب إلينا أن نعيش الساعة بوجود وشوق .

أما رجل طرسوس هذا فإنه يأمرنا بالمحافظة على الشرائع المكتوبة في الكتب القديمة .

قد منح يسوع من نسمة روحه للميت الفاقد النسمة. وفي وحدة ليالي أؤمن وأفهم.

وعندما كان يجلس إلى المائدة كان يقص على الجالسين معه قصصاً تزيد في بهجتهم وسعادتهم ولذة طعامهم وشرابهم.
ولكن بولس يحدد لنا رغيفنا وكأسنا.

فاسمحوا لي الآن أن أدير عيني إلى الطريق الأخرى.

سالومه إلى صديقة لها رغبة لم تتحقق

كان كالحرور اللامع في الشمس ، وكالبحيرة بين التلال الوحيدة مشرقاً في الشمس ، وكان كالثلج على رؤوس الجبال أبيض أيضاً في الشمس . نعم ، كان مثل هذه جميعها وقد أحبتها . بيد أنني كنت أخاف أن أجلس في حضرته .

وكنت أود أن أقول له : قد قتلت صديقك في ساعة هوى في نفسي ، فهل تغفر لي خططيتي وأنت الرحوم الصفوح ؟ أفلأ تحلّ قيود شبابي من عمارة عملي لأمشي حرة طليقة في نورك العظيم ؟

إنني واثقة بأنه كان يصفح عن رقصتي للحصول على رأس صديقه البار . إنني واثقة بأنه كان رأى في موضوعاً من مواضيع تعاليمه ، لأنّه لم يكن في العالم من وادي مجاعة لم يعبره ، ولا صحراء عطش لم يقطعها .

بلى ، قد كان كالحرور الجميل ، وكالبحيرات بين التلال ، وكالثلج على الجبال . وكنت أتوق لتبريد عطش شفتّي في ثنايا ثوبه .

بيد أنه كان بعيداً عنّي ، وأنا كنت خجولة . وكانت أمي تمنعني عن الذهاب إليه كلما دعاني حنيني إلى السير وراءه .

وكلما مز بنا كان قلبي يذوب من جماله، ولكن أمري كانت تقطّب حاجبيها احتقاراً وتأمرني بالتحول عن النافذة إلى غرفتي، وكانت تصرخ بأعلى صوتها قائلة: ومن يكون هذا سوى أكول جراد آخر من الصحراء!

إن هو إلا مستهزئٌ خائن، ومشاغب يتعيش بإثارة نيران العصيان، لسلب صولجاننا وتاجنا؛ وحمل الشعالب وبنات آوى من بلاده اللعينة لتعوي في قصورنا وتجلس على عرشنا. اذهبي واحجبي وجهك من هذا النهار، وانتظري يوم يسقط رأسه ولكن ليس على طبقك.

كل هذا قالته والدتي ولكن قلبي لم يحفظ كلامها، فقد أحببته سرّاً وكان حبه يمنطق نومي باللهيب.

قد مضى اليوم. وقد ذهب بذهابه شيء عظيم كان فيّ، ومن يدرى، فقد يكون شبابي قد ذهب مني لأنه لم يطق أن يقيم هنا بعد أن رأى إله الشباب قتيلًا.

راحيل إحدى التلميذات هل كان يسوع رجلاً أم مفكراً؟

كثيراً ما أفكر مندهلة فيما إذا كان يسوع رجلاً ذا لحم ودم نظيرنا، أو فكراً بغير جسد، في العقل، أو فكرة تزور خيال الإنسان.

وكثيراً ما يخطر لي أنه لم يكن سوى حلم حلمه رجال ونساء لا عديد لهم؛ وقد رأه جميعهم في نوم أعمق من النوم، وفجّر أهداً من كل فجر.

ويظهر أننا إذ كنا نقص هذا الحلم بعضنا لبعض شرعنا تخيله حقيقة وقعت بالفعل، وإذا منحناه جسداً من خيالنا وصوتاً من حنيننا جعلناه أخيراً جوهراً حقيقياً لمادة وجودنا.

ولكن بالحقيقة إنّه لم يكن حلماً. فقد عرفناه ثلاث سنين ورأيناه رأي العين في نور الظهيرة اللامع.

قد لمسنا يديه وتبعنه من مكان إلى مكان. قد سمعنا خطبه ورأينا أعماله. وهل يخطر لكم أتنا كنا فكرا ينشد غيره من الأفكار أو حلماً هائماً في منطقة الأحلام؟

إن الحوادث العظيمة تظهر دائماً غريبة عن حياتنا اليومية وإن كانت طبيعتها معروضة في طبيعتنا، وهي وإن أقامت فجأة في مجئها وفجأة في مرورها بنا فإن جوهرها الحقيقي يرافق السنين والأجيال.

ويسوع الناصري هو نفسه الحادثة العظمى. فإن ذلك الرجل الذي نعرف أباه وأمه وإخوته كان نفسه أعمجوبة حدثت في اليهودية. بلى، وكل عجائبه إذا وضعت عند قدميه لا تعلو إلى مساواة عقبيه.

وجميع الأنهر في جميع السنين لا تقدر أن تذهب بذكراه من قلوبنا.

فقد كان جبلاً محترقاً في الليل ومع ذلك كان حرارة لطيفة وراء التلال، وكان عاصفة في الجو، ومع ذلك كان يتحرك بلهفة في ضباب البحر.

كان يسوع سيراً جارفاً منحدراً من الأعلى إلى السهول ليهدم كل شيء في طريقه. وكان في الوقت نفسه لطيفاً كابتسامة الأطفال.

في كل سنة أنتظر زيارة الربيع لهذا الوادي، وفي كل سنة أنتظر الزنابق وبخور مريم، ولكن نفسي تكتسب في أعماقي كل سنة، لأنني طالما تقت لأفرح مع الربيع فلم أقدر.

ولكن عندما جاء يسوع إلى فصولي كان بالحقيقة ربيعاً لأحلامي وقد تحققت فيه مواعيد جميع السنين المقبلة. فقد ملا قلبي فرحاً، فنمّوت كالبنيسج خجولة في نور مجئه.

والاليوم لا تستطيع تقلبات فصول العالم التي لم تصر لنا بعد أن تمحو جماله من عالمنا هذا.

إلا أن يسوع لم يكن حلماً ولا فكرة تم خضت بها أحلام الشعراء، بل كان رجلاً مثلك ومثلي بالبصر والسمع واللمس، وفي جميع ما تبقى كان يختلف كل الاختلاف عن جميـنا.

فقد كان رجل أفرادـ. وعن طريق الفرح تعرف إلى كـابة جميع الناس ومن أعلى سطوح كـابته رأى فـرح جميع الناس.

إن الرؤـيـ التي رأـها لم نـرـها نـحنـ، والأصواتـ التي سـمعـها لم نـسمـعـهاـ، وـكانـ يتـكلـمـ مـخـاطـبـاـ جـمـوـعاـ غـيرـ مـنـظـورـةـ، بلـ كـثـيرـاـ ما تـكـلمـ بـوـاسـطـتناـ لـأـقـوـامـ لـمـ يـولـدـواـ بـعـدـ.

وـكانـ يـسـوعـ وـحـدهـ فيـ أـكـثـرـ الـأـحـيـانـ ، فقدـ كانـ بـيـنـنـاـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـكـنـ وـاحـداـ مـنـاـ . وـكانـ عـلـىـ وـجـهـ مـنـ السـمـاءـ . وـنـحـنـ لـاـ نـقـدـرـ أـنـ نـرـىـ أـرـضـ وـحـدـتـهـ إـلـاـ فـيـ وـحـدـتـنـاـ .

قدـ أـحـبـتـاـ جـبـاـ مـمـتـلـئـاـ بـالـعـطـفـ وـالـحـنـانـ . وـكانـ قـلـبـهـ مـعـصـرـةـ . وـأـنـتـ وـأـنـاـ كـانـ فـيـ مـنـالـنـاـ أـنـ تـقـدـمـ إـلـيـهـ بـكـؤـوسـنـاـ فـنـشـرـبـ حـتـىـ نـرـتـويـ .

إنـ أـمـراـ وـاحـداـ لـمـ أـكـنـ أـفـهـمـ فـيـ يـسـوعـ ، وـهـوـ أـنـهـ كـانـ كـثـيرـالـمـجـونـ مـعـ سـامـعيـهـ ، فـهـوـ يـخـبـرـهـمـ مـلـحـةـ وـيـلـعـبـ بـالـلـفـاظـ ، ثـمـ يـضـحـكـ مـنـ أـعـمـاـقـ قـلـبـهـ حـتـىـ فـيـ الـأـوـقـاتـ الـتـيـ كـانـتـ تـرـتـسـمـ فـيـهـاـ الـكـابـةـ عـلـىـ عـيـنـيـهـ وـتـمـزـجـ بـدـقـائـقـ صـوـتـهـ ، كـلـ هـذـاـ لـمـ أـفـهـمـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ وـلـكـنـيـ أـفـهـمـ الـآنـ .

كـثـيرـاـ مـاـ أـفـكـرـ فـيـ الـأـرـضـ فـأـتـمـلـهـاـ اـمـرـأـ حـبـلـيـبـكـرـهـاـ . وـعـنـدـمـاـ وـلـدـ يـسـوعـ كـانـ اـبـنـهـ الـبـكـرـ ، وـعـنـدـمـاـ مـاتـ كـانـ أـوـلـ رـجـلـ يـمـوتـ .

لـأـنـهـ ، أـلـمـ يـظـهـرـ لـكـ أـنـ الـأـرـضـ كـانـ صـامـتـةـ فـيـ تـلـكـ الـجـمـعـةـ الـمـظـلـمـةـ ، وـالـسـمـاـوـاتـ كـانـتـ فـيـ حـرـبـ شـدـيـدةـ ضـدـ السـمـاـوـاتـ؟

بلـ ، أـلـمـ تـشـعـرـ عـنـدـمـاـ اـخـتـفـىـ وـجـهـ عـنـ أـبـصـارـنـاـ بـأـنـنـاـ لـمـ نـكـنـ سـوـىـ تـذـكـارـاتـ هـائـمـةـ فـيـ الضـبابـ؟

كلاوبابي

عندما تكلم يسوع صمت العالم كله ليصغي . إن كلماته لم تكن لآذاناً بيل بالأحرى للعنابر التي صنع الله منها هذه الأرض .

فقد خاطب البحر، الأم المتسعة الصدر التي ولدتنا. وخاطب الجبل، أخانا الأكبر الذي قنّته وعد ورجاء.

وَخَاطَبَ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ وَالْجَبَلِ، الَّذِينَ اسْتَوْدَعُنَا هُمْ أَحْلَامَنَا قَبْلَ أَنْ جَفَّ الطَّيْنُ الَّذِي فِيهَا فِي أَشْعَةِ الشَّمْسِ.

وَلَا يزال خطابه هاجعاً في صدرنا كأغنية الحب نصف المنسية، وفي بعض المرات يخترق طريقه إلى ذاكرتنا.

كان خطابه بسيطاً فِرحاً، وكانت رنَّة صوته كالملائكة العذب في أرض
ناشفة.

وقد رفع يده نحو السماء فبدت أصابعه كأغصان الجميلة وقال بصوت عظيم: قد خاطبكم أنبياء القدماء، وأذانكم ممتلئة من خطبهم، أما أنا فأقول لكم: افرغوا أذانكم مما سمعتم.

وهذه الكلمات التي قالها يسوع: أما أنا فأقول لكم... لم يتلفظ بها رجل من قومنا، ولا من العالم أجمع، بل حملها إلينا جوق من الساروفيم في مروره بسماء اليهودية.

وكان يقتطف أقوال الشريعة والأنبياء مثنى وثلاث ورباع ثم يضيف إليها في كل مرة قائلًا: أما أنا فأقول لكم.

يا لها من كلمات نارية، يا لها من أمواج بحر لم تعرفها شواطئ أفكارنا،
أما أنا فأقول لكم! يا لها من كواكب لامعة تنشد ظلمة النفس، ونفوس
مستيقظة تنتظر جلال الفجر!



«الفجر»

إن من يود أن يتكلّم عن خطاب يسوع يجب أن يكون له خطابه أو صدّى خطابه، أما أنا فليس لي خطابه ولا صدّاه، فأرجو من فضلكم عذرًا عن الشروع في قصة لا أقدر أن أكملها. ولكن النهاية ليست على شفتي بعد. فإنها ما زالت أغنية حب في الريح.

نعمان الغداريني

موت استفانوس

قد تفرق تلاميذه، لأنّه وصّى لهم بالآلم قبل أن سيق إلى الموت. وأعداؤهم يصطادونهم صيد الغزلان وتعالب الحقول، ولا تزال جعة الصياد ممتهنة بالسهام.

ولكن عندما يقبض العدو عليهم ويسوقهم إلى الموت يفرحون وتشرق وجوههم كوجه العروس في وليمة العرس. فقد ترك لهم أيضًا وصية الفرح.

كان لي صديق من أهل الشمال اسمه استفانوس، وبما أنه نادى بيسوع ابن الإنسان قادوه إلى ساحة المدينة ورجموه.

وعندما سقط استفانوس على الأرض بسط ذراعيه كأنه يود أن يموت كما مات معلّمه. وقد انبسطت ذراعاه كجناحين على أهمية الطيران. وقيل أن يضمحل آخر بريق في عينيه رأيت بأم عيني ابتسامة قدسية ترسم على شفتيه. وما أشبه تلك الابتسامة بالنسيم الذي يأتي قبل نهاية الشتاء واعداً ومبشراً بقدوم الربيع! كيف أستطيع أن أصفها؟

يلوح لي أن استفانوس كان يود أن يقول: إذا كان لي أن أمضي إلى عالم آخر، وهناك قبض علىّ قوم آخرون وساقوني إلى ساحة مديتها ليرجموني، فلأنني حتى في ذلك العالم سأعلنه للناس من أجل الحق الذي كان فيه، ومن أجل الحق نفسه الذي هو في الآن.

وقد لاحظت بين المترفين على رجم استفانوس رجلاً واقفاً أمامه ينظر بملء الفرح إلى الحجارة المتتساقطة عليه.

وكان اسم ذلك الرجل شاورو الطرسوني، وهو الذي سلم استفانوس للكهنة والرومانيين والجموع ليترجموه.

كان شاورو أصلع الرأس قصير القامة. وكان معوج الكتفين ولا تناسب في قوامه، ولم أكن أحبه.

وقد أخبروني أنه يبشر اليوم بيسوع من على السطوح، ولكن هذا الكلام صعب التصديق.

ولكن القبر لا يستطيع أن يقف في طريق سير يسوع إلى معسكر أعدائه ليروض شراستهم ويأسر أعظمهم.

بيد أتنى لا أحب ذلك الرجل الطرسوني، على رغم ما عرفته أنه بعد موت استفانوس قد خمدت حدة شراسته وغلب على أمره في طريقه إلى دمشق. ولكن رأسه أكبر من قلبه. فهو لا يقدر أن يكون تلميذاً أميناً ومع كل هذا فقد أكون مخطئاً في حكمي، لأنني في الغالب مخطئ في أحکامي.

توما

يصف جده وشكوكة

قال لي جدي مرة، وكان متشرعاً: لنحتفظ بالحق عندما يظهر الحق لنا.

وعندما دعاني يسوع لبيت دعوته، لأن أمره كان أقوى من إرادتي ولكنتني لم أنس نصيحة جدي، رحمة الله.

وعندما كان يخاطبنا فيتحرك غيري من السامعين كأغصان الأشجار

المتمايلة أمام هبوب الرياح، كنت أصغي إليه من غير أن أحرك ولكتني على رغم ذلك أحبيته.

قد تركنا منذ ثلاث سنوات جماعة متفرقة تترنّم باسمه، وتشهد له في جميع الأمم.

وقد دُعيت في ذلك الوقت بتوما المشكك، لأن خيال جدي كان ألزم لي من ظلي، وكانت التمس إظهار الحقيقة لألمسها بيدي أبداً.

في ذلك العهد المظلم بالشك كنت أضع يدي في جرحي لأرى الدماء تنزف منه قبل أن أصدق ما بي من الألم.

ولكتني قد عرفت الآن أن الرجل الذي يحب بقلبه ويحتفظ بالشكوك في فكره، هو عبد محكوم عليه بالتجذيف في سفينة مظلمة، ينام أمام مجاذيفه ويحلم بحريته حتى توقيطه سياط سيده.

فأنا كنت مثل هذا العبد، وقد حلمت بالحرية، ولكن نوم جدي كان يشل أجفاني، وقد احتاج جسدي إلى سياط يومي.

إنتي حتى في حضرة الناصري كنت أغمض عيني لأرى يدي مربوطتين إلى المجداف.

الشك ألم أنسنة وحدته آلة والإيمان توأمان.

الشك فريخ من الطير ضال وشقى، ومع أن أمه التي ولدته ستتجده وتتضمه إلى صدرها، فإنه يهرب منها حذراً خائفاً.

ولن يعرف الشك سبيله إلى الحق حتى تشفي جراحه وتعود صحته.

فأنا شكت في يسوع حتى أظهر لي ذاته، ووضعت يدي في جراحه، حينئذ آمنت بالحقيقة، وبعد ذلك تحررت من أمري ومن جميع شكوك الأمس التي ورثتها عن جدودي.

فقد دفن الميت في موتاه، والحي في سيعيش للملك الممسوح، ذلك الذي دُعى ابن الإنسان.

فقد أخبروني في الأمس أنه يجب أن أسير مبشرًا باسمه بين أبناء فارس والهند.

إنني ماضٍ إلى عملي. ومن هذا اليوم إلى آخر أيامي، في الفجر وفي المساء، سأرى ربي قائماً بجلال وسأسمعه متكلماً.

المقدم المنطقي

يسوع الخارجي

تطلبون إلى أن أتكلم عن يسوع الناصري، ولدي عنده حديث مستفيض، ولكن لم يأت الوقت بعد، ولكن مهما قلت عنه الآن فهو الحق بعينه، لأن كل قول لا قيمة له ما لم يوضح الحقيقة.

إنه رجل مختلف، يثور على النظام، ومتسلط يقاوم المقتنيات، وستثير لا يفرح إلا مع المحتالين والمزدولين.

لم يكن ابن الولاية الفخور، ولا ابن الامبراطورية المتمتّع بحمايتها كسائر المواطنين النافعين، ولذلك كان يحترق الولاية والامبراطورية.

كان يعيش حرّاً لا يعرف الواجب كطهير الهواء، ولذلك أنزله الصيادون إلى الأرض بسهامهم.

ما من رجل يدك قباب الأمس وينجو من حجارتها المتتساقطة.

وما من رجل يفتح أبواب طوفان أسلافه من غير أن يختنق.

هي الشريعة. وبما أن ذلك الناصري كسر الشريعة صار هو وأتباعه البلداء إلى لا شيء.

وقد عاش في العالم كثيرون مثله من الرجال الذين أرادوا أن يغيروا مجرى حياتنا.

ولكنهم هم أنفسهم تغيروا، وكانوا خاسرين.

توجد دالية لا عنبر فيها تنموا عند أسوار المدينة، وهي تمتد وتعرش على حجارة السور، فإذا قالت هذه الدالية في قلبها: إني سأخرب هذه الجدران بقوتي وثقل أغصاني، فماذا تقول لها بقية النباتات؟ إنها ولا شك تضحك من جنونها.

لأجل هذا تراني يا سيدي مضطراً إلى الضحك من هذا الرجل ومن تلاميذه المخدوعين به.

إحدى المريمات

كآبة وابتسامة

كان رأسه مرتفعاً أبداً، ونور الرب كان في عينيه.

كان في الغالب كثيباً، ولكن كآبته كانت بلسمًا لجراح الحزانى والمستوحشين.

وعندما كان يبتسم كانت ابتسامته كمجاعة المشتاقين إلى غير المعروف، بل كانت كغبار الكواكب المتسلط على أجفان الأولاد، وكقطعة الخبز في الحلق.

كان كثيباً، ولكن كآبته كانت من النوع الذي ينهض إلى الشفتين ويتحول إلى ابتسامة.

فقد كانت كقناع ذهبي في العرج عند دنو الخريف. وفي بعض المرات كانت تبدو لنا كأشعة القمر على شواطئ البحيرة.

فكان يبتسم كأن شفتيه تودان الغناء في وليمة عرس .
بيد أنه كان كثييراً بكآبة ذي الجناحين الذي لا يريد أن يحلق فوق رفيقه .

رومأنوس الشاعر اليوناني يسوع الشاعر

كان يسوع شاعراً . وكان يرى لعيوننا ويسمع لأذاننا ، وكلماتنا الصامدة
كانت على شفتيه ، وأصابعه كانت تلامس ما لم نقدر نحن أن نحسن به .
وكانت تطير من قلبه عصافير مغزدة لا عديد لها بعضها إلى الشمال
وبعضها إلى الجنوب ، وكانت الأزهار اللطيفة في جوانب التلال تسد خطواته
نحو السموات .

كثيراً ما رأيته ينحني ليلامس أوراق الأعشاب ، وفي قلبي كنت أسمعه
يُخاطبها قائلاً : أيتها المخلوقات الصغيرة الخضراء ، أنت ستكونين معي في
ملكتي كما سيكون معي سنديان بيسان وأرز لبنان .

وكان يحب كل ما هو جميل في الوجود ، الوجوه الخجولة في الأولاد ،
والمر واللبنان من الجنوب .

قد أحب رمانة أو كأساً من الخمر تقرب إليه بمودة ، ولم يهمه أجزاءت
من غريب في الفندق أو من مضيف غني .

وكان يحب أزهار اللوز . وقد رأيته مرة يجمعها بيديه ويفطي وجهه
بأوراقها كأنه يود أن يعانق بمحبته كل أشجار العالم . قد عرف البحر
والسماءات ، وتكلم عن الدرر التي لم تخذ نورها من هذا النور ، والكواكب
القائمة فوق ليتنا .

وعرف الجبال كما تعرفها النسور، والأودية كما تعرفها السواقي
والجدائل، وكان في صمته صحراء، وفي كلامه جنة غناء.

نعم كان يسوع شاعراً قد أقام قلبه في مظلة تسمى على أعلى أعلاينا،
ومع أن ترانيمه أنشدت لآذانا فقد أنشدت أيضاً لآذان أخرى، وسمعها الناس
في بلاد أخرى حيث الحياة كلها شباب دائم والزمان كله فجر مقيم.

قد حسبت نفسي شاعراً فيما مضى، ولكنني عندما وقفت أمامه في بيت
عندي عرفت للحال ما مقام الضارب على آلة ذات وتر واحد أمام الذي يأمر
جميع الآلات وجميع الأوتار فتطيعه، فقد اجتمع في صوته ضحك الرعد،
ودموع الأمطار، ورقص الرياح والأشجار.

ومذ عرفت هذا صارت قيثاري ذات وتر واحد، ولم يعد لصوتي أن
يحوك لا تذكريات الأمس ولا آمال الغد، ولذلك رمت بقيثاري جانبأً وعولت
على الاعتصام بالصمت. ولكنني عند كل شفق أصغي بجماع نفسي، لأسمع
الشاعر الذي هو أمير جميع الشعراء.

لاوي التلميذ

في المجريين والمرائين

في أحد الأمساء مزّ يسوع بيتي، فاستيقظت نفسي في أعماقي.

فخاطبني قائلاً: هلّم يا لاوي واتبعني.
فتبعته في ذلك اليوم.

وفي مساء اليوم التالي طلبت إليه أن يدخل بيتي ويشرفني بضيافته، فعبر
فوق عتبي هو وأصدقاؤه وباركتي مع امرأتي وأولادي.

وكان في بيتي ضيوف غيره من الكتبة والعلماء ولكنهم كانوا ضده في
قلوبهم.

وعندما جلسنا إلى المائدة سأله أحد الكتبة قائلاً:
أحقيقة أنت وتلاميذك تكسرن الشريعة بليقادكم ناراً يوم السبت؟
فأجابه يسوع قائلاً: نحن بالحقيقة نوقد ناراً يوم السبت، فإننا نوّد أن
ننير يوم السبت، ونحرق بمشعلنا كل القش اليابس المجتمع في جميع الأيام.
فقال له كاتب آخر: وقد أخبرونا أنت تشرب خمراً مع غير الأنقياء في
الفندق.

فأجاب يسوع وقال: نعم وهذه أيضاً تتعمّب بها. أنهل جتنا إلى هنا إلا
لنشاطر غير المتوجين فيكم رغيفهم وكأسهم؟
قليلون، بل أقلّ من القليلين هم الذين لا ريش لهم ولكنهم يجرؤون
على مقاومة الريح، وكثيرون هم المجنحون والمرتّشون الذين ما برحوا في
أعشاشهم.

ونحن نطعم الجميع بمنقارنا، الكسالى والمجتهدين بالسوية.

فقال كاتب ثالث: ألم أسمع أنت تحامي عن زواني أورشليم؟
حيثئذ رأيت بعيني كانّ أعلى لبنان الصخرية قد ارتسمت على وجه
يسوع، فقال: نعم، كلّ ما سمعتموه حقيقي.

ففي يوم الحساب ستقف هؤلاء النساء أمام عرش أبي وسيتلقين
بدموعهن، أما أنت فسيحكّم عليكم بقيود دينوتكم.

إن بابل لم تخربها الزواني، ولكن بابل تحولت إلى رماد لكي لا تنظر
عيون المرائين فيها نور النهار فيما بعد.

وكان كتبة آخرون يودون أن يسألوه أيضاً، غير أنني أشرت عليهم
بالصمت، لأنني عرفت أنه سيخذلهم، وبصفتهم ضيوفاً في بيتي لم أشاً أن
تلحقهم إهانة.

وعند انتصار الليل ترك الكتبة متزلي وقد تخلعت نفوسهم.
حيثئذ أغمضت عيني فرأيت، كما لو كنت في رؤيا، سبع نساء بشباب

بيضاء واقفات حول يسوع. وكأن واقفات بخشوّع وقد صلّب أذرعهنّ على صدورهنّ وحنين رؤوسهنّ. وإذا تأملت ملياً بضباب حلمي نظرت وجه واحدة منها فأشرق لاماً في ظلمة خيالي.

وكان ذلك الوجه وجه الزانية التي عاشت في أورشليم.
ثم فتحت عيني ونظرت إلى يسوع، فإذا هو يبتسم وينظر إلى وإلى جميع الذين لم يتركوا المائدة.

فاغمضت عيني ثانية، وهنالك رأيت في النور سبعة رجال بشباب بيضاء واقفين حول المعلم وإذا تأملتهم عرفت وجهها من وجوههم.

وكان ذلك الوجه وجه اللص الذي صلب فيما بعد عن يمينه وبعد ذلك ترك يسوع وأصحابه متزلي وساروا في طريقهم.

أرملة الجليل

يسوع القاسي

كان ابني بكرًا لي وكان الولد الوحيد الذي ولدته. وكان يشتغل في حقلنا، وكان راضياً بعمله حتى سمع الرجل المدعو يسوع يخاطب الجموع، حيث تغير ابني فجأة، كان روحًا غريبة غير صحيحة عانقت روحه.

فرك الحقل والبسنان، وتركني أنا أيضًا، وصار خاملًا يعيش بين رعاع الطريق.

إن ذلك الرجل، المدعو يسوع الناصري، شرير، لأن أي رجل صالح يفصل ابناً عن والدته؟

وكان آخر ما قاله لي ابني هكذا: أنا ماضٍ مع أحد تلاميذه إلى البلاد الشمالية، لأنني قد جددت بناء حياتي على صخرة الناصري، أنت قد ولدتني

وأنا شاكر لك صنيعك، ولكن الواجب الأسمى يدعوني إلى الذهب، أما أنا
تارك لك أرضاً الغنية وكل ما لنا من الفضة والذهب؟ إني لن أحمل معي
شيئاً إلا هذا الثوب وهذه العصا.

هكذا خاطبني ابني وفارقني.

واليوم قد قبض الرومانيون والكهنة على يسوع وصلبوه، وحسناً فعلوا.
فإن الرجل الذي يفرق ابن عن أمه لا يمكن أن يكون من الله.
والرجل الذي يرسل أولادنا إلى مدن الأمم لا يقدر أن يكون لنا صديقاً.
إني أعرف أنّ ابني لن يرجع إلى، فقد رأيت ذلك في عينيه، ولأجل
هذا أبغض يسوع الناصري الذي سبب وحدتي في هذا الحقل غير المفلوح
وهذا البستان الذابل.

وقد أبغضت كل من يمدحه.

قيل لي منذ أيام إن يسوع قال مرة: إن أبي وأمي وإخوتي هم الذين
يسمعون كلامي ويتبعونني.

ولكن لماذا يجب على الأبناء أن يتركوا أمهاطهم ويتبعوا خطواته؟
ولماذا يجب أن ينسى حليب ثديي في سبيل ينبع لم يذق بعد؟ وحرارة
ذراعي يعرض عنها من أجل بلاد الشمال الباردة والممتلئة بالعداء؟
إلا، إني أبغض ذلك الناصري، وسأبغضه إلى آخر أيامي، لأنّه سرق
بكري وحرمني وحيدني.

يهودا فسيب يسوع

موت يوحنا المعمدان

حدث في ليلة من ليالي آب أتنا كنا مع المعلم في مرج قريب من البحيرة، وقد أطلق القداماء على هذا المرج اسم مرج الجمامجم.

وكان يسوع مضطجعاً على العشب يتأمل النجوم.

وحدث فجأة أن رجلين ركضا إلينا بأنفاس متقطعة، وكانت أمائر الألم مرسمة على ملامحهما، فركعا على قدمي يسوع.

وقف يسوع وقال لهما: من أين جئتم؟

فأجابه أحدهما: من ماخاروس.

فنظر إليه يسوع مضطرباً وقال: وما حل بيوحنا؟

فأجابه الرجل: قد قتلوه اليوم، وقد قطعوا رأسه في سجنه، فرفع يسوع رأسه، ثم مشى بعيداً عنا قليلاً، وبعد هنيئة رجع ووقف في وسطنا.

فقال لنا: كان في منال الملك أن يقتل النبي قبل اليوم، بالحقيقة إن الملك قد جرب كل ملذات رعاياه، ولكن ملوك القداماء لم يكونوا بطبيتين هكذا ياعطاء رأس نبي لصيادي الرؤوس.

إتني لست حزيناً من أجل يوحنا، بل أنا حزين من أجل هيرودوس الذي سمح بسقوط السيف، مسكون هو الملك فهو كالحيوان الذي يقبحون عليه ويقودونه بحلقة وحبال.

ما أشقي رؤساء الربع هؤلاء! فإنهم إذ يتيمون في ظلمتهم يعشرون ويسقطون. وهل ترجون من البحر القدر إلا أسماكاً ميتة؟

أنا لا أبغض الملوك، فليحكموا الناس، ولكن على شرط أن يكونوا أحكم من الناس.

ثم نظر المعلم إلى وجهي الرسولين الكثيدين وإلى وجوهنا وخاطبنا ثانية وقال: قد ولد يوحنا مجروباً. وكان دم جرحه يفيض مع كلامه. فقد كان

حرية لم تتحرر بعد من ذاتها، وصبراً لا يعرف إلا المستقيمين والأبرار.
بالحقيقة إنَّه كان صوتاً صارخاً في أرض الذين لهم آذان ولا يسمعون،
وقد أحببته في كَابته ووحدته.

وأحببت كيرياء التي قدمت رأسها للسيف قبل أن تسلمه للتراب.
الحق أقول إنَّ يوحنا بن زكريا هو آخر أبناء جنسه، وقد قتل كأسلافه
بين عتبة الهيكل والمذبح.
ثم مشى ثانية بعيداً عن قليلاً.

وبعد دقيقة من الزمان رجع وقال: هكذا كان وهكذا سيكون. إنَّ الذين
يحكمون ساعة سيقتلون الذين يحكمون أعواناً، وهكذا سيكون أبداً انهم
يعقدون مجالسهم ويحكمون على الرجل الذي لم يولد بعد، ويقضون بموته
قبل أن يرتكب الجريمة.

إنَّ ابن زكريا سيعيش معِي في ملكتي وسيكون نهاره طويلاً.
ثم التفت إلى تلميذه يوحنا وقال: لكل عمل غده، وأنا نفسي قد أكون
غداً لهذا العمل، فاذهبا إلى أصدقاء صديقي وقولاً لهم إنَّني سأكون معهم.
فانصرف الرجالان في طريقهما، وكانا أقلَّ كابة من الوقت الذي وصلا
فيه.

أما يسوع فاضطجع على العشب ثانية ويُسطِّر ذراعيه وعاد إلى التأمل
بالنجموم.

وكانت ساعة متأخرة من الليل، وكنت متكتتاً بجانبه، أتوقف إلى الراحة
من كل قلبي، ولكن يداً خفية كانت تقرع على بوابة نومي، ولذلك بقيت
مستيقظاً حتى دعاني يسوع والفجر إلى الطريق.

رجل من الصحراء

في الصيارفة

كنت غريباً في أورشليم، وقد أتيت إلى المدينة المقدسة لأنظر الهيكل العظيم، وأقدم ذبيحتي على المذبح، لأن زوجتي ولدت صبيين توأمين لقبيلتي.

وبعد أن قدمت ذبيحتي وقفت في رواق الهيكل أنظر إلى الصيارفة وبائعي الحمام، وأصغي إلى الضجيج العظيم المتتصاعد من الدار.

وفيما كنت واقفاً دخل رجل فجأة ووقف في وسط الصيارفة وبائعي الحمام. وكان رجلاً وقاراً عظيماً، وقد دخل بسرعة عجيبة.

وكان يحمل بيده حبلاً مصنوعاً من جلود التيوس، فشرع يقلب موائد الصيارفة ويضرب بائعي الطيور بحبله.

وقد سمعته يقول بصوت عظيم: أطلقوا هذه الطيور في الجو الذي هو عشها.

وكان الرجال والنساء يهربون من أمام وجهه، وهو يتحرك بينهم كما تتحرك زوبعة الرياح على تلال من الرمل.

كل هذا حدث بلحظة واحدة، ففرغت دار الهيكل من الصيارفة. ولكن الرجل وقف هناك وحده، وكان أتباعه يقفون بعيداً عنه.

ثم أدرت وجهي فرأيت رجلاً آخر في رواق الهيكل. فسررت إليه وقلت له: هل لسيدي أن يخبرني من هو هذا الرجل الواقف وحده كأنه هيكل ثان؟ فأجابني وقال: هذا هو يسوع الناصري، النبي الذي ظهر أخيراً في الجليل، ولكن جميع الناس هنا في أورشليم يبغضونه.

فقلت: إن في قلبي من القوة ما يحملني لأن أكون مع سوطه، وفيه من الاستسلام ما يحملني للسجود عند قدميه.

أما يسوع فإنه رجع إلى رفقائه الذين كانوا يتظرونه، ولكن قبل أن يصل إليهم رجعت ثلاث حمامات من حمام الهيكل فحطت واحدة على كتفه اليسري والاثنتان عند قدميه، فوضع يده بلطف عجيب على كل منها، ثم تابع سيره، وكان في كل خطوة من خطواته فراسخ عديدة.

برتكم أخبروني بأية قوة ضرب المئات من الرجال والنساء وفرقهم من غير أقل مقاومة؟ فقد قيل لي إنهم كلهم أبغضوه، ولكن لم يجرؤ أحد أن يقف أمامه في ذلك اليوم، فهل قلع أنياب البغض في طريقه إلى دار الهيكل؟

بطرس في مستقبل التلاميد

ذهب بنا يسوع مرةً عند غروب الشمس إلى قرية بيت صيدا. وكان التعب آخذًا مأخذة من جماعتنا، وكان غبار الطريق محيقاً بنا. فأتينا إلى منزل كبير في وسط بستان جميل، وكان رب البيت واقفاً أمام البوابة.

فقال له يسوع: إن هؤلاء الرجال تعبون، وقد تقرحت أقدامهم من المشي، فدعهم ينامون في بيتك، فإن الليلة باردة وهم في حاجة إلى الدفء والراحة.

فأجاب الغني وقال: إنهم لن يناموا في بيتي.

فقال له يسوع: فاسمح لهم إذاً أن يناموا في بستانك.

فأجاب الرجل: كلاً ولا أسمح لهم بالنوم في بستاني.

ثم التفت يسوع إلينا وقال: إن هذا مثال مما ستتصиرون إليه في الغد، وهذا الحاضر يشبه مستقبلكم، إن جميع الأبواب ستغلق في وجوهكم، حتى أن البساتين المتكتلة تحت النجوم ستغلق أبوابها دونكم.

فإذا صبرت أقدامكم على عناء الطريق وثبتتم، تتبعوني، فإنكم قد تجدون طستاً وفراشاً، وربما خيزاً وخمراً أيضاً. ولكن إذا حدث ولم تجدوا شيئاً من هذا فلا تنسوا في ذلك الوقت أنكم قد عبرتم صحراء واحدة من صحارى معلمكم.

هلم بنا نمضي من هنا.

أما الرجل الغني فإنه كان مضطرباً، وقد تغير لون وجهه، وكان ينطق بكلمات لم أسمعها، فتحول عنا وارتدى إلى بستانه.

وهكذا تبعنا يسوع على الطريق.

ملخي الفلكي البابلي

في عجائب يسوع

تسألوني عن عجائب يسوع.

في كل ألف ألف سنة تجتمع الشمس والقمر وهذه الأرض وجميع شقيقاتها السيارات في خط مستقيم، ويتباحثن معاً هنية واحدة.

ثم يتفرقن ببطء وينتظرون مرور ألف سنة أخرى.

لا عجائب في الوجود وراء الفصول، ولكن أنت وأنا لا نعرف كل الفصول، وما قولك في فصل كامل يتجسد بشكل رجل واحد؟.

في يسوع اجتمعت كل عناصر أجسادنا وأحلامنا طبقاً للشريعة. وكل ما كان من قبله سابقاً لأوانه قد وجد فيه أوانه.

يقولون إنه كان يعطي العميان بصراً والمعددين مقدرةً على المشي، وإنه كان يخرج الشياطين من المجانين.

قد لا يكون العمى إلا فكرةً مظلمة يمكن التغلب عليها بفكرة ملتهبة .
وقد لا يكون العضو المشلول إلا خمولًا يمكن إيقاظه بالقوة المتحركة .

وقد يكون أن الشياطين ، وهي العناصر القلقة في حياتنا ، تخرجهم منا
ملائكة السلامة والطمأنينة .

ويقولون إنه أعاد الموتى إلى الحياة . فإذا كنت تقدر أن تخبرني ما هو
الموت فأنا حيتند أخبرك ما هي الحياة .

نظرت مرة في أحد الحقول بلوطة هادئة لا قيمة لها ولا شأن . وعدت في
الربيع فرأيت تلك البلوطة تمد جذورها في الأرض وتنهض لتصير سندية
جبارة أمام وجه الشمس .

أنت ولا شك تحسب هذا أujeوبة ، ولكن هذه الأujeوبة تصنع ألف
ألف مرة في غفلة كل خريف وشوق كل ربيع .

فماذا يمنع حصولها في قلب الإنسان ؟ أفلًا تقدر الفصوص أن تجتمع في
يد إنسان ممسوح أو على شفتيه ؟ .

فإذا كان إلهنا قد منح الأرض أن تحتضن البذور في حين أن البذور ميتة
بحسب الظاهر ، فلماذا لا يمنع قلب الإنسان أن ينفع نسمة الحياة في قلبه
آخر ، وإن كان هذا القلب ميتاً بحسب الظاهر ؟ .

قد تكلمت عن هذه العجائب التي لا أعيدها سوى القليل من الانبعاث
تجاه الأujeوبة الكبرى ، التي هي الرجل نفسه ، العابر السبيل ، الرجل الذي
حوال نهاية الصدا في إلى ذهب وهاج ، وعلمني كيف أحبت الذين يبغضوني ،
ويعمله هذا حمل إلى التعزية الكاملة وكلل نومي بالأحلام اللذيدة .
هذه هي الأujeوبة في حياتي .

كانت نفسي عمياً ، وكانت نفسي عوجاء ، وكان في أعماقي كثير من
الأرواح القلقة ، وكنت ميتاً .

أما اليوم فأنا أرى بوضوح ، وأمشي مستقيماً ، وقد عاودتني سلامتي وأنا

أعيش لأشهد وأعلن عجائب كياني في كلّ ساعة من النهار.
وأنا لست من أتباعه، بل أنا فلكي شيخ أزور حقول الفضاء مرة في كل
فصل، وأاحترم الشريعة وأصدق بعجائبها.
أنا الآن في شفق زمامي، ولكني كلما فتشت عن فجره إنما أفترش
بالحقيقة عن شباب يسوع.
إن العمر ينشد الشباب أبداً، ولكن بي تفتش المعرفة عن الرؤيا.

فيلسوف في العجب والجمال

عندما كان معنا كان ينظر إلينا وإلى أعمالنا بعين العجب، لأن عينيه لم
تنقّلوا ببرقع السنين، وكل ما رأه كان واضحاً في نور شبابه.
ومع أنه سير غور الجمال فقد كان يندهل أبداً أمام سلامه وجلاله، وقد
وقف أمام الأرض كما وقف الإنسان الأول أمام اليوم الأول.
أما نحن الذين تحدرت حواسنا فإننا ننظر في نور النهار الكامل ولكتنا لا
نرى شيئاً. فنحن نحطم آذاناً ولكتنا لا نسمع، ونمد أيدينا ولكتنا لا نلمس،
ولو احترق أمامنا كل بخور العربية فإننا نسير في طريقنا من غير أن نشتّم
رائحة.

نحن لا نرى الزارع عائداً من حقله عند المساء، ولا نسمع مزمار الراعي
وهو يقود قطبيعه إلى العلف، ولا تمد ذراعنا لللامس غروب الشمس، ومشامنا
لا تجوع فيما بعد لعيير زهور شارون.

أجل، نحن لا نكرم ملوكاً بدون ممالك، ولا نسمع أنغام القيثارة ما لم
نضع أوتارها بأيدينا، ولا نرى الولد الذي يلعب في بستان زيتوننا كما لو كان

هو نفسه شجرة من الزيتون. وجميع الأقوال يجب أن تخرج من شفاه من اللحم، وإنما فنحن نحسب بعضنا بعضاً خرساً وصمتاً.

بالحقيقة إننا ننظر ولا ننصر، ونصغي ولا نسمع، ونأكل ونشرب ولكننا لا نذوق. وفي جميع هذا يقوم الفرق الأولي بين يسوع الناصري وبيننا.

فقد كانت جميع حواسه تتعدد فيه أبداً، وكان العالم في نظره جديداً دائماً.

ولم يكن نظره إلى تتمة الطفل بأقل من نظره إلى صرخ الإنسانية بكمالها، في حين أنها في نظرنا تتمة طفل لا أكثر ولا أقل.

وكان جذر الشقيق الأصغر في عقيلته حنيناً إلى الله، ولكنه ليس في نظرنا سوى جذر بسيط.

أورياس الشيخ الناصري كان غريباً في وسطنا

كان غريباً في وسطنا، وكانت حياته مستوررة تحت نقاب مظلم. لم يسر في طريق إلهاه، ولكنه اتبع طرق الأشرار والأرداء.

قد ثارت صبوته ورفضت حلاوة الحليب الذي في طبيعتنا.
وكان شبابه ملتهباً كالقش اليابس المحترق في الليل.
وعندما صار رجلاً حمل السلاح ضدنا جميعاً.

إن أمثال هؤلاء الرجال يحبل بهم في جزر اللطف البشري ويولدون في العواصف الشريرة، وفي العواصف الهوجاء يعيشون يوماً ثم يهلكون إلى الأبد.

ألا تذكرون جيداً وهو في عهد الفطام، يجادل شيوخنا العلماء ويهزأ

بجلالهم ووقارهم؟ .

أفلا تذكرون شبابه، إذ عاش بين المنشار والإزميل رافضاً أن يرافق
أبناءنا وبيناتنا في أيام الأعياد ومختاراً العزلة لنفسه؟ .

ولم يكن يردد تحية لمن يحييه من المارة كأن طينته أرفع من طيتنا. قد
رأيته أنا نفسي مرةً في الحقل فحييته، فابتسم فقط، فرأيت في ابتسامته غطرسة
واحتقاراً .

وبعد ذلك بقليل من الزمن ذهبت ابنتي إلى الكرم مع رفيقاتها لقطف
العنب، وهي أيضاً خاطبته فلم يردد عليها جواباً .

بيد أنه وجه خطابه لجميع العاملات في الكرم، كان ابنتي لم تكن
معهن .

وعندما ترك أهله وهام في البلاد خسر كل شيء وصار ثرثراً، وكان
صوته كالمخلب ينشب في أجسادنا، ولا يزال صدى صوته ألمًا في ذاكرتنا.
إنه لم يتكلم بغير الشر عنا وعن آبائنا وأجدادنا. وكان لسانه كالسهام
المسمومة في قلوبنا .

هذا هو يسوع .

ولو كان هذا ابنًا لي لكونت أرسلته مع جيوش الرومانيين إلى بلاد
العرب. ولكن طلبت إلى القائد أن يضعه في مقدمة المقدمة من الجيش في
ساحة الحرب لتذهب به سهام العدو وتحررني من غطرسته ووقاحته .

ولكن لا ابن لي . وأنا شاكر ربى على ذلك، لأنّه ماذا كان يصيّبني لو أن
ابني كان عدواً لشعبه، وكان شعري الأبيض اليوم يطلب الرماد في عاره
ولحيتي البيضاء تحقر وتهان؟ .

نيقوذيموس الشاعر

أصغر الشيوخ في السندريلم

كثيرون هم الأغنياء الذين يقولون إن يسوع وقف في طريق نفسه وقاوم ذاته، وإنّه لم يعرف فكره، وفي ضياع هذه المعرفة عمل على تضليل ذاته.

بالحقيقة ما أكثر اليوم التي لا تعرف من الأغاني غير ما شابه تعبيها.

أنا وأنت نعرف مشعوذى الكلام الذين لا يحترمون إلا من كان أكبر شعوذة منهم، هؤلاء هم الذين يحملون رؤوسهم في سلال إلى السوق ويبيعونها بأول ثمن يعرض عليهم.

نحن نعرف الأقزام الذي يتحاملون على من تلمس رؤوسهم السماء، ونعرف ما ي قوله العوسيج عن السنديانة والأرزة.

إنني أشفق عليهم لأنهم لا يقدرون أن يصلعوا إلى الأعلى.

إنني أشفق على الشوكة الجافة في حسدها للدردار الذي يجرؤ على الفصول.

ولكن الشفقة، ولو أحاط بها أسف جميع الملائكة، فهي لا تحمل لهم نوراً.

إنني أعرف اللعين الذي يتمايل بأثوابه الرثة على أدنات الزرع ولكنه ميت أمام الزرع وأمام الريح المترنة.

وأعرف العنكبوت التي لا جناح لها تحوك الشباك لاصطياد كل ذي جناح.

وأعرف الماكرين، ونافخي الأبواق، وضاربي الطبول، الذين لا يستطيعون في وفرة ضجيجهم أن يسمعوا قنبرة السماء ولا الريح الشرقية في الغابة.

وأعرف الذي يجذف في جميع الجداول ولكنه لا يجد الينبوع، ويركض

مع جميع الأنهر ولكنه لا يجرؤ على السير إلى البحر.

وأعرف الذي يقدم يديه البليدين إلى رئيس البناء في الهيكل، وعندما ترفض يداه البليدان ينبري قائلاً في ظلمة قلبه: سأهدم كل ما سيبني.

إني أعرف جميع هؤلاء. فهم الذين يعترضون على أن يسوع قال مرّة: إني أحمل سلاماً لكم. وفي مرّة ثانية قال: إني أحمل سيفاً.

فهم لا يقدرون أن يفهموا أنه نطق بالحقيقة عندما قال: إني أحمل سلاماً لأبناء السلام، وأضع سيفاً بين من يحب السلام ومن يحب السيف.

ويتعجبون كيف أن الذي قال: إن مملكتي ليست من هذا العالم، قال أيضاً: أعطوا ما لقيصر لقيصر. ولكنهم لا يعلمون أنهم إذا رغبوا حقاً في أن يكونوا أحراراً ليدخلوا ملکوت رغبات قلوبهم، فالواجب يقضي عليهم إلا يقاوموا الحارس الواقف على بوابة حاجتهم. ففي مصلحتهم أن يدفعوا ذلك الرسم العقير ليدخلوا إلى تلك المدينة.

هؤلاء هم القائلون: قد علّم باللطف والحنان والمحبة العائلية ولكنه لم يحفل بأمه وبأخوه عندما كانوا يفتشون عنه في شوارع أورشليم.

وهم لا يعلمون أن أمه وأخوه كانوا يودون في مخاوف رغبتهم أن يرجعوه إلى مصنع النجار، أما هو فكان يريد أن يفتح عيوننا لننصر فجر يوم جديد.

إن أمه وأخوه كانوا يريدون أن يعيش في ظل الموت، أما هو فقد استشهد الموت على تلك التلة ليظل حياً في ذاكرتنا التي لا تنام.

إني أعرف هذه المناجد التي تحفر الأنفاق بدون غاية معروفة. أليسوا هم الذين يتحاملون على يسوع بقولهم إنه كان يعظم نفسه عندما قال للجوع: أنا الطريق والباب للخلاص، وإنه دعا نفسه الحياة والقيامة؟

ولكن يسوع لم يدع نفسه أكثر مما يدعي شهر أيار في مذيه.

أفما كان له أن يعلن الحقيقة اللامعة لأن لمعانها كان شديداً؟

فقد قال بالحقيقة إنه الطريق والحياة والقيمة للقلب، وأنا نفسي أشهد
بصحة هذا القول.

أفلا تذكروني أنا نيكوديموس، الذي لم يؤمن بغير الشريعة وأوامر
الناموس، وكان في مقدمة الطائعين للقانون؟

فانظروا إلى الآن، تروا رجلاً يمشي مع الحياة، ويضحك مع الشمس من
ابتسامتها الأولى للجبال حتى تسلم نفسها إلى فراشها وراء التلال.

لماذا تتوقفون أمام كلمة الخلاص؟

فأنا نفسي بواسطته حصلت على خلاصي.

فلا يهمني اليوم ما سيصيبني في الغد، لأنني أعرف أن يسوع أنشى
منامي وجعل لي من أحلامي البعيدة رفقاء وأصدقاء للطريق.

فهل أصير أصغر من إنسان إذا آمنت بمن هو أعظم من إنسان؟.

إن حواجز اللحم والدم قد سقطت عندما خاطبني شاعر الجليل. وقد
قبضت على روح، فارتقت إلى الأعلى، وفي وسط الهواء جمعت أجنهتي
أغنية الهواء النقي.

وعندما نزلت عن متن الريح وظهرت غرابة آرائي في السندراتم، فإني
حتى في ذلك المجلس الأعلى لم أخسر أغنيتي، لأن ضلوعي، التي هي
أجنهتي بغير ريش، قد احتفظت بالأغنية وحرستها. وكل ما في الأرض
الحقيقة من الفقر المدقع لن يستطيع أن يسلبني كنزِي.

قد تكلمت بما فيه الكفاية. دع الطرش يدفنون تمتة الحياة في آذانهم
الميتة. فأنا راضٍ بأنغام قيثارته التي كان يحملها ويضرب على أوتارها عندما
سمروا يدي جسده على الصليب ونفخت منهما الدماء.

يوسف الذي من الرامة

بعد عشر سنوات

الجدولان النابعان من قلب يسوع

كان في قلب الناصري جدولان يجريان: جدول القرابة مع الله الذي سماه أبياً. وجدول الهيام الذي دعاه ملوكوت العالم العلوي. وفي عزلتي طالما فكرت فيه، وتبعـت هذين الجدولين النابعين من قلبه. فعلى حافة الجدول الأول وجدت نفسي. وكانت نفسي تارة متسلة وهائمة، وطوراً أميرة في بستانها.

ثم تبـعـت الجدول الثاني في قلبه، وفي طريقـي وجدت رجلاً ضربـه اللصوص وسرقوا ذهبـه. ولكن الابتسامة لم تفارق شفتيـه. ولكنـني لم أبعـد قليلاً حتى وجدت اللصوص الذين سرقـوه. وبعد أن تأملـت وجـوهـهم رأـيت على وجـنـاتـهم دمـوعـاً لمـ تـذـرـفـها عـيـونـهـمـ بعدـ.

ثم سمعـت خـرـيرـهـذـينـ الجـدـولـينـ فيـ أـعمـاـقـيـ أناـ أـيـضاـ، فـامتـلـأـتـ بهـجـةـ.

عـندـما زـرـتـ يـسـوعـ قـبـلـ أـنـ قـبـضـ عـلـيـهـ بـيـلاـطـسـ الـبـنـطـيـ وـالـشـيـوخـ بـيـوـمـ وـاحـدـ، تـكـلـمـنـاـ مـلـيـاـ. وـسـأـلـتـهـ أـسـئـلـةـ كـثـيرـةـ. وـقـدـ أـجـابـ عـلـىـ جـمـيعـ مـسـائـلـيـ بـكـمالـ الـمـسـرـةـ. وـعـنـدـماـ تـرـكـتـهـ عـرـفـتـ أـنـهـ هوـ الـرـبـ وـالـسـيـدـ لـهـذـهـ الـأـرـضـ التـيـ نـعـيـشـ فـيـهـاـ.

وـقـدـ سـقـطـتـ الـأـرـزـةـ مـنـذـ عـهـدـ طـوـيلـ وـلـكـنـ عـطـرـهـاـ سـيـقـيمـ أـبـداـ.

وـسـيـنـشـدـ زـواـياـ الـأـرـضـ الـأـرـبـعـ إـلـىـ الـأـبـدـ.

جاوريوس البيروتي في الغرباء

كان يسوع مع أصدقائه في حرج الصنوبر وراء سياجي، وكان يخاطبهم.
فوقفت قريباً من السياج أتسمع على كلامه. فقد عرفته من هو، لأن شهرته وصلت إلى هذه الشواطئ قبل أن زارها هو.
وعندما فرغ من كلامه تقدمت إليه وقلت له: هلم يا سيدي مع هؤلاء الرجال وشرف متزلي بزيارتكم.
فنظر إلي مبتسمأ وقال: ليس في هذا اليوم، يا صاح، ليس في هذا اليوم.
وكان في كلماته بركة، وشعرت بأن صوته يضمني كالرداء الصوفي في ليلة باردة.
ثم التفت نحو أصدقائه وقال: انظروا رجلاً لا يحسبنا غرباء ، ومع أنه لم ينظروا قبل اليوم فهو يدعونا إلى بيته.
بالحقيقة إنه لا يوجد غرباء في ملكتي. إن حياتنا هي حياة جميع الناس، وقد أعطيناها لنعرف جميع الناس، وبذلك المعرفة نحبهم.
إن أعمال جميع الناس هي أعمالنا بعينها الخفية والظاهرة.
استخلفكم إلا تكونوا ذاتاً واحدة، بل ذاتاً عديدة - مالك البيت ومن لا بيت له، الزارع والزرزور الذي يلتقط العجوب قبل أن تنام في الأرض، المعطي الذي يعطي بشكر والمستعطى الذي يأخذ بكرياء ومعرفة.
إن جمال النهار لا يقتصر على ما ترونـه أنتـم، بل يشمل ما يراه غيرـكم أيضاً.

لأجل هذا قد اختـرتـكم من بين الكثـيرـين الذين اختـارـوني.
ثم نظرـ إلي وتبـسمـ ثانيةـ وقالـ: إـنـيـ أـقـولـ كلـ هـذـاـ لـكـ أـنـتـ أـيـضاـ، وـانتـ أـيـضاـ ستـذـكـرـ كلمـاتـيـ.

ثم توسلت إليه قائلًا: يا سيدِي أ فلا تزورني في بيتي؟
فأجاب: إنني أعرف قلبك وقد زرت بيتك الأكبر.
وعندما مشى قليلاً مع تلاميذه قال: أسعد الله مسامعك وليكبر الله بيتك
حتى يزوي جميع الهاهفين في هذه الأرض.

مريم المجدلية كان فمه كقلب الرمانة

كان فمه كقلب الرمانة، وكانت ظلال عينيه عميقه.
كان لطيفاً كالرجل الذي يعرف قوته.
قد رأيت في أحلامي ملوك الأرض واقفين احتراماً في حضرته.
إنني أود أن أتكلّم عن وجهه، ولكن كيف أستطيع ذلك؟
فقد كان كالليلة التي لا ظلمة فيها، وكالنهار الذي لا يعرف ضجيج
النهار. كان وجهها كثيناً، ولكنه كان ممتلئاً فرحاً.
إنني أتذكر جيداً كيف رفع يده مرة نحو السماء، فبدت أصابعه المتفرقة
كأغصان الدردار.
وأذكره جيداً وهو يقيس الماء بخطواته، إنه لم يكن يمشي. فهو نفسه
كان طريقاً فوق الطريق. كما أن السحابة التي فوق الأرض تنحدر لتنعش
الأرض.

بيد أنني عندما وقفت أمامه وخاطبته كان رجلاً، وكان وجهه يملأ عين
الناظر إليه بقوة. وقد قال لي: ماذا تريدين يا ميرiam؟
إنني لم أجاوبه، ولكن أجئحتي احتضنت سري، فسرت الحرارة في
جسمي.

وإذ لم أقدر على احتمال نوره تركته وسرت في طريقي، ولكن عاري
فارقني. ولم يبق لي سوى الحياة فقط، والرغبة في أن أكون وحدى لتضليل
أصابعه على أوتار قلبي.

يوثام الناصري إلى أحد الرومانيين في الحياة والوجود

أنت يا صديقي كجميع الرومانيين، تود أن تتصور الحياة أكثر من أن
تحياها. وتفضل أن تحكم الأرض ولا تكون محكوماً من الروح.

أنت تفضل أن تفهّر الشعوب فيلعنك أبناؤهم، على أن تبقى في روما
مباركاً سعيداً.

أنت لا تفكّر إلا في الجيوش الراحفة والسفن الماخرة في البحر.

إذن كيف تستطيع أن تفهم يسوع الناصري، الرجل البسيط الوحيد الذي
جاء بغير الجيوش والسفن، ليؤلف مملكة في القلب وأمبراطورية في حرية
فضاء النفس؟.

كيف تقدّر أن تفهم هذا الرجل الذي لم يكن محارباً لكنه جاء بقوة الأثير
القدير؟.

فهو لم يكن إلهآ، بل كان إنساناً مثلنا، ولكن فيه نهض من الأرض
ليلاقي ليان السماء، وفي كلماته تعانقت تمنتنا مع همس غير المنظور، وفي
صوته سمعنا انشودة لا يسبّر غورها.

نعم، كان يسوع إنساناً ولم يكن إلهآ. وفي هذا منتهى عجبنا ودهشنا.

ولكن أنتم الرومانيين لا تتعجبون إلا أمام الآلهة. وما من رجل
يدهشككم، لأجل ذلك لا تفهمون الناصري.

فقد اختص هو بشباب الفكر. أما أنتم فقد اختصتم بشيخوخته.

أنتم تحكمونا اليوم. ولكن فلننتظر يوماً آخر.

من يدري إذا كان هذا الرجل الذي لا جيوش ولا سفن لديه سيحكم الغد؟.

نحن الذين نتبع الروح ستنسكب أعراقتنا دماء في سفرنا وراءه. ولكن رومة ستضيّط جمع كالهيكل العظمي في الشمس.

نحن ستألم كثيراً، ولكننا سنصبر. وسنعيش، ولكن رومة يجب أن تصير إلى التراب.

ولكن إذا كانت رومة، بعد أن توضع من رفعتها وتصير إلى ضعتها. تتلفظ باسمه. فإنه يصغي إلى صوتها وينفح في عظامها نسمة حياة جديدة. لتنهض ثانية مدينة حية بين مدن الأرض.

كل هذا سيفعله بغير جيوش ولا عبيد يجذرون في قواربه، لأنّه سيكون وحيداً.

أفرايم من أريحا

وليمة العرس الثاني

عندما جاء ثانية إلى أريحا ذهبت إليه وقلت له: يا معلم، غداً يتحصل ابني لنفسه زوجة. فأرجو من فضلك أن تحضر إلى وليمة العرس وتشرفنا بحضورك، كما شرفت العرس في قانا الجليل.

فأجاب وقال: بالحقيقة إنني كنت ضيّفاً في وليمة عرس مرةً ولكنني لن أكون ضيّفاً ثانيةً، فأنا نفسي اليوم عروس.

فقلت له: أتوسل إليك يا معلم أن تأتي إلى وليمة عرس ابني.

فتسم كأنه يريد أن يوبخني، وقال: لماذا تتوسل إلى؟ ألا يوجد عندك
كافية من الخمر؟ .

فقلت له: إن زقاق الخمر ممتلئة يا معلم، بيد أنني أتضرع إليك أن
تحضر إلى وليمة عرس ابني .

حيثند قال لي: من يدري؟ فقد أحضر. نعم قد أحضر إذا كان قلبك
مذبحاً في هيكلك .

وفي الغدتزوج ابني، ولكن يسوع لم يأت إلى وليمة العرس .
ومع أنه جاءنا ضيوف كثيرون فقد شعرت بأنه لم يأت أحد .
بالحقيقة إنني أنا نفسي الذي استقبل الضيوف لم أكن هناك .
ومن يدري؟ فلعل قلبي لم يكن مذبحاً عندما دعوه . وقد أكون رغبت
في أujeوبة ثانية .

برقا التاجر الصوري في البيع والشراء

في عقيدتي أنه لا اليهود ولا الرومانيون فهموا يسوع، حتى ولا تلاميذه
أنفسهم الذين يبشرون اليوم باسمه .
فالرومانيون قتلوا، وهذه كانت زلة لهم . والجليليون أحبوا أن يصنعوا
منه إلهًا . وهذه كانت غلطة لهم .
كان يسوع من قلب الإنسان .

قد قطعت البحار السبعة بمراكيبي، وتعاملت مع الملوك والأمراء
والمحتالين والخداعين في ساحات المدن القصبة، ولكنني لم أر رجلاً يفهم
التاجر كما فهمهم يسوع .

سمعته مرّة يضرب هذا المثل قال:

سافر أحد التجار من بلاده إلى بلاد غريبة. وكان له خادمان فأعطى كلّاً منها قبضة من الذهب وقال لهما: كما أني مضي إلى بلاد الغربة وراء الربح هكذا يجدر بكما أن تطلبوا الربح من أموالكما. فاعتاصما بالدقة في معاملة الناس أخذناً وعطاء.

وبعد سنة رجع التاجر، فسأل خادمه عما فعلاه بذهبه، فقال له الخادم الأول: تأمل يا سيدي، فقد بعت واشترت وربحت. فأجابه التاجر قائلاً: الربح هو لك، لأنك تصرفت حسناً وكنت أميناً لي ولنفسك.

ثم وقف الخادم الثاني وقال له: يا سيدي قد خفت أن أخسر أموالك ولذلك لم أشتري ولم أبيع. وهوذا مالك كله في هذا الكيس. فأأخذ التاجر ذهبه وقال له: يا قليل الإيمان. إنك لو تاجررت وخسرت لكان ذلك خيراً لك من أن تكون كسولاً، لأنه كما أن الربح تفرق البذور وتنتظر الأئمار هكذا يجب أن يفعل كل التجار. لذلك كان الأجدر بك أن تخدم الآخرين.

وعندما تكلم يسوع بهذا، فإنه وإن لم يكن تاجراً، فقد كشف القناع عن سر التجارة.

وفوق هذا. فإن أمثاله كثيراً ما كانت تحمل إلى فكري بلداناً أبعد من أسفاره، ولكنها أقرب من بيتي ومقتنياتي.

ولكن الناصري الشاب لم يكن إلهاً. ويؤلمني أن أرى أتباعه يسعون أن يعملوا من هذا الحكيم إلهاً.

فومية

رئيسة كاهنات صيدا

إلى رفيقاتها الكاهنات

احملن أعودكن لاغني .

اضربن على الأوتار الفضية والذهبية ، فإني أريد أن تترنم بذكرى الرجل الشجاع الذي قتل وحش الوادي ثم جلس ينظر إلى ما قتل بعين الشفقة .

احملن أعودكن لنغبني معاً للسندياتنة الرفيعة على الأعلى .

لتترنم بذكرى الرجل الذي يلمس قلبه السماء وتحيط يده بالأوقيانوس .

الذي قبل شفتي الموت الشاحبين ، ولكنه يرتجف الآن أمام فم الحياة ..

احملن أعودكن لنغبني معاً للصياد الجريء على التلة ، الذي اهتدى إلى الحيوان وأطلق سهمه غير المنظور ، فأسقط القرن والناب إلى الأرض .

احملن أعودكن لنغبني معاً للشاب الباسل الذي غالب مدن الجبال ، ومدن السهول المتجمعة كال FAGA عي في الرمال . فهو لم يحارب ضد الأقزام بل ضد الآلهة الجائعة للرحمنا والمتعطشة لدمتنا .

وكالصقر الذهبي الأول لم يزاحم غير النسور ، لأن أجنته كانت كبيرة وفخورة ، فلم تشا أن تصرب من هو أضعف منها جناحاً .

احملن أعودكن لنغبني معاً أغنية البحر والجرف .

فالآلهة قد ماتوا ، وهم مضطجعون بهدوء في الجزيرة المنسية في البحر المهجور . أما الذي قتلهم فإنه جالس على عرشه . قد كان في شرخ شبابه ، لأن الربع لم يكن قد أعطاه لحية ، وكان صيفه فتياً في حقله .

احملن أعودكن لنغبني معاً للعاصفة في الغابة ، التي تحطم الغصن اليابس والفرع العاري من الورق ، بيد أنها ترسل الجذر الحي ليمعن في امتصاص حلبيه من ثدي الأرض .

احملن أعودكن لتترنم معاً بأشودة حبيبنا الخالدة .

مهلاً يا رفيقائي، ولا تضربي على أوتاركَنْ.
اتركنْ أعودكَنْ، فنحن لا نقدر أن نغنى الآنْ.

لأنَّ الهمس الضعيف الذي تبعثه الحاناًنا لا يقدر أن يصل إلى عاصفة،
ولا قوَّة له على اختراق عظمة صمته.

اتركنْ أعودكَنْ وتجمعن حوالَي لأعيد أقواله على مسامعكَنْ وأخبركَنْ
بأعماله، لأنَّ صدى صوته هو أعمق من محبتنا.

بنيامين الكاتب

دع الأموات يدفون موتاهم

يقولون إنَّ يسوع كان عدواً لرومَة ولليهودية.

أما أنا فأقول إنَّ يسوع لم يكن عدواً للإنسانِ ولا لجنسِ الناسِ.

فقد سمعته يقول إنَّ طيور الجو وقنَنَ الرجال لا تهتم بالأفاعي في
أجحاراتها وأنفاقها.

دع الموتى يدفون موتاهم، والبس أثواب ذاتك بين الأحياء. وحلق
رفيعاً. لم أكن من تلاميذه. ولكني تبعته مع الجماهير الكثيرة التي تبعته
للتأمل بوجهه.

وكان ينظر إلى رومَة وإلينا نحن عبيد رومَة كما ينظر الأب إلى أولاده
اللاعبين بلعبهم وهم يتخاصمون فيما بينهم على اللعبة الكبيرة. وكان يضحك
من أعلىه.

أجل. كان يسوع أعظم من الولاية والأمة، بل كان أعظم من الثورة.
كان وحيداً منفرداً. وكان يقطنة كاملة.

وقد بكى كلَّ ما لم نسكبه من الدموع وتبسم كلَّ ثورتنا وتمردنا..

ونحن قد عرفنا أنه كان في طوفه أن يولد مع جميع غير المولودين بعد.
فيساعدهم على أن يروا. ليس بعيونهم. بل بصيرته.

كان يسوع بدأة لمملكة جديدة على الأرض. ولن يكون لتلك المملكة
انتهاء.

فقد كان أبناً وحفيداً لجميع الملوك الذين بنوا مملكة الروح.
ولم يحكم عالمنا أحدٌ قطٌ إلا ملوك الروح.

زكا

في مصير يسوع

أنتم تؤمنون بما تسمعونه يقال أمامكم، فآمنوا بالأحرى بما لا يقال، لأن
صمت الناس أقرب إلى الحقيقة من أقوالهم.

وتسألون إذا كان يسوع قادراً أن يتخلص من عار موته وينقذ أتباعه من
الاضطهاد.

وأنا أجيب أنه بالحقيقة كان قادراً أن يتخلص من الموت لو أراد، بيد أنه
لم يطلب السلامة، ولم يهمه أن يحمي قطبيعه من ذئاب الليل.

فقد عرف قسمته، وعرف ما يحمله الغد لمحبيه المخلصين، ولذلك
سبق فأنا بما سيصيب كل واحد منا. إنه لم ينشد موته ولكنه قبل الموت،
كما أن الفلاح الذي يواري حنطته في قلب الأرض يقبل الشتاء، ثم ينتظر
الربيع والمحصاد، وكما يضع البناء أكبر الحجارة في الأساس.

إن جماعته قد تألفت من رجال من الجليل ومن منحدرات لبنان. وكان
في منال معلمنا أن يرجع بنا إلى بلادنا فنعيش مع شبابه في بساتيننا حتى تأتي
الشيخوخة فتردنا إلى قلب السنين.

هل قام في طريقه حاجز يرده إلى هيأكل ضياعنا حيث كان الناس يقرأون الأنبياء ويحسرون القناع عن قلوبهم؟ .

ألم يقدر أن يقول: ها أنا ماضٍ إلى الشرق مع الريح الغربية، وبقوله هذا يصرفنا بابتسامة على شفتيه؟ .

نعم كان قادرًا أن يقول لنا: ارجعوا إلى أهلكم لأن العالم غير مستعد لاستقبالني ، ولذلك سأرجع بعد ألف سنة. فعلموا أولادكم أن يتظروا عودتي فقد كان قادرًا على كل هذا لو أراده.

ولكنه عرف أنه لكي يبني الهيكل غير المنظور يجب عليه أن يضع نفسه حجر زاوية في أساسه ، ويضيعنا حواليه حصى صغيرة تلتتصق به لقوام البناء .

وعرف أيضًا أن عصارة شجرته الممتدة أغصانها في السماء لا تأتي إلا من جذورها ، ولذلك سكب دمه على جذورها ، ولم يحسب ذلك ضحية بل ربحًا.

الموت يكشف الأسرار ، وقد كشف موت يسوع سر حياته .

فلو أنه هرب منكم وأنتم أعداؤه لكتنم غلبتم العالم ، ولذلك لم يهرب . لأنه ما من رجل يربح الكل إلا إذا أعطى الكل .

نعم ، نعم كان في مقدرة يسوع أن يهرب ويعيش إلى شيخوخة كاملة . ولكنه عرف مرور الفصول ، ورغب في ترنيم أنشودة نفسه .

أي رجل يجاهد عالماً متسلحاً ولا يفضل أن ينغلب لحظة لكي يسود على جميع الأجيال؟ .

وإلى أن أتريدون أن تعرفوا من قتل يسوع بالحقيقة ، الرومانيون أم كهنة أورشليم؟ .

فاعلموا أنه لا الرومانيون قتلوه ، ولا الكهنة ، ولكن العالم بأسره وقف على تلك التلة ليعطيه حقه من الاحترام .

يوناثان
بين زنابق المياه

كنت مع حبيبي نجذف في أحد الأيام في بحيرة من الماء العذب،
وكانت تلال لبنان تحيط بنا.

وكان نمر بالصفصاف الباكى، وكنا نتمتع بظلالة الجميلة المرسمة
حوالينا.

وفيما أنا أجذف سائراً بالقارب في المياه، أخذت حبيبي قيثارتها
وشرعت تغنى هكذا:

أي زهر غير عرائس النيل يعرف المياه والشمس؟ .

وأي قلب غير قلبه سيعرف الأرض والسماء؟ .

تأمل يا حبيبي هذه الزهرة الذهبية العائمة بين العلو والعمق كما نسبع
أنت وأنا بين المحبة التي كانت منذ الأزل وستظل إلى متهى الدهور.

حرك مجذافك يا حبيبي لأضرب على أوتار قيثاري، لتبعد الصفصاف
ولا نهمل زنابق المياه.

في الناصرة شاعر قلب عرائس النيل، وقد زار هذا الشاعر نفس
المرأة، وهو يعرف عطشها المتفجر من المياه، ويعرف مجااتها للشمس في
حين أن كل شفاهها شبعانة.

يقولون إنه يعيش في الجليل.

أما أنا فأقول إنه يجذف معنا.

أفلا تقدر أن تنظر وجهه يا حبيبي؟ .

أفلا تستطيع أن ترى أنه حيث ينحدر الصفصاف وتجمعت ظلاله في المياه
فهناك يتحرك هذا الشاعر كما نتحرك نحن؟ .

جميل أن نعرف شباب الحياة أيها الحبيب.

جميل أن نعرف أفراحه المترنة.

أود لو أن مجاذيفك تظلل أبداً في يدك، وأن تظلل لي قيثاري ذات الأوتار، حيث تضحك عرائس النيل في الشمس ويغتسل الصفصاف في المياه، ويرافق صوته حركات أوتاري.

حرك مجدافك يا حبيبي لأضرب على أوتار قيثاري.

حنة من بيت صيدا سنة ٧٣

عمتي في صباها

قد تركتنا عمتي في صباها لتعيش في كوخ قريب من كرم قديم لوالدها. وكانت تعيش وحدها، وكان أبناء المزارع المجاورة يأتون إليها في أمراضهم، وكانت تشفيهم بالأعشاب الخضراء، وبالجذور والأزهار اليابسة في الشمس.

وكانوا يحسبونها نبية، ولكن فريقاً من الناس دعواها عرافة ومشعوذة. وفي أحد الأيام قال لي والدي: خلي هذه الأرغفة من خبز الحنطة إلى أخي، وهذه الجرة من الخمر والسلة من الزيبيب.

فوضعت كل هذا على ظهر حمار، وسرت في طريقي حتى بلغت الكرم، ووصلت إلى كوخ عمتي، ففرحت برؤيتها جداً.

فيما نحن جلوس في فيء النهار مَرَّ بنا رجل على الطريق، وحياناً عمتي قائلًا: نعمت مساء، ولتحلّ عليك بركة الليل.

فنهضت للحال ووقفت أمامه إجلالاً واحتراماً وقالت: ونعمت مساء يا سيد جميع الأرواح الصالحة وغالب جميع الأرواح الشريرة. فنظر إليها الرجل بعينين تذوبان رقة وسار في طريقه.

أما أنا فضحتك في قلبي، لأنني ظنت أن عمتى مجنونة. ولكني أعرف اليوم أنها لم تكن مجنونة، لأنني أنا هي التي لم تفهم.
وقد علمت بضمكي، مع أنه كان مخفيناً في قلبي.

ولذلك قالت لي بغير غضب: اسمعي يا بنبي، واصغي وتذكري كلامي، إن هذا الرجل الذي مرّ بنا الآن، كخيال الطير الطائر بين الشمس والأرض، سيغلب على القياصرة وامبراطورية القياصرة، وسيبارك الثور المجنح في بلاد الكلدان والسبعين ذا الرأس البشري في مصر، وسيهرازما، وسيحكم العالم بأسره.

ولكن هذه الأرض التي يمشي عليها الآن ستصير إلى لا شيء، وأورشليم الجالسة بغطرسة على تلتها ستطرد مخزية في الدخان أمام ريح الخراب.

وعندما تلفظت بهذه الكلمات تحول ضمكي إلى هدوء وسكون فقلت لها: ومن هو هذا الرجل، ومن أي بلاد وأية قبيلة جاء! وكيف سيغلب الملوك العظام، وممالك الملوك العظام؟

فأجابت: قد ولد في هذه البلاد، ولكننا رأيناه بأحلام حنينا منذ بدأة السنين، وهو من جميع القبائل، ولذا فإنه لا يختص بواحدة منها، وسيغلب بكلمة فمه ولهيب روحه.

ثم نهضت فجأة ووقفت كالصخرة الراسخة وقالت: فليس أمحني ملاك الرب على التلفظ بهذه الكلمة أيضاً: وسيقتل، ويدرج شبابه بالأكفان. ويضجع بصمت إلى جانب قلب الأرض الصامت، ستروح عليه بنات اليهودية.

ثم رفعت يديها نحو السماء وتكلمت ثانية وقالت: ولكنه سيقتل بالجسد فقط.

وسينهض بالروح ويعخرج بجيشه من هذه الأرض التي تولد فيها الشمس إلى الأرض التي تُقتل فيها الشمس عند المساء.

وسيكون اسمه مقدماً بين جميع الأمم.

كانت عمتي نبية طاعنة في السنة عندما قالت هذه الأقوال، أما أنا فكنت فتاة صغيرة، حقلاً لم يفلح بعد، وحجرأ لم يوضع بعد في حائط.

بيد أن كل ما نظرته في مرآة فكرها قد حدث أمام عيني.

قد نهض يسوع الناصري من الموت، وقاد رجالاً ونساء إلى بلاد غروب الشمس، والمدينة التي أسلمته للمحاكمة صارت إلى الخراب. وفي قاعة المحاكمة حيث جرت جرائمها وحكم عليه بالموت، ينبعق البويم بمراثيه، والليل يذرف ندى قلبه دموعاً على الرخام المتقطم.

وأنا اليوم شيخة حنت السنون ظهرها. وقد مات أهلي وصارت أمتي إلى المفنا.

وقد رأيتها مرة واحدة بعد ذلك اليوم، وسمعت صوتها ثانية، وكان ذلك على رأس تلة عندما كان يخاطب أصدقاءه وأتباعه.

وعلى رغم شيخوختي الحاضرة ووحدتي المريدة فهو يزورني في أحلامي. فهو يأتي كملك أبيض ذي جناحين، فيخرس بنعمته رب عالمي، ويرفعني إلى عالم رفيع من الأحلام العلوية.

إنني مازلت حقلة غير مفلوحة، وثمرة ناضجة لم تسقط عن أمها. وأعظم ما أملكه في هذا العالم هو حرارة الشمس وذكرى ذلك الرجل.

وأنا أعرف أنه لن يقوم في أمتي ملك ولانبي ولا كاهن كما أنبأت عمتي من قبل.

لأننا سنسير من الوجود مع مجاري الأنهر ولن يعرف اسمنا.

ولكن الذين عبروا مياهه في وسط مجاريها ستظل ذكراتهم في العالم، لأنهم عبروا مياهه في وسط مجاريها.

منسى المحامي الأوليسي

خطاب يسوع وحركاته

نعم، قد سمعته غير مرة متكلماً، فقد كان الكلام حاضراً على شفتيه في كل وقت.

وقد أتعجبت به كرجل وليس كزعيم، لأن مواعذه كانت تفوق ذوقي، أو لعلها كانت تفوق أفكارني، لأنني لا أحب أن يعظني أحد.

والذي سحرني فيه هو صوته وإشاراته وليس مادة خطابه، نعم قد سحرني ولكنه لم يقنعني، لأنه كان كثير الإبهام، بعيد الخيال، وافر التلبيس، ولذلك لم يصل إلى فكري.

قد عرفت كثيرين من أمثاله، ولكنهم لم يكونوا مثابرين على أعمالهم ثابتين في جهادهم نظيره. فقد سحرت فصاحتهم آذان الناس وأفكارهم الظاهرة، ولكنهم لم يبلغوا إلى هيأكل القلوب.

ومن الأسف أن نرى أعداءه يحيطون به ويبالغون في اضطهاده حتى الموت، لأن موته لم يكن ضرورياً. فالعداء الذي أظهره له الناس سيضيف إلى عزمه عزماً، وسيحول لطفه إلى قوة قاهرة.

أليس بالغريب أنك بمقاومتك لأي إنسان تمنحه شجاعة لم تكن له قبل مقاومتك، وأنك بتتبعك لخطواته تسلحه بالأجنحة؟.

إنني لا أعرف أعداءه، ولكنني واثق بخوفهم من رجل لا يعرف الأذية قد أغاروه قوة وجعلوا حياته خطرأً عليهم جميعاً.

يفتاح من قصصية رجل يكره ذكر يسوع

إن هذا الرجل الذي يملأ ذكره أيامكم، ويلزم ظله لياليكم، هو العلقم في فمي. ومع ذلك فأنتم تخدشون أذني بأقواله، وتزعجون أفكاري بأعماله.

قد سمعت سماع أقواله وكل ما فعل، حتى أن مجرد ذكر اسمه يزعجني ومثله اسم بلاده، إنني لا أريد أن اسمع شيئاً يختص به.

لماذا تصنعون نبياً من رجل لم يكن سوى خيال؟ لماذا ترون برجاً من تلة الرمل هذه، وتصورون بحيرة من نقط المطر المتجمعة في الحفرة الصغيرة الناشئة عن نعل الفرس؟.

إنني لا أحترق الصدى الذي ترجعه كهوف الأودية، ولا الظلال الطويلة التي يرسمها غروب الشمس، ولكني لا أريد أن أصفي إلى الأخاديع المتعددة في رؤوسكم، ولا أرغب في درس تأثيراتها في عيونكم.

أية كلمة قالها يسوع ولم يقل مثلها هلال؟ وأية حكمة أعلنها ولم يعلنها غملائيل؟ وما هي نسبة تتمته لصوت فيليو؟ وما هي الصنوج التي ضرب عليها ولم يضرب عليها قبل ميلاده؟.

إنني أصفي إلى الصدى الذي ترجعه الكهوف إلى الأودية الصامتة، وأتأمل الظلال الطويلة التي ترسمها شمس الغروب على الأرض، ولكني لا أطيق أن أرى قلب هذا الرجل يرفع صدى قلب آخر ، ولا أقبل أن اسمع خيال العرافين يسمى نفسهنبياً.

من يقدر على الكلام بعد أشعيا؟ ومن يجسر على الإنشاد بعد داود؟ وهل تولد الحكمة اليوم بعد أن انضم سليمان إلى آبائه؟ وماذا نقول في أنبيائنا الذين كانت ألسنتهم سيفاً وشفاهم ألسنة لهيب؟ هل تركوا سبنيلة واحدة لهذا اللقاء في الجليل؟ أو ثمرة ساقطة لهذا المسؤول القادم من الشمال؟ إنه لم يوجد لنفسه عملاً سوى كسر الخبز الذي خبزه أسلافنا قبله، وسكب الخمرة التي حصرتها أقدامهم المقدسة من عنق القدماء.

إنني أحترم يد الخراف دون الرجل الذي يشتري الخرف. إنني أكرم
الجالسين أمام النول دون الكسالى الذين يلبسون الأثواب.

فمن كان يسوع الناصري هذا؟ ومن هو؟ إنه رجل لم يجرؤ أن يعيش
بأفكاره ولذلك صار إلى العدم الذي هو نهايته.

فالمرجو من فضلكم ألا تخدشوا مسامعي بما قال وما فعل. إن قلبي
ممتلئ بوحي الأنبياء القدماء، وهذا يكفيوني.

يوحنا التلميذ الحبيب في شيخوخته يسوع الكلمة

ترغبون إلى أن أتكلم عن يسوع، ولكن كيف أخدع أنشودة الوجود الإلهي
في الوجود بهذه القصبة الموجفة؟

ففي كل مظهر من مظاهر النهار كان يسوع يرى الآب، مائلاً أمامه، فقد
رأه في السحب، وفي ظلال الغيوم المارة فوق الأرض، ورأى وجه الآب
منعكساً على البرك الهادئة، وأثار وقع قدميه مرسمة على الرمال، وكثيراً ما
كان يغمض عينيه ليتأمل العينين المقدسين.

وكان الليل يخاطبه بصوت الآب، وفي الوحدة كان يسمع ملائكة الرب
تناديه. وعندما كان يطلب الراحة في النوم كان يسمع همس السموات في
أحلامه.

وكان في الغالب سعيداً في صحبتنا، وكان يدعونا إخوة.

فتأنموا كيف أن الكلمة الأولى عند الآب يدعونا إخوة وما نحن إلا
مقاطع حقيقة لم يتلفظ بها إلا في الأمس القريب.
ولعلكم تسألون: لماذا سميت الكلمة الأولى؟

فاصغوا لأجيالكم: في البدء تحرك الله في الفضاء، ومن حركته التي لا قياس لها ولدت الأرض وفصولها.

ثم تحرك الله ثانية: فانبثت الحياة، فصار حنين الحياة ينشد العلو والعمق، ليكون له الأكثر فالأخير من ذاته.

ثم تكلم الله، فكان الإنسان من كلماته، وكان الإنسان روحًا مولودة من روح الله.

وعندما تكلم الله هكذا كان المسيح كلامته الأولى، وكانت تلك الكلمة كاملة.. وعندما جاء يسوع الناصري إلى العالم سمع العالم به الكلمة الأولى الخارجة من فم الله، وصار صوت تلك الكلمة لحناً ودماءً.

إن يسوع الممسوح هو الكلمة الأولى التي خاطب بها الله العالم كما لو أن شجرة من التفاح في بستان تزهر وتعقد قبل بقية الأزهار بيوم واحد، وكان في بستان الله في ذلك اليوم عصر كامل.

نحن جمِيعاً أبناء العلي وبناته، ولكن الممسوح كان ابنه البكر، الذي قطن في جسد يسوع الناصري، وسار بيننا ورأيناه بعيوننا.

كل هذا أقوله لكم لكي تفهموا ليس فقط بالفكر بل بالروح. إن الفكر يزن ويقيس، ولكن الروح تصل إلى قلب الحياة وتعانق أسرارها، وبذرة الروح لا ولن تموت.

إن الريح قد تهب ثم ينقطع هبوبها، والبحر يتمدد ثم يتقلص، ولكن قلب الحياة دائرة هادئة ساكنة والكواكب التي تنبهرها ثابتة إلى الأبد.

مانوس من بومبي إلى يوناني في آلهة الساميين

إن اليهود كجيرانهم الفينيقين والعرب لا يأذنون لآلهتهم أن تستريح
هنيئة على متون الرياح.

فهم كثيروا الاهتمام بالآلهتهم وكثيروا الملاحظة بعضهم على بعض في شأن
الصلوة والعبادة والتضحية.

فيما نكون نحن الرومانيين نبني هياكل الرخام البدعة لآلهتنا ترى هؤلاء
الشعوب يتجادلون في طبيعة إلههم. نحن في ساعات وجدنا بالآلهتنا نغنى
ونرقص حول مذايق المشتري ونبتون والمريخ والزهرة، أما هم ففي ساعة
وتجدهم يلبسون المسوح ويغطون رؤوسهم بالرماد. وكثيرون منهم يبكون
ويندبون اليوم الذي ولدوا فيه.

أما يسوع، الرجل الذي أعلن الله للناس كائناً يعشق المسرة والفرح، فقد
عذبوه وقتلوه.

إن هؤلاء الناس لا يريدون أن يسعدوا مع إله سعيد، فهم لا يعرفون غير
الله الأهم.

وأغرب من هذا أن كل أصدقاء يسوع وتلاميذه الذين عرفوا فرحة
وسمعوا ضحكته يضعون صورة لكتابته ويعبدون تلك الصورة.

وفي مثل هذه الصورة لا يرتفعون إلى إلههم، بل ينزلون إلههم إلى
مستوى أنفسهم.

وعلى كل فانا أعتقد أن الفيلسوف يسوع، الذي لم يكن مختلفاً عن
سocrates، ستكون له السلطة على أمته، وربما على غيرها من الأمم.

لأننا جميعاً مخلوقات كثيبة ولها شكوكها التافهة. فإذا قال لنا رجل:
فلنفرح مع الآلهة، فنحن لا نتردد في الخضوع لصوته. عجيب كيف أن كتابة
هذا الرجل قد تحولت إلى طقس.

إن هؤلاء الناس يريدون أن يهتدوا إلى أدونيس آخر، إله يُقتل في الغابة،
ليحتفلوا بقتله، ويا للأسف كيف يعرضون عن ضحكته!

ولكن لنعرف. كرومي إلى يوناني: هل نصغي نحن أنفسنا إلى ضحك
سocrates في شوارع أثينا! وهل يقدر أحد منا أن ينسى كأس الشوكران حتى ولو
كتاً في مسرح ديونيسيوس؟

أفلا يقف آباءنا حتى اليوم على زوايا الشوارع ليتحادثوا عن همومهم،
ويتمتعوا بلحظة من السعادة بذكرى النهاية الكثيبة التي سار إليها جميع رجالنا
العظماء؟.

بيلاطس البنطلي في الطقوس والخرافات الشرقية

قد حدثتني امرأتي عنه غير مرة قبل أن أحضروه إلى ولكنني لم أهتم
للأمر.

إن امرأتي كثيرة الأحلام، وهي، كالكثيرات من النساء الرومانيات في
طبقتها، قد استسلمت للطقوس والخرافات الشرقية.

ولكن هذه الطقوس كثيرة الخطر على الامبراطورية، وكلما وجدت مثل
هذه الخرافات سبيلاً إلى قلوب نسائنا تضاعفت الأخطار الناتجة عنها والتي قد
تؤدي إلى خرابنا.

إن مصر قد صارت إلى الزوال عندما حمل إليها مهاجرو العرب الإله
الواحد من صحرائهم. واليونان انقلب وسقطت إلى الحضيض عندما جاءت
إليها عشورات ووصيفاتها السابعة من شواطئ سوريا.

أما يسوع هذا فإنه لم أره قبل أن أسلم إلى كفاعل إثم، وعدو لامة
ولرومة. فقد أحضروه إلى دار المحاكمة رابطين يديه إلى جسده بحبل غليظ.

كنت جالساً في سرادقى، فمشى إلى بخطوات طويلة ثابتة ثم وقف متتصباً وظلّ رأسه مرتفعاً.

إنني لا أستطيع أن أتصور ما الذي نزل عليّ في تلك اللحظة، ولكنني شعرت فجأة برغبة خفية، مع أنه لم يكن لها أثر في إرادتي، كانت تدفعني إلى النهوض من سرادقى والسجود أمامه.

نعم قد شعرت كما لو أن القيصر نفسه دخل دارى، لأن الواقف أمامي كان أعظم من روما نفسها.

ولكن هذا الشعور لم يقم في قلبي غير لحظة واحدة، وللحال رأيت أمامي رجلاً بسيطاً تفهمه أمته بالخيانة، وكانت أنا حاكماً وقاضياً عليه.

فسألته عن أمره فلم يجب، ولكنه نظر إليّ، وكان في نظرته كثير من الشفقة، كأنما هو الحاكم والقاضي علىي.

ثم تصاعد من الخارج صرخ الشعب. أما هو فظلّ صامتاً ينظر إليّ والشفقة ملء عينيه.

فخرجت ووقفت على درجات القصر، وعندما رأى الشعب انقطع عن الصرخ. فقلت لهم: ماذا تريدون من هذا الرجل؟

فصرخوا بصوت واحد: نريد أن نصلبه لأنّه عدونا، وعدو روما.

وكان قوم منهم يقولون: ألم يقل إنّه ينقض الهيكل؟ بل ألم يدع المملكة لنفسه؟ إنّا لا نريد ملكاً غير قيصر.

فتركتهم ورجعت إلى دار المحاكمة أيضاً. فرأيته لا يزال واقفاً هناك وحده، وما برح رأسه مرتفعاً.

فتذكريت في الحال ما كنت قد سبقت فقراته لأحد فلاسفة الإغريق: إن الرجل المعزّل هو أقوى الرجال. وفي تلك الدقيقة كان الناصري أعظم من كل أمته.

ولم أشعر برأفة عليه، لأنّه كان فوق رأفي.

فقاله: هل أنت ملك اليهود؟ ولكنّه لم يقل كلمة.

فقاله ثانية: ألم تقل إنّك ملك اليهود؟

فنظر إلىي. ثم أجابني بصوت هادئ: أنت نفسك أعلنتني ملكاً. ولعلّني لهذا ولدت، ولهذا أتيت لأشهد للحق.

تأملوا رجلاً يتكلّم عن الحق في مثل هذا الموقف.

ولكنّي تجلّدت وقلت بصوت مرتفع لنفسي وله: وما هو الحقّ وماذا ينفع البريء من الحقّ ويد منفذ حكم القتل على عنقه؟

حيثند قال يسوع بقوّة: ما من رجل يستطيع أن يحكم العالم إلا بالروح والحقّ.

فقاله قاتلاً: وهل أنت من الروح؟

فأجاب: وأنت أيضاً من الروح وإن كنت لا تدرّي.

وما هي الروح وما هو الحقّ. في الوقت الذي كنت أنا، من أجل سلامة البلاد، وأمته بغيرتها على طقوسها القديمة، نسلم رجلاً بريئاً للموت؟

ما من رجل ولا أمة ولا مملكة تزيد أن تتعرّج أمام الحقّ السائر في طريقه إلى كمال ذاته.

فقلت له ثانية: هل أنت ملك اليهود؟

فأجاب: أنت نفسك قلت هذا. إنّي قد غلبت العالم قبل هذه الساعة.

وهذه هي العبارة الواحدة التي لم تكن في موضعها من جميع ما قاله. لأن روماً وحدّها غلبت العالم.

ولكنّ أصوات الشعب تصاعدت ثانية. وكان صرائحهم يشقّ عنان الفضاء. فنزلت عن عرشي وقلت له: اتبعني.

وخرجت ووقفت ثانية على درجات القصر ووقف هو إلى جانبي.

وعندما رأه الشعب تعالى صراخهم كالرعد القاصف. ولم أسمع من زعاقهم غير هذه الكلمات: إصلبه. إصلبه!

فأسلمته إلى الكهنة الذين أسلموه إلى وقت لهم: إفعلوا ما شئتم بهذا الصديق. وإذا شئتم اصطحبوا جنوداً رومانيين لحراسته.

فأخذوه في الحال، وأمرت أن يكتب على الصليب فوق رأسه: «يسوع الناصري ملك اليهود». وكان الأجدر بي أن أقول: «يسوع الناصري الملك»..

فرعوا الرجل وجلدوه وصلبوه.

قد كان في طوقي أن أخلصه، ولكن خلاصه كان قد أثار نيران الثورة في البلاد. والحكمة تقضي أبداً على الحاكم في ولاية رومانية أن يتحمل بالصبر جميع الوساوس الدينية في الأمة المغلوبة.

وأنا أعتقد حتى الساعة أن الرجل كان أعظم من ثائر مقلق، وما أمرت به لم يكن بإرادتي، وإنما فعلته من أجل مصلحة روما.

وبعد ذلك بقليل من الزمن تركنا سوريا. ومن تلك الساعة صارت أمرأتي كثيرة الكآبة، وكثيراً ما أرى في هذا البستان الجميل نفسه مأساة كثيبة مرتبطة على وجهها.

وقد أخبروني أنها تتكلم كثيراً عن يسوع لنساء روما.

فتأملوا كيف أن الرجل الذي أمرت بمותו يرجع من عالم الأشباح ويدخل إلى بيتي.

وأنا ما زلت أسأل في أعماق نفسي أيضاً وأيضاً: ما هو الحق وما هو غير الحق؟

فهل يمكن أن السوري يتغلب علينا في هدوء ساعات الليل؟

إن هذا بالحقيقة لا يمكن أن يكون.

لأن روما يجب أن تتغلب على أضغاث أحلام نسائنا.

برثولماوس في أفسس في العبيد والمنبودين

يقول أعداء يسوع إنه وجه دعوته للعبيد والمنبودين، وإنه كان يشيرهم على أسيادهم. ويقولون إنه، وهو ابن الطبقة الحقيرة، كان يستغيث بأبناء طبقته، بيد أنه كان يسعى ليخفى حقيقة أصله.
ولكن فلنبحث في أتباع يسوع وفي زعامته.

ففي أول أمره اختار رفقاء له في عمله بضعة رجال من البلاد الشمالية، و كانوا أحرازاً، وكانت أجسادهم قوية وأرواحهم جريئة، وفي العشرين سنة الماضية قد أدهشوا العالم بشجاعتهم في مواجهة الموت بإرادتهم وعدم مبالاتهم.
فهل تعتقدون أن هؤلاء الرجال كانوا عبيداً أو منبودين؟

وهل يخطر لكم أن أمراء لبنان وأرمينيا المفاخرین بحسبهم ونسبهم قد نسوا مقامهم عندما قبلوا يسوع كنبي الله؟

أم هل تفكرون أن أشراف الرجال والنساء في أنطاكية وبيزنطية وأثينا ورومء يمكن أن يستهويهم صوت زعيم من العبيد؟

ألا إن الناصري لم يكن قط مع عبد ضد سيد، ولا مع سيد ضد عبده.
إنه لم يكن مع رجل ضد رجل آخر.

فقد كان رجلاً أسمى من الناس. والجدالات التي جرت في مجاري قوته كانت ترثّم مع الألم ومع القوة في وقت واحد.

فإذا كانت النبالة في الحماية، فإن الناصري هو أبل نباء العالم. وإذا كانت الحرية في الفكر والقول والعمل، فهو أمير الأحرار في كل الأجيال. وإذا كان شرف الأصل في الكبارياء التي لا تخضع إلا معتزة بالمحبة اللطيفة الرؤوف، فهو إذن من جميع الناس أشرفهم أصلاً.

ولا تنسوا أنه لا يفوز بالأكليل في السباق إلا القوي وال سريع، وأن يسوع

قد توجه أصدقاؤه ومحبّوه، كما توجه أعداؤه على غير علم منهم.
وهو حتى الساعة يقبل أكاليل النصر من كاهنة أرتاميس في الموضع
السريّة من هيكلها.

متى

يسوع أمام جدار سجن

في أحد الأمساء مرّ يسوع بسجن في برج داود. وكنا نمشي وراءه.
غير أنه وقف فجأة ووضع وجنته على حجارة جدار السجن. وشرع
يقول:

يا إخوة يومي القديم. إن قلبي يخفق مع قلوبكم وراء الجدران. أود لو
أنكم تقدرون أن تتحرروا في حرتي وتمشوا معي ومع رفقاء.

أنتم سجناء، بيد أنكم لستم وحدكم. فما أكثر السجناء الذين يمشون في
الشوارع المفتوحة! ومع أن أجنتهم غير متكسرة فهم كالطاووس يرفرفون
ولكنهم لا يطيرون.

يا إخوة يومي الثاني، قريباً أزوركم في سجونكم وأقدم كثيفاً لأحمالكم،
لأن البريء والمجرم لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وكعزمي الساعد لن
ينفصل.

يا إخوة هذا اليوم، الذي هو يومي. قد سبحتم ضد مجرى أفكارهم
فقبضوا عليكم. وهم يقولون إنني أنا أيضاً أسبح ضد هذا المجرى. ومن
يدري؟ فقد أسير إليكم قريباً. فأكون معكم كاسر الشريعة مع كاسري الشريعة.

يا إخوة يوم لم يأت بعد. إن هذه الجدران ستسقط. ومن هذه الحجارة
ستصنع أشكال جديدة بيد ذاك الذي مطرقته النور، وإذميله الريح، وستقفون
أحراراً في حرية يومي الجديد.

هكذا تكلم يسوع وسار في طريقه. وظللت يده على جدار السجن حتى
ترك نرج داود.

أندراوس في المدنسين

إن مراة الموت هي بالحقيقة أقل مراة من الحياة بدونه. فقد صمتت
ال الأيام وسكنت عندما أخرس صوتها. لم يبق سوى الصدى يرتجع كلماته إلى
ذاكريتي ولكنه لا يرجع صوته إلى أذني.

سمعته مرة يقول: اذهبوا في إitan حيننكم إلى الحقول. واجلسوا إلى
جانب الزنابق. فتسمعوها تترنم في الشمس. فهي لا تحرك ثياباً لملابسكم.
ولا تصنع أخشاباً أو حجارة لمنازلكم، ولكنها تغنى مترنمة.

إن الذي يشتغل في الليل يكمل حاجاتها وتدى نعمته يليل أوراقها.
وأنتم أيضاً أفلأ يعني بكم ذلك الذي لا يتعب ولا يستريح؟
وفي مرة أخرى سمعته يقول: طيور السماء قاطبة يحصيها أبوكم كما أن
شعور رؤوسكم جميعها محصاة. فلا يسقط طير عند قدمي الصياد، ولا تيضرّ
شعرة من رؤوسكم ولا تسقط في هذه الشيخوخة بدون إرادته.

وقال أيضاً: قد سمعت تلمركم في قلوبكم قائلين: يجب أن يكون إلهنا
أكثر رحمة معنا نحن أولاد إبراهيم من أولئك الذين لم يعرفوه منذ البدء.

أما أنا فأقول لكم إن رب الكرم الذي يدعو فاعلاً عند الصباح ليشتغل
في كرمـه، ويدعو فاعلاً آخر عند الغروب، ثم يعطي الأجرة للأخير كما
للأول، إن مثل هذا الرجل مبتر بالحقيقة في عمله. أفلأ يدفع من كيسه بكمال
إرادته؟ .

هكذا سيفتح أبي بوابة قصره لمن يقرع عليها من الأمم، كما يفتحها لمن

يقرع عليها منكم، لأن أذنه تصغى إلى النغم الجديد بنفس المحبة التي تشعر بها عند سماع الأغنية التي طالما سمعها. وهو يرحب بالنغم الجديد ترحيباً خاصاً لأنه أصغر وتر في قيثارة قلبه.

وفي مرة أخرى سمعته يقول: تذكروا هذا: اللص هو رجل محتاج. والكذاب هو رجل خائف، والصياد الذي يصطاده حارس ليلكم قد اصطاده أيضاً حارس ظلمة نفسه.

أريد أن تشفقوا على جميع هؤلاء.

فإذا قصدوا منازلكم فافتتحوا لهم الأبواب وأجلسوهم إلى موائدكم. وإذا لم تقبلوهم فإنكم لن تكونوا مبررين من أي عمل يعلمنه.

وفي أحد الأيام تبعه إلى ساحل المدينة في أورشليم كما تبعه كثيرون غيري، فقص علينا مثل الابن الشاطر، ومثل التاجر الذي باع كل ما كان له ليشتري درة.

وفيمما كان يخاطبنا أحضر الفريسيون إلى وسط الجمع امرأة كانوا يسمونها زانية، فأحاطوا بيسوع وقالوا له: قد دنست نذر زواجه. وأمسكت بالفعل الشنيع.

فنظر إليها ووضع يده على جبينها وتأمل عينيها مليأ.

ثم التفت إلى الرجال الذين أحضروها إليه، وأنعم نظره في وجوههم، وانحنى، وشرع يكتب بإصبعه على الأرض.

فكتب اسم كل رجل. وكتب إلى جانب كل اسم الخطيبة التي ارتكبها صاحب الاسم.

وفيمما كان مكتباً على الكتابة هربوا من حضرته يجرّون أذيال الفضيحة.

قبل أن فرغ من كتابته لم يبق أمامه أحد إلا نحن والمرأة.

فنظر إلى عينيها ثانية وقال لها: إنك قد أحببت كثيراً، أما الذين

أحضروك إلى هنا فإنهم أحبوا قليلاً، ولكنهم حملوك إلى كاحبولة لاحتباري.
فانصرفي الآن بسلام.

لم يبق منهم أحد ليدينك، فإذا رغبت في أن تكوني حكيمة كما أنت
محبة، فاطلبيني، فإن ابن الإنسان لا يدينك.

وقد عجبت آنثى هل كان قد قال هذا لها، لأنه هو نفسه لم يكن بلا
خطيئة.

ولكنني منذ ذلك اليوم وأنا أتأمل وأدرس، وهو أنا أعرف الآن أن نقي
القلب وحده يغفر للإنسان عطشه الذي يقوده إلى مياه آسنة.

والثابت الخطى وحده يستطيع أن يمد يده لمن يعثر في طريقه.

وأيضاً وأيضاً أقول: إن مرارة الموت هي بالحقيقة أقل مرارة من الحياة
بدونه.

رجل غني في المقتنيات

كان يسوع يتكلم بالسوء على الأغنياء، وقد سأله في أحد الأيام قائلاً:
يا سيدى، ماذا أفعل لأحصل على سلام الروح؟
فأمرني أن أعطي أموالى للفقراء وأتبعه.

فهو لم يملك شيئاً، ولذلك لم يعرف ما في المقتنيات من التأمين على
الحياة والحرية الشخصية، والاحترام الداخلى والخارجي.

في بيته مائة وأربعون عبداً وخداماً، فالبعض يشتغلون في غاباتي
والبعض يسوقون مراكبي إلى الجزائر الـمـيـدـةـ.

فلو أتني سمعت منه وأعطيت أملاكي للفقراء فماذا كان يحل بعبيدي وخدامي وأزواجهم وأولادهم؟ إنهم ولا شك كانوا يصيرون متسولين نظيره على بوابة المدينة وفي رواق الهيكل.

نعم إن ذلك الرجل الصالح لم يسر غور السر المحيط بالمقتنيات، ولما كان هو وأتباعه يعيشون على عطايا الآخرين فقد ظن أن جميع الناس يجب أن يعيشوا مثله.

وإليكم هذا اللغز الذي ينافي ذاته: هل يجدر بالأغنياء أن يعطوا ثروتهم للفقراء الذين يجب أن يكون لهم كأس الغني ورغيفه قبل أن يربووا به على مائدتهم؟

وهل يجدر بصاحب البرج أن يصير مضيقاً لزيائته قبل أن يدعو نفسه سيد أرضه؟

ألا إن النملة التي تخزن طعاماً للشتاء هي أحكام من الجنادب التي ترثيم يوماً بآناشيدها وتتألم يوماً من مجااتها.

في السبت الماضي قال أحد أتباعه في ساحة المدينة: على عتبة السماء حيث يضع يسوع حذاء لا يستحق رجل غيره أن يضع رأسه.

ولكنني أسأل هذا: على عتبة أي بيت استطاع ذلك الهائم البسيط القلب أن يترك حذاء؟ فإنه لم يكن له بيت ولا عتبة وفي أكثر الأحيان كان يمشي بغير حذاء.

يوحنا في بطمس يسوع الرؤوف

إنني أود أن أتكلم عنه مرة ثانية.

ومع أن الله قد حبس عنـي الكلام فقد أعطاني الصوت والشفتين
المحترقتين.

وعلى رغم عدم استحقاقـي لـلكلمة الكاملة فأنا أدعـو قلبي إلى شفتيـ.
قد أحـبني يسوع، ولم أعلم لماذا أحـبني.

أما أنا فقد أحـبـته لأنـه رفع روحي إلى أعلى فوق قـامتـي، وأنـزلـها إلى
أعمـق لا قـبـلـ لي على سـيرـ غورـها.
المحبـة سـر مـقدسـ.

والمحـبونـ الحـقيقـيونـ لنـ يـجـدـواـ الـفـاظـاـ لـلـتـعبـيرـ عـنـ مـحـبـتـهمـ.
أماـ الـذـينـ لاـ يـحـبـونـ فـالـمـجـبةـ فـيـ عـقـيـدـتـهـ سـخـرـيـةـ قـاسـيـةـ.
قدـ دـعـانـيـ يـسـوعـ كـمـاـ دـعـاـ أـخـيـ وـنـحـنـ نـشـتـغلـ فـيـ الـحـقـلـ.
وـكـنـتـ آـنـثـىـ شـابـاـ وـلـمـ تـعـرـفـ أـذـنـيـ غـيرـ صـوتـ الـفـجـرـ.

ولـكـ صـوـتـهـ وـضـعـ حـدـاـ نـهـائـاـ لـعـمـليـ وـبـداـءـةـ لـعـهـدـ وـجـديـ وـافتـتـانـيـ.
فـلـمـ يـبـقـ أـمـامـيـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـاـ المـشـيـ فـيـ الشـمـسـ وـعـبـادـةـ جـمـالـ السـاعـةـ.
هـلـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـصـوـرـ جـلـلاـ يـحـولـ لـطـفـهـ دـوـنـ ظـهـورـهـ؟ـ أـوـ جـمـالـاـ يـحـولـ
نـورـهـ دـوـنـ رـؤـيـتـهـ؟ـ

هـلـ تـقـدـرـ أـنـ تـسـمـعـ فـيـ أـحـلـامـكـ صـوـتاـ يـسـتـحـيـ بـمـحـبـتـهـ؟ـ

فـقـدـ دـعـانـيـ وـأـنـاـ تـبـعـتـهـ.
وـفـيـ ذـلـكـ الـمـسـاءـ رـجـعـتـ إـلـىـ بـيـتـ أـبـيـ لـأـحـمـلـ ثـوـبـيـ الـآـخـرـ.
وـهـنـالـكـ قـلـتـ لـأـمـيـ:ـ إـنـ يـسـوعـ النـاصـرـيـ يـرـغـبـ فـيـ أـنـ يـضـمـنـيـ إـلـىـ
جـمـاعـتـهـ.

فـقـالـتـ:ـ سـرـ فـيـ طـرـيقـهـ يـاـ بـنـيـ كـمـاـ سـارـ أـخـوكـ.
فـسـرـتـ فـيـ طـرـيقـهـ.

قد دعاني عبيره وأمرني ، ولكن ليحررني فقط .
لأن المحبة مضيفة جواده لضيوفها . ولكن بيتها سراب وهزء لغير
المدعىين .

ترغبون إلى الآن أن أوضح لكم عجائب يسوع .
فنحن جميعاً إشارة عجائبية للزمان . وربنا ومعلمنا هو المركز الرئيسي
لذلك الزمان .

ولكنه لم يشاً أن يعرف أحد بإشارته .

فقد سمعته يقول للمفلوج : انهض واذهب إلى بيتك ولكن احذر أن تقول
للكاهن إنني جعلتكم صحيحاً .

ولم يكن فكر يسوع مع الم Cedيين ، بل كان بالآخرى مع الأقواء
والمنتسبين .

فقد طلب فكره غيره من الأفكار وأمسك بها ، وزارت روحه الكاملة
غيرها من الأرواح .

وبهذا العمل غيرت روحه تلك الأفكار وتلك الأرواح .

وقد بدا هذا العمل أujeوية خارقة للناس . ولكنه كان في نظر ربنا
ومعلمنا بسيطاً كتنفس الهواء في كل يوم .

* * *

والآن فلا تكلم عن أمور أخرى .
كنت أمشي معه في أحد الأيام في حقل ، وكنا وحيدين جائعين ، فأتينا
إلى شجرة تفاح بري .

ولم يكن على أغصان الشجرة سوى تفاحتين فقط .
فمسك يسوع جذع الشجرة بيديه وهزها فسقطت التفاحتان .
فالقططهما معاً وأعطاني واحدة منها ، وأمسك التفاحة الأخرى بيده .
وإذ كنت جائعاً جداً أكلت تفاحتني بسرعة شديدة .

ثم نظرت إليه فوجدت التفاحة ما برحت في يده.
فأعطاني إياها وقال لي : كل هذه أيضاً.
فأخذت التفاحة وفي قلة حياء مجاعني أكلتها .
وفيما نحن نمشي نظرت إلى وجهه .
ولكن كيف أستطيع أن أخبركم بما رأيت؟

رأيت ليلاً تحرق الشموع في فضائه ، وحلماً لا تصل إليه أحلامنا ،
ظهيرة يفرح فيها جميع الرعاعة ويطربون لرؤيه قطعانهم راعية أمامهم ، مساء
هادئاً وسكوناً عجيباً وبيتاً تلجاً الروح إليه ، ونوماً هادئاً وحلماً لذيداً .
كل هذا رأيته في وجهه . فقد أعطاني التفاحتين ، وعرفت أنه كان جائعاً
مثلي .

ولكنني أعرف اليوم أنه بأعطائهما لي قد شبع واكتفى . لأنه هو نفسه
أكل من أثمار أخرى لشجرة أخرى .

أود أن أخبركم أكثر من هذا عنه ، ولكن كيف أستطيع ذلك؟
فإن المحبة متى اتسعت صعب التعبير عنها بالكلام . والذاكرة إذا كثرت
أحمالها سارت تفتشر عن الأعمق الصامتة .

بطرس في الجار

قال ربى ومعلمي مرة في كفر ناحوم :
إن جاركم هو ذاتكم الثانية تقطن وراء الجدار . وبالفهم تسقط جميع
الجدران .

ومن يدري إذا لم يكن جاركم هو ذاتكم الفضلى لابسة جسداً آخر؟
فانتبهوا أن تحبوا كما تحبون ذواتكم .

وهو أيضاً مظهر لل العلي القدير ، الذي لا تعرفونه .

إن جاركم هو حقل يسير فيه ربيع أمالكم بأثوابه الخضراء ويحتم فيه شتاوكم بالأعلى المجللة بالثلج .

إن جاركم هو مرآة ترون فيها صورتكم وقد جملها فرح أنتم أنفسكم لم تعلموا به ، وكابة أنتم أنفسكم لم تشركوا بها .

فأحبوا جاركم كما أحببتم أنا .

فسألته قائلًا : كيف أستطيع أن أحب جاراً لا يحبني ، وهو يحسدني ويطمع في مالي . بل كثيراً ما يسرق مقتنياتي ؟ .

فأجاب وقال : إذا كنت تفلح وكان خادمك يزرع البذار وراءك . فهل تقف وتنتظر إلى الوراء لتطرد . زر زوراً يلتقط بعض حبات من بذارك ليغذى بها جوعه ؟ فإذا فعلت هذا فأنت لا تستحق ثروة حصادك .

وعندما قال هذا خجلت من نفسي وجلست صامتاً . بيد أنني لم أكن خائفاً لأن ابتسامة يسوع لم تفارقني .

إسكاف في أورشليم على الحياد

إنني لم أحبه . ولكنني في الوقت نفسه لم أبغضه .
ولم أصغ إليه لأسمع أقواله . بل بالأحرى لأسمع رقة صوته لأن صوته كان يطربني .

وكل ما قاله كان مبهماً في فكري . ولكن موسيقى صوته كانت صريحة في أذني .

بالحقيقة إنني لو لا ما سمعته من الناس عن تعالميه لما كنت قادرًا أن أميز هل كان يسوع مع اليهودية أو ضدّها .

سوسان الناصرية جارة مريم

في شباب يسوع ورجله

قد عرفت مريم أم يسوع قبل أن صارت امرأة ليوسف النجار، وكنا معاً في ذلك الوقت غير متزوجتين.

في تلك الأيام كانت مريم ترى رؤى وتسمع أصواتاً، وتتكلّم عن الخدام السماويين الذين يزورونها في أحلامها.

وكان أهل الناصرة شديدي الاهتمام بها وكانوا يلاحظونها في ذهابها وإيابها، وكانوا ينظرون إليها بعيون لطيفة، لأن جيئتها كانت رفيعة وخطواتها كانت سديدة.

ولكن البعض قالوا إنّها مجنونة. وقد قالوا هذا لأنّها كانت تتصرّف بحرية تامة في جميع أعمالها.

أما أنا فقد كنت أنظر إليها نظرتي إلى شيخة طاعنة في السن مع أنها كانت فتاة في ميزة الشباب، لأنّي رأيت حصاداً في أزهارها وأثماراً يانعة في ربيعها.

فقد ولدت ونشأت بيننا، غير أنها كانت في قريتنا كأنها غريبة من بلاد الشمال. وكانت في عينيها دائماً دهشة الغريب الذي لم يتعرف إلى وجوهنا بعد.

وكانت لها نفس العجرفة التي عرفت بها مريم القديمة التي خرجت مع شقيقها من النيل إلى البرية.

ثم خطّبت مريم ليوسف النجار.

وعندما حبّلت مريم بيسوع كانت تتمشى بين التلال وترجع عند المساء وفي عينيها جمال فتّان وألم عميق.

وعندما ولد يسوع أخبرته إحدى الصديقات أن مريم قالت لأمها: أنا

لست إلا شجرة لم تقلم أغصانها بعد، فانظري أنت في هذه الثمرة، وقد سمعت هذا القول مرتاً القابلة.

وبعد ثلاثة أيام ذهبت لزيارتتها، فإذا هي منذهلة العينين مرتجفة الصدر، وقد طوقت بكرها بذراعيها كما تطوق الصدفة درتها الشمينة.

جميعنا أحبينا ابن مريم وكنا نراقبه بعيون المحبة لأنّه كان ممتلئاً بقوة الحياة والنماء.

مرّت الفصول وتقضت الأقمار فصار الطفل صبياً كثير الضحك واللهو. ولم يعرف أحد منّا ماذا سيصير إليه هذا الصبي لأنّه كان يبدو للجميع كأنّه من غير جنسنا. ولم يجسر أحد على توجيهه قط مع أنّه كان كثير المغامرة وافر الشجاعة.

أقول إنّه كان يلعب مع الأولاد أترباه، ولكتنى لا أقدر أن أقول إنّهم كانوا^١ يلعبون معه.

وعندما كان في الثانية عشرة من العمر قاد أحد العميان إلى عبر الجدول حتى أوصله إلى الطريق العامة.

أما الأعمى فلكي يظهر له شكره سأله قائلاً: من أنت أيها الصبي الصغير؟

فأجابه: أنا لست صبياً صغيراً. أنا يسوع.

قال له الأعمى: ومن هو أبوك؟

فأجاب: الرب هو أبي.

فضحك الأعمى وقال: بالصواب أجبت يابني. ولكن من هي أمك؟

فأجاب يسوع: أنا لست بنيناً لك. وأمي هي الأرض.

قال الأعمى: فانظر إذن، فقد قادني ابن الله والأرض إلى عبر الجدول.

فأجاب يسوع: سأقودك حيث شئت، وستراقق عيناي قدميك. وكان ينمو كالنخلة الشمينة في بساتيننا.

وعندما بلغ التاسعة عشرة صار جميلاً كالأيل، وكانت عيناه كالعسل
ممتلئتين من دهشة النهار.

وكان على فمه عطش قطيع الصحراء للبحيرة.

فهو لا يمشي في الحقول إلا وحده وعيوننا وراءه، ومثلها عيون جميع
الصبايا في الناصرة، ولكتنا كنا نخجل أمام جلال عينيه.

ومع أن المحبة خجولة أبداً من الجمال فالجمال كان وما يزال مطعم
أنظار المحبة.

ثم دعته الفصول ليتكلم في بساتين الجليل.
وكثيراً ما كانت مريم تتبعه لتصغي لأقواله وتسمع صوت قلبها، ولكن
عندما كان يذهب مع محبيه إلى أورشليم لم تكن تذهب معهم.

لأننا نحن أبناء الشمال يهزاً بنا في الغالب في شوارع أورشليم حتى ولو
كنا ذاهبين لتقديم تقدماتنا في الهيكل.

وكانت مريم فخورة بهذا المقدار حتى إنها لم تشا أن تسلم إباهها
لساخرية أهل الجنوب.

وقد زار يسوع بلاداً أخرى في الشرق وفي الغرب. ومع أننا لم نعرف
البلاد التي زارها ولكن قلوبنا كانت تتبعه.

ولكن مريم كانت تجلس على عتبتها تنتظره، وفي كل مساء كانت تحدق
بعينيها إلى الطريق تفتش عن رجوعه إلى بيته.

بيد أنها عند رجوعه تأتي إليها قائلة: إنه أعظم من أن يكون ابناً لي،
وفصاحتها تسمو على إدراك قلبي الصامت، فكيف أدعيه لنفسي؟

ويلوح لي أن مريم لم تستطع أن تصدق أن السهل قد ولد الجبل، وفي
بياض قلبها لم تنظر أن حرف الجبل هو الطريق إلى قتنه.

فقد عرفت الرجل، ولكن بما أنه كان ابناً لها لم تجرؤ أن تعرفه.

وفي أحد الأيام ذهب يسوع إلى البحيرة ليكون مع أصدقائه الصيادين،
فقالت لي مريم: من هو الإنسان إلا هذا الكائن القلق الناهض من الأرض،
والحنين المتسامي إلى النجوم؟

إن ابني هو حنين بعيد. بل هو جمعينا متسامين بحنيننا إلى النجوم.
هل قلت إنه ابني؟ فليس محبتي الرب، ولكن قلبي يدلني على أنني أمه.

* * *

إنه صعب عليّ جداً أن أخبركم أكثر من هذا عن مريم وابنها. ولكن،
وإن طلع الحسك في حلقي، ووصلت كلماتي إليكم وصول الكسيح الذي
يدب على العصا، فأنا أود أن أقصّ عليكم ما رأيته وسمعته.

كانت السنة فخورة بشبابها، وكانت شقائق النعمان تزين رؤوس التلال
عندما دعا يسوع تلاميذه وقال لهم: تعالوا معي إلى أرشليم وشاهدوا ذبح
الخروف للفصح.

وفي ذلك اليوم بعينه جاءت مريم إلى بابي وقالت: إنه ذاهب إلى
المدينة المقدسة، فهل لك أن تذهب وتبعيه معي ومع بقية النساء؟
وللحال سرنا على تلك الطريق الطويلة وراء مريم وابنها حتى وصلنا إلى
أورشليم، وهناك حيتنا جماعة من الرجال والنساء على بوابة المدينة، لأن
مجيئه كان قد أعلن من قبل لأصحابه وأحبابه، ولكن يسوع ترك المدينة في
تلك الليلة مع أصحابه.

وقد أخبرونا أنه ذهب إلى بيت عانيا:

فأقامت مريم معنا في الفندق تنتظر رجوعه.
وفي مساء الخميس التالي ألقوا القبض عليه خارج الأسوار، وسجنوه.
وعندما سمعنا أنه سجين لم تنطق مريم بكلمة قطّ، ولكن ظهر للحال
في عينيها تحقيق خفي لذلك الوعد بالألم والفرح الذي رأيناه عندما كانت
عروساً في الناصرة.

إنها لم تبكِ. ولكنها كانت تمشي بيتنا فقط كأنها روح أم لا تريد أن تنتصب على روح ابنها.

فجلستنا منحنيات على الأرض، أما هي فكانت متتصبة وهي تروح وتجيء على أرض الغرفة.

وكانت تقف بين الهنีهة والهنئية أمام النافذة وتحدق بنظرها إلى الشرق ثم تسرح شعرها بأصابع يديها.

وعند الفجر بقيت واقفة بيننا، كأنها علم يخفق في قفر لا جحافل فيه.

قد بكينا لأننا عرفنا ما يحمله الغد لابنها، أما هي فإنها لم تبكِ لأنها عرفت أيضاً ما سيصيبه.

كانت عظامها من صلب النحاس وقوتها من الدردار القديم.
وكانت عيناهما كالسماء اتساعاً وشجاعة.

عمرك الله، هل رأيت قبرة تشد في حين أن عشها يحترق في الهواء؟
وهل رأيت امرأة تفيض كآيتها على دموعها، أو قلباً مجروباً يرتفع حتى يسمو على ألمه؟

إنك لم ترَ مثل هذه المرأة لأنك لم تقف في حضرة مريم ولم تختضنك بعد الآلام غير المنظورة.

في تلك الساعة الهدئة التي كانت حواffer الصمت تضرب فيها على صدور الأرقين، دخل يوحنا، الابن الأصغر لزبدي، وقال: أيتها الأم مريم، إن يسوع ذاهب، فهلمي تبعه.

فوضعت مريم يدها على كتف يوحنا وخرجت معه، ونحن نبعندهما.

وعندما وصلنا إلى برج داود رأينا يسوع حاملاً صليبيه وكان جمع غفير، حواليه.

وكان معه رجالان آخران يحمل كلّ منهم صليبيه.

وكان رأس مريم مرتفعاً، وكانت تمشي معنا وراء ابنتها، وكانت خطواتها ثابتة.

وقد مشت وراءها صهيون ورومة، بل العالم أجمع، ليتقم لنفسه من الرجل الحر الواحد.

وعندما وصل إلى التلة رفعوه على الصليب.

فنظرت إلى مريم، فلم يكن وجهها وجه امرأة حزينة، بل كان أشبه بمنظر الأرض المثمرة التي تلد أولادها بغير انقطاع وتقبورهم بلا ملل.

ثم عرضت صورة تذكارات صبوته أمام عينيها، فقالت بصوت عظيم: يا ابني الذي ليس ابناً لي، أيها الرجل الذي زار بطني مرة، إني أفارخ بقوتك. إني أعرف أن كل نقطة من الدم الجاري من يديك ستكون ينبوعاً تتكون منه أنهار أمة بأسرها.

أنت تموت الآن في هذه العاصفة كما مات قلبي مرة في غروب الشمس، ولذلك لم أحزن عليك.

في تلك اللحظة رغبت في تغطية وجهي بوشاحي لأهرب راجعة إلى الشمال، ولكنني سمعت فجأة مريم تقول: يا ابني الذي ليس ابناً لي، ما الذي قلت له للرجل الذي على يمينك فجعله سعيداً في آلامه؟ إن ظلّ الموت ضعيف على وجهه، وهو لا يستطيع أن يحول عينيه عنك.

أنت تبسم لي الآن، وهذه الابتسامة تدلني على أنك قد غلبت العالم. فنظر يسوع إلى أمه وقال لها: يا مريم، كوني منذ الساعة أمّا ليوحنا.

وقال ليوحنا: كن ابناً محباً لهذه المرأة. اذهب إلى بيتها وليعبر ذلك العتبة التي طالما جلست عليها. اصنع هذا لذكرى.

فرفعت مريم يمينها نحوه، فبدت كأنها شجرة ذات غصن واحد، ثم صرخت قائلة: يا ابني، الذي ليس ابناً لي، إذا كان هذا من الله فليعطيتنا الله صبراً ومعرفة لحقيقة. وإذا كان من الإنشان فليسامحه الله إلى الأبد.

إذا كان هذا من الله فإن ثلج لبنان سيكون لك كفناً، وإذا كان من هؤلاء
الكهنة والجنود فقط فإن لي هذا الشوب لعربيك.

يا ابني، الذي ليس ابناً لي، إن ما يبنيه الله هنا لا يمكن أن يزول،
وكل ما يهدمه الإنسان سيظل مبنياً، ولكن في نظر أسمى من نظر الإنسان.
في تلك الدقيقة أسلمته السماوات للأرض صوتاً ونسمة حية.
ومريم أيضاً أسلمته للإنسان جرحاً ويلسماً.

وقالت مريم: انظروا الآن فقد مضى. قد انتهت المعركة وأعطي
الكوكب نوره. قد وصلت السفينة إلى الميناء. والذي أثكاً فيما مضى على
قلبي يتموج الآن في الفضاء.

وإذ دنوها منها قالت لنا: إنه حتى في الموت نفسه يتسم. فقد غلب
العالم. ويسرّني جداً أن أكون أمّاً للغالب.

ثم رجعت مريم إلى أورشليم متکئة على ذراع يوحنا التلميذ الصغير.
وكانت امرأة قد تحققت آمالها.

* * *

وعندما وصلنا إلى بوابة المدينة تأملت وجهها فأخذ الدهش بمجامع
قلبي لأن رأس يسوع في ذلك اليوم كان أرفع من رؤوس جميع الرجال، ومع
ذلك فإن رأس مريم لم يكن أقل منه ارتفاعاً.

حدث كل هذا في فصل الربيع.

ونحن اليوم في فصل الخريف، وقد رجعت مريم أم يسوع إلى بيتها
وهي تقطن فيه وحدها.

* * *

منذ سنتين كان قلبي جاماً كالصخرة في صدري، لأن ابني تركني وسافر

إلى صور يطلب سفينة لأنّه يريد أن يكون ملاحاً.

وقد قال لي إنّه لن يرجع إلى.

وفي أحد الأمساء سرت إلى مريم.

وعندما دخلت إلى بيتها كانت جالسة أمام نولها، وهي لا تلمسه لأنّها كانت تتأمل السماء البعيدة وراء الناصرة.

فقلت لها: السلام عليك يا مريم.

فمدت يدها إلى وقالت: هلمي فاجلسي إلى جانبي نراقب الشمس وهي تسكب دمها على التلال.

فجلست بجانبها على المهد، وكنا نتأمل الغروب من خلال النافذة.

وبعد هنيهة قالت مريم: إنّي لا أدرى من يصلب الشمس في هذا المساء.

فقلت لها: قد جئتكم أطلب تعزية. إنّ ابني قد تركني وذهب إلى البحر، وأنا وحدي في البيت في عبر الطريق.

فقالت مريم: إنّي أود أن أعزّيك، ولكنّي لي ذلك؟

فقلت: إذا تكلمت عن ابنك فقط فإنّي أتعزّى.

فتبتسمت مريم ووضعت يدها على كتفي وقالت: إنّي سأتكلّم عنه، لأنّ ما يعزّيك إنّما يحمل لي متنهى التعزية.

وأخذت تحدّثني مليّاً عن يسوع، وعن جميع ما كان منذ البدء.

ويلوح لي أنها لم تفارق ابناها في كل حديثها.

فقد قالت لي: إنّ ابني هو ملاح كابنك، فلماذا لا تسلمين ابنك لحنان الأمواج كما سلمت ابني؟

ستبقى المرأة أبداً رحمةً ومهداً، ييد أنها لن تكون رسماً. نحن نموت لكي نعطي حياة للحياة، كما أنّ أصواتنا تحوك من الخيوط ثوباً لن نلبسه أبداً.

ونحن نلقى الشبكة لنمسك السمك الذي لن نأكله.

لأجل هذا نكتب ونحزن، ولكن في جميع هذا فرحتنا وغبطتنا.

بهذا حدثتني مريم.
فتركتها ورجعت إلى بيتي، ومع أنّ نور النهار كان قد ولّى فقد جلست
إلى نولي أحوك القماش الذي لن ألبسه.

يوسف الملقب ببيوسروس

يسوع الهايم

يقولون إنه كان ديتاً، وثمرة خاملة لزرع خامل، ورجلًا فظاً غليظاً.
ويقولون إن الريح فقط كانت تمشط شعره، وإن المطر فقط كان يغسل
وجهه وثيابه.

ويقولون إنه كان مجنوناً وينسبون أقواله للشياطين.
ولكن انظروا أيها الناس، إن هذا الرجل الذي احترروه قد استشهد
أعداءه، ولن ينقطع صوت مناهمته، لأنّ ما من بشر يستطيع أن يقف في
وجهه.

قد أشد أنسودة ولا يستطيع أحد أن يقيّد حريتها، فهي ترفف بأجنحتها
من جيل إلى جيل، وتنهض من محيط إلى محيط حاملة ذكرى الشفتين اللتين
ولدت في أحضانهما والأذنين اللتين كانتا لها مهدًا.

فقد كان غريباً. نعم نعم كان غريباً هائماً في طريقه إلى المقام المقدس،
وكان زائراً يقرع أبوابنا، وضيفاً من بلاد بعيدة.

بيد أنه لم يجد بيننا مضيفاً عطوفاً، ولذلك رجع إلى المكان الذي أعد
له منذ إنشاء العالم.

فيليس

و عندما ماتت الإنسانية كلها

عندما مات حبيبنا ماتت الإنسانية كلها، وسكن كل ما في الفضاء وامتنع لونه، فالشرق أظلم، وهبت من أعماقه عاصفة هوجاء اجتاحت كل الأرض. وكانت عيون السماء تنفتح وتنطبق، وتساقطت الأمطار أنهاراً فجرفت الدم الجاري من يديه ومن قدميه.

وأنا أيضاً مت مع المائتين، وفي أعماق غفلتي سمعته يتكلم ويقول: يا أبناه أغفر لهم، لأنهم لا يدركون ما يفعلون.

وقد طلب صوته روحي المختنقة فأرجعني إلى الشاطئ ثانية.

ففتحت عيني ورأيت جسده الناصع البياض معلقاً أمام السحاب، وقد تجسدت الكلمات التي سمعتها منه في أعماق قلبي فصرت رجلاً جديداً. ولم أعرف طعم الكآبة فيما بعد.

فمن يحزن على البحر الذي يحرر القناع عن وجهه، أو الجبل الذي يضحك في الشمس؟

هل خطر على قلب بشر، وقد طعن ذلك القلب، أن يقول مثل هذه الكلمات؟

وأي قاض من قضاة البشر صفع عن قضائه؟ وهل سبق للمحبة في كل أدوارها أن تغلبت على البغض بمثل هذه القوة الواثقة بذاتها؟

وهل سمعت الإنسانية صوتاً كصوت هذا البوّاق المدوّي بين الأرض والسماء؟

هل سمع من قبل أن القتيل يسترحم لقاتلاته؟ أو أن الشهاب يوقف سيره من أجل الخلود؟

أجل، ستنتقضى الفصول وستطوى السنون قبل أن يزول من الأرض أثر

هذه الكلمات: يا أبتابه اغفر لهم، لأنهم لا يدرؤن ما يفعلون.
وأنا وأنت وإن ولدنا المرة بعد المرة، فإننا لن ننسى هذه الكلمات. وها
أنا الآن أمضي إلى بيتي لأقف متسللاً رفيع الرأس على بابه.

بربارية اليمونية

يسوع الموج

كان يسوع صبوراً على الحمقى والبلداء، كما يتنتظر الشتاء الرياح.
كان صبوراً كالجبل في الريح.
فكان يجاوب بلطف على جميع المسائل البليدة التي وجهها إليه أعداؤه.
وكثيراً ما كان يصمت أمام المماحكة والمغالطة، لأنه كان قوياً، وفي
منال القوي أن يكون طويل الأنفاس.

ولكن يسوع كان أيضاً قليلاً صبوراً.
فإنه لم يطق صبراً على المرائين.
ولم يسلم سلاحه لمشعوذى الكلام والخبائث.
ولم يكن في طوق إنسان أن يسود عليه.
إنه لم يصبر على الذين أنكروا النور لأنهم كانوا يعيشون في الظلام،
والذين طلبوا علامات في السماء وكان الأجرد بهم أن يطلبوها في قلوبهم.

ولم يكن صبوراً على الذين وزنوا النهار وقايسوا السماء قبل أن أسلموا
 أحلامهم للفجر والمساء.

كان يسوع صبوراً.
ولكنه كان أقل الناس صبراً.
 فهو يريد منك أن تحوك الثوب ولو أنفقت أعواماً بين النول وخيوط
 الكتان.

ولكنه لم يأذن لأحد أن يمزق قيراطاً واحداً من النسيج الذي تمت حياكته.

زوجة بيلاتس إلى امرأة رومانية

المحبة والقوة

كنت أمشي مع وصيفاتي في الغابات خارج أورشليم عندما رأيته مع بضعة رجال ونساء جالسين حوله، وكان يخاطبهم بلغة لم أفهم سوى نصفها. ولكن الإنسان لا يحتاج إلى لغة لكي يرى عموداً من النور أو جبلًا من البلور. فالقلب يعرف ما لا ينطق به اللسان وما لا تسمعه الآذان.

كان يخاطب أصحابه عن المحبة والقوة. إنني أعرف أنه تكلم عن المحبة لأنّه كان في صوته لحن شجيّ، وأعرف أنه تكلم عن القوة لأن جيوشاً جرارة كانت تسير مع إشارته، وكان لطيفاً، وأنا لا أعتقد أن زوجي نفسه يستطيع أن يتكلم بالسلطان الذي تكلم به هذا الإنسان.

وعندما رأني مارة به توقف عن الكلام هنيهة ونظر إلى بلطف. فاتضعت روحي أمام نظرته، وأدركت في أعماق نفسي أنّني مررت بياله.

وبعد ذلك اليوم كانت صورته تزورني في وحدتي عندما لم يزرني أحد من الرجال أو النساء، وكانت عيناه تنفذان إلى أسرار نفسي وأنا مغمضة العينين، وكان صوته سيداً في هدوء ليالي.

إنني سجينه سحر هذا الرجل إلى الأبد، ولكن السلامة في آلامي، والحرية في دموعي.

أنت لم تنظرني ذلك الرجل، يا صديقتي، ولن تنظرني.

فقد اختفى عن حواسنا، ولكن هو أقرب إلى اليوم من جميع الرجال.

رجل خارج أورشليم

يهودا الاسخريوطى

جاء يهودا إلى بيته في ليلة الجمعة العظيمة في مساء عيد الفصح وقرع بابي بعنف شديد.

وعندما دخل نظرت إليه فإذا وجهه كالرماد. وكانت يداه ترتجفان كالأغصان اليابسة في الريح، وكانت ثيابه مبللة كأنه خارج من النهر، لأنّه في ذلك المساء حدثت عواصف عظيمة.

فنظر إلى فبات عيناه كالكهوف المظلمة الممتلئة بالدم.

فقال: قد أسلمت يسوع الناصري إلى أعدائه وأعدائي.

ثم فرك يديه وقال: قد أعلن يسوع أنه سيقهر جميع أعدائه وأعداء أمتنا، فآمنت وتبعته.

وعندما دعاها إليه وعدنا بملكه قديرة واسعة، ونحن بإيماننا شددنا أزره لنثال المراكز الرفيعة في بلاطه.

فرأينا أنفسنا أمراء نعامل هؤلاء الرومانيين بما عاملونا به. وقد تكلم يسوع كثيراً عن مملكته، حتى اعتقدت أنه اختارني قائداً لمركباته، ورئيساً لجنده، ولذلك تبعت خطواته برضى وطمأنينة.

بيد أنّي وجدت أخيراً أنه لم يطلب مملكة، ولم يقصد أن يحررنا من الرومانيين، لأن مملكته لم تكن سوى مملكة القلب.

وكنت أسمعه يتكلم عن المحبة والرحمة والإحسان، وكانت نساء الشوارع تصغي إليه بلهفة وفرح شديد، أما أنا فقد تمررت روحي وتحجر قلبي.

فإن ملك اليهودية الذي وعدت به نفسي تحول فجأة إلى ضارب على القيثارة لسكن حدة أفكار الهائمين والمتشددين.

فقد أحببته كما أحبته هيري من أبناء عشيرتي، ورأيت فيه رجاء وعتقًا من نير الغرباء. ولكنه عندما لم يتلفظ بكلمة ولم يحرك يدًا لتحريرنا من ذلك النير، وعندما تطرف فأعطي ما لقيصر لقيصر. حينئذ ملأ اليأس زوايا قلبي وتبددت جميع آمالي. فقلت في سري: إن من يقتل آمالي سيقتل. لأن آمالي هي أثمن من حياة أي رجل كان.

ثم صرف بأستانه، وحنى رأسه. وعندما تكلم ثانية قال: قد أسلمته. وقد صلبوه في هذا اليوم... ولكن عندما مات على الصليب مات ملكاً. فقد مات في العاصفة كما يموت المنقذون وكما يموت العظام الذين يعيشون فوق الأكفان والحجارة.

وفي كل وقت موته كان ممتلئاً بالعاطف واللطف، وكان قلبه يفيض رحمة. فقد أشدق عليّ وأنا الذي سلمته!

قلت: قد أخطأت يا يهودا خطأً فظيعاً.

فأجاب يهودا: قد مات ملكاً. فلماذا لم يعش ملكاً؟

قلت أيضاً: وقد ارتكبت جريمة هائلة.

فجلس هنالك، على ذلك المعقد، وكان صامتاً كالصخرة.

أما أنا فكنت أتمشى جيئة وذهobiaً مثقلًا بالحزن في الغرفة، ثم قلت له
ثالثة: وقد اقترفت خطيئة عظيمة.

ولكن يهودا لم يقل كلمة، بل ظلَّ صامتاً كالارض.

وبعد هنيهة وقف وتظر في وجهي ف بدا لي أطول مما كان.

عندما تكلم كان صوته كالسفينة المتحطم، وقال: لم تكن الخطيئة في قلبي. وفي هذه الليلة سأمضي وأطلب ملكوته وسأقف في حضرته وألتمس صفحه.

فهو قد مات ملكاً أما أنا فساموت كخائن. ولكن قلبي يحتذني بأنه سيفر لي. وبعد أن قال هذا لفت جسده بعباته جيداً وقال: حسناً فعلت

بمجيئي إليك في هذه الليلة. وإن كنت قد عملت على إزعاجك فهل لك أن تغفر لي أيضاً؟

قل لأولادك وأولاد أولادك: إن يهودا الإسخريوطى أسلم يسوع الناصري إلى أعدائه لاعتقاده أنّ يسوع كان عدواً لأمته.

وقل أيضاً إن يهودا في نفس اليوم الذي ارتكب فيه هذه الخطيئة العظمى تبع الملك إلى درجات عرشه ليسلم نفسه للمحاكمة.

فتسأله أن دمي أيضاً مشوق للتراب، وروحي المخلعة تندش الحرية.

ثم أمال يهودا رأسه وأسنده إلى الحائط وصرخ قائلاً: أيها رب الذي لا ينطق أحد باسمه حتى تقبض أصابع الموت على شفتيه، لماذا حرقتنى بنار لا نور فيها؟.

لماذا أعطيت الجليلي شوقاً لأرض غير معروفة، وأنقلت كاهلي برغبة لا تتعدى البيت والموقدة؟ ومن هو هذا الرجل يهودا الملطخة يداه بالدم؟ أعضدي لأطركه عنى، ثوبأً باليأً ومتاعاً رثأً.

ساعدني لأفعل هذا في هذه الليلة، ودعني أقف ثانية خارج هذه الجدران: قد سئمت هذه الحرية المقصوصة الجناج، وأحب سجنناً أعظم من هذا.

أحب أن أجري كجدول من الدموع إلى البحر العر. أحب أن أكون رجلاً يتمتع برحمتك من أن أكون رجلاً يقرع على بوابة قلبه.

هكذا تكلم يهودا، ثم فتح الباب وخرج إلى العاصفة ثانية.

وبعد ثلاثة أيام زرت أورشليم وسمعت بكل ما حدث فيها. وهناك عرفت أيضاً أن يهودا رمى نفسه من قنة الصخرة العالية.

قد فكرت كثيراً منذ ذلك اليوم، وأنا أفهم سر يهودا، فقد كمل حياته الصغيرة، التي تحركت كالضباب فوق هذه الأرض المستعبدة من الرومانيين..

في حين أن النبي العظيم كان يصعد في الأعلى.
فالرجل الأول تاقت نفسه إلى مملكة يكون هو فيها أميراً.
أما الرجل الثاني فقد أراد مملكة يكون فيها جميع الناس أمراء.

سركيس الراعي اليوناني الشیخ

(الملقب بالمعجانون)

يسوع والإله بان

رأيت في حلم يسوع الناصري والإله «بان» جالسين معاً في قلب الغابة.
وكان كل منهما يضحك من خطاب رفيقه. وكان الجدول الجاري
أمامهما يضحك معهما. ولكن ضحك يسوع كان أكثر بهجة. وقد تحدثا
طويلاً.

فتكلم «بان» عن الأرض وأسرارها. وعن إخوه ذوي الحوافر وأخواته
ذوات القرون، وعن الأحلام. وتكلم عن الجذور وسكنونها، وعن العصارة
التي تستيقظ وتنهض مترنمة في الصيف..

وتكلم يسوع عن الأغصان الصغيرة في الغابة، وعن الزهور والأثمار،
وعن البذور التي ستحملها في فصل لم يأت بعد.

وتكلم عن الطيور في الفضاء وتغريدها في العالم العلوي.

وأنبأنا إلينا عن الآيائل البيضاء في الصحراء ترعاها عينا القدير.

وقد سرّ «بان» بحديث الإله الجديد وارتعشت مشامه غبطة.

وفي نفس الحلم رأيت الصمت مخيماً على «بان» ويسوع وقد جلسَا
صامتين في سكينة الظلال الخضراء.

ثم أخذ «بان» زمارته وزمر ليسوع.

وكانت الأشجار تهتز والخشار يرتعش، فتولاني خوف شديد.

فقال يسوع: أيها الأخ الصالح، قد جمعت معابر الارجاع وقنن الصخور في زمارتك.

فأعطي «بان» الزمارة ليسوع وقال: زمر أنت الآن، فقد جاءت نوبتك. فقال يسوع: إن القصب في هذه الزمارة كبير على فمي، فاسمح لي أن أزمر في هذا المزار.

فأخذ مزماره وشرع ينفتح فيه.

فسمعت وقع المطر في الأوراق، وترنيم الجداول بين التلال، وسقوط الثلج على رأس الجبل.

نبض قلبي، الذي اتخد ضربه من الربيع، عاد ثانية إلى الربيع، وتراجعت جميع أمواج أمسى إلى شاطئي، فصرت ثانية سرکيس الراعي، وتحول مزمار يسوع إلى نيات رعاة لا عديد لهم يدعون قطعاناً لا تعد ولا تحصى.

فقال: «بان» ليسوع: أنت أقرب في شبابك إلى الموسيقى مني فيشيخوختي. وفي سكوني قبل هذا اليوم بوقت طويل قد سمعت أنشودتك وذكر اسمك.

إن صوت اسمك صالح عذب، وهو سينهض بقوّة مع العصارة إلى الأغchan، وسيركض بعزم مع الحواffer بين التلال.

وهو ليس بالاسم الغريب علىي، مع أن أبي لم يدعني بذلك الاسم. إن مزمارك قد أعاده إلى ذاكرتي.

والآن هلتم بنا نزمر معاً.

فشرعاً يزمران معاً.

وقد ضربت موسيقاهم السماء والأرض، فوقع الرعب على جميع الأحياء.

فسمعت عجيج الحيوانات في الغابة. وسمعت صرخ المستوحشين من الناس وشكوى الذين يتذوقون إلى ما لا يعرفون.

وسمعت تهداط العذراء على حبيبها، ولهاث الصياد وراء صيده.
ثم رجع السلام إلى موسيقاهم، فترنمت السماء والأرض معاً.
كل هذا رأيته في حلمي، وكل هذا سمعته ووعيته.

حنانيا رئيس الكهنة كان يسوع من السفلة

كان من السفلة، لصاً ودجالاً وضارباً بالبوق لنفسه، ولم يحسن إلا في عيون المدنسين والمعدمين، ولذلك لم يسر إلا في مسالك الملطخين والفاشدين.

وقد سخر منا ومن شرائعنا، وهزاً من شرفنا وضحك من وقارنا.
وتتمادى في غوايته فقال إنه يهدم الهيكل ويدين الأماكن المقدسة. إنه لم يعرف عيناً، ولأجل هذا قضي عليه بموت معيب.

كان رجلاً من جليل الأمم، وأجنبياً من تلك البلاد الشمالية التي ما زال أدونيس وعشتروت ينazuان إسرائيل وإله إسرائيل السيادة عليها.

إن ذلك الذي كان يتلعم لسانه وهو ينطق بخطب أنبيائنا صار أخيراً
مرتفع الصوت وهو يتكلم بلغة النغول الأدنية والسفهاء من أتباعه.

فهل كان في طوقي إلا أن أحكم عليه بالموت؟

أليست أنا حارس الهيكل؟ أليست أنا حافظ الشريعة؟ وهل كنت قادرًا أن أدير له ظهري قائلًا بكل طمأنينة: إنه مجنون بين المجانين. دعه وشأنه حتى

يقضي في هذيانه، لأن المجانين والحمقى والذين تقطنهم الشياطين لا يقدّمون ولا يؤخرون في طريق إسرائيل؟ هل كنت قادرًا أن أصمّ أذني عن سماع صوته عندما دعانا كذابين ومرائين وذئاباً وحيات وأولاد الأفاسين؟

إلا أثني لم أقدر أن أصمّ أذني عن سماعه، لأنّه لم يكن مجتننا، فقد كان مجنوباً بغرور نفسه. فحمله هذا الغرور الجنوني على تهديتنا ومناهدتنا جمعياً.

لأجل هذا أمرت بصلبه. ليكون صلبه ناصحاً ونديراً لجميع الذين ختموا أنفسهم بخاتمه اللعين.

إنّي أعرف جيداً أنّ كثيرين أنحروا عليّ باللامة على هذا العمل وفريق منهم من أعضاء السندريلم أنفسهم، ولكنّي أدركت آنذاك كما أدرك الآن أنّ رجلاً واحداً يجب أن يموت عن الأمة قبل أن يضلّل الأمة بأسراها.

قد غلب اليهودية عدو خارجي، ولكنّي سأرى لا يقهر اليهودية ثانية عدو داخلي.

فما من رجل من الشمال الملعون يستطيع أن يصل إلى قدس أقدسنا، أو يمر بظله على تابوت العهد المقدس.

امرأة من جارات مريم مرثاة

في اليوم الأربعين بعد موته جاءت جميع جارات مريم إلى بيتها ليعزّزينها وينشدن مراثيَّهن.

وقد أنشدت واحدة منهن هذه المرثاة:
إلى أين يا ربِّي، إلى أين؟
والى أي فضاء آخر يتضاعد عبيرك؟

وفي أي حقل آخر ستمشي؟
وإلى أية سماء سترفع رأسك لتتكلم بما في قلبك؟
ستقفر هذه الأودية، ولن يكون لنا غير الحقول الجرداء القفراء.

إن جميع الأشياء الخضراء ستتحرق في الشمس، ولن تنتج بساتينا سوى
التفاح الحامض، وكرومنا لن تحمل غير العنبر المر.
سنعطش لخمرتك، وستحنّ مشامتنا لعطرك.

* * *

إلى أين يا زهرة ربيعنا الأول، إلى أين؟
أفلن ترجع إلينا؟
أفلن يزورنا ياسمينك، ولن ينبع بخور مريم روحك في جوانب طرفيها
ليخبرنا أننا نحن أيضاً لنا جذور عميقه في الأرض، وأن أنفاسنا غير المتقطعة
ستظلّ صاعدة إلى السماء أبداً؟
إلى أين يا يسوع، إلى أين يا ابن جارتي مريم، ورفيق ابني الحبيب؟
إلى أين يا ربيعنا الأول، وإلى أي الحقول الأخرى تسير؟
هل ترجع إلينا ثانية؟
وهل تزور، في مذمحتك، الشواطئ القيمة لأحلامنا؟

آهان الجسيم صاحب الفندق العشاء قبل الفصح

إنني أذكر جيداً المرة الأخيرة التي رأيت فيها يسوع الناصري. فقد
جاءني يهودا عند ظهر ذلك الخميس، وطلب إليّ أن أعدّ عشاء ليسوع
وأصدقائه.

وقد أعطاني قطعتين من الفضة وقال لي: اشتري كل ما تراه لازماً للعشاء.

وبعد أن تركنا قالت لي زوجتي: إن هذا بالحقيقة لشرف عظيم، لأن يسوع صارنبياً عظيماً، وقد صنع آيات وعجائب كثيرة.

وعند الشفق جاء يسوع وأتباعه، وجلسوا في العلية حول المائدة ولكنهم صمتوا كأن على رؤوسهم الطير.

وقد جاؤوا في العام الماضي وفي العام الذي سبقه، ولكنهم كانوا في ذلك الوقت فرحين، فكسرموا الخبز وشربوا الخمر وترنموا بتراثينا القديمة، ولم ينقطع يسوع عن محاديثهم حتى نصف الليل.

وبعد ذلك كانوا يتذكونه وحده في العلية ويذهبون ليناموا في غرف أخرى، لأنّه كان يرغب في الانفراد بعد نصف الليل.

وكان يظل مستيقظاً الليل بطوله، لأنّي كنت أسمع وقع خطواته وأنا مضطجع في فراشي.

ولكن في هذه المرة الأخيرة لم يكن سعيداً لا هو ولا أصدقاؤه.

وكانت زوجتي قد أعدت سماكاً من البحيرة ودراريج من حوران حشتها بالأرز وحبوب الرمان، وأحضرت أنا لهم جرة من خمرة سروتي.

ثم تركتهم لأنّي شعرت بأنّهم راغبون في أن يكونوا وحدهم. وقد أقاموا في العلية حتى خيم الظلام، ثم انحدروا جميعهم معاً من العلية، ولكن يسوع وقف هنيهة عند أسفل السلم فنظر إلى زوجتي، ثم وضع يده على رأس ابنتي وقال: ليتكم سعيدة جميّعاً. إنّا سنأتي ثانية إلى عليتكم، ولكننا لن نترككم في مثل هذه الساعة الباكرة، وسنبقى معكم حتى تشرق الشمس فوق الأفق.

قريباً نعود إليكم ونطلب منكم مزيداً من الخبز والخمر، فقد أحستتم ضيافتنا وسنذكركم إذا أتينا إلى بيتنا وجلستنا إلى مائدتنا.

فقلت له: قد كان لي الشرف في خدمتك يا سيدتي. إن بقية أصحاب الفنادق يحسدوني على زيارتكم، فأضحك منهم مفتخرًا في ساحة المدينة،

وفي بعض المرات أحوال وجهي عنهم.

فقال : يجب أن يفتخر جميع أصحاب الفنادق بالخدمة ، لأن الذي يعطي الخبز والخمر هو أخ ذلك الذي يحصد ويجمع أغمار الحبوب ويحملها إلى البيدر ، وأخ لمن يعصر الخمرة في المعاصرة . وأنتم جميعكم كرماء ، لأنكم تعطون من خيركم حتى لمن يأتي إليكم ولا شيء لديه سوى جوعه وعطشه .

حيثند التفت إلى يهودا الإسخريوطى الذى كان يحمل كيس الجماعة وقال له : اعطني شاقلين .

فأعطاه يهودا شاقلين وقال له : هذه آخر قطعة من الفضة في كيسى .
فنظر إليه يسوع وقال له : قريباً جداً سيمتلئ كيسك فضة .

ثم وضع الشاقلين في يدي وقال : اشتري بهذا المال منطقة حريرية لابتلك ومرها أن تلبسها في عيد الفصح تذكاراً لي .

قال هذا ونظر إلى وجه ابنتي ثانية ، وانحنى قبل جبينها ، ثم قال ثانية :
ليلتكم سعيدة جمياً ، وسار في طريقه .

يقولون لي إن ما قاله لنا قد دونه أحد أصدقائه على رقّ عنده ، ولكنني أعدته على مسامعكم الآن كما سمعته من شفتيه .

إتنى لن أنسى ما حييت رنة صوته وهو يقول هذه الكلمات : ليلتكم سعيدة جمياً .

فإذا أردتم أن تعرفوا أكثر من هذا عن النبي الجديد فاسأموا ابنتي ، فهي امرأة الآن ولكنها لم تبدل تذكريات صباحها بمال الأرض كلها ، وهي أكثر استعداداً للكلام مني .

باراباس كلمات يسوع الأخيرة

قد أطلقوني واحتاروه. أما هو فنهض وأما أنا فسقطت. وقد قبضوا عليه ضحية وتقديمة للفصح.

وقد تحررت من قيودي ومشيت مع الجمع وراءه، ولكنني كنت رجلاً حياً يسير إلى قبره.

كان الأليق بي أن أهرب إلى الصحراء حيث يحترق العار بأشعة الشمس.
ولكنني مشيت مع الذين احتاروه ليحمل جريمتي.
وعندما سُمِّروه على الصليب كنت واقفاً هناك.
وقد رأيت وسمعت، ولكن ما يدرك في كان خارج جسدي.
فقال له اللص الذي صُلب عن يمينه: وأنت تنزف دماً معي يا يسوع الناصري؟

فأجاب يسوع وقال: إنني لو لا هذا المسمار المغروس في يدي لكنت أمد يميني وأصافقك.

إننا قد صُلِّبنا معاً، وياللهم رفعوا صليبيك ليكون قريباً من صليبي ثم نظر إلى الأرض وتأمل وجه أمه ووجه شاب كان واقفاً بجانبها.

وقال: يا أمي، هوذا ابنك واقف بجانبك.
يا امرأة، هوذا الرجل الذي سيحمل نقط دمي إلى بلاد الشمال.
وعندما سمع نوح نساء الجليل قال: تأملوا فيهن يبكين وأنا أعطش.
قد رفعوني كثيراً فلا أستطيع أن أصل إلى دموعهن.
إنني لن أشرب الخل والمرارة لأطفئ لهيب هذا العطش.
ثم انفتحت عيناه فنظر نحو السماء وقال: يا أبناه، لماذا تركتنا؟

وبعد أن سكت هنيئة قال والرحمة تملأ صوته: يا أبناه أغفر لهم. لأنهم لا يدرؤون ما يفعلون.

وعندما تلقيت بهذه الكلمات ظهر لي أنني أرى أمام عيني جميع الناس ساجدين أمام الله يطلبون مغفرة عن صلب هذا الرجل الواحد.

ثم صرخ ثانية بصوت عظيم: يا أبناه، في يديك استودع روحي. وأخيراً رفع رأسه وقال: قد انتهى ولكن على هذه التلة فقط، وأغمض عينيه.

فمزقت سهام البرق وجه السماء الأسود، وحدث رعد عظيم. إني لم أعرف اليوم أن الذين قتلوا عوضاً عني قد عملوا على عذابي الذي لن يتنهى.

لأن صلبه لم يأخذ سوى ساعة واحدة. أما أنا فسأظل مصلوباً إلى نهاية أيامي.

كلوديوس قائد المئة الروماني يسوع القائد العظيم

بعد أن قبضوا عليه دفعوه إلى. وكان بيلاطس البنطي قد أمرني أن أوقفه حتى الصباح التالي.

قاده جنودي أسيراً، وكان طائعاً لهم.

وعند انتصاف الليل تركت زوجتي وأولادي وسرت لزيارة دار الأسلحة. وكانت لي عادة أن أذهب وأفتقد رجال حاميتي في أورشليم لأرى أن كل شيء على ما يرام، وفي تلك الليلة زرت دار الأسلحة لأنّه كان سجينًا فيها.

وكان جنودي وبعض من فتیان اليهود يتلهون بالهزء به، فإذا بهم نزعوا عنه ثوبه ووضعوا إكليلًا من شوك السنة الماضية على رأسه، وأجلسوه. أمام عمود، وكانوا يرقصون ويصرخون حوله. وأعطوه قصبة ليمسكها بيده.

وإذ دخلت عليهم صرخ أحدهم وقال: انظر ملك اليهود أيها القائد.
فوقفت أمامه ونظرت إليه. وللحال شعرت بخجل عظيم. إثني لم أدرِ
لذلك سبباً.

فقد حاربت في غاليا وفي إسبانيا، وخضت غمرات الموت مع رجالي؛
ولكنني لم أعرف الخوف، وقط لم أكن جباناً.

ولكنني عندما وقفت أمام ذلك الرجل ونظر إلى هلع قلبي وفارقتني
شجاعتي، وشعرت بأن شفتي قد ختمتا محكماً فلم أقدر أن أنسى
 بكلمة.

فتركت دار الأسلحة من فوري.

حدث هذا من ثلاثين سنة. وأولادي الذين كانوا أطفالاً في ذلك الوقت
هم رجال الآن وهم يخدمون القيصر ورومة.

ولكنني كلما أردت نصحهم أحذثهم عن ذلك الرجل، الذي كان وهو
يلفظ أنفاسه الأخيرة أمام الموت يتلمس الرحمة والغفران لقاتليه.

ها أنا اليومشيخ طاعن في السن، وقد عشت أعوامي مكتفيأ من كلّ
شيء. ولكنني أعتقد أنه لم يكن ليومبي ولا لقيصر من روح القيادة العظيمة
ما كان لهذا الرجل الجليلي.

لأنه منذ موته، الذي جرى بدون مقاومة، قد نهض من الأرض جيش
جيبار ليحارب في سبيله... وهم يخدمونه، مع أنه ميت، بما لم يحلم، لا
بومبي ولا قيصر، بالحصول عليه من جنودهما في حياتهما.

يعقوب أخو الرب العشاء الأخير

ألفَ مرة قد زارتني ذكرى تلك الليلة. وأعرف الآن أنها ستزورني ألف مرة أخرى.

ستنسى الأرض الأنلام المشقوقة في صدرها، وستنسى المرأة الألم والفرح اللذين في ولادة الأولاد، أما أنا فإنّي لن أنسى تلك الليلة ما حييت. كنا في المساء خارج أسوار أورشليم، فقال يسوع: لنذهب الآن إلى المدينة لنتعشعش في الفندق.

وكان الظلام قد خيمَ عندما وصلنا إلى الفندق، وكنا جياعاً. فحياناً صاحب الفندق وصعد بنا إلى علية.

فطلب إلينا يسوع أن نجلس حول المائدة، أما هو فظلّ واقفاً يحدّق بعينيه إلينا. فخاطب صاحب الفندق وقال له: احضر لي طستاً وإبريقاً ممتلئاً ماء؛ ومنشفة.

ثم نظر إلينا أيضاً وقال بلهفة: اخلعوا نعالكم. فلم نفهم، ولكننا عملاً بأمره خلعنا نعالنا.

فأحضر صاحب الفندق الطست والإبريق، فقال يسوع: سأغسل أرجلكم الآن، لأنّه يجدر بي أن أحير أقدامكم من غبار الطريق القديمة وأمنحها حرية الطريق الجديدة. فتولانا جميعاً متنهي الدهش والخجل.

فوقف سمعان بطرس وقال: كيف أقدر أن أزعج معلمي وربي ليغسل ^{أقدامي؟}

فأجاب يسوع: إنّي أغسل رجليك لكي تتذكر أن الذي يخدم الناس

سيكون أعظم من جميع الناس.

ثم نظر إلى كل واحد متى وقال: إن ابن الإنسان الذي اختاركم إخوةً له. ذلك الذي دهنت قدماه في الأمس بطیوب العربية ونشفت بشعر امرأة، يرغب الآن في أن يغسل أرجلكم.

فأخذ الطست والإبريق وركع وغسل أرجلنا مبتدئاً بيدهذا الاسخريوطي.

ثم جلس معنا إلى المائدة؛ وكان وجهه كالفجر المشرق على معركة بعد ليلة كفاح سالت فيها الدماء.

فجاء صاحب الفندق مع زوجته يحملان الطعام والخمر.

ومع أتنى كنت جائعاً قبل أن ركع يسوع على قدمي فإنني أضيعت كل شهية للطعام، وكان في حلقى لهيب مقدس لم أشاً أن أطفئه بالخمرة.

وأخذ يسوع رغيفاً من الخبز وأعطانا قائلاً: قد لا نكسر الخبز معاً فيما بعد، فلنأكل هذه الكسرة تذكاراً لأيامنا في الجليل.

ثم صبت خمراً من الجرة في كأس وشرب، وأعطانا قائلاً: اشربوا هذه الخمرة تذكاراً للعطش الذي عرفناه معاً، واشربوها أيضاً على رجاء العصر الجديد، فإذا ذهبت ولم أكن معكم فيما بعد، فكلما اجتمعتم هنا أو في أي مكان آخر اكسرروا الخبز واسكبوا الخمرة وكلوا واشربوا كما تفعلون الآن ثم انظروا حواليكم فعلكم تجدونني جالساً معكم إلى المائدة.

وبعد أن قال هذا شرع يوزع علينا قطعاً من السمك والدجاج كما يطعم الطير فراخه.

ومع أتنا لم نأكل إلا القليل فقد اكتفيينا، ولم نشرب سوى نقطة صغيرة، لأننا شعرنا بأن الكأس التي أمامنا كانت فضاءً بين هذه الأرض وأرض أخرى.

فقال يسوع: فلننهض قبل أن ترك هذه المائدة، ولترنم بآناشيد الفرج التي ترثمنا بها في الجليل.

فنهضنا وأشتنا بصوت واحد، ولكن صوته كان أرفع من أصواتنا، وكانت في كلّ كلمة من كلماته رنة خاصة.

فنظر إلى وجوهنا كألا يمفرده وقال: أودعكم الآن، لنذهب إلى ما وراء هذه الجدران، لنذهب إلى الجثمانية.

فقال يوحنا بن زبدي: يا معلم، لماذا تودعنا في هذه الليلة؟

فأجاب يسوع وقال: لا تضطرب قلوبكم، فإنما لا أترككم إلا لأعدكم مكاناً في بيت أبي، ولكن إذا احتجتم إليّ فإني أرجع إليّكم، وحيث دعوتوني اسمعكم، وحيثما طلبتني أرواحكم فهناك أكون معكم.

ولا تسوا أن العطش يقود إلى المعاصرة، والجوع إلى وليمة العرس.

إن حنينكم يحملكم إلى ابن الإنسان، والحنين هو ينبوع الوجود المقدس والطريق المؤدية إلى الأب.

فقال له يوحنا ثانية: إذا كنت بالحقيقة ستركتنا فكيف نهتدي إلى مسراًًاتنا؟ ولماذا تتكلم عن الانفصال؟

فقال يسوع: إن الظبي المطارد يعرف سهم الصياد قبل أن يشعر به في صدره، والنهر يعرف البحر قبل أن يصل إلى شاطئه، وابن الإنسان قد سافر في طرائق الناس.

وقبل أن تخرج شجرة اللوز براعمها في الشمس ستطلب جذور شجرتي قلب حقل آخر.

فقال سمعان بطرس: يا معلم لا تتركنا الآن، ولا تحرمنا مسيرة حضورك بيننا، فإننا نمضي حيث تمضي ونقيم حيث تكون مقیماً.

فوضع يسوع يده على كتف سمعان بطرس، وتبسّم وقال له:

من يدرى إذا كنت لا تنكرني قبل انتهاء هذه الليلة، وتتركني قبل أن أتركك؟

ثم قال فجأةً: لنمضِ من هنا.

فترك الفندق وتبعناه، ولكن عندما وصلنا إلى بوابة المدينة لم نجد يهودا الاسخريوطى معنا، فعبرنا وادي جهنم، وكان يسوع يتقدمنا ونحن نمشي بعضاً بجانب بعض.

وإذ بلغنا بستان الزيتون وقف والتفت إلينا وقال: استريحوا هنا ساعة.

وكان المساء بارداً مع أن الربع كان في انتصافه، وكانت أشجار التوت قد أورقت وأشجار التفاح في كمال زهرها، وكانت البساتين جميلة.

فطلب كل واحد منا جذع شجرة واتكأنا. أما أنا فاضطجعت تحت صنوبرة ملتفاً بردائى.

أما يسوع فتركنا ومشى وحيداً في بستان الزيتون، وكنت أراقبه وجميع الرفاق الآخرين نائم.

فكان تارة يقف فجأة بهدوء عجيب، ثم لا يلبث أن يسير في البستان ذهاباً وإياباً. وقد فعل هذا غير مرة.

ثم رأيته يرفع وجهه نحو السماء ويحيط ذراعيه إلى الشرق والغرب، فقد قال مرة: إن السماء والأرض والجحيم نفسه كلها من الإنسان. فتذكرة قوله، وأدركت أن الذي كان يتخطر أمامي في بستان الزيتون هو السماء صارت إنساناً، وفكرت أن رحم الأرض لا هي بالبداية ولا بالنهاية، بل هي بالأحرى مركبة ومحطة، ولحظة عجب ودهشة. وقد رأيت الجحيم أيضاً في الوادي المعروف باسم جهنم، الذي كان قائماً آنذاك بين يسوع والمدينة المقدسة.

وفيما كان واقفاً هنالك وأنا ملتف بشوبي على الأرض، سمعته يتكلم، ولكنه لم يكن يتكلم معنا. ثلاث مرات سمعته يتلفظ بكلمة الأب. وهذا كان كل ما سمعته.

وبعد هنيئة سقطت ذراعاه، فوقف هادئاً كأنه سروة بين عيني وبين السماء.

أخيراً رجع إلينا وقال لنا: استيقظوا وانهضوا، فقد دنت ساعتي، وقد خرج العالم علي مسلحاً للمعركة.

وبعد قليل قال: منذ هنئة سمعت صوت أبي، فإذا لم أنظركم ثانية فتذكروا أن الغالب لا يتمتع بالسلام حتى يغلب.

وعندما نهضنا ودنونا منه كان وجهه كالسماء المرصعة بالنجوم فوق الصحراء.

ثم قبل كل واحد منا في وجنته، وعندما قبل وجتي شعرت بأن في شفتيه من الحرارة نفس ما في يد الطفل المحموم.

وفيما نحن على هذا سمعنا ضجيجاً عظيماً في آخر البستان كأنه ضجيج جمع غفير، وعندما قرب منا رأينا جماعة من الرجال يتقدمون بمصابيح وعصبي، وكانوا قادمين بسرعة.

وعندما وصلوا إلى سياج البستان تركنا يسوع وذهب ليستقبلهم، وكان يهودا الاسخريوطى يقودهم.

وكان الجمع يتالف من جنود رومانيين بسيوف وحراب ورجال من أورشليم بنبابيت وفؤوس.

فتقدم يهودا إلى يسوع وقبته، ثم قال للرجال المسلمين: هذا هو الرجل.

فقال يسوع ليهودا: قد صبرت عليّ يا يهودا، لأن هذا كان ممكناً لك في الأمس.

ثم التفت إلى الرجال المسلمين وقال: خذوني الآن، ولكن ينبغي أن يكون قفصكم كبيراً ليسع هذه الأجنحة.

فهجموا وقبضوا عليه، وكانوا يصيرون ويضجون.

أما نحن فقد حملنا الخوف على الهرب للخلاص منهم.

فركضت وحدي بين أشجار الزيتون ولم أفك في أحد، لأنني لم أسمع

في تلك الساعة صوتاً غير صوت مخاوفي.

وفي أثناء الساعات القليلة التي تبقيت من تلك الليلة كنت هارباً متستراً؛
وعند الصباح وجدت نفسي في قرية قرية من أريحا.

فلماذا تركته؟ إتنى لا أدرى، ولكننى حزين لأننى تركته، فقد برهنت
على جبانقى بهربى من أعدائه.

وإذ غمرنى عار خجلى وندمى رجعت إلى أورشليم فإذا هو سجين ولا
يُسمح لأحد من أصدقائه بأن يكلمه.

ثم صلبوه، فصنع دمه تراباً جديداً للأرض.

أما أنا فما زلت حياً، ولكننى أعيش متغرياً بقرص العسل الذى جنته
حياته.

سمعان القيروانى

كيف حملت صليبه

كنت أسير في طريقي إلى الحقول عندما رأيته حاملاً صليبه والجماهير
تبعه.

فمشيت أنا أيضاً في جانبه.

وقد أوقفه ثقل حمله غير مرة، لأن قوته كانت قد نفذت.

فتقدم إلى أحد جنود الرومان وقال: تقدم، فأنت قوي العضلات متين
البناء، فاحمل صليب هذا الرجل.

وعندما سمعت هذه الكلمات رقص قلبي طرباً وفرحت بهذه الفرصة
فحملت صليبه شاكراً.

وكان الصليب ثقيلاً، لأنهم صنعوا من شجر الحور المشرب بأمطار الشتاء.

فنظر يسوع إلى، وكان عرق جبينه ينسكب جارياً على لحيته.

ثم نظر إلى ثانية وقال: وأنت أيضاً تشرب هذه الكأس؟ إنك بالحقيقة ستمتص حافتها معي إلى متنه الدهور.

وإذ قال هذا وضع يده على كتفي الحرة، وهكذا مشينا معاً إلى تلة الجمجمة.

ولكتني بعد أن وضع يده على كتفي لم أشعر بثقل الصليب قط، بل كنت أشعر بيده فقط، وكانت كجناح الطير على كتفي.

ثم بلغنا إلى رأس التلة، حيث أعدوا كل شيء ليصلبوه.
حيثئذ شعرت بثقل الصليب.

بيد أنه لم يتفوه بكلمة عندما غرزوا المسامير في يديه ورجليه، ولم تخرج من فمه صرخة واحدة.

وأعضاؤه لم ترتجف تحت طرقات المطرقة.

وقد خيل إلى أن يديه ورجليه كانت قد ماتت وهي ترجع آنذاك إلى الحياة مستحمة بالدماء. وأما هو فكان ينشد المسامير كما ينشد الأمير صولجان، وكان شائقاً للارتفاع إلى الأعلى.

ولم يخطر لقلبي أن يشفق عليه لأن الذهول كان يملأ كياني، وهو إن الرجل الذي حملت صليبيه صار لي صليباً.

فإذا قالوا لي ثانية: احمل صليب هذا الرجل، فإنني لأحملته بملء الرضى حتى تؤدي بي طريقي إلى قبري.

ولكتني التمس منه آنذاك أن يضع يده على كتفي.

قد حدث هذا منذ أعوام عديدة، ولكتني كلما تبعت الثلم في حقلٍ،

وكلما غالبني النعاس قبل النوم، أفكـر بغير انقطاع في ذلك الرجل العجيب،
وأشعر بيـدـه المـجـنـحةـ، هنا على كـتـفـيـ الـيسـرىـ.

سيبورية أم يهودا

تصف ابنها وأطواره

كان ابني رجلاً فاضلاً مستقيماً، وكان لطيفاً رقيقاً في معاملتي، وقد
أحب أهله وموطنه، وأبغض أعداءنا الرومانيين الملائين الذين يرتدون
الملابس الأرجوانية مع أنهم لا يغزلون خيطاً ولا يجلسون إلى نول،
ويحصدون ويجمعون من غير أن يفلحوا أو يبذروا بذاراً.

كان ابني في السابعة عشرة فقط عندما قبضوا عليه يرمي الحامية الرومانية
بنباله وهي تمرّ بكرمنا.

وفي ذلك العمر كان يحدث أتراه من فتیان البلاد بمجد إسرائيل،
وينطق أمامهم بأقوال وخطب عجيبة لم أفهمها.
وكان ابناً محبـاً، وكان وحـيدـاً.

فقد شرب الحياة من هذين الثديين الناشفين الآن، ومشى خطواته الأولى
هـنـاـ فيـ هـذـاـ البـسـتـانـ، مـتـمـسـكاـ بـهـذـهـ الأـصـابـعـ التيـ هيـ الـيـوـمـ كالـقصـبـاتـ
الـمـرـتـجـفـةـ.

بهاتين اليدين، اللتين كانتا آثـنـيـنـ فـتـيـتـينـ طـرـيـتـيـنـ كـعـنـبـ لـبـنـانـ، قدـ خـبـأـتـ
حـذـاءـهـ الـأـوـلـاـ فيـ مـنـدـيـلـ منـ الـكـتـانـ كـانـتـ قدـ أـهـدـتـ إـلـيـ أـمـيـ. وـمـاـ زـلـتـ أحـفـظـ
بـهـ فـيـ تـلـكـ الـخـزـانـةـ التـيـ بـجـانـبـ النـافـذـةـ.

كان بـكـراـ لـيـ، وـعـنـدـمـاـ مشـىـ خـطـوـاتـهـ الـأـوـلـىـ شـعـرـتـ أـنـاـ أـيـضاـ بـأـنـيـ أـخـطـوـ
خـطـوـتـيـ الـأـوـلـىـ، لـأـنـ النـسـاءـ لـاـ يـسـافـرـنـ إـلـاـ مـقـوـدـاتـ بـأـوـلـادـهـنـ.

وَالآن يَقُولُونْ لِي إِنَّهُ ماتَ مُتَحْرَأً، فَقَدْ رَمَى نَفْسَهُ مِن الصَّخْرَةِ الْعَالِيَّةِ
لِأَنْ ضَمِيرَهُ وَبِخَهُ عَلَى تَسْلِيمِهِ صَدِيقَهُ يَسُوعَ النَّاصِريِّ.

إِنِّي أَعْرُفُ أَنَّ ابْنِي قَدْ ماتَ، وَلَكِنِّي وَاثِقَةٌ بِأَنَّ ابْنِي لَمْ يَسْلِمْ أَحَدًا، لِأَنَّهُ
أَحَبُّ أَبْنَاءَ جَنْسِهِ وَلَمْ يَبْغِضْ أَحَدًا غَيْرَ الرُّومَانِيِّينَ.

كَانَ لِابْنِي ضَالَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ مَجْدُ إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَكُنْ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ
مَوْضِيَّعٌ غَيْرُ هَذِهِ الْمَوْضِيَّةِ.

وَعِنْدَمَا تَعْرَفَ إِلَى يَسُوعَ عَلَى الطَّرِيقِ تَرْكِيَّ لِيَتَبَعُهُ. أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَرَفْتُ فِي
أَعْمَاقِ قَلْبِي أَنَّهُ يَخْطُئُ إِذَا تَبَعَ أَيِّ إِنْسَانٍ لِأَنَّهُ خُلِقَ لِيَكُونَ مَتَّبِعًا لَا تَابِعًا.

وَقَبْلَ أَنْ يَوْدَعْنِي أَخْبَرْتُهُ بِخُطْتِهِ فَلَمْ يَصُّعْ إِلَيَّ.
إِنَّ أُولَادَنَا لَا يَصْغُونَ إِلَى نَصَائِحِنَا، فَهُمْ أَشَبُّهُ بِمَدَّ الْبَحْرِ فِي الْيَوْمِ لَا
يَلْتَمِسُونَ النَّصْحَ مِنْ مَدَ الْأَمْسِ.

أَرْجُو مِنْ فَضْلِكُمْ أَلَا تَسْأَلُونِي ثَانِيَةً عَنِ ابْنِي.

فَقَدْ أَحَبَّتُهُ وَسَاحِبَهُ إِلَى الْأَبْدِ.
وَلَوْ كَانَتِ الْمَحْبَّةُ فِي الْلَّحْمِ لَكُنْتُ أَحْرَقَهُ بِالْحَدِيدِ الْعَامِيِّ وَأَحْظِي
بِسَلَامِتِيِّ، وَلَكِنَّهَا فِي النَّفْسِ فَلَا يُلْفِنُ إِلَيْهَا.

وَالآن أَنْقَطَعَ عَنِ الْكَلَامِ، فَأَذْهَبُوا وَاسْأَلُوا أَمَّا أَكْثَرُ شَرْفًا مِنْ أَمِّ يَهُودَا.
أَذْهَبُوا إِلَى أَمِّ يَسُوعَ، فَقَدْ جَازَ السَّيفُ فِي قَلْبِهَا أَيْضًا، وَهِيَ تَخْبِرُكُمْ عَنِ
فَتْفَهَمُونَ.

امرأة من جبيل

مرثاة

ابكين معي يا بنات عشتروت، ويا كلّ محبي تموز.
مُرَنْ قلوبكُنْ فتدوب وتنهض فتجري كالدم دموعاً.
 لأنّ الذي صُنِعَ من الذهب والجاج لم يبقَ في الوجود
فقد هجم عليه الخنزير البري في الغابة المظلمة ومزق جسده بأنيا به.
والأَنْ فهو يضطجع ملطخاً مع أوراق الأعوام المنصرمة، ولن يوقظ وقع
خطواته البذور الهاجعة في حضن الربيع.

إن صوته لن يأتي مع الفجر إلى نافذتي، وسأعيش وحيدة أبداً.

ابكين معي يا بنات عشتروت، لأنّ حبيبي قد أفلت
مني. ذلك الذي تكلم كما تتكلّم الأنهر، ذلك الذي كان صوته وزمارته
توأمِين، ذلك الذي كان فمه المَلتهبَاً فتحول إلى عذوبة لذيلة، ذلك الذي
كانت المرارة تحول على شفتيه إلى شهد العسل.

ابكين معي يا بنات عشتروت، ويا كلّ محبي تموز.

ابكين معي حول نعشة كما تبكي النجوم، وكما تساقط أوراق القمر على
جسمه الجريح.

بلّن بدموعكَنْ أغطية فراشي الحريرية، حيث استراح حبيبي مرة في
حلمي ثم ابتعد عنِي في يقظتي.

استحلفكُنْ يا بنات عشتروت، ويا كلّ محبي تموز.
اسندن صدوركُنْ وابكين وعزّيشني.
لأنّ يسوع الناصري قد مات.

مريم المجدلية

بعد ثلاثين سنة

مرة ثانية أقول إن يسوع بالموت غلب الموت، ونهض من القبر روحًا
قوة. وقد مشى في وحدتنا وزار بساتين وجدنا ومحبتنا.

فهو لا يضطجع هنالك في تلك الصخرة المنحوتة وراء الحجارة.
فنحن الذين نحبه قد رأينا بهذه العيون التي فتح بصيرتها لترى،
ولمسناه بهذه الأيدي التي علمها كيف تنبسط.

إنتي أعرفكم أنتم الذين لا تؤمنون به، فقد كنت منكم وأنتم كثيرون،
ولكن عدكم سيتناقص.

فهل يجب أن تكسروا عودكم وقيثاركم لتشاهدوا الموسيقى فيهما؟
أو هل يجب أن تقطعوا الشجرة قبل أن تقدروا على الإيمان بأثمارها؟
أنتم تبغضون يسوع لأن رجالاً من بلاد الشمال قال إنه ابن الله، ولكنكم
تبغضون بعضكم بعضاً لأن كل واحد منكم يحسب نفسه أكبر من أن يكون أخاً
للآخر.

أنتم تبغضونه لأن فريقاً قالوا إنه ولد من عذراء، وليس من زرع رجل.
ولكنكم لا تعرفون الأمهات اللواتي يذهبن إلى القبر في عذرتيهن ولا
الرجال الذين يذهبون إلى قبورهم مختنقين بعطشهم.

أنتم لا تعرفون أن الأرض زفت إلى الشمس، وأن الأرض هي التي تبعثنا
إلى الجبل وإلى الصحراء.

إن هنالك خليجاً يتضاءب بين الذين يحبون يسوع والذين يبغضونه، بين
الذين يؤمنون وبين الذين لا يؤمنون.

فإذا بنت الأعوام جسراً فوق هذا الخليج فحينئذ ستعرفون أن الذي عاش
فيها لا يموت، وأنه كان ابنًا لله كما أنتا نحن أيضاً أبناء الله، وأنه قد ولد من

عذراء، كما أنتا نحن أيضاً قد ولدنا من الأرض التي لا زوج لها.
غريب عجيب كيف أن الأرض لا تعطي غير المؤمنين الجذور التي
ترضع من ثديها، والأجنحة التي بها يطيرون محلقين ليشربوا ويمتلئوا من
ندى فضائها.

بيد أنني أعرف ما أعرف، وفي هذا كفاية لي.

رجل من لبنان

بعد تسعه عشر قرناً

يا سيد المرتمين.

يا سيد الكلمات التي لم ينطق بها.

سبع مرات قد ولدت، وسبع مرات قد مت بعد زيارتك المستعجلة
وترحيبنا القصير.

وها أنا أحيا ثانية، متذكراً العهد الذي رفعنا فيه مذك يوماً واحداً وليلة
واحدة بين التلال.

وبعد ذلك قد قطعت أرضاً كثيرة وبحاراً كثيرة.

وحيثما حملتني خيول الأرض أو سفن البحر كنت أرى اسمك إما صلاةً
ترتفع من القلب أو موضوعاً لمجادلة يقوم بها الفكر.
والناس حزبان: حزب يباركك وحزب يلعنك.

أما اللعنة فعربون الاحتجاج على الفشل.

وأما البركة فترنيمة الصياد الراجع من التلال ظافراً غانماً.
إن أصدقاءك ما زالوا في وسطنا، لتعزيتنا وغضتنا.
وأعداءك أيضاً معنا، لتقويتنا وتثبت إيماناً.

وأمك معنا، فقد رأيت نور وجهها في محييا جميع الأمهات. إن يدها تهتزّ الأسترة بلطف، وتطوى الأكفان بعطف.

ومريم المجدلية لا تزال في وسطنا.

تلك التي شربت خلّ الحياة ثم خمرتها.

ويهودا، رجل الآلام والمطامع الصغيرة، ما زال يمشي في أرضنا، وهو ما برح يصطاد نفسه إذا لم يجد غيرها صيداً، طالباً ذاته الكبرى بالانتحار.

* * *

ويوحنا، الذي أحب شابه الجمال، هو معنا.

وهو ينشد الحانه وإن لم يصرخ إليه أحد.

وسمعان بطرس، الذي أنكرك لتطول حياته في معرفتك، هو أيضاً جالس أمام موقدنا.

وهو قد ينكرك ثانية قبل مرور فجر يوم آخر.

بيد أنه أبداً مستعد أن يُصلب في سبيل مبادئك حاسباً نفسه غير مستحق لهذا الشرف.

وفيافا وحنان ما زالا يتمتعان بنور يومهما ويحكمان على المجرم والبريء.

وهما ينامان على فراش من الريش في حين أن الذي حكما عليه تلعب السياط على ظهره.

والمرأة التي أمسكت بالزنى تمشي اليوم في شوارع مدننا وهي تجوع للخبز الذي لم يُخبز بعد، وتعيش وحيدة في بيت فارغ. وبيلاطس البنطي هنا أيضاً، فهو واقف باحترام أمامك، ولا يزال يسألك بيد أنه لا يجرؤ أن يعرض بمركزه أو يقاوم أمة أجنبية، وحتى الساعة لم يفرغ من غسل يديه. وحتى الساعة تحمل أورشليم الطست ورومة الابريق؛ وبين الاثنين تنتظر ألف ألف يد لتغسل.

* * *

يا سيد الشعراء، يا سيد ما قيل وما أنشد من الكلام.
قد بنى الناس الهيأكل لسكنى اسمك.
وعلى كل فتة رفعوا صلبيك علامهً ودليلًا لأقدامهم الهائمة وليس لمسرة
روحك.

فإن مسرتك تلة وراء أفكارهم ولذلك لا تعزيمهم.
فهم يحبون أن يكرموا الرجل الذي لا يعرفونه.
وأية تعزية في رجل نظيرهم، ورأفته كرافتهم؟
أو في إله محبته كمحبتهم، ورحمته هي رحمتهم؟
إنهم لا يكرمون الرجل، الرجل الحي، الرجل الأول الذي فتح عينيه
ونظر إلى الشمس بأجفان غير مرتعشة.
إلا أنهم لا يعرفونه ولا يريدون أن يكونوا مثله.

* * *

إنهم يريدون أن يكونوا مجهولين، وأن يمشوا في موكب غير المعروف.
إنهم يحبون أن يحملوا الكآبة التي هي كتابتهم، ولذلك لا يريدون أن
يجدوا تعزية في مسرتك.
وقلوبهم الوجيع لا ينشد التعزية التي في أقوالك وأنشودتها.
أما آلامهم، الصامتة المخلعة، فإنها يجعلهم مخلوقات مستوحشة لا
يزورها أحد.

ومع أنهم يعيشون مع أهلهم وأبناء أمتهم، فهم يعيشون خائفين ولا
صديق لهم، ولكنهم يحبون أن يكونوا وحدهم.

ولذا هبت الريح الغربية ينحدرون إلى الشرق.
إنهم يدعونك ملكاً، ويريدون أن يجلسوا في بلاطك.
ويقولون إنك أنت ماسياً، بيد أنهم يريدون أن يمسحوا أنفسهم بالزيت

المقدس، إلا أنهم يريدون أن يعيشوا على حسابك.

* * *

يا سيد المرئيين،

قد كانت دموعك كشأبيب المطر في أيار (الشهر الخامس).

وكان ضححك كأمواج البحر الأبيض.

وعندما تكلمت عبرت كلماتك عن همس بعيد لشاهدهم، في الوقت الذي كان يجب على تلك الشفاه أن تستثير بالنار.

فقد ضحكت للنخاع في عظامهم الذي لم يكن مستعداً للضحك.

وبكيت لعيونهم التي لم تكن تعرف الدموع بعد.

وكان صوتك أباً عطوفاً لأفكارهم وأفواههم.

بلـى، وكان أمـاً رؤومـاً لأقوالـهم وأرواـحـهم.

* * *

سبع مرات قد ولدت، وسبع مرات قد مت.

وها أنا أحيا ثانية فأراك

محارباً بين المحاربين، وشاعر الشعراء، وملكاً فوق جميع الملوك.

ورجلاً نصفه عارٍ بين رفاقك من عابري السبيل.

في كل يوم يحنـي الأسـقف رأسـه عندما يتـلـفـظـ باـسـمـكـ الـكـرـيمـ.

وفي كل يوم يقول المتـسـولـونـ :

من أجل المسيح، اعطـونـاـ نـحـاسـةـ لـنـشـتـرـيـ بهاـ خـبـزاـ!

نحن نتوسل بعـضـناـ إـلـىـ بـعـضـ، وـلـكـنـاـ بـالـحـقـيـقـةـ لاـ نـتوـسـلـ لـغـيرـكـ.

فنـحنـ كالـمـدـ الفـائـضـ فـيـ رـبـيعـ حاجـياتـناـ وـرـغـباتـناـ.

وـعـنـدـمـاـ يـأـتـيـ خـرـيفـناـ نـصـيرـ كـالـجـزـرـ الشـحـيـحـ.

فـسوـاءـ كـنـاـ عـظـماءـ أوـ وـضـعـاءـ فإنـ اسـمـكـ عـلـىـ شـفـاهـنـاـ،

أـنـتـ السـيـدـ غـيرـ المـتـنـاهـيـ، لـلـعـطـفـ غـيرـ المـتـنـاهـيـ.

* * *

يا سيد ساعتنا المستوحشة ،

هنا وهناك ، بيد المهد والكتن ، أرى إخوتك الصامتين ،
الرجال الأحرار غير المقيدين ، أبناء أمك الأرض والفضاء .
فهم كطيور السماء ، وكزنانق الحقل .
وهم يحيون حياتك ويفكرون أفكارك .
ويرجعون صدى أنسودتك .

ولكن أيديهم فارغة ،

ولا يُصلبون مع الصلب العظيم ، وفي هذا النهم .
إن العالم يصلبهم في كل يوم ، ولكن بطرق بسيطة .
فالسماء لا تهتز حين صلبيهم ، والأرض لا تتخض بأمواتها .
فهم يُصلبون ولا أحد يشهد عذابهم .

ويديرون وجوههم إلى اليمين وإلى الشمال ،
فلا يجدون أحداً ليعدهم بمكان في ملكته .
بيد أنهم يريدون أن يُصلبوا المرة بعد المرة ،
ليكون إلهك إلهًا لهم ، وأبوك أباً لهم .

يا سيد المحبة ،

إن الأميرة تنتظر مجيك في عليتها المعطرة ،
والمرأة المتزوجة في قفصها ،
والموسم التي تنشد خبزها في شوارع عارها ،
والراهبة التي لا زوج لها في صومعتها ،

والعاقر أيضاً ، أمام نافذتها ، تتأمل صورة الغابة التي رسمها الصقيق على
زجاج النافذة ، فتجدك في تناسب خطوطها ، فترضعك في أحلامها وتتعزّى .

* * *

يا سيد الشعراء ،

يا سيد رغباتنا الصامتة ،

ان قلب العالم يتحقق مع نبضات قلبك ، ولكنه لا يحترق مع أناشيدك ،

إن العالم يجلس ليصغي إلى صوتك بفرح وطمأنينة، ولكنه لا ينهض عن مجلسه ليزين حافات تلالك.

والإنسان يحلم حلمك، ولكنه لا يستيقظ مع فجرك الذي هو أعظم من حلمك.

وهو يريد أن يرى بصيرتك، ولكنه لا يجر قدميه الثقيلتين إلى عرشك.
بيد أن كثرين أجلسوا على العروش باسمك، وتوّجوا بقوتك فحولوا زيارتك الذهبية إلى تيجان لرؤوسهم وصوالحة لأيديهم.

* * *

يا سيد النور،
الذي تقطن عيناه في أصابع العميان البصيرة،
إنك ما زلت تُحتقر ويُهزا بك،
رجلًا يحول ضعفك وسقمك دون صيرورتك إليها.
وإليها تحول انسانيتك المتناهية دون حصولك على العبادة.

إن ما يقدمه الناس أمام عرشك في القداديس والترانيم، والأسرار والذبائح، إنما هو لأجل ذاتهم السجينة.
فأنت وحدك ذاتهم البعيدة، وصراحهم الشاسع، وشوقهم وحنينهم.

* * *

أيها السيد، أيها القلب السماوي.
يا بطل أحلامنا الذهبية.

إنك ما زلت تتخططر أمامنا في هذا اليوم،
ملا السهام ولا الحراب تستطيع أن توقف خطواتك.
لأنك تمشي بين جميع سهامنا وحرابنا.

إنك تتبسم لنا من أعلىك.
ومع أنك أصغر من جمعينا سنًا، فأنت أب لجميعنا،

أيها الشاعر، .

أيها المرنم،
أيها القلب الكبير.
ليبارك رب اسمك،
والبطن الذي حملك،
والثدي الذي أرضعك،
وليسامحنا رب جميماً !!.

آلهة الأرض

تعريب
الارشمندرية انطونيوس بشير

آلهة الأرض

وعندما حلّت ليلة العصر الثاني عشر، وابتلع الصمت، الذي هو مذ بحر الليل، جميع التلال.

ظهر الآلهة الثلاثة، المولودون في الأرض، وأسياد الحياة، على الجبال فترأكضت الأنهار إلى أقدامهم.

وغمرت أمواج الضباب صدورهم.

وارتفعت رؤوسهم بجلال فوق العالم.

ثم تكلموا، فتموجت أصواتهم كالرعد البعيد، فوق السهول.

الإله الأول:

إن الريح تهب شرقاً،
فأريد أن أحول وجهي نحو الجنوب،
لأن الريح تملأ مشامي برائحة الأشياء الميتة.

الإله الثاني:

هذه رائحة الأجسام المحترقة، وهي لذيدة وسخية.

وأنا أود أن أتنشقها.

الإله الأول:

هي رائحة الميتوتة المحترقة على لهبها الضئيل .
وهي تملأ دقائق الهواء بوفرة ،
فتزungen حواسِي كما يزعجها الهواء الفاسد في الهاوية .
ولذلك أريد أن أحول وجهي إلى الشمال الذي لا رائحة فيه .

الإله الثاني:

إنها العبير الملتهب للحياة المثمرة ،
وهي ما أود أن أتشقه الآن وفي كل أوان .
إنما تعيش الآلهة على التضخية ،
وتبرد غلة عطشها بالدم ،
وتسكن قلوبها بالنفوس الفتية ،
وتشدد عزائمها بالتأوهات الدائمة التي تصعدها أرواح القاطنين في قلب
الموت ،
وعروشها مبنية على رماد الأجيال .

الإله الأول:

قد سُئمت روحي كل ما هو كائن ،
فأنا لن أمد يداً لأخلاق عالماً ،
ولا لأمحو عالماً من الوجود .

إنني ما كنت لأعيش لو أني قادر أن أموت ،
لأن ثقل الأعصر كلها على كتفي ،
وهدير البحر الذي لا ينقطع يستنفذ كنوز نومي .
فيما ليت لي أن أخسر المطلب الأول .
فأذول كالشمس الزائلة .
أود لو أستطيع أن أجرب الوهبي من غايتها ،

لأنفخ أنفاس ميتوتني في الفضاء،
فلا أكون فيما بعد.
يا ليت لي أن أحترق وأمضي من ذاكرة الزمان إلى فراغ الأزمان!

الإله الثالث:

أصغيا يا أخرى، أصغيا أيها الشقيقان القديمان.
فإن شاباً في ذلك الوادي،
ينشد مكنونات قلبه في أذن الليل.
إن قيثارته من الذهب والأبنوس.
وصوته من الفضة والذهب.

الإله الثاني:

إنني لست مغروراً بهذا المقدار لأتمني أن لا أكون.
فأنا لا أقدر أن اختار إلا أصعب الطرق،
لأتبع الفصول وأخضد شوكة السنين، لازرع البذور وأراقبها إلى قلب
الأرض،
لأدعو الزهرة من مخبأها وأسلحها بقوه لتحضن حياتها، ثم أعود فأقلعها
عندما تضحك العاصفة في الغابة، لأنهض الإنسان من الظلمة السرمدية،
ولكنتني أحفظ لجذوره حنينها إلى الأرض،
لأغرس فيه العطش للحياة، وأجعل الموت حامل أقداحه،
لأعطيه المحبة النامية بالألم، المتسمية بالشوق، المتزايدة بالحنين،
والمضمحة بالعناق الأول،
لأمنطق لياليه بأحلام الأيام العلوية،
وأسكب في أيامه رؤى الليالي المقدسة.
ثم أحكم على أيامه ولياليه بالمحاالة التي لا تغير،
لأجعل خياله كالنسر على الجبل،
وأفكاره كعواصف البحار،
ثم أعطيه يداً بطيئة في الحكم،
وقدماً ثقيلة في التأمل،

لأمنحه مسراً ليترنم أمامنا، وكابة ليتتجه إلينا،
ثم أجعله وضيعاً عندما تصرخ الأرض في مجاعتها طالبة طعاماً،
لأرفع نفسه عالية فوق الجلد،
ليصير قادراً على مذقة غدنا،

وأحفظ جسده يتمزغ بالحمة،
لكي لا يتناهى ذكر أمسه.

هكذا يلقي بنا أن تحكم الإنسان إلى منتهى الزمان،
مقيدين النسمة التي تبدأ بصراخ أمه،
وتنتهي بنواح أولاده.

الإله الأول :

إن قلبي يحترق عطشاً، بيد أنني لا أريد أن أشرب دماً ضعيفاً لجنس
ضعيف.

لأن الكأس ملطخة، والعصير الذي فيها من المذاق في فمي.
وأنا مثلك قد عجنت الطين وصنعت منه أشكالاً متتنفسة لم تلبث أن
سقطت من بين أصابعي إلى الأجسام والتلال.

وأنا مثلك قد أثرت الأعمق المظلمة لبداية الحياة.
وراقبها تزحف من الكهوف إلى الأعلى الصخرية.

أنا مثلك قد أحضرت الربيع ووضعت جماله،
ليكون غواية تقبض على الشباب وترغمه على الانتاج والتکاثر.

أنا مثلك قد سرت بالإنسان من مزار إلى مزار.

وحولت مخاوفه الصماء من غير المنظورات إلى إيمان مضطرب بنا من
غير أن يرانا أو يعرفنا.

أنا مثلك قد جعلت العاصفة الهاوجاء على رأسه لينحنني أمامنا.
وزعزعـت الأرض تحت قدمـيه حتى يصرخ إلينـا.
ومـثلـك أثـرـتـ الأـوـقـيـانـوسـ البرـبرـيـ فـطـغـىـ عـلـىـ عـشـ جـزـيرـتـهـ،ـ
حتـىـ مـاتـ فـيـ توـسـلـهـ إـلـيـنـاـ.
كـلـ هـذـاـ فـعـلـتـهـ،ـ وـأـكـثـرـ مـنـهـ.
وـكـلـ مـاـ فـعـلـتـهـ فـارـغـ باـطـلـ.
باـطـلـةـ هيـ الـيـقـظـةـ وـفـارـغـ هوـ النـوـمـ.
وـثـلـاثـ مـرـاتـ باـطـلـ وـفـارـغـ هوـ الـحـلـمـ.

الإله الثالث:

يا أخوي، إن في غابة الريحان تلك فتاة ترقص للقمر،
وفي شعرها ألف نجمة من الندى،
وتحول قدميها ألف جناح.

الإله الثاني:

إنـاـ قدـ غـرـسـنـاـ إـلـيـنـاـ،ـ كـرـمـتـنـاـ.
وـفـلـحـنـاـ الـأـرـضـ فـيـ الضـبـابـ الـأـرـجـوـانـيـ لـلـفـجـرـ الـأـوـلـ،ـ
وـرـاقـبـنـاـ الـأـغـصـانـ التـحـيلـةـ نـامـيـةـ،ـ
وـغـدـيـنـاـ الـأـورـاقـ الـفـتـيـةـ عـلـىـ مـرـ الـأـيـامـ وـالـسـنـيـنـ الـتـيـ لـمـ تـعـرـفـ الـفـصـولـ.
وـحـصـنـاـ الـبـرـاعـمـ ضـدـ الـعـنـاصـرـ الـغـضـوبـ،ـ
وـحـرـسـنـاـ الـزـهـرـةـ مـنـ اـعـتـدـاءـ الـأـرـوـاحـ الـمـظـلـمـةـ.
وـالـآنـ،ـ وـقـدـ أـخـرـجـتـ كـرـمـتـنـاـ عـنـهـاـ،ـ
فـأـنـتـمـ لـاـ تـحـمـلـونـهـ إـلـىـ الـمـعـصـرـةـ لـتـمـلـأـوـاـ الـأـقـدـاحـ.
فـأـيـةـ أـيـدـيـ أـقـدـرـ مـنـ أـيـدـيـكـمـ سـتـجـمـعـ الشـمـ؟ـ.
وـأـيـ مـطـلـبـ أـنـبـلـ مـنـ عـطـشـكـمـ يـنـتـظـرـ الـخـمـرـ؟ـ.
فـإـلـيـنـاـ طـعـامـ لـلـآـلـهـةـ.

ومجد الإنسان يبتدىء عندما تمتص شفاه الآلهة المقدسة نسمتها الهائمة على غير هدى .

كل ما هو بشرى لا قيمة له إذا ظلّ بشرياً .

إن طهارة الأطفال، ووجد الشباب اللذيد،

وهوى الرجلة العزوم، وحكمة الشيخوخة الناضجة،

إن مجد الملوك، ونصر المحاربين،

وشهوة الشعراء، وشرف الحاكمين والقديسين ،

كل هذه، وكل ما تحمله في ثناياها، هو خبز الآلهة .

وهي لن تكون إلا خبزاً بغير بركة إذا لم ترفعها الآلهة إلى أفواها .

وكما أن حبة الحنطة الصماء تتتحول إلى أنشودة محبة عندما يتلعلها

البibleل، هكذا الإنسان إذا كان خبزاً للآلهة يتذوق الألوهية .

الإله الأول :

نعم، إن الإنسان هو خبز الآلهة !

وكل ما هو من الإنسان سيأتي إلى مائدة الآلهة الخالدة !

آلام الحمل، وعذاب الولادة،

صراخ الأطفال الذي يشق كبد الليل،

وغم المرأة وهي تصارع التوم الذي تتوق إليه لتسكب الحياة الذاوية من

ثديها .

الأنفس الملتهبة الخارجة من صدور الشباب المتقطعة، والعبارات المثلقة بأحمال الأهواء التي لم تفتح خزائنهما بعد .

جباه الرجلة القاطرة عرقاً وهي تحرث الأرض الجدباء، وتحسرات الشيخوخة الذابلة عندما تدعى الحياة - ضد إرادة الحياة - إلى القبر .

تأملوا، هذا هو الإنسان!
مخلوق يلده الجوع فيصير طعاماً للآلهة الجائعة،
وكرمة تدب في تراب الأرض تحت أقدام الموت الذي لا يموت.

زهرة تزهر في ليالي الأشباح الشريرة،
وعنب لا ينضج إلا في أيام الدموع والرعب والعار.
وأنتم على رغم هذا كله تطلبون إلى أنأكل وأشرب،
وترغبون إلى أنجلس بين الوجوه المكففة.
وأستفي حياتي من الشفاه الصخرية،
وأقبل خلودي من الأيدي اليابسة!

الإله الثالث:

يا أحوي، أيها الأخوان الراعبان،
إن الشاب يغنى في أعماق الوادي،
ولكن أنشودته تصاعد إلى أعلى الجبال،
وهو يهز الغابة بصوته، ويشق كبد السماء، ويبعد أحلام الأرض.

الإله الثاني:

(يضمّ أذنيه دائمًا).

إن النحلة تطنّ بغلاظة في أذنيك،
والعسل من المذاق في فمك،
إنني أودّ أن أعزّيك،
ولكنّ أني السبيل إلى ذلك؟
فليس يصغي غير الهاوية عندما تخاطب الآلهة الآلهة، .

لأنّ الهوة الفاصلة بين الآلهة لا تحد ولا تقاس،
والفضاء صامت لا ريح فيه.
ومع كلّ هذا أريد أن أعزّيك،

أريد أن أجعل دائرك المتلبدة بالغيوم نقية صافية.
ومع أننا متساويان بالقوة والفهم.
فإنني أريد أن أخلص لك النصح.

عندما خرجمت الأرض من الفضاء، ورأينا نحن، أبناء البدء، أحدهنا الآخر في النور الذي لا عيب فيه، حينئذ أصعدنا الصوت الخفي، المرتعش، الأول، الذي أنعش مجاري الهواء والماء.

ثم مشينا، جنباً إلى جنب، على سطح العالم الفتى الشيغ، ومن صدئ خطواتنا البطيئة ولدَ الزمان إليها رابعاً، فاقتفي آثار خطواتنا، وأظلم بخياله أفكارنا ورغباتنا، ولم ير إلا بنور عيوننا.

ثم جاءت الحياة إلى الأرض، وجاءت الروح إلى الحياة، وكان الروح نجماً مجناحاً في الوجود، فتحكمنا على الحياة والروح، ولم يقدر أحد غيرنا على معرفة مقاييس السنين، وموازين الأحلام السديمية في الأعوام، حتى جاء العصر السابع فزففنا في مذ ظهيرته البحر عروساً للشمس.

ومن مضجع هذا الزواج المقدس أخرجنا الإنسان، الذي على رغم ضعفه وسقمه، ما برح يحمل شارة والديه.

ويواسطة الإنسان، الذي يمشي على الأرض وعيشه في النجوم، قد وجدنا طرقاً نافذة إلى أبعد الأصقاع النائية في الأرض، ومن الإنسان، وهو القصبة الوضيعية النامية على المياه المظلمة، قد صنعنا م Zimmerman نسكب من قلبه الفارغ صوتنا إلى العالم الصامت في جميع أرجائه، ومن الشمال الذي لا شمس فيه، إلى رمال الجنوب المحترقة بالشمس، ومن أرض عرائس النيل حيث تولد الأيام، إلى جزائر الأخطار حيث تذبح الأيام،
ترى الإنسان الضعيف القلب يتتشجع بغايتنا،
فيغامر بالقيثارة والسيف.

فهو يذبح إرادتنا، ويعلن سيادتنا،
والمجاري التي يطؤها بأقدام محبتة هي أنهار سائرة إلى بحر رغباتنا.



«زفاف البحر إلى الشمس»

فتحن، جالسين إلى أعلاينا، نحلم أحلامنا في نوم الإنسان.

إننا نتحت أيامه لتفارق وادي الشفق البعيد، وتنشد كمالها على التلال.
وأيديينا تسير العواصف التي تجرف العالم،
وتحمل الإنسان من السلامة العقيمة إلى الجهاد المثمر،
ومن ثمت إلى الانتصار،
وفي أعينا بصيرة نيرة تحول نفس الإنسان إلى لهيب،
وتقوده إلى وحدة رفيعة ونبوة ثائرة،
ومن ثمت إلى الصليب،
فقد ولد الإنسان للعبودية،
وبالعبودية شرفه ومكافأته،
بالإنسان نطلب علامه لما بنا،
وبحياته نشد كمال ذاتنا.

فإذا أخرس تراب الأرض قلب الإنسان، فأي قلب يستطيع أن يرى صدى
صوتنا؟

وإذا عميت عيون الإنسان بظلمة الليل، فمن يستطيع أن يرى لمعان
مجدنا؟

فماذا يجب أن نفعل بالإنسان وهو ابن قلباً الأول، وهو صورتنا ومثالنا.

الإله الثالث:

يا أخوي، أيها الأشوان القديران،
إن قدمي الراقصة الحسناء قد سكرتا بخمرة الإنشاد،
فأثارتا دقائق الهواء المرتعشة،
وهي كالحمامنة تحلق مرتفعة بجناحيها.

الإله الأول:

القبرة تنادي القبرة،
ولكن النسر يحوم فوقها،

وهي لا تتوقف لتصغي إلى الإنشاد
أنت تريد أن تعلن محبة الذات متكاملة بعبادة الإنسان، وراضية بعبودية
الإنسان.

ولكن محبة ذاتي لا حد لها ولا قياس.
فأنا أريد أن أسمو على ما يموت مني في الأرض،
وأتخذ لي عرشاً في السماوات،
فامتنق الفضاء بذراعي، وأحيط بالأفلak،
واريد أن أتخذ من المجرة قوساً،
ومن المذنبات سهاماً.

وباللأنهاية أريد أن أحكم اللأنهاية.
أما أنت فلا ت يريد أن تفعل هذا ولو كان في ممالك.

فنسبة الإنسان إلى الإنسان،
هي كنسبة الآلهة إلى الآلهة.

وأنت ت يريد أن تحمل إلى قلبي التعب،
ذكرى الأدوار المتقضية في الضباب.
في حين أن نفسي نشدت ذاتها بين الجبال.
وعيني تعقبتا صورتهما في المياه الهاجعة،
ولكن عروس أمسى قضت نحبها في أثناء ولادتها،
فالصمت فقط يزور رحمها،
والرمال التي تقذفها الرياح ترضع ثديها.

فيا أمسى أيها الأمس المايت ، يا والد الوهبي المقيدة.
أي إله عظيم قبض عليك في طيرانك،
وأرغمك على الولادة في فقص؟

واية شمس جباراة بعثت حرارتها في بطنك لتلدني؟
إنني لا أباركك ، ولكنني لا أعنك.
فكما أنك أنت كاهلي بأعمال الحياة،
هكذا أنت أنا كاهل الإنسان.

ييد أنتي كنت أقل قساوة منك .
 فأنا ، الخالد ، قد جعلت الإنسان ظلًا زائلاً .
 أما أنت ، الماين ، فقد خلقتني خالدًا .
 فيا أمسى . أيها الأمس الماين .
 هل تعود مع الغد البعيد ،
 فأقودك إلى المحاكمة ؟
 وهل تستيقظ مع الفجر الثاني للحياة ،
 فامحو ذاكرتك العالقة بالأرض من الأرض ؟ .
 أوَّد لو أنك تقوم مع جميع الأموات القدماء ،
 حتى تخنق الأرض بثمارها المريرة ،
 وتتنن جمِيع البحار بدماء المذبوحين فيها ،
 ويستنزف الويل فوق الويل كل ما في الأرض من الخصب الذاهب عبثاً .

الإله الثالث :

يا أخي ، أيها الأخوان القدّيسان ،
 قد سمعت فتاتنا الأنشودة الساحرة ،
 وهي تفتش الآن عن المرتّم .
 وهي كالخشف ، في دهشة مسرّتها ،
 ترقص فوق الصخور والجداول ،
 فتدبرها في جميع الجهات .
 ما أجمل الغبطة التي ترافق المطالب الماين ،
 والعين التي تفتحها الغاية النصف المولودة !
 ما أحلى الابتسامة المرتجفة لما تستمتع به من الغبطة الموعود بها !
 أية زهرة تساقطت من السماء ،
 أي لهيب ارتفع من الجحيم ،
 فحمل قلب الصمت إلى هذا الفرح والخوف المقطع الأنفاس ؟

أي حلم حلمناه على الأعلى،
أي فكر بعثناه في الريح،
فأيقظ غفلة الوادي،
وفتح عيني الليل؟

الإله الثاني :

إنك قد أعطيت النول المقدس.

وأعطيت الفن لحياة الشباب.
فالنول والفن سيكونان لك إلى الأبد،
 وسيكون لك معهما الخيط الأسود والنور،
 ولنك أيضاً الأرجوان والذهب.

وأنت مع كلّ هذا تحوك من نفسك ثوباً.

قد نسجت يداك نفس الإنسان من الهواء الحي والنار،
 وأنت تريد الآن أن تقطع الخيط،
 وتطلق أصابعك الشعرية في الأبدية الخاملة.

الإله الأول :

نعم، نعم، إنني سأطلق يدي في الأبدية التي لم تسbrick في قوالبها بعد،
 وفي الحقول التي لم تطأها قدم سأطلق قدمي،

فأية مسراً لي في سماح الأن Shields التي طالما سمعها غيري، التي تلتقط
 ذاكرة الأذن أنغامها قبل أن يسلّمها النفس إلى أمواج الهواء؟

إن قلبي يحنّ إلى ما يستطيع أن يتصوره،
 وأنا لن أرسل روحي إلا إلى عالم غير المجهول الذي لا تقطن فيه
 الذاكرة.

بربك، لا تجريني بمجد فارغ،
 ولا تطلب لي تعزية بأحلامك أو أحلامي،

لأن كل ما فيّ، وكل ما في الأرض،
وكل ما سيكون في الوجود، لا يقدر أن يستهوي نفسي

فيها نفسي،
إن وجهك صامت،
وأشباح الليل نائمة في عينيك.

ولكن صمتك راعب،
وأنت راعبة.

الإله الثالث:

يا أخوي، أيها الأخوان الرصينان،
إن الفتاة قد وجدت المرنن.

فهي تنظر وجهه المحبوب.
وهي كالنمر تتخطى بخطوات ساحرة،
بين الدوالي والأسيجة المتموجة.

وهو ينظر إليها الآن في وسط أناشيد محبتة.
أواه يا أخوي، أيها الأخوان الغافلان،

هل هنالك إله آخر وقد حاك من آلامه هذا النسيج القرمزي والأبيض؟
أي نجم جامح قد أفلت هارباً؟
ومن يفصل الليل عن النهار بسره؟
ومن يضع يده على عالمنا؟

الإله الأول:

يا نفسي، يا نفسي،
أيتها الدائرة المحترقة التي تمنطقني بلهيها،
كيف أستطيع أن أقود سيرك،
ولى أي فضاء أديرك شوقك؟
يا نفسي التي لا رفيق لها،

إنك في مجاعتك تصطادين ذاتك ،
ويدموعك تريدين أن تبرّدي عطشك ،
لأن الليل لا يجمع نداء في أقداحك ،
والنهار لا يحمل إليك أنماره .

يا نفسي ، يا نفسي ،
أنت تحملين سفيتك إلى الشاطئ وهي مثقلة بأحمال الراغبات ،
فمن أين تأتي الرياح لتملاً شراعك ،
وأي مدّ فياض يقدر أن يحرّر دفتك ؟
إن رساتك حاضرة وجناحيك على أهبة الطيران ،
ولكن السماء صامتة فوقك ،
والبحر الهادئ يهزاً بسكونك .
فأي رجاء ثمت لي ولك ؟
وأي تقلب في العوالم ، أو تبدل في غایات السماء سيطلبك ؟
هل تحمل رحم عذراء اللانهاية زرع منقذك ،
ذلك الذي هو أقدر من أحلامك ،
وستنقذك يده من عبوديتك ؟

الإله الثاني :

احبس صراحتك للجوج ،
 وأنفاس قلبك الملتهب ،
 لأن أذن اللانهاية صماء ، وغافلة هي عين السماء ،
 فنحن كل ما وراء العالم وكل ما فوقه ،
 وبيننا وبين الأبدية غير المحدودة لا يوجد شيء غير أهواننا التي لم
 تتشكل ، وغياتها التي لم تتكمّل .
 أنت تستهوي غير المعروف ،
 وغير المعروف ، المرتدي بالضباب المتحرك ،

إنما يقطن في أعماق نفسك.

نعم، في أعماق نفسك يضطجع منقذك نائماً،
وهو يرى في نومه ما لا تراه عيناك المستيقظتان.

هذا هو سرّ كياننا،
فهل تعرض عن جمع حصادك،
لتلقي بذارك بعجلة في أثلام أحلامك؟
وعلامَ تبسيط سحبك في الحقول الخربة،
في حين أن قطيعك يفتح عنك،
وأنت عبئاً تجمع في خيالك؟
فتأنّ، وأنعم نظرك في العالم.

انظر إلى أولاد محبتك غير المفطومين.

إن الأرض هي مسكنك، والأرض هي عرشك،
وفوق أرفع آمال الإنسان تقبض يدك على قسمته،
أنت لا تريد أن تتركه،
وهو المجاهد أن يصل إليك بمسراته وألامه.
وأنت لا تحول عينيك عن الحاجة التي في عينيه.

الإله الأول:

هل يضمّ الفجر قلب الليل إلى صدره؟
أم هل يعبأ البحر بأجسام موتاه؟
كالفجر تنهض نفسى في أعماقى،
عارية غير متخيّرة.
وكالبحر الذي لا يستريح،
يطرح قلبي عنه النفاية الزائلة من الأرض والإنسان.
لأنني لن أعلق بكل من يعلق بي،

ولكنني أريد أن أسمو إلى ذلك المتسامي فوق ما تصل إليه قوتي.

الإله الثالث :

يا أخوي، تأملا أيها الأخوان،
إن روحين سائرين إلى النجوم قد اجتمعنا في الجوز للحساب.
وهما تنظران الواحدة إلى الأخرى بصمت وسكون.
إن المرنم قد انقطع عن الغناء،
ولكن حلقه الذي حرقته الشمس يرتعش بالأنشيد،
ورفيقته الراقصة قد سكن الرقص في أعضائها،
بيد أنه لم ينم.

يا أخوي، أيها الأخوان الغريبان،
إن الليل يشتّد ادلهاماً،
والبدر يزداد إشراقاً، وبين الغابة والبحر،
تصرخ المحجة بأعلى الصوت تدعوكما وتدعوني إلى قلبها.

الإله الثاني :

يا لتفاهة الكيان، والنهوض والاحتراق أمام الشمس الملتهبة،
والحياة والمراقبة للiali الأحياء،
كما تراقبنا عين الجوزاء!
يا لحقارة مجابهة الرياح الأربع برأس مكمل رفيع،
وشفاء أقسام الناس بأنفاسٍ لا مدّ في بحرها!
إن الخيام جالس يخطب خطبٍ عشواء أمام نوله،
والخزاف يدير دولاته بعدم اكتتراث،
أما نحن، الدين لا ينامون، ويعرفون كل شيء،
فقد اعتقنا من ظلمة الظن والتخيّن.
فنحن لا نتردّد ولا ننعم الفكر والنظر،
لأننا قد سمعنا رفعة على جميع الأسئلة القلقة.

فلنعش مطمئنين ، ولنطلق طيور أحلامنا من أقفاصها .
وكالأنهار فلننكب في البحر ،
من غير أن تديروننا حافات الصخور ،
فيإذا بلغنا قلب اللجة ، وابتلعتنا أمواجها ،
انقطعنا عن المجادلة والتأمل في مصير الغد ، إلى الأبد .

الإله الأول :

أَفَ مِنْ أَلْمٍ هَذَا التَّكَهُنُ الَّذِي لَا يَنْقُطُ ،
وَهُذَا السَّهْرُ السَّائِرُ بِالنَّهَارِ إِلَى الشَّفَقِ ،
وَالْمَاهِبُ بِاللَّيلِ إِلَى الْفَجْرِ
أَفَ مِنْ هَذَا الْمَدَ الَّذِي يَحْمِلُنَا إِلَى الذَّكْرِ الدَّائِمِ ، وَالنَّسِيَانِ الدَّائِمِ ،
وَهُذَا الزَّرْعُ الْمُتَوَالِصُ لِبَذَارِ الْأَقْدَارِ الَّتِي لَا تَحْصِدُ مِنْهَا غَيْرُ الْآمَالِ ،
وَهُذَا الرُّفْعُ الْمُتَغَيِّرُ لِلذَّاتِ مِنَ التَّرَابِ إِلَى الضَّبَابِ ،
لَتَحْنَ إِلَى التَّرَابِ ، ثُمَّ تَسْقُطُ بِحَنِينِهَا إِلَى التَّرَابِ ،
ثُمَّ لَا يَلْبِثُ أَنْ يَتَضَاعِفَ حَنِينِهَا فَتَنْهَضَ نَاشِدَةً الضَّبَابَ ثَانِيَةً
أَفَ مِنْ هَذَا الْقِيَاسِ الَّذِي يَغْيِرُ أَوَانَهُ لِلزَّمَانِ الَّذِي لَا يَتَغَيِّرُ
وَهُلْ تَحْتَاجُ نَفْسِي إِلَى أَنْ تَصِيرَ بَحْرًا تَزَعَّجُ مَجَارِيهِ بَعْضُهَا بَعْضًا إِلَى
الْأَبْدِ ، أَوْ جَوْا تَحْوِلُ فِيهِ الرِّيَاحُ الْمُتَحَارِبَةُ إِلَى زَوْبَعَةٍ ؟
لَوْ كُنْتُ رَجُلًا ، لَوْ كُنْتُ عَبِيرًا أَعْمَى ،
لَكَانَ فِي طَوْقِي الصَّبْرُ عَلَى كُلِّ هَذَا .
أَوْ لَوْ كُنْتُ إِلَهًا الْأَعْلَى ، الَّذِي يَمْلأُ فَرَاغَ الْإِنْسَانِ وَالْأَلْهَةِ ، لَكَنْتُ أَكْتَفِي
بِذَاتِي .
وَلَكِنْ أَنَا وَأَنْتَ لَسْنَا بَشَرًا ،
وَلَا نَحْنُ بِالْعُلَيْيِ الَّذِي فَوْقَنَا ،
وَلَكَنْنَا أَشْفَاقَ (جَمِيعِ شَفَقَ) لَا تَنْقُطُ عَنِ الظَّهُورِ وَالزَّوَالِ مِنْ أَفْقِ إِلَى
أَفْقٍ .

وآلها، نمسك بالعالم ويمسك العالم بنا.
وقد قضي علينا أن ننفح بالأبواق،
ولكن الروح النافحة والموسيقى الخارجة من أبوابنا ليست متن بل تأتي
من فوق.

لذلك تراني أرغب في الثورة.
أريد أن استنزف ما بي حتى أصير فارغاً،
أريد أن أبتعد عن بصيرتك،
أريد أن أختفي من ذاكرة هذا الشاب الصامت، الذي هو أخونا الأصغر،
البعالس قريباً منا يتأمل في ذلك الوادي،
ومع أن شفتيه تتحركان، فهو لا ينطق بكلمة.

الإله الثالث:

إنني أتكلم أيها الأخوان الغافلان.
إنني أتكلم بالحقيقة.
ولكنكم لا تسمعان غير حديثكم.
أطلب إليكم أن تنظروا مجدكم ومجدي،
بيد أنكم تحولان، وتطبقان أجفانكم، وتهزآن عرشيكم.
فيما أيها الحكمان الراغبان في السيادة على العالم العلوي والعالم
السفلي،
أيها الإلهان الأنانيان اللذان لا ينقطع أحسمهما عن حسد غده،
أيها التعبان من أنقال ذاتكم، المهدثان حدة غضبكم بالكلام،
والضاريان محاجرنا بالصواعق!

ليست مخاصمتكم سوى صوت القيثارة القديمة،
التي نسيت أصابع القدر نصف الضرب على أوتارها، ذلك الذي
الجوزاء عوده والثريا صنوجه،

وهو حتى في هذه الساعة التي تتممان وتدمدان فيها يضرب على عوده
وَصْنُوجَهُ،

فألتمس منكما أن تصفيما إلى أنشودته.

انظرا، رجلاً وامرأة،

لهياً مع لهيب،

يذوبان وجداً وهياماً.

جذور ترضم ثدي الأرض الأرجواني،

وزهور من نار على صدر السماء.

ونحن الثدي الأرجواني،

ونحن السماء الباقة.

إن نفستنا، التي هي نفس الحياة، نفسكما ونفسى،

إنما تقيم الليلة في حلق ملتهب،

مجللة جسم فتاة طاهرة بثوب من الأمواج الشائرة.

إن صولجانكما لن يغير هذه القسمة المعدّة لنا،

وهمومكما هي الطموح بعينه.

لأن هذا جميعه سيمحي من الوجود في هوى الرجل والمرأة.

الإله الثاني:

وما شأن هذه المحبة بين الرجل والمرأة؟

تأمل كيف ترقص الريح الشرقية الرشيقية،

وتنهض الريح الغربية مترفة بأشودتها.

انظر إلى محاجتنا المقدسة جالسة على عرشها الآن،

باستسلام روح يغنى إلى جسد يرقص.

الإله الأول:

إنني لن أحول عيني إلى وهم الأرض،

ولن أنظر إلى أولادها في الألم البطيء الذي تسميه محبة.

وما هي المحبة،

سوى طبل مقطع يقود مركباً طويلاً من الريب اللذيد، إلى شكل آخر من
الألم البطيء؟

إنني لا أريد أن أنظر إلى هذا الوهم.

وأي شيء تراه هناك،

إلا رجلاً وأمرأة في الغابة التي نمث لتصطادهما في فخاخها، وتعلمهما
إنكار الذات،

ولادة المخلوقات لغدنا الذي لم يولد بعد؟

الإله الثالث:

أف من الألم الذي تجلبه المعرفة!
والقناع المظلم الذي وضعه تفخضنا وتساؤلنا على وجه العالم،
والاستناد الذي نوجهه في كل ساعة للصبر البشري!

فنحن نضع تحت حجر شكلًا من الشمع،

ثم نقول: إنه شكل من الطين،

فليجد في الطين آخرته.

ونمسك بأيدينا لهيباً أبيض،

ثم نقول في قلوبنا:

إنه عبير ذواتنا يرجع إلينا،

ونسمة نسمتنا الفالة منا،

وبعد ذلك نعمد مفتشين في أيدينا وشفاهنا عن المزيد من العبير.

فيما إخوتي، آلهة الأرض،

إننا وإن كنا في أعلى الجبل،

فنحن ما زلنا نسير إلى الأرض،

بواسطة الإنسان الراغب في الساعات الذهبية التي في نصيب أخيه
الإنسان.

فهل تسلب حكمتنا الجمال من عينيه؟
أم هل تخضع مقاييسنا أهواه فتحملنا إلى السكون، أو تقودنا إلى
مستوى أهواننا؟

ماذا تقدر أن تصنع جيوش أفكاركم،
حيث تجتمع المحبة بجيوشها الجرارة؟
إلا إن الذين غلبتهم المحبة،
وسارت بمواكبها فوق أجسادهم من البحر إلى الجبل،
ومن الجبل إلى البحر،
يقفون الآن، وفي كل أوان، متعانقين بحياة ووقار.
باجتماع أوراق زهور محبتهم يتتشقون عبر الحياة المقدسة،
وباتحاد نفوسهم يجدون نفس الحياة،
وعلى أجفانهم ترسم صلاة مرتفعة إلينا.
المحبة هي ليلٌ منحنٌ بوقار تحت خيمة مقدسة،
وسماء قد تحولت إلى غابة،
بل هي جميع النجوم قد تحولت إلى حباب.
نحن بالحقيقة كل ما وراء العالم وكل ما فوقه.
ولكن المحبة أبعد من أن تصل إليها أسئلتنا
وأسمى من أن تبلغ إليها أنشودتنا.

الإله الثاني :

أطلب دائرة بعيدة،
ولا تهتم بهذا الكوكب الذي غرست فيه عزيمتك؟
ليس في الفضاء مركز إلا حيث نزف النفس إلى النفس،
ويكون الجمال شاهداً وكاهناً.
فتأمل وانظر الجمال مبعثراً حول أقدامنا،
تأمل جيداً كيف يملأ الجمال أيدينا لينزل العار بشفاهنا،

إن الأبعد هو الأقرب.
وحيث يكون الجمال يكون كل شيء.
أواه أيها الأخ العالم الرفيع!
ارجع إلينا من عهد أرض الكابة القاتمة.
حرر قدميك من الامكان واللazمان.
واقطن معنا في هذه الطمأنينة الآمنة،
التي ابنتهما يداك وأيدينا حجراً فوق حجر.
انزع عنك ثوب خفقان قلبك،
وكن رفيقاً لنا في السيادة على هذه الأرض الفتية، الحازة بجلال
خُضرتها.

الإله الأول:

أيها المذبح الخالد!
هل تريد بالحقيقة إلهًا لضحيتك في هذه الليلة؟
إذن فأنا قادم، ويفدوكي أقرب محبتى وألمى.
هنا لك تقف الراقصة، التي نُحتت من شوقنا القديم.
والمرئى يصبح بأناشيدي في أمواج الريح.
وفي ذلك الرقص، وفي ذلك الإنشاد،
يموت إله قدير في أعماقي.
إن إله قلبي القاطن وراء ضلوع بشرتي ينادي إله قلبي المقيم في
الهواء.

والهاوية البشرية التي طالما عطلت علي راحتني تصرخ إلى الألوهية.
والجمال الذي نشدها منذ البدء يصرخ إلى الألوهية.
وفي إصغائي قد قست هذا الصراغ.
وها أنا ألقى سلامي.
فالجمال طريق يؤدي إلى الذات المقتولة بيد ذاتها.
فاضرب أوتارك.

إنتي مستعد للسير على الطريق.
فهي تمتد إلى فجر آخر.

الإله الثالث:

قد انتصرت المحبة
سواء أكانت المحبة بياضًا ناصعاً أو خضراء زاهية بجانب بحيرة، أو
كانت جللاً وفخاراً في القباب الرفيعة، أو كانت في بستان حافل بالناس، أو
في صحراء لم تطأها قدم الإنسان.

فالمحبة هي ربنا وعلمنا في كل حال،
 فهي ليست بالشهوة الزائدة في الجسد.

ولا هي فُنات الرغبة المتسلط من مصارعة الرغبة للذات.
كلا، ولا هي بالجسد الحامل سلاحه على الروح،
لأن المحبة لا تعرف الثورة،

ولكنها تهجر طريق الأقدار القديمة لتسير إلى الغابة المقدسة،
لترقض وتترنم بأناشيد أسرارها في آذان الأبدية.

المحبة شباب قد تحطم قيوده،
ورجولة قد تحررت من عباء الأرض،
 وأنوثة حارة يلهيب مقدس، مشرقة بنور سماء أبيهى من سمائنا.

المحبة ضحك بعيد في أعماق الروح.
المحبة حملة قديرة تسير بك إلى يقظتك.

المحبة فجر جديد على الأرض،
وويم لم تصل إليه لا عينك ولا عيني،
ولكن المحبة قد وصلت إلى قدس أقدسه بقلبهما الأعظم.

يا أخوي، يا أخوي،
إن العروس قادمة من قلب الفجر،
لتلاقي عروسها القادم من الغروب.

وسيكون عرّس في الوادي،
ويوم أعظم من أن تدون حوادثه.

الإله الثاني:

هكذا كان منذ أطلق الصباح الأول السهول إلى التلال والأودية،
وهكذا سيكون إلى بعد المساء الأخير.
إن جذورنا قد أنبت الأغصان الراقصة في الوادي،
ونحن أزهار عبر الأشواط المرتفعة إلى الأعلى.
فالخالد والمائت نهران توأمان يناديان البحر بغير انقطاع.
وليس بين النداء والنداء فراغ قط، إلا في الأذن.
فالزمان يزيد اصغاءنا ثقة،
ويضيف إلى رغباته.
ولا يخرس الصوت في المائت غير المرتب.
أما نحن فقد تسامينا على الشكوك.
فإنسان هو ابن قلبنا الأصغر.
الإنسان إله يرتفع إلى لوهيته ببطء شديد،
وبين مسرته وألمه ننام ونحلم أحلامنا.

الإله الأول:

دع المرئ يتربّن، والراقصة تحرك قدميها،
ودعني أطمئن هنيهة،
إن نفسي تريد أن تستريح الليلة.
فقد يغلبني النوم،
وفي نومي أرى عالماً أكثر نوراً من هذا العالم،
فتأتي مخلوقات أبهى من مخلوقاتنا فتسترق طريقها إلى فكري.

الإله الثالث:

إنني أنهض الآن فأجرّد نفسي من حدود الزمان والمكان،

وأرقض في ذلك الحقل الذي لم تطأه قدماء إنسان،
وستتحرك قدماء الراقصة مع قدمي.
وسأترنم في ذلك الملاج الأعلى،
وسيختلط صوت بشري مع صوتي.
سنعبر إلى الشفق البعيد،
فقد نستيقظ في فجر عالم آخر.
ولكن المحبة باقية،
ولن تمحى آثار أصابعها.
إن الكور المقدس متاجج بالنار،
وكل شعلة تصعد منه هي شمس محترقة.
فالأجدر بنا، والأحکم لمصلحتنا،
أن نفتش عن زاوية صغيرة فنتام في الوهيتنا الأرضية،
تاركين أمر قيادتنا إلى اليوم المقبل، إلى المحبة البشرية الضعيفة.

التأله

تعریب
عبداللطیف شرارة

الثالث

لقيته على مفترق الطرق، وكان رجلاً معدماً لا يملك سوى ثوبه وعكازه، تعلو محياه مسحة ألم عميق. وحياناً كلّ منا الآخر، وقلت له: «تعال إلى متزلي وكن ضيفي».

وقبل الدعوة . . .

واستقبلتنا زوجتي مع أولادي على عتبة البيت، فابتسم لهم ورحبوا من جانبهم بمقدمه.

ثم جلسنا جميعاً إلى المائدة، وكنا في غبطةٍ من لقاء هذا الرجل الذي يكتنفه الغموض، ويهيمن الصمت في سريرته.

واجتمعنا بعد العشاء حول النار، ورحت أسأله عن جوزانه.

وقصّ علينا أكثر من قصّة في تلك الليلة، وفي اليوم الذي تلاماها، غير أنّ ما أرويه الآن، إنّما هو زيادة ما كابد في أيامه من مرارة، وإن كان هو نفسه أثناء سرده لطيفاً، قريباً من القلب. وهذه الحكايات أثر من غبار طريقه، وبعضُ من نتاج المشقة التي كابدها وتحملها.

وعندما تركنا، بعد ثلاثة أيام، لم نشعر أنّ ضيفاً رحل عنّا، بل واحداً متّا لا يزال خارج المتزل في الحديقة، ولما يدخل.

ملابس

تلاقي الجمال والقبيح ذات يوم على شاطئ البحر، فقال كلّ منهما للآخر: «هل لك أن تسبح؟»

ثم خلعا ملابسهما، وخاضا العباب، وبعد برهة عاد القبيح إلى الشاطئ وارتدى ثياب الجمال، ومضى في سبيله.

وجاء الجمال أيضاً من البحر، ولم يجد لباسه، ونجل كل الخجل أن يكون عارياً، ولذلك ليس رداء القبيح، ومضى في سبيله.

ومنذ ذلك اليوم، والرجال والنساء يخطئون كلما تلاقوا في معرفة بعضهم البعض.

غير أن هنالك نفراً من يتفرّسون في وجه الجمال، ويعرفونه رغم ثيابه، وثمة نفر يعرفون وجه القبيح، والثوب الذي يلبسه لا يخفيه عن أعينهم.

النسر والقبّرة

تلاقي نسر وقبّرة على صخرة فوق ربوة عالية. قالت القبّرة: «طاب صباحك أيها السيد»، فنظر إليها النسر من عل، وقال بصوت خافت: «طاب صباحك».

وقالت القبّرة: «أرجو أن يكون كل شيء على ما تروم، أيها السيد». أجبتها النسر: «أجل كل شيء على ما نروم. ولكن لا تعلمين أنّي ملك الطيور، وأنّه لا يجوز لك أن تخاطبينا قبل أن نبدأك بالكلام؟» قالت القبّرة: «يلوح لي أننا من الأسرة نفسها».

نظر إليها النسر بازدراء وقال: «من هو هذا الذي قال إنني وإياك من أسرة واحدة؟»

أجابت القبرة: «ولكني أود أن أذكرك بهذا الأمر، وهو أن في مستطاعي أن أطير في العلاء كما تعلو، وفي مستطاعي أن أغتني وأدخل الفرح على قلوب المخلوقات الأخرى من أبناء الأرض، ولا تملك أنت أن تقدم لها فرحاً ولا متعة».

عند ذاك غضب النسر وقال: «فرح ومتعة! أنت أيتها المخلوقة الصغيرة المدعية! إني ل قادر على تحطيمك بنقرة واحدة من منقاري، وما أنت إلا بحجم قدمي».

فما كان من القبرة إلا أن ارتمت على ظهر النسر وأخذت تنقر ريشه. وأحسن النسر بضيق وانزعاج، وطار بقوة وارتفع ما استطاع الارتفاع وقد أضمر أن يُلقي القبرة عن ظهره، ولكنه أخفق في ذلك. وأخيراً انطرح على الصخرة العالية ذاتها التي طار عنها، وهو أشد ما يكون غيطاً وحيناً، ولم تفارق القبرة الصغيرة ظهره، وراح يلعن تلك الساعة وما قدر له فيها.

واقتربت منه في تلك اللحظة سلحفاة صغيرة، واستغرقت في الضحك من المنظر، واستمرت تصاحك حتى استلقت على ظهرها.

ونظر النسر من عليائه إلى السلحفاة وقال: «أنت أيتها المخلوقة البطيئة الحدباء، اللاصقة أبداً بالأرض! متّ تصاحكين؟»

أجابت السلحفاة: «ذاك أنني أراك تحولت إلى حصان، وقد ركبك طير صغير، غير أن الطير الصغير هو الأحسن».

فقال لها النسر: «انصرفي لشأنك. إنها قضية أسرة. بيني وبين أخيتي القبرة، ولا دخل لغريب فيها».

أغنية الحب

نظم شاعر مرةً أغنية حبٌ، وكانت رائعة. وكتب عدة نسخ عنها وأرسلها إلى أصدقائه ومعارفه من الرجال والنساء على السواء، ولم ينس أن يرسلها حتى إلى امرأة شابة لم يسبق له أن شاهدتها سوى مرتة واحدة، وكانت هذه تقييم وراء الجبال.

وجاءه رسول من قبل تلك الشابة، بعد يوم أو يومين، يحمل رسالة تقول له فيها: «دعني أؤكّد لك أنني تأثّرت تأثّراً عميقاً بأغنية الحب التي نظمتها لي. تعال الآن، وقابل والدي ووالدتي، وستتخدّل التدابير التي تقتضيها الخطبة».

وكتب الشاعر جواب الرسالة، وقال لها فيه: «لم تكن يا صديقتي سوى أغنية حبٍ صدرت عن قلب شاعر، يعنيها كل رجل لكل امرأة».

وكتبت إليه ثانية تقول: «أيها الكاذب الخبيث في كلماتك! سأقيم منذ اليوم إلى ساعة أجي، على كراهية الشعراء جميعهم بسببك!».

دموع وضحكات

لقيت ضبع تمساحاً في العشية، على شاطئ النيل، واستوقف كلّ منهما الآخر وتبادل التحية.

تكلمت الضبع وقالت: «كيف قضيت يومك يا سيد؟»
أجابها التمساح قائلاً: «قضيته على أسوأ حال، وإنني لأبكي أحياناً في أساي وعنتائي، والكافئات من حولي تتقدّل دائمًا: «ليست هذه سوى دموع التمساح». وهذا يجرّعني إلى حد لا سبيل لوصفه».

قالت له الضبع عند ذاك: «تحدّث عنأساك وعنائك، ولكن فكّر فيّ أيضاً، ولو للحظة. إنني لأحدق إلى جمال العالم، وغرائبه ومعجزاته بداعه،

وأضحك مستبشرة عن فرح خالص يفعم نفسي، كما النهار يضحك، غير أنَّ
أهل الأدغال يقولون: ليس هذا سوى ضحك الضبع».

في السوق

جاءت مرةً فتاة من الريف إلى السوق، وكانت آية في الملاحة والظرف، يتوزع محياها الورد والزنبق، وشعرها بلون الغروب، والفجر يبتسם على شفتها.

ولم تكذ هذه المخلوقة الساحرة، الغريبة، تظهر، حتى أحدق بها الشبان ينشدون التعرف إليها والتقارب منها. أهذا يوْدَأ أن يراقصها، وذاك يريد أن يقسم الكعك على شرفها، وكلّهم يتغرون تقبيل خدّها. ألم يكن ذلك سوقاً، بعد كل حساب؟

غير أنَّ الفتاة أحسست بصدمة وأصابها ذُعر وامتعاض، وحسبت السوء في سلوك الشبان، فزجرتهم، وبلغ بها الغيط أن صفتت واحداً أو اثنين منهم، وعلى وجهه، ثم انصرفت في سبيلها لا تلوى على أحد.

وفيما هي تتجه عند المساء نحو بيتها الريفي. قالت في سرّها: «إنني لأشعر باشمئاز. ما أقل أدب أولئك الرجال، وأحاط أخلاقهم. هذا شيء لا يطاق. ولا يمكن الصبر عليه».

وانقضى عام كانت الفتاة الجميلة تفكّر خلاله كثيراً بالأسواق والرجال، ثم قدمت مرة ثانية إلى السوق ومحياها ورد وزنبق، وشعرها بلون الغروب، والفجر على شفتها يبتسّم إلا أن الشبان كانوا ينظرون إليها، ويميلون عنها، وقضت نهارها ذاك وهي وحيدة، مبعدة، لا يتقرّب منها أحد. ولدى العشية عادت إلى منزلها وهي تصيح في سرّها: «ما أقل أدب أولئك الشبان! إنني لأشعر باشمئاز لا يطاق، ولا يمكن الصبر عليه».

الأميرتان

كان في مدينة شواكيش أمير يحبه الناس كلّهم من رجال ونساء وأولاد. وحتى بهائم الحقل كانت تألفه وتقبل عليه تحبّيه وتأنس بحضوره.

غير أن جمّيع الناس كانوا يقولون إن زوجته الأميرة لا تحبه، ويغلو بعضهم فيحسب أنها تكرهه.

وذات يوم، جاءت أميرة إحدى المدن المجاورة، تزور أميرة شواكيش، وجلستا تتحدّثان، وساقهما الحديث إلى ذكر زوجيّهما.

قالت أميرة شواكيش بحرارة وتحمّس: «إنّي لأحسّدك على سعادتك مع الأمير زوجك. وإن كانت قد مرت أعوام طوال على زواجهما. أما أنا فلاني أمقت زوجي، إنه ليس لي وحدي، وأنا في الحقيقة أتعس امرأة».

حدّقت إليها الأميرة الزائرة وقالت: «الحقيقة يا صديقتي هي أنّك تحبين زوجك. نعم! لا تزال لديك عاطفة جامحة نحوه لم تطلقها بعد، وتلك في المرأة حياة كينبوع في بستان. ولكن واهماً لي ولزوجي فلأنّنا لا ننطوي على أي عاطفة، سوى أنّ كلاًّ منّا يتحمل الآخر بصبر صامت. وأنتِ، وغيرك من الناس، تحسيون ذلك سعادة!».

وميض البرق

كان ذات يوم عاصف، أسقف مسيحيٌّ في كنيسته الكبّرى، وجاءته امرأة غير مسيحية، ووقفت أمامه، وقالت: «الست مسيحية. هل لي أن أخلص من نار الجحيم؟».

حملق الأسقف في المرأة، وأجاب: «لا! ليس ثمة من خلاص إلا لأولئك الذين تعمدوا بالماء والروح».

وفيما هو يتكلم انقضت من السماء صاعقة على الكنيسة الكبرى، ودوى الرعد، واندلعت النار في الكنيسة وملأت أرجاءها.

وأقبل رجال المدينة مسرعين، وخلصوا المرأة. ولكن الأسقف كان قد احترق، وقضى طعماً للنار.

الراهب والوحوش

كان راهب يعيش مرّةً وسط الروابي الخضر، وكان نقيّ الروح، أبيض القلب، وكانت جميع بهائم البرّ وطيور الجوّ تأتيه أزواجاً، فيكلّمها وهي تصغي إليه مسروقة مستبشرة، وبوذها أن تقرب منه، وأن تبقى حتى مغرب الشمس معه، ولكنه كان يصرفها عنه، ويتركها للريح والغابات بعد أن يلقي عليها بركته.

وفيما كان يتكلّم ذات أصيل عن الحبّ، رفعت فهدّةً رأسها وقالت للراهب: «تكلّمنا عن الحبّ، حدثنا أيّها السيد عن رفيقة حياتك، أين هي؟»
قال الراهب: «ليس لي رفيقة حياة».

وارتفعت عند ذاك صيحة دهشة كبرى من جمهرة الوحوش والطيور، وراحوا يتهمسون فيما بينهم: «كيف يستطيع أن يحدّثنا حديث الألفة والحبّ، في وقت لا يعرف به شيئاً عنهما؟» وانسلّ جمعهم بهدوء. وتركوه وحيداً، وهم له مزدرون.

وانطرب الراهب عشية ذلك النهار على حصيرته، وعيشه في الأرض، وبكي بكاء مراء، وضرب بيديه على صدره.

النبي والغلام

لقي النبي «شاريا» ذات يوم غلاماً في حديقة، ومذ بصر به هذا، أسرع إليه وقال: «طاب صباحك يا سيداً» ورد النبي تحيته: «طاب صباحك يا سيداً» وتتابع الكلام بعد قليل: «أراك وحيداً».

أجابه الغلام، ضاحكاً فرحاً: «القد مضى عليّ وقت طويل وأنا ضائع عن مربيتي. وهي تحسب أنني وراء هذه الوشائع^(١). ولكن ألا ترى أنني هنا؟» ثم حدق إلى وجه النبي وقال: «أنت أيضاً وحيد. ماذا فعلت مع مربيتك؟».

ورد النبي قائلاً: «هذا الأمر بيننا مختلف. الحقيقة الدامغة أنني لا استطيع أن أضيعها أغلب الأحيان، ولكنني الآن، إذ أتيت هذه الحديقة، كانت هي تسعى في طلبي وراء الوشائع».

ضرب الغلام يداً بيد وصاح: «أنت إذن ضائع مثلني. أليس حسناً أن يكون الإنسان ضائعاً؟» ثم قال: «من أنت؟».

أجابه الرجل: «يدعونني النبي شارياً، وأنت؟ قل لي من أنت؟».

قال الغلام: «أنا ذاتي وحدها، ومربيتي تبحث عنني، وهي لا تعرف أين أنا».

وصدق النبي إلى الفضاء قائلاً: «أنا أيضاً تهرّبت من مربيتي لبرهة، ولكنها ستعثر علىّ خارجاً».

وقال الغلام: «وأنا أعرف أن مربيتي ستتجدّني خارجاً أيضاً».

وسيمّع في تلك اللحظة صوت امرأة تنادي الغلام باسمه، فقال هذا: «انظرا قلت لك إنّها ستتجدّني».

وفي تلك اللحظة أيضاً سمع صوت آخر يقول: «أين أنت يا شاريا؟».

(١) الوشائع، جمع وشيعة: وهي حظيرة الشجر حول الكرم والبساتن.

وقال النبي: «انظر يا ولدي! لقد وجدوني أيضاً». وأدار شاريا وجهه للعلاء، وأجاب: «أنا هنا».

اللولوة

قالت محارة لمحارة تجاورها: إن بي الما جد عظيم في داخلي. إنه ثقيلٌ ومستدير، وأنا معه في بلاء وعناء».

وردت المحارة الأخرى بانشراح فيه استعلاء: «الحمد للسماءات والبحار. لا أشعر في سري بأي ألم. أنا بخير وعافية داخلاً وخارجًا».

ومر في تلك اللحظة سلطان مائي، وسمع المحارتين وهما تساقطان الحديث، وقال للتي هي بخير وعافية داخلاً وخارجًا: «نعم! أنت بخير وعافية. ولكن الألم الذي تحمله جارتكم في داخلها، إنما هو لولوة ذات جمالٍ لا حد له».

جسد وروح

جلس رجل وامرأة بجانب شبابيك يطل على الربع، وكانت جلسهما يجعلهما جد متقاربين، فقالت المرأة: «أنا أحبك. أنت جميل، وغني، وأنت أبداً ودائماً على جانب كبير من الجاذبية».

وقال الرجل: «وأنا أحبك. أنت فكرة جميلة، بل أنت شيءٌ تسامى عن أن تناهيه يد. أنت أغنية في حلمي!».

غير أن المرأة أدارت وجهها عنه وانفكت غاضبةً وقالت: «أرجوك أيتها السيد أن تفارقني منذ اللحظة، فأنا لست فكرة، ولا شيئاً يطوف بك في

أحلامك. أنا امرأة وأود أن تستيقظ إليّ، أن تستهيني. أنا زوجة وأم لأطفال لم يولدوا بعد».

وافترقا... .

وقال الرجل في سرّه: «ها هو ذا حلم آخر تبدّد منذ الآن، وتحول إلى ضباب». .

وقالت المرأة، وهي تتأمل وحيدة: «مالذي ولرجل يحوّلني إلى ضباب وحلم؟»

الملك

أحاط شعب مملكة صادق بقصر الملك، وراح الجماهير تصرخ ثائرة عليه، فنزل هذا من علیاء قصره، وقد حمل تاجه بيده، وصوّل جانه باليد الأخرى، واستحوذ على الجماهير حين أبصرته صمت مهيبٌ وقور، ووقف أمامهم وقال: «أيها الأصدقاء! لست بعد الآن رعاعيٍ فها أنا أتخلّى عن تاجي وصوّل جانبي لكم، وببُودي أن أكون واحداً منكم. لست سوى رجل عادي، غير أنني أود كرجل، أن أعمل معكم، ونجهد جميعاً في أن يكون حظناً أوفى وأجمل وأحسن. لا حاجة إلى ملكاً فلنذهب إذن إلى الحقوق والكرم ونشتغل يداً بيدي. كلّ ما أريد منكم أن تدللوني على الحقل أو الكرم الذي ينبغي لي أن أذهب إليه، فكلّ واحد منكم الآن ملكاً».

وعجب الناس، وخيم عليهم الهدوء، فالملك الذي حسبوه مصدر بلائهم، تخلّى الآن عن تاجه وصوّل جانه وسلمهما لهم، وأصبح كأي واحد منهم.

ثم ذهب كلّ منهم في سبيله، ومشى الملك مع أحدهم إلى بعض الحقوق.

إلا أن مملكة صادق لم تسر أحسن مما كانت، وعادت سحب السخط والاستياء تتلبد وتتراكم في آفاقها وعلى أرضها، وعاد الناس يصرخون بأعلى أصواتهم في الساحات العامة، أنهم يريدون من يحكم بينهم ويدير أمورهم، وصاحب الشيب والشبان قائلين بصوت واحد: «نريد ملكتنا».

وبحثوا عن الملك فوجدوه يكدر في الحقل، وأتوا به إلى مكانه، وسلموه تاجه وصولجانه، وقالوا: «الآن أحكمنا بعزم وعدل».

قال: «سأحكمكم في الحقيقة بعزم، وأدعوا آلهة السماء والأرض أن تعينني على أن أحكمكم أيضاً بعدل».

ثم جاءه رجال ونساء كلّموه في شأن والي أساء معاملتهم، واتخذ منهم عبيداً، وما كان ينظر إليهم إلا على أنهم عبيد، فأمر الملك رأساً بإحضار الوالي، حتى إذا مثل بين يديه قال له: «إن حياة إنسان في موازين الله تعادل حياة أي إنسان غيره. وما دمت لا تعرف كيف تزن حيوان هؤلاء الذين يعملون في حقولك وكرومك، فقد نفيتك وعليك أن تترك هذه المملكة إلى الأبد».

وفي اليوم التالي جاءت الملك جماعة أخرى وكلّمته في شأن أميرة قاسية القلب تقيم وراء التلال، وحدّثته عن المؤسس الذي نشرته في البلاد، فجاء فوراً بالأميرة، وحكم عليها الملك أيضاً بالنفي قائلاً: «إن هؤلاء الذين يحرثون حقولنا ويبدلون العناية بکرومنا أشرف منا نحن الذين نأكل الخبز الذي يصنعون، ونشرب الخمرة التي يعصرون، وما دمت لا تعرفي ذلك، فإن عليك أن تتركي هذه الأرض وتبتعدى عن هذه المملكة».

ثم جاءه رجال ونسوة أخبروه أن الأسقف يرغّبهم على حمل الحجارة ونحتها لإقامة الكنيسة، ثم لا يعطيهم شيئاً لقاء عملهم هذا، وهم يعرفون أن خزائن الأسقف ملأى بالذهب والفضة، وبيتون مع ذلك على الجوع لا يجدون ما يقتاتون به.

ونودي على الأسقف، وحين مثل بين يدي الملك قال له: «هذا الصليب

الذي تحمله على صدرك، إنما يعني إعطاء حياة لقاء حياة. ولكن أنت أخذت حيَاةً من حياة دون أن تعطي شيئاً. ولذا، عليك أن تترك هذه المملكة، وأن لا تعود أبداً».

وهكذا، مر شهر بأكمله على الملك، وكل يوم يأتيه فيه رجال ونساء يخبرونه عن الأعباء التي أقيمت على كواهلهم، وكان كل يوم يمر من ذلك الشهر، يشهد ظالماً أو أكثر ينفي من البلاد.

وعجب شعب صادق، وامتلأت القلوب غبطة وفرحاً.

وذات يوم أقبل الشيب والشبان وأحاطوا ببرج الملك ونادوه فأتاهم وهو يحمل تاجه بيده، وصوّلجانه بيده.

ثم خاطبهم قائلاً: «والآن ماذا تريدون مني؟ ها أنا أعيد إليّكم الأشياء التي رغبتم إلى في حملها».

ولكنهم صاحوا: «لا! لا أنت ملكنا الصالح، العادل. لقد جعلت أرضنا نظيفة من الأفاسدي، ورددتها خلوا من الذئاب، ونحن جئنا نترنم بحمدك والثناء عليك. الناج لك في جلال، والصوّلجان لك في مجد».

أجاب الملك عندئذ قائلاً: «لا. لست أنا! لست أنتم أنفسكم الملك. فأنتم حين قدرتم بي الضعف وسوء الحكم، كنتم أنفسكم ضعافاً سيئي الأحكام. والآن إنما تسير البلاد سيرها الحسن، لأن تلك هي مشيّتكم. ما أنا إلا فكرة في عقولكم جميعها، ولا وجود لي إلا في أعمالكم، ليس هناك شخص اسمه حاكم. المحكومون وحدهم هم الذين وجدوا لي حكموا أنفسهم».

وعاد الملك فدخل برجه مع تاجه وصوّلجانه ومضى الشبان والشيب كلّ في سبيله وهم في غبطة وسرور.

وكان كل واحد يحسب في نفسه أنه ملك يحمل تاجاً بيده، وصوّلجاناً بيده.

على الرمل

قال رجل لآخر: «كتبت بطرف حذائي، عندما ارتفع مَدَ البحر، سطراً على الرمل. ولا يزال الناس يتوقفون عنده ليقرأوه، ويحرصون على أن لا يمحوه في المستقبل شيء».

وقال الرجل الآخر: «وأنا كتبت أيضاً سطراً على الرمل، ولكن كان ذلك عندما انخفض المَدَ، وجاءت أمواج البحر فمحته، ولكن قل لي: ماذا كتبت؟».

أجاب الرجل الأول وقال: «كتبت هذا: «أنا من هو كائن». وأنت ماذا كتبت؟».

وقال الآخر: «هذا ما كتبت: لست سوى قطرة من هذا الأوقیانوس الكبير».

الهدايا الثلاث

كان في مدينة بشري مرّةً، أمير عطوف، محبوب ومقدّر من جميع رعاياه.

غير أنه كان ثمة رجل فقير الحال، معدم، جعل دأبه ودينه ذمّ الأمير، والتشهير به، وتحريك لسانه أبداً ودائماً في التشنيع عليه.

وكان الأمير يعرف ذلك، ولكنه ظلّ صابراً لا يحرك في شأنه ساكناً. وأخيراً خطر بباله أن يضع له حداً، وأرسل إليه في ليلة من ليالي الشتاء خادمه، وحمله كيس طحين، وعلبة صابون، و قالب سكر.

قرع الخادم باب الرجل وقال: «أرسل إليك الأمير هذه الهدايا، علامة تذكرة، ودليل رعاية».

وشعر الرجل بالزهو، وأخذه العجب، إذ حسب أن الهدايا تكريما من الأمير له، وذهب في نشوة الكبرياء إلى المطران وأخبره بما فعل الأمير قائلا: «ألا ترى كيف أن الأمير يطلب رضاي؟».

ولكن المطران قال: «إيه! ما أحكم الأمير، وما أقل فطنتك! إنه يتكلم بالرموز. الطحين لمعدتك الفارغة، والصابون لقذارة سريرتك والسكر ليحلو لسانك المر».

وأصبح الرجل خجلاً منذ ذلك اليوم، حتى من نفسه، واشتدت كراهيته للأمير كما لم تكن من قبل قط، وامتدت هذه الكراهية للمطران الذي كشف له طريرة الأمير، وأطلعه على مقاصده.

إلا أنه سكت بعد ذلك، ولم يتعرض للأمير بكلمة.....

السلم وال الحرب

كان مرة ثلاثة كلاب في الشمس يتدافؤن ويتحدون.

قال الكلب الأول بلهجة الحال: «إنه حقاً لعجب أن نعيش في هذا اليوم عيشة الكلاب. فكر في هذا اليسر الذي نسافر به تحت البحر، وفوق البر، وحتى في الجو. وتأمل الاختراعات التي أنت بالرفاهية للكلاب، وتمتعت بها عيوننا وأذاننا وأنوفنا».

وتكلم الكلب الثاني وقال: «إننا أكثر عنابة بالفنون. إننا ننبع القمر على نحو أكثر إيقاعاً مما كان يفعل أجدادنا، وعندما نحدق إلى أنفسنا في الماء، نرى ملامحنا أنقى من ملامح الأمس وأوضخ».

وتقدم الكلب الثالث وقال: «غير أن الذي يشوقني أكثر من كلّ ما يشوق، ويخلب لبي، إنما هو هذا التفاهم القائم بين ممالك الكلاب!».

ونظر الكلاب الثلاثة إلى ما حولهم في تلك اللحظة، وإذا بمطارد الكلاب يقترب. يا للهول!

ووثب الثلاثة، وضربوا على غير هدى في الشارع. وفيما كانوا يركضون، صاح الكلب الثالث فيهم قائلاً: «اركضوا بالله، من أجل حياتكم، المدنية وراءنا تتبعنا».

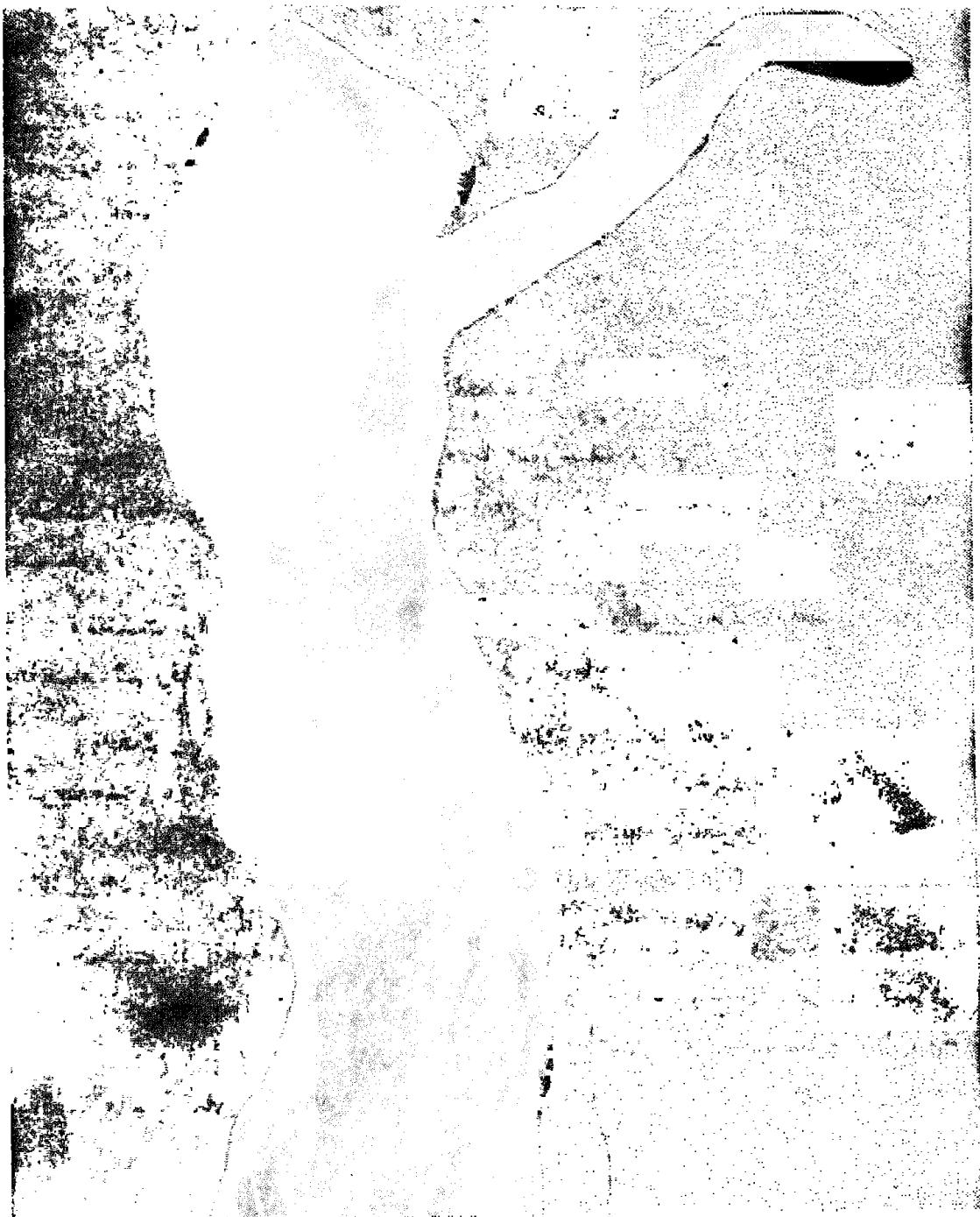
الراقصة

جمعت مرةً راقصة ترافقها جوقة الموسيقية، إلى بلاط أمير برakash، فأحسنت الحاشية استقبالها، ورقصت أمام الأمير على موسيقى العود والشابة والسنطور.

رقصت رقصة اللهب، ورقصة السيف والرماح، ورقصة النجوم والفضاء، ثم رقصت أخيراً رقصة الأزهار في الرياح.

وقفت بعد ذلك أمام العرش، وانحنىت بجسمها للأمير، فأمرها هذا أن تقترب منه، وقال لها: «أيتها المرأة الجميلة، يا ابنة النعيم والفرح، من أين أتيتِ بفتنك؟ وكيف أتيح لك أن تقددي عناصر الطبيعة وتصرفيها على إيقاعاتك وقوافيك؟».

انحنىت الراقصة ثانية أمام الأمير، وأجابت: «أنا لا أعرف، يا صاحب السمو والنعمـة، جواب أسئلتك. كلّ ما أعرفه هو هذا: روح الفيلسوف تقيم في رأسه، وروح الشاعر في قلبه، وروح المغني تعيش في حنجرته، أما روح الراقصة فإنها تقطن في جسدها كله».



«الراقصة»

الملائكة الحارسان

التقى ذات مساء ملائكة عند بوابة المدينة، وتبادلوا التحية، وراحوا يتحدثان.

قال أحدهما: «ماذا تعمل في هذه الأيام، وما هي المهمة التي أُسندت إليك؟».

أجاب الآخر: «أُسندت إليّ حراسة إنسان سقط، وهو يعيش في الوادي، وكان خاطئاً كبيراً، هوى إلى أحطّ الدرجات. واسمح لي أن أؤكّد لك أنه واجب ضعف، خطير، أكابد منه عناً كبيراً».

قال الملك الأول: «تلك مهمة يسيرة، فكثيراً ما تعرّفت إلى خاطئين وكانت حارساً لهم أكثر من مرّة. وقد أُسند إليّ أخيراً حراسة قديس طيب القلب والنفس يعيش في ظلّ خيمةٍ من أغصان الشجر، منقطعاً عن الناس، معزولاً، بعيداً. وإنني لأؤكّد لك أن ذلك عمل في متنها الصعبوبة والدقة».

قال الملك الثاني: «ليس هذا سوى ادعاء محض، إذ كيف يمكن أن تكون حراسة قديس أصعب من حراسة حاطئ؟».

أجابه الآخر: «آيةٌ قِحةٌ هذه أن تحسّبني مدعياً أنا لم أفرّر سوى الحقيقة. ويبدو لي أنك أنت المدعى!»

وهنا أخذ الملائكة في شجار وعراء، بدأ بالكلام، وانتهى بالقبضات والأجنحة.

وفيما كانا يتعاركان مزّ بهما ملوك أعلى، فوقف وقال: «لم تتنازعان؟ وما هو الأمر الذي جرّكما إلى هذا العراق كلّه؟ ألا تعلمأن أن العراق بين الحرّس من الملائكة أبعد ما يكون عن اللياقة، ولا سيما عند بوابة المدينة؟ أخبراني، ما هو الخلاف بينكم؟».

وراح الملائكة يتكلمان معاً في آن واحد، وكلّ يدعى أن العمل الذي

وَكِلَّ إِلَيْهِ أَصْبَعٌ مِنْ عَمَلِ زَمِيلِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحْقُ الْإِقْرَارَ الْأَكْبَرَ بِفَضْلِهِ.
هَذَا الْمَلَكُ الْأَعْلَى رَأْسَهُ وَأَمْعَنْ يَتَأْمِلُ . . .

أَخِيرًا قَالَ: «لَا أَسْتَطِيعُ يَا صَاحِبِي أَنْ أَقُولَ لِكُمَا إِنَّمَا أَحْتَقَ
بِالشَّرْفِ الْأَكْبَرِ وَالْمَكَافَأَةِ الْأُولَى، وَلَكِنَّ مَا دَامَتِ السُّلْطَةُ مُمْنَوَّحَةً لِي، فَلَيْسَ
أَعْطَيْتُ لِكُلِّ مِنْكُمَا عَمَلَ الْآخِرِ، حَفَاظًا عَلَى السَّلَامَةِ وَتَأْمِينًا لِلْحُرَاسَةِ، وَسِيقُونَ
كُلَّ مِنْكُمَا مُغْبِطًا، وَهُوَ الَّذِي يَصْرُّ عَلَى أَنْ وَاجْبَ الْآخِرِ أَيْسَرُ مِنْ وَاجْبِ
زَمِيلِهِ. اذْهَبَا إِلَيْنَا، وَلِيُسَعِّدَ كُلَّ مِنْكُمَا بِالْعَمَلِ الَّذِي أَسْنَدْتُ إِلَيْهِ».

وَمَضَى الْمَلَكَانِ يَنْقَدَانِ الْأَمْرَ الَّذِي وَجَهَ إِلَيْهِمَا، غَيْرَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
رَاحَ يَنْظَرُ وَرَاءَهُ إِلَى الْمَلَكِ الْأَعْلَى، شَزِرًا، وَيَقُولُ فِي سَرِّهِ: «أَأُهُمْ مِنْ هُؤُلَاءِ
الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى؟ إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْحَيَاةَ لَنَا نَحْنُ الْمَلَائِكَةُ، أَعْسَرُ فَاعِسِرٍ، يَوْمًا
بَعْدَ يَوْمٍ».

وَلَكِنَّ الْمَلَكَ الْأَعْلَى وَقَفَ هُنَاكَ، وَرَاحَ يَحْدُثُ نَفْسَهُ، وَيَقُولُ فِي
سَرِّهِ: «عَلَيْنَا، فِي الْوَاقِعِ، أَنْ نَكُونَ حَدَّرِينِ، وَأَنْ نَقِيمَ حَرْسًا عَلَى الْمَلَائِكَةِ
الْحَارِسِينِ».

التمثال

كَانَ ثَمَةَ رَجُلٍ يَعِيشُ فَوقَ الرَّوَابِيِّ، وَلَدِيهِ تَمَثَالٌ نَحْتَهُ أَحَدُ الْأَسَاتِذَةِ
الْأَقْدَمِينِ، وَقَدْ أَقْيَى مَطْرُوحًا عَلَى الْأَرْضِ أَمَامَ بَابِهِ، فَلَمْ يَكُنْ يُعْبَرُ أَدْنَى
اِهْتِمَامٍ.

وَمِنْ ذَاتِ يَوْمٍ بَمْتَزَلَهُ رَجُلٌ مِنْ الْمَدِينَةِ، كَانَ ذَا بَصَرٍ وَمَعْرِفَةٍ، وَمَذْ شَاهَدَ
الْتَّمَثَالَ، سَأَلَ عَنْ صَاحِبِهِ يَرِيدُ شَرَاءَهُ.

ضَحِّكَ صَاحِبُ التَّمَثَالَ وَقَالَ: «أَفَأَنْتَ تَرْجُو مِنْ يَوْمٍ أَنْ يَجِدَ شَارِيًّا لِهَذَا
الْحَجَرِ الْقَدْرِ الْكَاسِدِ؟»

قال ابن المدينة: «أعطيك هذه القطعة من الفضة لقاءه». ودهش الرجل وفرح.

ونقل التمثال إلى المدينة على ظهر فيل، وذهب رجل الروابي إلى المدينة في زيارة، بعد عدة أشهر. وفيما هو يجوب شوارعها، وقع نظره على جمهور من الناس أمام دكان، وفيهم رجل يصرخ بصوت عالٍ: «تعالوا وادخلوا، هنا هنا أجمل وأعجب تمثالٍ في العالم كله. يمكنكم بقطعتين فقط من الفضة أن تشاهدوه أبدع ما صنع أستاذٌ في فن النحت».

وعند ذاك، دفع رجل الروابي قطعتين من الفضة، ودخل الدكان ليشهد التمثال، فإذا هو ذاك الذي كان قد باعه بقطعة واحدة من الفضة!

المبادلة

لقي شاعر فقير مرة غبياً عند ملتقي طرق، ودار بينهما حديث طويل. وكان كل ما قالاه ينمّ عن استياء وسخط، ولا شيء سوى سخط واستياء.

ومر آنذاك ملاك الطريق، ووضع يده على كتف الرجلين، وإذا بمعجزة تتحقق: لقد انتقلت أملاك كلّ منهما للأخر.

ثم انصرفا، وكان أغرب ما جرى لهما أن الشاعر نظر فلم يجد في يده شيئاً سوى رمل جاف متحرك، والغبي أغمض عينيه ولم يشعر بشيء سوى قيمة متحركة في قلبه!

حب وبغض

قالت امرأة لرجل: «أنا أحبك». وقال الرجل: «إنما أكون أهلاً لحبك هذا، في قلبي».

وقالت المرأة: «ألا تحبني أنت؟» وحدق الرجل إليها مليئاً ولم يقل شيئاً.

عند ذاك صرخت المرأة بصوت عالٍ: «أنا أكرهك». وقال الرجل: «إنما أكون إذن أهلاً لبغضك، في قلبي أيضاً».

أحلام

رأى رجل حلماً في نومه، وعندما أفاق ذهب إلى عرافه، وطلب إليه أن يفسر له رؤياه.

قال العراف للرجل: «تعال إليّ مع الأحلام التي تراها في يقظتك، وسأخبرك عن معناها، أما الأحلام التي تراها في نومك فإنها مما لا تثاله معرفتي، ولا يدركه خيالي».

المجنون

كان ذلك في حديقة المارستان: لقيت شاباً شاحب الوجه، رائع الطلعة، يشير العجب.

وجلس بجانبه على المقعد وقلت: «لِمَ أنت هنا؟».

نظر إليّ بدهشة وقال: «ذاك سؤال غير لائق، ولكنني أجيب عنه مع ذلك: أراد أبي أن يجعل مني نسخة جديدة عنه، وكذلك أراد عمي. وشاءت

والدتي أن أكون صورة عن أبيها الشهير، وأختي شاءت أن تجعل لي من زوجها البحار المثل الأكمل الذي ينبغي لي أن أقتدي به. وأخي حسب أن علي أن أكون مثله، بطلًا رياضيًّا مرموقًا.

«وكذلك هو شأن أساتذتي، من الدكتور في الفلسفة، إلى أستاذ الموسيقى، إلى المناطقة، قرروا جميعهم، وكل واحد منهم أرادني على أن أكون انعكاساً لوجهه في مرآة.

«ولذلك، جئت إلى هذا المكان. وإنني لأجده أرداً بالسلامة على والعافية. فأنا أستطيع به أن أكون إياتي، لا غيري، على الأقل».

ثم دار فجأة نحوه، وقال: «ولكن قل لي: هل ساقتك إلى هذا المكان أيضاً نصائح الآخرين ورغبتهم في تثقيفك؟». أجبته: «لا! أنا زائر».

قال: «أنت إذن واحدٌ من أولئك الذين يعيشون في المارستان القائم وراء الجانب الآخر من الجدار».

الضفادع

قالت ضفدعه لرفيقتها، في يوم من أيام الصيف: «أنا أخشى أن نزوح أولئك القوم الذين يقيمون في ذلك البيت، على الشاطئ، بأغانينا الليلية». أجبت رفيقتها قائلة: «حسنًا ولكن لا تجدين أنهم يغترون صمتنا أثناء النهار بثرثرتهم؟».

قالت الضفدعه: «يجب أن لا يغرب عن بنا أننا نكرر الغناء، ونغلو في الإكثار منه، أثناء الليل!».

قالت رفيقتها: «ويجب أن لا يغرب عن بنا أنهم يكثرون الضجيج

والثرثرة، ويغاللون في اللعنة أثناء النهار».

قالت الضفدعه: «ما القول في فعل الضفادع الذي يزعج الجيران كلهم بهديره المحرّم؟».

أجابت رفيقتها: «نعم! وما تقولين في السياسي والكافر والعالم الذين يرتادون هذا الشاطئ ويملاون الهواء بضوضاء لا روئ لها ولا إيقاعاً؟».

قالت الضفدعه: «حسن! فلنكن أفضل من هذه الكائنات البشرية. لنبدأ في الليل، ولنحتفظ بأغانينا في قلوبنا، حتى وإن تاق القمر إلى أنغامنا، وتطلعت النجوم إلى إيقاعنا، لنصمت ليلة أو ليلتين على الأقل، وحتى ثلاث ليال متواлиات».

قالت رفيقتها: «حسن جدًا! أنا أافق. وسنرى ما سينجم عن طيبة قلبك».

وأمرت تلك الليلة، والضفادع صامتة، وصممت أيضًا في الليلة التي تلت، ثم في الليلة الثالثة.

وكان أغرب ما جرى أن المرأة الثرثارة التي كانت تقيم في البيت القائم بجانب البحيرة، نزلت في اليوم الثالث تتناول فطورها، وصاحت لزوجها: «ومنت الليالي الثلاث الماضية لم أذق خلالها طعم النوم، لقد كنت أغفو على نقيق الضفادع، ولا بد من أن يكون هنالك شيء قد حدث، فإني لم أسمع لها صوتاً منذ ليالٍ ثلاث، ويكاد جنوبي يُجنّ من الأرق».

سمعت الضفدعه هذا الكلام، ودارت نحو رفيقتها، وقالت وهي تغمز بطرف عينها: «ونحن كدنا نجنّ من الصمت. ألم نكد نجن؟».

أجابت رفيقتها: «أجل! كان صمت الليل ثقيلاً علينا. وقد أصبح في مستطاعي الآن أن أدرك أن لا حاجة بنا إلى الانقطاع عن الغناء، ترفيها عن أولئك الذين يملاؤن فراغ نفوسهم بالضجيج».

الشائع والتشريع

كان في العصور السالفة ملك كبير، وكان هذا الملك حكيمًا، وقد رغب في سن الشائع لرعاياه.

ودعا بآلف حكيم اختارهم من ألف قبيلة، وطلب إليهم سن القوانين ليعمل بها في المملكة الكبيرة، المترامية الأطراف.

وعندما وضعت القوانين المكتوبة على الرق - وعدها ألف - أمام الملك وأخذ في قراءتها، بكى في سرّه بكاء مرّاً، إذ لم يكن يعرف أن في مملكته ألف شكل للجريمة.

ثم دعا بكاتبه، وراح يملئ عليه بنفسه الشائع، والابتسامة تعلو شفتيه، حتى إذا انتهى لم يتجاوز عدد القوانين التي وضعها السبعة.

وتركه الحكماء الألف وهم غاضبون وعادوا إلى قبائلهم ومعهم الشائع التي سُنّوها، وراحت كل قبيلة تأخذ بالشريعة التي وضعها حكماؤها. لذلك، كان لديهم ألف شريعة حتى يومنا هذا.

إنه بلد كبير، ولكن لديه ألف سجن، وهذه السجون ملأى ببرجال ونساء من الخارجين على الألف شريعة.

إنه في الحقيقة بلد كبير، ولكن أهله تحدّروا من ألف مشرع وملك حكيم واحد.

أمس، واليوم، وغداً

قلت لصديقي: «هل ترى إلى اتكائها على ذراع ذلك الرجل؟ لقد كانت حتى الأمس تتکئ على ذراعي».

قال صديقي: «وغدا تتکئ على ذراعي».

قلت: «انظر إلى جلوسها بجانبه! لقد كانت حتى الأمس تجلس هكذا بجانبي».

أجاب: «غدا ستجلس بجانبي».

قلت: «انظرا إنها تشرب الخمرة من كأسه، وأمس كانت تشربها من كأسِي».

قال: «غدا تشربها من كأسِي».

قلت: «انظر كيف تتحقق إلية بحنان، وعيين مستسلمتين. كانت حتى أمس تتحقق هكذا إلية».

قال صديقي: «يمكن أن تتحقق إلية هكذا غداً».

قلت: «ألا تسمعها الآن وهي تتمتم بترانيم الحب في أذنيه؟ هذه الترانيم ذاتها هي التي كانت تتمتمها حتى الأمس في أذني».

قال: «وغدا ستهمس بها في أذني».

قلت: «انظرا إنها تعانقه. كانت إلى أمس فقط تعانقني».

قال: «غدا ستعانقني أيضاً».

قلت عندئذ: «يا لها من امرأة غريبة!».

ولكنه أجابني: «إنها شبيهة بالحياة يتمتع بها كل الرجال، وشبيهة بالموت تفهُر كل الرجال، وشبيهة بالأبدية تحضن كل الرجال».

(١) وردت هذه القطعة بلغة جبران العربية في المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية صفحة ٦٠٥ - طبعة دار الجيل.

الفيلسوف والإسکافي

جاء مرة فیلسوف بحذاء ممزق، إلى دکان اسکافی، وقال له: «أرجو إصلاح حذائي».

قال الإسکافی: «أنا أصلح الآن حذاء رجل آخر، ولدي أحذية أخرى، مضطّر إلى ترقيعها، قبل أن يصل الدور لحذائك». غير أن في إمكانك أن تتركه هنا، وتلبس هذا الحذاء اليوم، وغداً تأتي وتلبس حذاءك بعد أن تكون قد أصلحته».

اغتاظ الفیلسوف وقال: «أنا لا ألبس حذاء ليس لي».

قال الإسکافی: «حسن إذن! أحقاً أنت فیلسوف ولا تستطيع أن تضع قدميك في حذاء رجل آخر؟ هناك في أول هذا الشارع نفسه إسکافی آخر، يفهم الفلسفه أكثر مني، اذهب إليه للقيام بعملية الإصلاح».

بناء الجسور

أقيم في انطاکية، حيث يجري نهر العاصي ليصب في البحر، جسر يصل نصف المدينة بنصفها الآخر، وقد بني من حجارة عريضة نقلت من الروابي على ظهور بغال انطاکية.

وعندما انتهى الجسر، نقش على أحد أعمدته باللغة اليونانية والأرامية: «بني هذا الجسر الملك انطیوخوس الثاني».

وكان الناس جميعهم يعبرون من ضفة إلى ضفة فوق الجسر الذي وصل ما انقطع بين نصفي المدينة.

وذات مساء نزل شاب يحسبه البعض مجنوناً إلى حد ما، واستمر ينزل حتى بلغ العمود الذي نقشت عليه تلك الكلمات، وغطّاها بالفحم، وكتب

فوقها: «حجارة هذا الجسر جيء بها من الروابي على ظهور البغال. وانتم إذ تمرون فوقه جيئة وذهباء، إنما تركبون ظهور بغال انطاكية بُنَاه هذَا الجسْر». .

وعندما قرأ الناس ما كتبه الشاب، ضحك بعضهم، وتعجب آخرون. وفيهم من قال: «ها نعم! إنّا لنتعرف الذي فعل ذلك. أما هو ذلك المجنون الصغير؟».

ولكن بغلًا قال، وهو يضحك، لبغل آخر: «ألا تتذكّر أتنا حملنا تلك الأحجار؟ ومع ذلك، لا يزال هناك من يقول حتى الآن، إن الملك أنطيوخوس هو الذي بنى الجسر».

حقل زااد

لقي مسافر على طريق زااد، رجلاً كان يقيم في قرية مجاورة، فسأل المسافر الرجل، وهو يشير بيده إلى حقل واسع: «ألم يكن هذا الحقل ساحة القتال الذي انتصر به الملك أهلام على أعدائه؟».

أجاب الرجل قائلاً: «هذا لم يكن قط ساحة قتال، وإنما كانت تقوم هناك مدينة زااد الكبيرة، وقد أحرقت حتى تحولت إلى رماد، غير أنها أصبحت الآن حقلًا خصبياً. أما هي كذلك؟».

وانصرف كل من الرجل والمسافر إلى شأنه.

و قبل أن يقطع المسافر نصف ميل بعد، لقي رجلاً آخر، وأشار بيده إلى الحقل مرة ثانية، وقال: «أهذا هو المكان الذي كانت تقوم فيه مدينة زااد الكبرى؟».

قال الرجل: لم يكن ثمة مدينة في هذا المكان فقط. وإنما كان هناك مرة دير، وقد دُمر على أيدي فتنة من أهل القطر الجنوبي».

وبعد قليل لقي المسافر، على طريق زاد نفسمها، رجلاً ثالثاً وأشار مرة أخرى إلى الحقل الفسيح وقال: «أليس صحيحاً أن هذا هو المكان الذي كان يقوم فيه دير كبير من قبل؟».

أجابه الرجل: «لم يكن قطًّا في هذا الجوار دير، ولكن آباءنا وأجدادنا أخبرونا أن شهاباً كبيراً وقع مرّة فوق هذا الحقل».

وتبع المسافر سيره، متعجبًا في سره. ثم لقي، وهو يمشي، رجلاً عجوزاً طاعناً في السن، فحياء، وقال له: «لقيت أيها السيد، على هذه الطريق ثلاثة رجال يقيمون في هذا الجوار، وقد سالت كل واحد منهم عن هذا الحقل، وكل واحد منهم نفى ما قاله الآخر، وروى لي حكاية جديدة لم يذكرها الآخر».

رفع الشيخ العجوز رأسه، وأجاب: «كل واحد من هؤلاء الرجال أخبرك في الحقيقة، يا صاحبي، بما كان. ولكن قلةً منا هم الذين يقدرون على إضافة واقع إلى واقع مختلف، ويؤلفون من ذلك حقيقة».

الحزام الذهبي

تلقي ذات يوم رجلان كانا يسيران على الطريق إلى سالاميس، مدينة الأعمدة، فترافقا، ووصلَا عند متتصف الأصيل إلى نهر عريضٍ، وليس من جسرٍ يربط بين ضفتيه، فكان عليهما أن يسبحا، أو يسلكا طريقاً آخر لا يعرفانه.

وقال واحدهما للآخر: «فلننسبح! فالنهر ليس عريضاً لدرجة نتجسم بها مشقة السير على طريق نجهله». وألقيا بنفسيهما للماء.

وما هي إلا فترة قصيرة حتى أخذ أحدهما يفقد فجأة توازنه، ويدفعه التيار بعيداً، وهو لا يملك من أمره شيئاً، وكان من قبل يعرف الأنهر ومسالكها،

بينما الآخر الذي لم يسبح قطّ من قبل، قطع النهر على خطٍّ مستقيم، ووقف على الضفة المقابلة. ومذ بصر رفيقه يصارع التيار، قذف بنفسه ثانية في الماء وجزءه سالماً إلى الشطّ.

وقال الرجل الذي جرفه التيار: «أخبرتني ألك لا تحسن السباحة، فكيف إذن قطعت النهر بمثل هذه الثقة؟».

أجاب الرجل: «أتري يا صديقي إلى هذا الحزام الذهبي الذي يطوقني؟ إنه مليء بالنقود الذهبية التي حصلت عليها خلال عام كامل من العمل، في سبيل زوجتي وأولادي. إنها قيمة هذا الحزام الذهبي التي حملتني عبر النهر، إلى زوجتي وأولادي، وهو لاء كانوا فوق كتفي وأنا أسبح».

وابع الرجالان سيرهما معاً نحو سالميس

التراب الأحمر

قالت شجرة لرجل: «إن جذوري توغل عمقاً في التراب الأحمر، وسأعطيك من ثمرِي».

وقال الرجل للشجرة: «ما أشبه الواحد منا بالآخر. إن جذوري عميقَة أيضاً في التراب الأحمر، والتراب الأحمر يمنحك القوة لتهببني من ثميرك، وهو الذي يعلمني أن أتقبل منك مع الامتنان».

البدر الكامل

طلع البدر كاماً، مجيداً، على المدينة، وراحت كلاب تلك المدينة جميعها، تتبع القمر.

إلا أن هناك كلباً واحداً لم ينبح، قال لرفاقه بصوت صارم: «لن توقفوا الموات من سباته، ولن تنزلوا القمر إلى الأرض بالنباح».

وأنقطع حينئذ جميع الكلاب عن النباح، وساد صمت راعب. ولكن الكلب الذي كلام الجميع، استمر في نباحه من أجل الصمت، طوال الليل بأكمله.

النبي الناسك

كان هناك مرة نبيّ منقطع للعبادة والنسك، ولم يكن يترك صومعته سوى ثلاث مرات في الشهر، يذهب خلالها إلى المدينة. يعظ الناس في الأسواق ويدعوهم إلى بذل العون والمشاركة في حمل الأعباء. وكان فصيحاً بليناً، قادراً على الإقناع، حتى طار صيته في طول البلاد وعرضها.

وذات يوم قدم إلى صومعته ثلاثة رجال، حيّاهم وأكرم وفادتهم ثم قالوا له: «وعزت الناس بالبذل والمشاركة». وكنت تبغي تعليم أولئك الذين لديهم الكثير، أن يقدموا لمن ليس لديهم سوى القليل، ونحن لا يخامرنا شك في أن شهرتك عادت عليك بأموال طائلة. فالآن، تعال وقدم لنا من أموالك، فإننا في حاجة وفاقة».

أجاب الناسك وقال: «ليس لدي أيها الأصدقاء شيء سوى هذا الفراش وهذا اللحاف وهذا الإبريق. خذوها إذا كنتم ترغبون فيها. أنا لا أملك فضة ولا ذهباً».

عند ذلك نظروا إليه بازدراء، وأداروا وجوههم عنه، ووقف آخرهم عند الباب لحظةً وقال: «أوه! أنت تخادع! إنك لتعلم وتعظ أشياء لم تبدأ بتحقيقها في نفسك!».

الخمرة العتيقة، العتيقة

كان غني مرة كثير الافتخار بقبوه والخمر المعتقة فيه، وكان ثمة إبريق احتفظ به لمناسبة لا يعرفها أحد غيره.

زاره حاكم الدولة، فأبدى له امتنانه على زيارته وقال له: «لن يفرغ هذا الإبريق من أجل حاكم تفضل بزيارة.»

زاره مطران الأبرشية فقال لنفسه: «لا لن أفرغ هذا الإبريق، فهو لن يعرف قيمته، ولن يبلغ أريجه أنهه.»

وجاء أمير المملكة وتناول عشاءه معه، فقال الغني في سره: «إنها خمرة ملكية، فلا يصح إهراقها من أجل أميراً»
وقال لنفسه أيضاً. حتى عندما تزوج ابن أخيه: «لا ليس لمثل هؤلاء الضيوف يفرغ مثل ذلك الإبريق!»
ومرت الأعوام تتلوها الأعوام، ومات عجوزاً، متهاوتاً، ودفن في التراب كأي بدرة أو بلوطة.

وفي اليوم الذي دقّن به، جيء بالإبريق الذي لم يستُّ به لأحد، مع غيره من آباريق الخمر، وتقاسمه فلأحو الجوار، وما من أحد عرف عمره الكبير.
كان في نظر الدين شربوه خمراً كغيرها من الخمور.

القصيدتان

تلقي على طريق أثينا، قبل قرونٍ متطاولة شاعران، وكان كل واحدٍ منهم مسروراً بلقاء الآخر.

سأل أحدهما الثاني قائلاً: «ماذا نظمت أخيراً، وكيف هي قريحتك في هذه الأيام؟».

أجاب الثاني بزهو قائلاً: «لقد انتهيت إلى لحظات خلت من نظم أروع
قصيدة قيلت حتى الآن بالاغريقية. إنها مناجاة لزوس الأعلى!»

ثم تناول من باطن جلبابه رقاً، وقال: «ها هي هنا. إنها معى. وإنه
ليسرني أن أتلوها عليك، تعال ولنجلس في ظل هاتيك السروة البيضاء.»
وراح الشاعر يتلو قصيده، وكانت طويلة.

وقال له الشاعر الآخر برقة ولطف: «إنها قصيدة طويلة. ستظل حية مدى
العصور، وستمجدهك عليها الأجيال.»

قال الأول بهدوء: «وماذا نظمت أنت آخر ما نظمت؟»
أجاب الثاني: «لم أنظم سوى القليل، نظمت ثمانية أبيات فقط تذكاراً
لصبيٍ كان يلعب في الحديقة.» وتلا الأبيات.

قال الشاعر الأول: «ليس ردئاً للدرجة كبيرة. ليس ردئاً للدرجة كبيرة»
ومضياً.

واليوم بعد ألفي سنة، لا تزال الأبيات الثمانية التي نظمها الشاعر الثاني
تدور على كل لسان، ويرددها الناس بإعجاب وإعزاز.
أما القصيدة الطويلة، فإنها وإن تناقلتها الأجيال من بعد في المكتبات
وحجرات الباحثين والدارسين، وكان الناس يذكرونها، لا تلقى من يحبها، ولا
من يتلوها.

الليدي روث

وقف مرة ثلاثة رجال يتأملون من بعيد بيضاء أبيض اللون يقوم وحده فوق
رابية خضراء، فقال أحدهم: «ذلك هو بيت الليدي روث، إنها ساحرة عجوز.»

وقال الثاني: «أنت مخطئٌ الليدي روث امرأة جميلة تعيش منقطعة
هناك إلى أحلامها.»

وقال الثالث: «كلاكم على خطأ، الليدي روث صاحبة هذه الأرض
الفسيعة، وهي تمتضى دم العبيد الذين يعملون فيها».
ومضوا يتجادلون حول الليدي روث.

وحيث بلغوا مفترق طرق لقوا رجلاً طاعناً في السن، فسأله أحدهم
 قائلاً: «هل لك أن تخبرنا ما شأن الليدي روث التي تقيم في ذلك البيت
الأبيض، فوق الرابية؟»

رفع الشيخ رأسه، وابتسم ساخراً منهم، وقال: «أنا في التسعين من
ستي، وإنني لا تذكر الليدي روث مذ كنت صبياً صغيراً، غير أن الليدي روث
ماتت منذ ثمانين عاماً، والبيت الآن خاوي تنعف فيه البويم، والناس يقولون
أحياناً: إنه مسكون».

الفارة والهر

لقي شاعر ذات مساءٍ فلاحاً، وكان الشاعر جافياً، والفلاح خجولاً، ومع
ذلك دار بينهما الحديث.

قال الفلاح: «دعني أقصن عليك قصة قصيرة سمعتها أخيراً، وقعت فارة
في فخ، وفيما كانت تأكل جبنة الفخ سعيدةً بالعثور عليها، وقف بجانبها هر.
ارتجمفت الفارة لأول وهلة، ولكنها كانت تعلم أنها في أمان داخل الفخ.

ثم قال الهر: «لقد أكلت آخر وجبة يا صديقتي»

أجبت الفارة: «إن لي حياة واحدة وإن سأموت ميتة واحدة. ولكن ما
شأنك أنت؟ لقد خبرتُ أن لك تسعة حيوانات. ألا يعني ذلك أنه سيكون عليك
أن تموت تسعة ميتات؟».

ونظر الفلاح إلى الشاعر وقال: «أليست هذه قصة غريبة؟»

لم يجده الشاعر، ولكنه مشى بعيداً عنه قائلاً في سره: «إن لنا على وجه التأكيد تسعة حيوانات، تسعة حيوانات على وجه التأكيد، وعلينا أن نموت تسعة مرات. تسعة مرات علينا أن نموت. ربما كان من الأفضل أن لا يكون لنا سوى حياة واحدة، أطبق عليها فخ، حياة فلاح مع قطعة جبن لآخر وجبة. أسناناً مع ذلك أنسباء السباع في الصحاري والأدغال!».

اللعنة

قال لي مرة بحار عجوز: «لقد مضى على ذلك البحار الذي خطف ابنتي وهرب بها ثلاثون عاماً. ورحت العنهم في قلبي، إذ كنت لا أحب في هذا العالم أحداً، سوى ابنتي».

«ولم يكدر يمضي زمن غير طويل على ذلك، حتى غاص البحار بمركبته إلى قاع البحر، وخسرته. وخسرت معه ابنتي الحبيبة».

«والآن انظر في إلى قاتل شاب وفتاة، إنها لعنتي التي قضت عليهما، وإنني لأرجو مغفرة الله وأنا في الطريق الآن إلى القبر».

هذا ما قاله العجوز، ولكن لهجته كانت تنم عن زهو وافتخار، ويبدو أنه لا يزال فخوراً بقوته لعنته».

الرمادات

كان لرجل مرةً عدد وافر من أشجار الرمان في بستانه. وكان في أكثر من خريف يضع رمانه على أطباق فضية خارج مسكنه، ويضع على الأطباق علامات يكتبها بيده: «خذ واحدة لقاء لا شيء. أهلاً بك».

غير أن الناس كانوا يمرون بالأطباق، وما من أحد يأخذ شيئاً من الشمار.
عند ذاك فكر الرجل في نفسه، حتى إذا أقبل الخريف التالي لم يضع
رماناً على أطباق فضية خارج منزله، ولكنه أبرز العلامة الآتية وكتبها بحروف
كبيرة: «لدينا هنا أفضل رمان تنتجه الأرض، ولكننا نبيعه بشمن أغلى من ثمان
سائير الرمان.»

وتدفق الناس عليه بعد ذلك من رجال الجيرة ونسائهم يشترون.

الله والآلهة العديدة

جلس سفسطائي في مدينة كيلافيس، على درج المعبد، وراح يدعو
الناس إلى الآلهة العديدة، والناس يقولون في قلوبهم: «إنا لنعرف كل ذلك.
ألا تعيش هذه الآلهة معنا وتتبعنا أيّنما ذهبنا؟»

ولم يمض على ذلك زمن طويل، حتى وقف رجل آخر في ساحة المدينة
يخطب الناس ويقول لهم: «ليس هناك إله» وقد فرح كثيراً من سمعوه بهذه
البشرى، فإذا كانوا في جزء من الآلهة.

وذات يوم أقبل رجل قوي العارضة، بلغ الحجة، وقال: «ليس هناك
 سوى إله واحد.» وجزع الناس في قلوبهم، وخافوا حكم إله واحد، أكثر مما
 كانوا يخشون حكم آلهة عديدة.

وجاء في الموسم نفسه رجل آخر وقال للناس: «هناك ثلاثة آلهة تقيم
 فوق الريح كأنها واحد، ولهم أم حانية، واسعة الصدر، تقوم مقام رفيقة لهم
 وأخت في آن واحد.»

عند ذاك شرقي عن الجميع، إذ قالوا في سرّهم: «ثلاثة آلهة في واحد،
 يقتضي أن يختلفوا على عيوبنا، وإلى ذلك، فإنّ أمهم ذات القلب الحنون،
 لابد أن تقف بجانبنا وتدافع عن نقاط ضعفنا.»

وَلَا يَزَالْ حَتَّى الْيَوْمِ فِي مَدِينَةِ كِيلَافِيسِ تِلْكُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَجَادِلُونَ وَيَتَنَازَعُونَ حَوْلَ الْآلَهَةِ الْعَدِيدَةِ. وَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ، وَإِلَهٌ وَاحِدٌ، وَآلَهَةٌ الْثَلَاثَةُ فِي وَاحِدٍ، وَآمَ حَنُونَ لِلْآلَهَةِ.

تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ صَمَاءً

كَانَ مَرَّةً لِرَجُلٍ غَنِيًّا زَوْجَةً شَابَةً وَلَكِنَّهَا كَانَتْ صَمَاءً صَمَمَ الْحَجَرَ.

وَذَاتِ صَبَاحٍ، بَيْنَمَا كَانَ الْغَنِيُّ وَزَوْجُهِ يَتَنَاهَلُانَ فَطُورَهُمَا، بَدَأَتْ هَذِهِ الْكَلَامُ وَقَالَتْ: «زَرْتَ السَّوقَ أَمْسَ، وَرَأَيْتَ فِيمَا رَأَيْتَ مِنْ مَعْروضَاتِهِ، رَدَاءً حَرِيرِيًّا صَنْعَ دَمْشَقَ، وَأَبْرَادًا هَنْدِيًّا، وَعَقْوَدًا فَارِسِيًّا، وَأَسَاوِرَ يَمَانِيَّة، وَبَدَا أَنَّ الْقَوَافِلَ افْتَصَرَتْ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي كُلِّ مَا جَلَبَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَالآنَ انْظُرْ إِلَيَّ، وَأَلَا بِهَذِهِ الْأَطْمَارِ الْبَالِيَّةِ، أَنَا زَوْجَةُ الْثَرِيِّ الْمُعْرُوفِ. أَرِيدُ مِنْكَ بَعْضَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْجَمِيلَةِ.»

قَالَ الزَّوْجُ، وَهُوَ مَا يَزَالْ يَحْتَسِي قَهْوَةَ الصَّبَاحِ: «عَزِيزِي! لَيْسَ هُنَاكَ مَا يُبَرِّرُ عَدَمَ نَزْوَلِكَ إِلَى السَّوقِ وَابْتِياعَ كُلِّ مَا يَشْوَقُكَ، وَيُرْتَاحَ إِلَى نِيلِهِ فَوَادِكِ.»

وَكَانَ مِنْ الزَّوْجَةِ الصَّمَاءِ أَنْ قَالَتْ: «لَا! أَبْدَأُ تَقُولَ: لَا! لَا! هَلْ قَدْرُ عَلَيِّ أَنْ أَظْهُرَ فِي الْأَسْمَالِ بَيْنَ أَصْدِقَائِنَا وَصَدِيقَاتِنَا لِيُخَجِّلَ بِي أَهْلِي. وَيُخْجِلُ النَّاسَ ثَرَاءِكَ؟!»

قَالَ الزَّوْجُ: «لَمْ أَقْلُ: لَا يَمْكُنُكَ أَنْ تَذَهَّبَ إِلَى السَّوقِ، وَتَبْتَاعِي أَجْمَلَ الْحَلَى وَالْزَّيْنَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ.»

وَأَسَاءَتِ الزَّوْجَةُ فَهُمْ كَلَامُ زَوْجَهَا لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَّةِ. وَأَجَابَتْ: «أَنْتَ أَشَحُّ الْأَغْنِيَاءِ جَمِيعَهُمْ إِنْكَ لَتَابَيَ عَلَيَّ كُلَّ مَا هُوَ جَمَالٌ وَأَنَافَةٌ، بَيْنَمَا يَطُوفُ نِسَاءُ جِيلِي حَدَائِقَ الْمَدِينَةِ رَافِلَاتٍ فِي أَبْدَعِ الْحَلَلِ الْقَشِيشَةِ وَأَغْلَامَهَا.»

وَاسْتَخْرَطَتْ فِي الْبَكَاءِ، وَفِيمَا كَانَتْ دَمْوعُهَا تَهَاوِي عَلَى نَحْرِهَا،

صاحت للمرة الثانية: «دوماً تقول: لا لا كلما رغبت في حلية أو رداء..». وهنا اضطرب الزوج ووقف، وتناول من خزينته حفنة من النقود الذهبية، ووضعها أمامها، قائلاً بصوت رقيق ناعم: «اذهي إلى السوق يا عزيزتي واشتري كل ما تريدين»

ومنذ ذلك اليوم، أخذت الزوجة الشابة الصماء تظهر أمام زوجها بدرة من الدمع في عينيها كلما رغبت في الحصول على شيء، وهو يتناول من جانبه صامتاً، حفنة من الذهب، ويلقي بها في حضنها.

ثم حدث أن وقعت المرأة الشابة في هو شاب من عادته أن يقوم برحلات طويلة، وكلما سافر في رحلة، جلست في مخدعها تبكي. وكان زوجها عندما يجدها على تلك الحال من البكاء، يقول في سره: «لا بد من أن تكون ثمة فافلة جديدة قد وصلت. وبعض الحل والحلل النادرة قد غرست في السوق.»

وعند ذاك يتناول حفنة من الذهب ويلقي بها إليها... .

المسألة

تلقي فيلسوفان، قبل نحو من ألف سنة، فوق منحدر من لبنان، فقال أحدهما للأخر: إلى أين أنت ذاهب؟»

أجاب الآخر: «أنا أبحث عن عين الصبا التي أعرف أنها تنبع وسط هذه الروابي وقد عثرت على كتابات تبني أن تلك العين تتألق تألق الزهرة مع الشمس. وأنت عمّ تبحث؟»

أجاب الأول: «أنا أبحث عن سرّ الموت.. . وأدرك حينذاك كلّ من الفيلسوفين أن الآخر ينقصه الشيء الكثير من

العلم، على سعة معرفته، وراحَا يتنازعان، ويتهِم كلّ منهما الآخر بالعماوة الروحية.

وفيما كان الفيلسوفان يصخبان صخب الريح، مزّ بهما غريبٌ كان يحسبه أهل قريته ساذجاً، وقف برهة يصغي إلى حجة كلّ منهما.

ثم اقترب منها و قال : «يبدو أنكما يا صاحبي، تتنميان معاً إلى مدرسة فلسفية واحدة، فأنتما تتحدثان عن شيء واحد، ولكن بكلمات مختلفة؛ إن أحدكما يبحث عن عين الصبا، والآخر يبحث عن سرّ الموت، وهما في الحقيقة شيء واحد، وهذا الشيء نفسه يقيم فيكما معاً».

وابتعد الغريب عنهما، وهو يقول: «وداعاً أيها الحكمان!» وفيما كان يدير ظهره منصرفًا سمع وهو يضحك ضحكة هادئة.

ونظر الفيلسوفان كلّ منهما للآخر في صمت لحظة، ثم ضحكا أيضاً، وقال أحدهما لزميله: «حسن! لا يحسن بنا الآن أن نمشي ونبحث معاً؟».

الصولجان

قال ملكُ لزوجه: «الستِ يا سيدتي ملكة حقاً أنتِ جدّ عادلة ومبتدلة وغير لاثقة لأن تكوني رفيقة حياتي!»

قالت الزوجة: «أنت تحسب نفسك ملكاً، وما أنت في الحقيقة سوى رجع صدئ مسكون لمن قبلك!» وأغاظت هذه الكلمات الملك، فتناول صولجانه بيده، وضرب الملك على جبينها بالقبضة الذهبية منه.

ودخل رئيس الخدم في تلك اللحظة وصاح: «ماذا؟ ماذا يا صاحب الجلالـة؟ هذا الصولجان صنعه أكبر فنان في البلاد، واحسراها سوف يأتي يوم تُنسى به أنت والملكة، وهذا الصولجان يحفظ كرائعة فنية، من جيل لجيل،

والآن وقد أسلت الدم به من رأس صاحبة الجلالة، فإنه سيصبح أوفرا اعتباراً وأكثر تذكراً».

الطريق

كانت امرأة تعيش في أعلى الرُّبَى مع ابنها، وكان بكرها ووحيدها، الذي تنفق عليه كل ما في قلبها وحياتها من عطف وحنان.

ومات الولد بحُقْنِ فاجأته، وراحت تصرخ وتولول، وتخاطب الطبيب قائلة: «قل لي! قل لي! ما الذي أسكن حركته، وأسكت غنائمه؟»

قال الطبيب: «إنها الحمى»

قالت الأم: «وما هي الحمى؟»

أجاب الطبيب: «لا أستطيع شرحها. إنها شيء متناهٍ في الصغر يزور الجسم، ولا نقدر على رؤيته بالعين المجردة»

ثم تركها الطبيب، وراحت تكرر ما قال، لنفسها: «شيء متناهٍ في الصغر، لا نقدر على رؤيته بالعين المجردة»

وجاء الكاهن في المساء يعزيها، فراحت تبكي بين يديه وتُغُولُ

قايلة: «لماذا فقدت ولدي، ولدي الوحيد، ولدي البكر؟»

أجاب الكاهن: «إنها يا ابنتي مشيئة الله»

قالت المرأة: «ما هو الله وأين هو الله؟ أريد أن أشاهد لامزق صدرني أمامه، وأنزف دم قلبي على قدميه، قل لي أين أستطيع أن أجده؟».

قال الكاهن: «الله رحب لا نهاية لرحماته، ولا سهل إلى رؤيته بالعين البشرية المجردة»

صرخت الأم عند ذاك: «إن الشيء الذي لا نهاية لصغره أهلك ولدي من خلال مشيئة الذي لا نهاية لكبره! ونحن؟ ما نحن إذن؟ ما نحن؟»

وأقبلت أم المرأة في تلك اللحظة وولجت الغرفة ومعها كفن الصبي وكانت قد سمعت كلمات الكاهن، وصرخ ابنتها، ورمي بال柩 إلى الأرض، وأخذت يد ابنتها بيدها، وقالت: «نحن يا ابنتي الشيء الذي لا نهاية لصغره، ولا نهاية لكبره، معاً. نحن الطريق بين الاثنين».

الحوت والفراشة

وجد رجل وامرأة نفسيهما ذات مساء، معاً في عربة مسافرين، وكانا قد التقيا من قبل . . .

كان الرجل شاعراً، وفيما هو جالس بجانب المرأة، قصد إلى تسليةها بقصص ابتداع بعضها، وسمع بعضها الآخر.

ولكن المرأة غفت بينما كان يسرد عليها قصصه. وعثرت العربية فجأة وأفاقت المرأة، وقالت: «أنا معجبة بتفسيرك لقصة يونس والحوت». قال الشاعر: «غير أنني كنت أقص عليك يا سيدتي قصة أنا وضعتها حول فراشة ووردة بيضاء، فكيف انتقلت واحدتهما إلى الأخرى!».

السلم يعودي

قال غصن مزهر لجاره: «هذا يوم تافه، أجوف». فأجابه الغصن الآخر: «إنه في الحقيقة أجوف، تافه».

وتعلق في تلك اللحظة عصفور على أحد الغصين، وجاء عصفور آخر وقف بجانبه.

وترنم أحد العصفورين وقال: «هجرتني رفيقتي».

وصاح العصفور الآخر: «ورفيقتي أيضاً ذهبت ولن تعود، فـأي شيء
يهمني من ذلك؟».

وراح العصفوران يتلاحميان ويتجوّه كلّ منهما بالتوبيخ إلى الآخر، ثم مـ
لـبـنا أن تـنـازـعاـ، وـأـثـارـاـ ضـجـةـ كـبـيرـةـ فيـ الجـوـ.

وانقضـ فـجـأـةـ منـ السـمـاءـ عـصـفـورـانـ آخـرـانـ، وـأـرـتـمـيـاـ بهـدوـءـ إـلـىـ جـانـبـ
زـمـيلـيـهـماـ المـتـشـاجـرـينـ، وـسـادـ الـهـدـوءـ وـالـسـلـمـ.

ثم طـارـ الأـرـبـعـةـ مـعـاـ زـوـجـيـنـ، زـوـجـيـنـاـ

وقـالـ الغـصـنـ الـأـوـلـ لـجـارـهـ: «أـحـدـثـ قـدـومـ العـصـافـيرـ ضـوـضـاءـ كـبـيرـةـ..»
وـأـجـابـهـ الغـصـنـ الـآخـرـ: «سـمـ ذـلـكـ ماـ شـتـ. الآـنـ سـلـمـ وـهـدـوءـ. إـذـاـ كـانـتـ
الـطـبـقـةـ الـعـلـيـاـ مـنـ الجـوـ فـيـ سـلـامـ، فـإـنـهـ يـبـدـوـ لـيـ أـنـ أـولـكـ الـذـيـنـ يـقـيمـونـ فـيـ
الـطـبـقـةـ الدـنـيـاـ، يـحـيـيـونـ فـيـ سـلـامـ أـيـضاـ، أـتـرـيدـ أـنـ لـاـ تـتـعـاـيـلـ فـيـ الـرـيـحـ أـكـثـرـ مـاـ
تـفـعـلـ، كـيـ تـظـلـ بـعـيـداـ عـنـيـ؟»

قال الغـصـنـ الـآخـرـ: «إـيـهـاـ رـيـماـ أـفـعـلـ مـاـ تـشـاءـ مـنـ أـجـلـ السـلـمـ، لـحظـةـ
وـيـنـتـهـيـ الـرـيـحـ..»

ثم مـالـ مـعـ الـرـيـحـ بـقـوـةـ لـيـعـانـقـهـاـ...

الظل

قال العـشـبـ فـيـ يـوـمـ مـنـ أـيـامـ حـزـيرـانـ، لـظـلـ دـوـحةـ كـبـيرـةـ: «أـنـتـ لـاـ تـنـيـ
تـتـنـقـلـ يـمـنـةـ وـيـسـرـةـ أـغـلـبـ الـأـحـيـانـ، إـنـكـ لـتـزـعـجـنـيـ عـمـاـ أـنـاـ فـيـهـ مـنـ هـدـوءـ وـرـاحـةـ
بـالـ»

أـجـابـ الـظـلـ قـائـلاـ: «لـسـتـ أـنـاـ الـذـيـ يـتـنـقـلـ! اـنـظـرـ إـلـىـ السـمـاءـ، إـلـىـ
الـأـعـالـيـ، هـنـالـكـ شـجـرـةـ تـتـقـلـبـ فـيـ الـرـيـحـ شـرـقاـ وـغـربـاـ، بـيـنـ الشـمـسـ وـالـأـرـضـ..».

وـتـطـلـعـ الـعـشـبـ إـلـىـ الـعـلـاءـ، وـشـاهـدـ الدـوـحةـ لـأـوـلـ مـرـةـ، وـقـالـ فـيـ
سـرـهـ: «هـاـ إـنـ هـنـالـكـ عـشـبـاـ أـكـبـرـ مـنـ بـكـثـرـاـ».

وـرـانـ عـلـيـهـ الصـمـتـ...

سبعون

قال الشاعر الشاب للأميرة: «أنا أحبك». أجبت الأميرة: «وأنا أيضاً أحبك يا ولدي»

رد الشاب: «ولكني لست ولدك. أنا رجل وإنني لأحبك». قالت: «أنا أم البنين والبنات، وهؤلاء هم آباء وأمهات للبنين من بعدهم والبنات، وإن أحد أولاد أولادي أكبر منك سنًا».

وقال الشاعر الشاب: «ولكني أحبك»

ولم يمض على هذا الحوار زمن طويل حتى ماتت الأميرة، ولكنها في اللحظة التي تلقت بها الأرض آخر أنفاسها، قالت في سرّها: «يا حبيبي! يا ولدي الحبيب! يا شاعري الشاب. ربما كان لنا أن نلتقي بعد مرّة ثانية. ولكنني لن أكون عندئذٍ في السبعين».

العثور على الله

كان رجلان يمشيان مرة في الوادي، وأشار أحدهما بإصبعه ناحية الجبل، وقال: «هل ترى تلك الصومعة؟ هناك يقيم رجل طلق الدنيا منذ زمن طويل، إنه لا يبحث عن شيء، ولا يريد شيئاً سوى الله، على أديم هذه الأرض».

قال الرجل الآخر: «إنه لن يجد الله حتى يهجر صومعته، وعزلته، ونسكه، ويعود إلى العالم، يشاركتنا في أفراحنا وأتراحنا، ويرقص مع الراقصين في ولائم الأعراس، وييكي مع الباكين حول أجداث الموتى».

واقتنع الرجل في سريرته بصحة هذا الكلام، ولكنه أجاب، على الرغم من اقتناعه: «أنا أتفق على كل ما تقول، غير أنني أعتقد أن الناسك إنسان طيب، ألا يمكن أن يكون من الأفضل أن يعتزل إنسان طيب فيخدم بعزلته أكثر مما يفعل هؤلاء الرجال بطيتهم الظاهرة؟»

النهر

التقى جدولان صغيران في وادي قاديشا حيث يتذفق النهر العظيم، وراح كلّ منهما يتحدث إلى الآخر.

قال أحد الجدولين: «كيف أتيت يا صديقي، وكيف كانت طريقةك؟»

أجاب الآخر: «كانت طريقي أكثر الطرق عرائيل ووعورة، فقد كسر دولاب المطبخة، والمزارع الذي اعتاد قيادتي من القناة إلى زروعه، قضى نحبه، وكان عليّ أن أكافح، وأتسرب مع قذارة أولئك الذين لا يعملون شيئاً، إلا أن يخizوا كسلهم في الشمس. ولكن، قل لي كيف كانت طريقة أيها الصديق؟»

أجاب الجدول الآخر، وقال: «كانت طريقي تختلف عن طريقك: لقد نزلت من أعلى الربي، وسط الأزهار العاطرة الناضرة، وأشجار الصفصاف المتهلة، وكان الرجال والنساء يرشفون مني بأكواب فضية، والأطفال الصغار يغمسون على حفافي أقدامهم الوردية في مياهي، وكانت ضحكات البشر والإيناس ترتفع موسيقية في الفضاء من حولي، وكانت هناك أغاني عذبة تماماً الجو فرحاً وألقاً، يا لها من مأساة أن لا تكون طريقك هكذا سعيدة!»

وفي تلك اللحظة، تكلم النهر بصوت عالٍ وقال: «تعالاً تعالاً إننا ذاهبون إلى البحر، تعال، تعال، ولا تقل بعد شيئاً، كن الآن معي. نحن ذاهبون إلى البحر، تعال إلى، تعال إلى، فإنك تنسى إذ تلجنني كل جولاتك الثانية، حزينة كانت أم سارة، تعال وادخل، ادخل، فأنا وأنت ستنسني جميع طرقنا عندما نبلغ قلب أبينا البحر».

الصيادان

التقى السرور والحزن، في يوم من أيام نوار، بجانب إحدى البحيرات، فتبادلا التحية، وجلسا على مقربة من المياه المطمئنة، يتظارحان الأحاديث..

تحدث السرور عن الجمال الذي يغمر الأرض، وعن الروعة اليومية التي تفعم الحياة في الغابة، وبين الهضاب، والأغاني التي تُسمع عند الفجر والأصليل.

وتكلم الحزن، ووافق على كل ما قاله السرور، لأن الحزن كان يدرك سحر الساعة والجمال المنبعث فيها، والحزن بلغ حين يخوضن في حديث نوار وسط الحقول وفوق الهضاب.

وتحدث الحزن والسرور طويلاً، وكان الوفاق بينهما تماماً حول جميع الأشياء التي يعرفانها.

ثم مرّ بهما صيادان على الضفة الأخرى من البحيرة. وفيما هما ينظران إليهما عبر الماء، قال أحدهما: «إنني لأعجب من عسى هذان الشخصان أن يكوننا؟» وقال الآخر: «قلت: اثنان؟ أنا لا أرى إلا واحداً».

قال الصياد الأول: «ولكن هناك، اثنان». وردَّ الثاني قائلاً: «ليس هناك إلا شخص واحد أستطيع أن أتبينه، وانعكاس صورته في البحيرة واحد أيضاً».

قال الصياد الأول: «لا! هناك، اثنان، وانعكاس الصورة في الماء الهدى، إنما هو لشخصين أيضاً».

ولكن الرجل الثاني قال ثانية: «أرى واحداً بمفرده». وقال الآخر للمرة الثانية أيضاً: «ولكنني أرى اثنين بوضوح».

ولا يزال أحد الصيادين يقول حتى اليوم إن الآخر رأى شخصاً مضاعفاً، بينما الآخر يقول: «صديقِي أعمى على نحو ما».

النائة الآخر

لقيت ذات مرة رجلاً آخر يتسلّك على الطرق، وكان أيضاً على بعض الجنون. فراح يكلّمني هكذا: «أنا نائة، وبيدو أغلب الأحيان أنني أجوب الأرض مع الأفاقين، ومذ كان رأسي أبعد بسبعين ذراعاً عن الأرض من رؤوسهم، فإنه يبدع أفكاراً أسمى وأكثر انطلاقاً من أفكارهم.

«غير أنني في الحقيقة لا أسير مع الناس، بل فوقهم، وكلّ ما يستطيعون أن يروه مني، إنما هو آثار أقدامي في حقولهم المفتوحة.

«وكثيراً ما سمعتهم يتجادلون ويتعارضون حول شكل هاتيك الآثار لأقدامي وحجمها، إذ كان هنالك من يقول: إنها آثار تثنين طاف الأرض في الماضي السحيق، وأخرون قالوا: لا! هذه هي الأماكن التي هبطت عليها النيازك من أفلak الكواكب القصبة.

«ولكن أنت يا صديقي، تعرف أتمّ المعرفة أن هذه ليست شيئاً سوى آثار أقدام نائة» . . .

حقيقة النبي

تمرين
عبداللطيف شراره

حديقة النبي

١

عاد المصطفى، المختار، المحبوب الذي عاش ضحى مؤتلقاً حتى أتاه
يومه، إلى جزيرة مولده في شهر تشرين، شهر التذكار.

وما إن اقتربت سفينته من المرفأ حتى انتصب واقفاً على مقدمها، ووقف
حوله بحارته، وقد أفعمت قلبه الفرحة بلقاء الوطن.

وراح يتكلم، والبحر يهدر في صوته، ويقول: «ها هي ذي جزيرة
مولدنا. لقد لفظتنا الأرض هنا، أغنية ولغزاً: أغنية تتسامي إلى السماء، ولغزاً
تحاربه الأرض، وأي شيء هناك بين الأرض والسماء يُقلل الأغنية ويحلل اللغز
سوى هوانا؟»

«لقد لفظنا البحر مرة أخرى إلى هذه الشطآن، وما نحن سوى موجةٍ
آخرى من موجاته، دفع بنا لتردد كلامه، ولكن كيف لنا أن نقوم بذلك، ما لم
نحطّم تناغم قلوبنا على الصخر والرمل؟

«تلك هي شريعة البحر والبحارة، فإذا أردت الحرية كان عليك أن
تحول حاجات الحياة إلى ضباب، ان ما لا شكل له ينشد أبداً أن يكون ذا
شكل، حتى السديم الذي لا يُعد، يوَد أن يتحول إلى شموس وأقمار. ونحن
الذين طلبنا الكثير وعدنا الآن إلى الجزيرة قوالب صلبة، علينا أن نصبح ضباباً
مرة أخرى، ونأخذ في التعلم من البدء، وأي شيء هناك ينمو ويشهد في الأعلى
إلا وهو يتحطم عند الهوى والحرية.

«ستظل بعد اليوم، وإلى الأبد، ننشد الشطآن التي نملك فيها أن نتغنى، ونجد عليها من يستمع إلينا. ولكن ما القول في الموجة التي تتحطم ولا من أذن تسمع تحطمها؟ إنَّ ما يحتضن أساناً الأعمق ويغذيه هو تلك الأنغام التي لا يسمعها أحد، وهذه الأنغام أيضاً هي التي تحفر في قرارنا أرواحنا لتصوغ مصائرنا وتقولها».

وعند ذاك تقدم أحد بخارته وقال: «لقد قدت أيها المعلم حنينا إلى هذا المرفأ، وهذا نحن وصلنا، ومع ذلك تتحدث عن الأسى والقلوب التي يتضررها التحطم».

أجابه قائلاً: «الم أتحدث عن الحرية، وعن الضباب الذي هو حريتنا الكبرى؟ ومع ذلك، فإني بالم حججت إلى جزيرة مولدي حتى كما لو كنت طيف ذبيح جاء يركع أمام أولئك الذين ذبحوه». وتكلم بخار آخر وقال: «ها هي الجماهير على الشاطئ، لقد تنبأت، في صمتها، حتى عن يوم قدموك و ساعتها، واجتمعت من حقولها وكرورها، لانتظارك تعبيراً عن حبها واشتياقها».

وألقى المصطفى من بعيد، بنظرة على الجماهير، فعاودت قلبه ذكريات حنينها إليه، وصمت.

وارتفعت لحظتين صرخة من أعماق الشعب، وكانت صرخة اذكار واستعطاف.

ونظر إلى بخارته وقال: «وما الذي أتيت به إليهم؟ صياداً كنت أنا في أرض نائية، وقد أفرغت بعزم وتصميم جعبتي من السهام الذهبية التي قدموها إليَّ، غير أنِّي لم آتهم بالهيبة مَا، ولم أثني السهام، ربما كانوا الآن قد انتشروا تحت الشمس مع ريش النسور الجريحة التي لا تهوي على الأرض. ولربما هوت رؤوس السهام بين أيدي أولئك الذين هم في حاجة إليها لينالوا بها خبراً وخمراً».

«أنا لا أعرف ما حلّ بها وهي تطير، ولا أين طارت، غير أنني أعرف أنها مالت وهي في السماء.

«حتى ولو كان الأمر كذلك، لا يزال الحب ملء يدي، وأنتم معا بحارتي لا تزالون توجهون شراع رؤيتي في البحر، ولن أكون أبكم، سوف يرتفع صرافي حين تضغط يد الفضول على عنقي، وسأغنى كلماتي حين تلتهب شفتاي».

وسري اضطراب إلى قلوبهم، وهو يقول لهم هذه الأشياء، وتكلم أحدهم قائلاً: «علمنا أيها المعلم كل شيء! ربما أدركنا ما تقول لأن دمك يجري في عروقنا، وأنفاسنا من عبق طيبك».

عند ذاك أجابهم، والريح تهب في صوته، وقال: «أتراكم جئتم بي إلى جزيرة مولدي لأكون معلماً؟ أنا ما زلت حتى الآن خارج قفص الحكمة وإنني لصغير السن، طرفي العود إلى درجة لا تتيح لي أن أتكلم عن أي شيء، إلا عن نفسي التي ستظل إلى الأبد، النداء العميق للعميق».

«دعوا ذاك الذي يتغنى بالحكمة، ينشدها في زهرة الأقوان الأصفر، أو في حفنة من الطين الأحمر، فأنا ما زلت حتى الآن المغني، وسأغنى جمال الأرض، وحلمكم الصائغ الذي يتنزه النهار كله بين رقدة اليقظة ورقدة الكوى، غير أنني لن آثر تحديقاً إلى البحر».

ودخلت السفينة المرفا، وبلغت الشط، وهكذا وصل إلى جزيرة مولده، ووقف مرة أخرى بين أهله، وارتفعت صرخة عالية من أعماق قلوبهم، اهتزت لها صحراء حنيته في قراره سريرته.

ونحيم عليهم الصمت وهم يتوقعون سماع كلماته، ولكنه لم يستجب لهم، لأن كتابة الذكرى أفعمت نفسه، وقال في سرمه: «ألم أقل إني سأغنى؟ ها أنا لا أملك إلا أن أفتح شفتاي، ولصوت الحياة أن يغدو ويروح مع الريح لينعم بالفرح ويعين عليه».

وعند ذاك، تقدمت كريمة، تلك الصبية التي كانت تلعب معه في حديقة

أمه، وقالت: «أخفيت عنا وجهك اثني عشر عاماً، ومنذ اثنى عشر عاماً ونحن
نتلهف لسماع صوتك.».

ونظر إليها برقة متناهية، لأنها هي التي أطبقت جفون والدته حين أفلتها
أجنحة الموت البيضاء إلى السماء.

ثم أجاب قائلاً: «اثنا عشر عاماً؟ قلت: منذ اثنى عشر عاماً يا كريمة؟ أنا
لا أقيس حنيني بمقاييس المجرة، ولا أرجع عمق الصدى منها، وذلك لأن
الحب عندما يكون حبّ حنين يستند مقاييس الزمن، وترجيعاته.

«هنا لك لحظات تحمل دهوراً من فراق، والنوى مع ذلك ليس إلا ضئلي
الروح، وربما نحن لم نبتعد قط عن بعضنا.».

ونظر المصطفى إلى الناس، وأبصر جمعهم كلّه، شيئاً وشياناً، هزالي
ومعافين، أولئك الذين لفتحهم الشمس والربيع، والذين تبدو عليهم نصرة
النعيم، ورأى على وجوههم شعاعاً من الشوق والسؤال.

وتكلم أحدهم فقال: «لقد خحيت الحياة، أيها المعلم، آمالنا ورغائبنا،
خيبة مريرة، وإن قلوبنا لواجفة، فلا ندرك بعد شيئاً، أرجوك أن ترافقنا،
وتكشف لنا معانٍ أحزاننا.»

واختلّج قلبه بالرقة وقال: «الحياة أقدم من جميع الكائنات الحية، حتى
الجمال تجتمع قبل أن يولد الجميل على الأرض، والحقيقة منذ كانت حقيقة،
عُرفت ووُجد من تفوّه بها.

«الحياة تتغنى في صمتنا وتحلم في كرانا، وحتى عندما نقلب على أمرنا
ونهوي، تظلّ الحياة سامية معتلية عرشها، وعندما نبكي، ترسم الحياة للنهار،
وتكون حرة حتى عندما نعجز سلاسل عبوديتنا.

«كثيراً ما نطلق على الحياة أفعى النعوت والأسماء، عندما تكون نحن
أنفسنا في ظلمة ومرارة، وكثيراً ما نحسبها جوفاء لا جدوى فيها، عندما تبيه

أرواحنا ضالة في القفار الجرداء، وتكون قلوبنا سكري بخمرة الحر الصيف .

«الحياة عميقة وسامية ونائية غامضة، وإنها مع ذلك لقريبة، وإن كان نظركم الواسع لا يستطيع أن يبلغ إلا أقدامها. وإن ظل ظلكم يتعرض طلعتها، وإن كان نفس نفسم لا يبلغ إلا قلبها. وكان صدى أدق همسة منكم يتحول إلى ربيع وخريف في صدرها.

«والحياة مقتنة ومخبأة، تماماً كما هي روحكم الكبرى مقتنة وخافية. عندما تتكلّم الحياة، تتحول مع ذلك الرياح جميعها إلى كلمات، وحين تتكلّم ثانية، تتحول البسمات على شفاهكم، والدموع في عيونكم، إلى كلمات أيضاً، وعندما تتغنى يسمعها الصمت وترتفع بهم إلى سمائهما، وحين تقبل ماشية يهلال لها ذوو الأ بصار المكفوفة، وتأخذهم الدهشة ويتبعون خطاتها في رعدة وذهول.»

وانقطع عن الكلام، وغم الناس صمت شامل، وارتفع في فضاء ذلك الصمت نشيد لا يُسمع، وسرى عن الحضور ما كانوا فيه من هم وضيق.

٢

... وكان منه أن تركهم، وسلك الطريق القويم الذي يقود رأساً إلى حدائقه التي كانت من قبل حدائق أمه وأبيه، وفيها كانوا يرقدان كما كان يرقد أجدادهما.

وكان هناك أولئك الذين سيأتون من بعده، ورأى بأم عينه أنها المقرّ الأخير، وأنه وحيدٌ فيها، إذ لم يبق ثمة أحد من أقاربه يحتفل بقدومه ويقيم مأدبة الترحيب به على طريقة أهله.

إلا أن ربّان سفينته نصحهم قائلاً: «دعوه يتّبع طريقته في الحياة، وتحمّلوه، لأنّه خبز الوحيدة، وفي كأسه خمرة الذكرى التي يحتسيها وحده.»

وَقَفَلْ بِحَارُوه رَاجِعِين لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرَفُونَ أَنْ أَمْرَهُ كَمَا أَنْبَاهُمْ بِهِ رِيَانُ السَّفِينَةِ، وَكَبَحَ أُولَئِكَ الَّذِينْ تَجَمَّعُوا عَلَى الشَّطَطِ مِنْ اِنْدِفَاعِهِمْ نَحْوَهُ وَعَادُوا بِرَمْتِهِمْ مِنْ حَيْثَ أَقْبَلُوا.

وَلَكِنْ كَرِيمَةُ وَحْدَهَا تَبَعَتْهُ، بِخَطْيٍ وَنَيْدَةٍ، وَفِيهَا تَوْقُّ إِلَى وَحدَتِهِ وَذَكْرِيَاتِهِ، وَلَمْ تَقْلِ شَيْئًا، إِلَّا أَنَّهَا حَوَّلَتْ وَجْهَهَا سِيرَهَا نَحْوَ بَيْتِهِ الْخَاصِّ، وَفِي الْحَدِيقَةِ، فِي ظَلِّ الْلَّوْزَةِ بَكَتْ، وَلَمْ تَدْرِ لَمْ تَبْكِيْ.

٣

وَجَاءَ الْمُصْطَفِيُّ، وَلَقِيَ حَدِيقَةَ أَمِهِ وَأَبِيهِ، وَدَخَلَهَا، وَأَغْلَقَ بَرَابِتها بِحَيْثَ لَا يُسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَلْجُجَهَا بَعْدَهُ.

وَأَقَامَ أَرْبَعينَ يَوْمًا وَلِيلَةَ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْمُتَزَلِّ وَتَلِكَ الْحَدِيقَةِ وَلَمْ يَفِدْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، إِذَا كَانَتْ مَقْفَلَةً، وَالْكُلُّ يَعْرَفُونَ أَنَّهُ مَتَفَرِّدٌ، وَحِيدٌ.

وَعِنْدَمَا اَنْتَهَتِ الْأَيَّامُ الْأَرْبَاعُونَ بِلِيَالِيهَا فَتَحَ الْمُصْطَفِيُّ الْبَوَابَةَ، وَأَصْبَحَ فِي مُسْتَطِاعِ النَّاسِ أَنْ يَدْخُلُوهَا.

وَجَاءَهُ تَسْعَةُ رِجَالٍ لِيَقِيمُوا مَعَهُ فِي الْحَدِيقَةِ: ثَلَاثَةٌ بِحَارَّةٍ مِنْ سَفِينَتِهِ، وَثَلَاثَةٌ مِنْ كَانُوا يَخْدُمُونَ فِي الْمَعْبُودِ، وَثَلَاثَةٌ مِنْ رَفَاقِهِ فِي الْلَّعْبِ أَيَّامَ كَانُوا صَبِيَّةً مَعًا، وَهُؤُلَاءِ كَانُوا تَلَامِذَتِهِ.

وَذَاتِ صَبَّاحٍ، جَلَسَ تَلَامِذَتِهِ حَوْلَهُ، وَكَانَتْ عَيْنَاهُ تَأْتِلَقَانِ بِذَكْرِيَاتِ بَعِيْدَةِ، وَتَهِيمَانِ فِي أَقْاصِ نَائِيَّةِ، وَخَاطَبَهُ، أَوْلَى مِنْ خَاطَبَهُ، ذَلِكَ التَّلَمِيْذُ الَّذِي كَانَ يَدْعُى « حَافِظُ »: « حَدَّثَنَا يَا مَعْلُومُ عَنْ مَدِينَةِ أُورْفَلِيسِ، وَعَنْ تَلِكَ الْأَرْضِ الَّتِي أَقْمَتَ فِيهَا تَلِكَ السَّنَوَاتِ الْإِثْنَيْ عَشَرَةً ».

بَقَيَ الْمُصْطَفِيُّ صَامِتاً، وَأَلْقَى بِيَصْرِهِ بَعِيْدَةً عَلَى الرَّوَابِيِّ، وَالْمَدِيِّ الْأَثِيرِيِّ الرَّحِبِّ، وَبَدَا صَمْتَهُ مَشْحُونًا بِصَرَاعِ دَاخِلِيِّ.



«الصمت»

ثم قال: «يا أصدقائي ويارفاق طريقي، ويل لأمة تكثر فيها المذاهب والطوائف وتخلو من الدين».

«ويل لأمة تلبس مما لا تنفس، وتأكل وتشرب مما لا تعصر».

«ويل لأمة تحسب المستبد بطلأ، وترى الفاتح المدلّ رحيمًا».

«ويل لأمة تكره الشهوة في أحلامها، وتعنوا لها في يقظتها».

«ويل لأمة ترفع صوتها إلا إذا مشت في جنازة، ولا تفخر إلا بالمخراب، ولا تثور إلا وعنقها بين السيف والنطع».

«ويل لأمة سائسها ثعلب، وفيلسوفها مشعوذ، وفتها فن الترقيع والتقليد».

«ويل لأمة تستقبل حاكمها بالتطبيل وتودّعه بالصفير، ل تستقبل آخر بالتطبيل والتزمير».

«ويل لأمة حكماؤها خرس من وقر السنين، ورجالها الأشداء لا يزالون في أقمطة السرير».

«ويل لأمة مقسمة إلى أجزاء، وكل جزء يحسب نفسه فيها أمة»

٤

وقال أحدهم: «حدثنا عن هذا الذي يجيش في صدرك الآن». فنظر إلى مخاطبه ذاك، وارتفع في صوته نغم كأنه كوكب يتغنى، وقال: «عندما تكون صامتاً مصغياً إلى ذاتك العميق، في حلمك المستيقظ، تثال أفكارك اثنين اللوج المنورفة، وتتهاوى وتتشر وتتلف أصداء فضائلك بصمت أبيض».

«وأي شيء هي الأحلام المستيقظة سوى غمام يبرعم ويتفتح في شجرة



(الخلق)

سماء قلبك ؟ وأي شيء هي أفكارك سوى الأوراق التي تذروها رياح قلبك على الروابي وحقولها؟

أنت تنتظر السلام حتى يتخلد في سريرتك ما لا شكل له، شكلاً، كذلك لا بد أن يتجمع الغيم ويتراكم إلى أن تشكل الأنامل المباركة أمنيته الدكناء، في بلور صغير من شموس وأقمار ونجوم.

وتناول الحديث عند ذاك سركيس، وهو الذي خالجه بعض الشك، فقال: «ولكن الرياح سيأتي، وتذوب الثلوج أحلامنا وأفكارنا، ثم لا يبقى منها أثر».

فأجابه قائلاً: «عندما يأتي الرياح ليلتقي حبيبته في الغياض والكرم الهاجعة، ستذوب الثلوج في الحقيقة، وتجري سوافي نشاد النهر في الوادي، وتحمل الكؤوس (للنبي) أشجار الآس والغار».

«وكذلك هو شأن الثلوج في قلبك، فإنه سيدذوب عندما يأتي ريعك، وكذلك يجري سرك سوافي نهر حياتك في الوادي، وسيلف النهر سرك ويحمله إلى الخضم الكبير».

«ستذوب جميع الأشياء حين يأتي الرياح وتحول إلى أناشيد، حتى الكواكب، وقطع الثلوج التي تنهال ببطء على الحقول الفسيحة، ستذوب في سوافي تترنهم، وعندما تشرق شمس «طلعته» على الأفق الأرحب، أي رواء متجمد لا يتحول بعد ذاك إلى أغنية مناسبة؟ وأي امرئٌ منكم لا يود أن يكون سوافي الآس والغار؟

إنه لم يمض عليكم سوى ليلة واحدة، كتم قبلها تتحركون مع البحر الهائج، بلا ذات ولا شاطئ ثم نسجت لكم الريح، وهي أنفاس الحياة، شراعاً من نور على محياتها، ثم جمعتكم يدها ووهبتكم شكلاً، وتطلعتم إلى الأعلى برأس شامخ، ولكن البحر تبعكم من بعد، وظللت أغانيه تفعم قلوبكم، وسيظل إلى الأبد يحنون عليكم، وإن نسيتكم ذوي قرباكم، وإلى الأبد سيظل يناديكم.

«ولسوف تتذكرون على الدوام أعمق فواده البارد، في متأهاتكم بين الجبال والصحراء، وإنكم، وإن لم تعرفوا أغلب الأحيان، لأي معنى تتوقفون فإنما أنتم تتوقفون في الحقيقة، إلى سلامة الرحب الريتيب.

«وكيف يمكن أن يكون خلاف ذلك؟ عندما يترافق المطر أوزاناً متباينة على الرابية في الغابة والحدائق، وعندما ينهاى الثلج بركرةِ إروفاء، وعندما تقودون قطعائكم في الوادي إلى النهر، وعندما تلتقي في حقولكم الغدران كأنها سواق من لجين، وتلتحق بالحلل السندينية في المروج، وعندما تعكس الأنداء في خمائلكم صورة السماء على الأرض، وعندما يحجب الضباب في مروجكم لدى المساء، طريقكم بمحاجب شفاف، يكون البحر في هذه الأويقات كلّها، معكم شاهداً على تراثكم، ناشداً حقه في حبكم.

«إنه اثنين الثلج في أعماقكم يهبط على البحر».

٥

وذات صباح، عندما كانوا يتمشون في الحديقة، ظهرت وراء البوابة امرأة، وكانت كريمة التي أحبها المصطفى. كانت في أيام صباها، ووقفت دون أن تسأل شيئاً، أو تقرع البوابة بيدها، وإنما كانت تحدق ساخرة كثيبة في أرجاء الحديقة.

ورأى المصطفى الشوق في جفنيها، فمشى بخطىٍ وئيدةٍ ناعمة، نحو الجدار وفتح لها البوابة فدخلت، ورحب بها.

ثم أخذت المرأة تخاطبه قائلة: «ما الذي حملك على هجرنا جميعاً، فلا نملك بعد أن نستثير بضياء طلعتك، ونحن الذين أحيبناك، وانتظرنا بهفة عودتك، وسلامتك، إن الشعب يناديك الآن، ويود سماع حديثك وأنا رسوله إليك، جئت التمس منك أن تظهر نفسك للناس، وأن تتحدث إليهم بما

اختزنت من حكمة، وأن تجبر قلب الكسير، وتثير أذهاننا التي هيمن عليها جنون الظلمات.

حملق فيها، وقال: «إذا كنت لا تحسبين الناس كلهم حكماء، فلا تناديني برأسي حكيمًا فأنا ثمرة فجة، لا أزال عالقاً بالغصن، وحتى الأمس لم أكن سوى برصم تفتح».

«وإياك أن تحسبني أحداً منكم مجنوناً لأننا لستنا، في الحقيقة، حكماء ولا مجانيين، لحن أوراق خضر على شجرة الحياة، والحياة نفسها فوق الحكمة، وهي قطعاً فوق الجنون».

«أنا، هل هجرتكم، وعزلت نفسي عنكم في الحقيقة؟ ألا تعلمون أن ليس ثمة من بعد سوى ذاك الذي لا تملك الروح أن تقطعه بالخيال؟ وعندما تقطع الروح تلك المسافة، تصبح هذه المسافة نعماً في الروح؟».

«إن المسافة التي تفصلكم عن جاركم القريب الذي لا تصادقونه أبعد في الحقيقة، من تلك التي تفصلكم عنمن تحبون، وهو يقيم وراء الأرضين السبع والسماءوات السبع».

«ذلك بأن الأبعاد لا وجود لها في التذكرة، والمسافة الشاسعة إنما تكون في النسيان، وهي مما لا يستطيع صوتكم ولا عينكم اختصاره».

«هنا لك طريق سرية بين شطآن المحيطات وذروة أعلى الجبال، عليكم أن تقطعوها، في اللحظة التي تتحدون بها مع أبناء الأرض».

«وهنا لك طريق خفية بين معرفتكم وفهمكم عليكم أن تكتشفوها في اللحظة التي تتحدون بها مع الإنسان، ومن ثمة مع أنفسكم».

«هنا لك هوة سحرية بين اليد اليمنى التي تعطي، واليد اليسرى التي تأخذ. ولا سبيل إلى إزالة هذه الهوة بينهما إلا بحملهما معاً على العطاء والأخذ في آن واحد، لأنكم لا تستطيعون التغلب على تلك الهوة إلا عندما تعرفون أن ليس هناك ما تأخذون ولا ما تعطون».

«الحق إن أبعد مسافة إنما هي تلك التي تقوم بين رؤياكم في النوم وينظركم، وبين ما هو ليس إلا حاجة و ما هو رغبة.

«ولا تزال هنالك طريق أخرى عليكم أن تقطعوها حين تصبحون مع الحياة شيئاً واحداً، غير أبي لا أقول شيئاً عن تلك الطريق الآن، وأنا أرى أنكم أصبحتم متعبين من السفر».

.

٦

ومضى مع المرأة، هو والتاسعة، حتى بلغ ساحة السوق، وتحديث إلى الناس، إلى أصدقائه وجيرانه، وكان الفرح يغمر قلوبهم ويظهر على جفونهم.

ثم قال: «إنكم تكبرون في النوم، وتحيون أكمل حياتكم في أحلامكم. وذلك لأن كل أيامكم تنفق في الشكر لما نلتكم خلال هدأة الليل.

« وإنكم لتفكرون أغلب الأحيان وتقولون عن الليل إنه وقت الراحة، مع أنه في الحقيقة وقت السعي والتحصيل.

«النهار يزودكم بقوة المعرفة، ويعلم أناملكم الحدق في فن الأخذ، ولكن الليل هو الذي يقودكم إلى خزانة كنز الحياة.

«الشمس تلقن جميع الأشياء أن تغذى في نفسها الحنين إلى النور، ولكن الليل هو الذي يرفعها إلى النجوم.

«إنها هدأة الليل التي تنسج، في الحقيقة، ثوب العرس على الأشجار في الغابة، والأزهار في الحديقة، وتمدّ من ثمة المائدة السخية وتُعِدّ غرفة العرس إعداداً مغرياً، وفي جو ذلك الصمت القدسي يتكون الغدُ في رحم الزمن.

«وهكذا تجدون القوت والكافية في أنفسكم، ومن خلال سعيكم، ويظلّ

لوح الأحلام ممدوّاً، وغرفة العرس مُعدّة، وإن محت اليقظة في الفجر
الذاكرة».

وَسَكَتْ بِرْهَةً مِنَ الزَّمْنِ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ عُودَتِهِ إِلَى الْكَلَامِ، ثُمَّ نَطَقَ ثَانِيَةً،
وَقَالَ: «أَنْتُمْ أَرْوَاحٌ إِنْ كُنْتُمْ تَحْرِكُونَ فِي أَبْدَانٍ، وَإِنْكُمْ لِكَالْزِيتُ الدُّجَى يَحْتَرِقُ
فِي الظَّلَامِ، شَعْلٌ، إِنْ حَمَلْتُمْ فِي مَصَابِيحِ.

«وَإِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئاً سَوْيَ أَجْسَادِ، فَلَمْ يَمْقُتْ أَمَامَكُمْ وَخَطَابِي
إِيَّاكُمْ، لَنْ يَكُونَ سَوْيَ هَرَاءِ، كَمَا لَوْ كَانَ مِيتٌ يَخَاطِبُ أَمَوَاتاً. وَلَكِنَّ الْأَمْرَ عَلَى
غَيْرِ ذَلِكِ، فَكُلُّ مَا هُوَ خَالِدٌ فِيْكُمْ إِنَّمَا هُوَ حَرَّ آنَاءَ اللَّيلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَلَا
سَبِيلٌ إِلَى الْحَجَرِ عَلَيْهِ وَتَقْيِيدِهِ، لَأَنَّ تَلْكَ هِيَ مِشَيَّةُ الْقَدِيرِ الْأَعْلَى. أَنْتُمْ نَفَسَّهُ
الَّذِي لَا يَقْبَضُ عَلَيْهِ وَلَا يَمْكُنُ أَنْ يَزْجُّ فِي قَفْصٍ. شَانَكُمْ فِي ذَلِكَ شَانُ الرِّيحِ.
وَأَنَا أَيْضًا نَفَسُّ نَفَسَّهُ».

وَانْصَرَفَ مِنْ بَيْنِهِمْ يَمْشِي وَثِيدَأً، وَوَلَجَ حَدِيقَتِهِ مِنْ جَدِيدٍ. وَلَكِنَّ
سَرْكِيسَ الَّذِي خَامِرَهُ بَعْضُ الرِّيبِ فِيمَا سَمِعَ، تَكَلَّمَ قَائِلاً: «وَمَا القَوْلُ فِي
الْقَبْعِ أَيْهَا الْمَعْلُوم؟ إِنَّكَ لَا تَذَكِّرُ الْقَبْعَ أَبْدَأَ فِي أَحَادِيثِكِ».

أَجَابَهُ الْمَصْطَفِيُّ، وَكَانَتْ كَلْمَاتُهُ تَنْهَى كَالْسُوطِ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا
صَدِيقِي! أَنَّى لَأَرْمِي أَنْ يَدْعُوكَ بِخِيلًا إِذَا هُوَ مِنْ بَمْتَزِلْكَ وَلَمْ يَقْرَعْ بَابَكَ؟
وَمَنْ هُوَ هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّكَ غَافِلٌ وَأَصْنَمْ إِذَا هُوَ كَلْمَكَ بِلْسَانَ غَرِيبٍ لَا
تَفْهَمُ مِنْهُ شَيْئاً؟

«أَلَيْسَ مَا تَحْسِبُهُ قَبْحًا هُوَ ذَلِكَ الَّذِي لَمْ تَجْهَدْ قَطْ فِي بُلوْغِهِ، وَلَا تَلْهَفَتْ
قَطْ إِلَى وَلْوَجِهِ؟

«إِذَا كَانَ الْقَبْعُ شَيْئاً مَا، فَمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا قَشْرَةُ الصَّدَمِ عَلَى عَيْنَنَا،
وَالْوَقْرُ فِي آذَانَا.

«لَا تَدْعُ شَيْئاً قَبِيحاً يَا صَدِيقِي، سَوْيَ الْخُوفِ الَّذِي يَخَالِجُ رُوحَ مَا حِيَالِ
ذَكْرِيَّاتِهَا الْخَاصَّةِ».

وفيما كانوا جالسين ذات يوم في ظلال أشجار الحور، تكلم أحدهم قائلًا: «أنا يا معلم خائف من الزمن. إنه يمر بنا، ويسلبنا صبانا، فما هو الشيء الذي يعطيه بدلاً منه؟».

أجابه قائلًا: «خذ الآن حفنة من التراب. قد تجد فيها بذرة، وقد تجد دودة، فإذا كانت يدك كبيرة وقوية بما فيه الكفاية فإن في وسع البذرة أن تصير إلى غابة، والدودة إلى جمع من الملائكة. ولا تنس أن السنين التي حولت البدور إلى غابات، والسيدان إلى ملائكة، إنما يعود أمرها كله إلى هذا «الآن»، كل السنين قائمة في «الآن» هذا نفسه».

«وأي شيء هي فصول الأعوام سوى أفكارنا تتغير وتبدل؟ الربيع يقظة في صدركم، والصيف ما هو إلا اعتراف بأنماركم، والخريف أما هو العتيق من غنائمكم لترنيمة لا تزال طفلة في كيانكم؟ وهل الشتاء، أنا أسألكم، سوى رقدة طويلة تفعها الأحلام بالفصل الآخرى كلها؟».

ونظر عند ذاك مأنوس، التلميذ الباحث، إلى ما حوله، ورأى أغراساً مزهرةً تعلقت على شجرة جميلة، وقال: «ها هي الطفليات يا معلم. ما تقول فيها؟ إنها لصوص ذات أجفان نهكها التعب، تسلب النور من أبناء الشمس أولى العزم، وتتباهى بالنسخ الذي يتدقق في أغصان هؤلاء وأوراقهم».

أجابه المصطفي قائلًا: «كلنا يا صديقي طفليات؛ إننا نحن الذين نحول المدر إلى حياة نابضة، لسنا أرقى من أولئك الذين يأخذون الحياة مباشرةً من المدر، دون أن يعرفوا المدر».

«هل لأم أن تقول لطفلها: «أنا أرددك إلى الغابة، أمك الكبرى، لأنك ترهقني قلباً ويداً؟

«أم هل للمغني أن يزجر الأغنية التي ينشدها قائلًا: «عودي الآن إلى كهف الأصداء الذي أتيت منه، لأن إنشادك يستهلك أنفاسي»؟

«وهل للراعي أن يقول للفصيل الذي أدرك عame الأول: «ليس لدى مرعى
أستطيع أن أقودك إليه، وعليك الآن أن تفصل عن أمك، وتضحي بنفسك في
سبيل هذه القضية؟»

«أصح يا صديقي! كلّ هذه أسئلة تلقي أجوبتها قبل أن تُطرح. وهي
تحقق مثل أحلامك قبل أن تنام.

«إننا نعيش بعضنا على بعض وفقاً للشريعة القديمة السرمدية. دعنا نعش
هكذا في نعيم الحب. وإننا لنندب بعضنا البعض في وحدتنا، ونتسخ على
الطريق، حين لا يكون لدينا مقدمة نجلس إلى جانبهما.

«إن أوسع طريق، يا أصدقائي وإخوانني، إنما هو طريق رفاقكم من
الناس.

« وهذه الأغراض التي نعيش على الشجرة، تمتّص حليب الأرض أثناء
هدأة الليل الناعمة، والأرض بدورها ترضع ثدي الشمس أثناء حلمها
الهادئ.

«والشمس، شأنها شأنكم، وشأنى وشأن كلّ كائن، تجلس متساوية
لغيرها في الشرف، إلى مأدبة الأمير الأعظم ذي الباب المفتوح أبداً، والمائدة
الممدودة أبداً.

«يا صديقي مأنوس، كلّ ما هو كائن يعيش على كلّ ما هو كائن. وكلّ ما
هو كائن يعيش بالإيمان الذي لا ساحل له، على رحمة العليّ الأعلى».

٨

وذات صباح، والسماء لم تأتلق بعد بالنور، راح الجميع يتذمرون في
الحدائق، ويتأملون المشرق، وهم صامتون حيال الشمس الطالعة.

وأوْمًا المصطفى، بعد برهة، بيده وقال: «ليست صورة شمس الصباح في قطرة الندى، أقل من الشمس، وانعكاس الحياة في روحكم ليس (أقل من الحياة).

«إن قطرة الندى تعكس النور لأنها هي والنور شيء واحد، وأنتم تعكسون الحياة، لأنكم أنتم الحياة شيء واحد.

«وعندما يخيم الظلام عليكم، قولوا: «الظلام فجر لما يولد بعد، وعندما يلفني الليل بجلابه، فإن الفجر يولد في نفسي على نحو ما يولد فوق الروابي».

«وليس قطرة الندى التي تنداح كرّة في شفق الزنبق، غير شبيهة بكم، وأنتم تجمعون روحكم في قلب الله.

« وإن خطر لقطرة الندى أن تقول: «ولكني سأظلّ بعد ألف سنة قطرة ندى» قولوا لها: «ألا تعلمين أن نور تلك الأعوام كلها يشرق في دائرك؟».

٩

وذات مساء هبت عاصفة كبيرة على المكان، وذهب المصطفى وتلامذته التسعة، خلال هبوبها، وجلسوا حول النار هادئين، صامتين.

ثم تكلّم أحد التلامذة قائلاً: «أنا وحيد، يا معلم! وحوافر الزمن تمر على صدري ثقيلة الرطاء، بطيئة الخطى».

وقف المصطفى، وانتصب في وسطهم، وقال بصوت يشبه عصف الريح الهائجة: «وحيداً وماذا في الأمر؟ جئت إلى هذا العالم وحيداً، وستمضي وحيداً في الضباب.

«إشرب كأسك إذن، وأنت صامت، وحيد. لقد أعطت أيام الخريف

شفاهَا أخْرِى، أَقْدَاحَا أخْرِى، وَمَلَأْتُهَا بِخُمْرٍ مَرَّةً وَعَذْبَةً كَمَا سَبَقَ لَهَا أَنْ
مَلَأَتْ كَأسَكَ.

«إِشْرَبْ كَأسَكَ وَحْدَكَ، وَإِنْ كَانَ لَهَا طَعْمٌ دَمْكَ وَدَمْوَعُكَ، وَاحْمَدْ الْحَيَاةَ
عَلَى نِعْمَةِ الظُّلْمِ، فَإِنْ قَلْبُكَ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ لَيْسَ إِلَّا شَطْطًا لِبَحْرٍ قَاحِلٍ، لَا نَشِيدُ
فِيهِ، وَلَا جُزْرٌ وَلَا مَدَّ».

«إِشْرَبْ كَأسَكَ وَحْدَكَ، وَاشْرِبْهَا بِفَرَحٍ».

«إِرْفَعْهَا فَوْقَ رَأْسَكَ، وَعَبَّ مِنْهَا نَخْبَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ وَحْدَهُمْ».

«الْقَدْ حَدَثَ لِي مَرَّةً أَنْ سَعَيْتُ فِي عَشْرَةِ النَّاسِ، وَجَلَسْتُ مَعَهُمْ إِلَى
الْمَوَائِدِ، وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ كَثِيرًا، وَلَكِنْ خَمْرُهُمْ لَمْ تَصْبِعْ إِلَى رَأْسِيِّ، وَلَا سَرَّتْ
فِي جَوْفِيِّ، وَإِنَّمَا هُوَتْ فَحَسْبٌ إِلَى أَقْدَامِيِّ، وَتَخَلَّتْ عَنِّي حُكْمَتِي مَغَاضِبَةً،
وَخَتَمَ عَلَى قَلْبِي وَأَصْبَحَتْ مَغْلَقاً، وَلَمْ يَبْقَ سُوَى قَدْمَيِّ مَعَهُمْ فِي دَخَانِهِمْ».

«ثُمَّ لَمْ أَسْعَ مِنْ بَعْدِ قَطًّا فِي مَعَاشِرِ النَّاسِ، وَلَا شَرِبْتُ الْخَمْرَ مَعَهُمْ عَلَى
مَائِدَتِهِمْ».

«وَلَذِلِكَ أَقُولُ لَكَ: مَاذَا إِنْ رَاحَتْ حَوَافِرُ الزَّمْنِ تَمَرَّ عَلَى صَدْرِكَ ثَقِيلَةً
الْوَطَءِ؟ إِنَّمَا مِنَ الْخَيْرِ لَكَ أَنْ تَشْرِبْ كَأسَكَ وَحْدَكَ، فَسَتَشْرِبْ كَأسَ نَعِيمِكَ
وَأَنْتَ وَحْدَكَ أَيْضًا».

١٠

وَذَاتِ يَوْمٍ أَقْبَلَ فَرْدُوسُ الْأَغْرِيقِيُّ يَتَمَشَّى فِي الْحَدِيقَةِ، فَعَثَرَتْ قَدْمَهُ
بِحَجَرٍ، وَسَخَطَ لِلَّذِلِكَ، ثُمَّ دَارَ وَالتَّقَطَ الْحَجَرَ، وَقَالَ بِصَوْتٍ خَافِتٍ: «يَا لَكَ
مِنْ شَيْءٍ مِيتٍ فِي طَرِيقِيِّ! وَقَدْفَ بِهِ بَعِيدًا».

وَقَالَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ، الْحَبِيبُ: «لِمَاذَا تَقُولُونَ: يَا لَكَ مِنْ شَيْءٍ مِيتٍ؟

هل قضيت زمناً طويلاً في هذه الحديقة على هذه الحال، وأنت لا تعرف أن ليس فيها شيء ميت؟ إن جميع الأشياء هنا تحيا وتتألق بضياء النهار وجلال الليل، أنت والحجر شيء واحد. هنالك فرق وحيد في نبضات القلب، فإن قلبك ينبض على نحو أدق قليلاً. أليس كذلك يا صديقي؟ إلا أنه لا ينطوي على هدوء الحجر.

«يمكن أن يكون لخفقه نغم آخر، غير أنني أقول لك: إذا أنت سبرت أغوار روحك وقشت أعلى الفضاء، فإنك لن تسمع سوى أغنية واحدة، والحجر والنجم يتزمنان بتلك الأغنية معاً في جوقة متكاملة منسجمة.

«إذا كانت كلماتي لا تبلغ فهمك، فدعها إذن إلى فجر آخر. وإذا كنت قد لعنت هذا الحجر الذي عثرت به في حمي عما وراك، فهل تلعن النجم لو أن رأسك ارتفع حتى اصطدم به في السماء؟ ولكن اليوم الذي تجمع به الحجارة والنجوم على نحو ما يجني الولد زنابق الوادي، آتٍ قريباً، وعند ذاك ستعلم أن جميع هذه الأشياء مفعمة بالطيب والحياة».

١١

وعندما بلغت أصوات الأجراس في المعبد آذانهم، وكان ذلك في اليوم الأول من الأسبوع، تكلم أحدهم وقال: «إننا لنسمع في جوارنا يا معلم، كلاماً كثيراً عن الله، ماذا تقول في شأنه، ومن هو في حقيقة أمره؟».

وقف أمامهم كأنه شجرة شابة لا تخشى الريح ولا العاصفة، وأجاب قائلاً: «فأكروا الآن، أيها الرفاق الأحباء، في قلب يحوي قلوبكم جموعة، في حبٍ يحيط بكل حبٍ يخالجكم، في روح تغلّف أرواحكم كلها، في صوت ينطوي على أصواتكم جميعها، في صمت أعمق من كل صمت تمرون به، فيما هو سرمدي».

«ثم حاولوا أن تدركوا في كمال ذاتكم جمالاً أبهى من جميع الأشياء البهية، ونشيداً أرحب من أناشيد البحر والغابة. وجلالاً يقيم على عرش، كوكبة الجبار أمامه ليست سوى موطن قدم، وبيده صولجان ليست حاله نجوم الشريا سوى وميض ل قطرات ندى.

«القد قصرتم نشدانكم دوماً على المأكل والمأوى، على اللباس والأثاث، فانشدوا الآن «واحداً» لا هو بهدف لسهامكم، ولا بكهف حجري يقيكم عوادي الطبيعة.

«إذا كانت كلماتي صخرة ولغزاً، فانشدوا، وليس هذا أقل ما يتطلب إليكم، أن تخشع قلوبكم وتنكسر، وأن تسوقكم ضراعاتكم إلى حب العلي الأعلى وحكمته، إلى ذلك القدير الذي يدعوه الناس: الله».

«وخيّم الصمت عليهم جميعاً، وسرت الحيرة إلى قلوبهم، واضطربوا في قرارة نفوسهم، وأشفق عليهم المصطفى، ونظر إليهم برقة وقال: «لنقف الآن عن الكلام في شأن العلي الأعلى، رب الأرباب. ولتكلّم عن الأرباب من جيرانكم وإخوانكم، وعن عناصر الطبيعة التي تثور حول منازلكم وفي حقولكم.

«إنكم لو تذدون أن ترتفعوا بالخيال إلى النعيم، وتحسبون ذلك علواً، وتذدون أن تعبروا البحر الرحيب وتذدون أن ذلك مسافة شاسعة، غير أنني أقول لكم إنكم تبلغون، إذ تزرعون بذرة في الأرض، مكاناً أعلى، وعندما تمجدون رواء الصباح لقريبكم، تقطعون بحراً أرحب.

«إنكم تترنمون أكثر الأحيان باسم الله السرمدي، غير أنكم لا تسمعون، في الحقيقة، النشيد الذي تترنمون به. هلاً أصفيتكم إلى أغاني العصافير، إلى آنين الأوراق التي تنزعها الربيع عن الأغصان حين تهبت عليها، ولا تنسوا، يا أصدقائي، أن هذه لا تغنى إلا عندما تفارق الأغصان

«ولاني لأكرر عليكم ما أمرتكم به، أن لا تتكلّموا عن الله الذي هو الكل في الكل، من غير وعي أو تقدير، ولكن أخرى بكم أن يتحدث بعضكم عن

بعض، ويفهم الواحد منكم الآخر، قريباً لقريب، وإلهًا لإله.

«بِمَ يَقْتَاتُ الْفَرَخُ فِي الْعَشِّ إِذَا هَجَرَتِهِ أُمُّهُ وَحَلَقَتْ فِي أَجْوَازِ السَّمَاءِ؟ وَأَنِّي لِشَقِيقَةِ النَّعْمَانِ فِي الْحَقْلِ أَنْ تَكَامِلَ إِذَا لَمْ تَلْقَهَا نَحْلَةٌ بِرْحِيقَ شَقِيقَهَا؟»

«إِنَّكُمْ لَا تَنْشِدُونَ السَّمَاءَ الَّتِي تَدْعُونَهَا «اللَّهُ» إِلَّا عِنْدَمَا تَضَيِّعُونَ فِي ذَاتِكُمُ الصَّغِيرَةِ، هَلَّا جَهَدْتُمْ فِي أَنْ تَجْدُوا سُبُلَ الرِّشادِ فِي ذَاتِكُمُ الْكَبِيرِ. هَلَّا سَعَيْتُمْ فِي أَنْ تَكُونُوا أَقْلَى كَسْلًا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَأَخْدَتُمْ فِي تَبْيَادِ الْطَّرَقِ!»

«لَقَدْ كَانَ مِنَ الْأَحْكَمِ، يَا أَصْدِقَائِي وَبِخَارَتِي، أَنْ يَقُلَّ كَلَامُنَا عَنِ اللَّهِ الَّذِي لَا نُسْتَطِعُ أَنْ نَفْهُمْهُ، وَيَكْثُرُ حَدِيثُنَا بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ، إِذَا يَتَاحُ لَنَا أَنْ نَتَفَاهَمُهُ. وَكَانَ بُوَّبِي أَنْ تَعْرُفُوا، مَعَ ذَلِكَ، أَنَّا عَبْرُ اللَّهِ وَأَرْبِيعَ طَيْبِهِ، نَحْنُ اللَّهُ فِي الْوَرْقَةِ، فِي الزَّهْرَةِ، وَأَغْلُبُ الْأَحْيَانِ فِي الثَّمَرَةِ».

١٢

وَذَاتِ صَبَاحٍ، عِنْدَمَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ، تَقْدِمُ أَحَدُ التَّلَامِذَةِ. وَكَانَ مِنْ أَوْلَىَكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَعِبَ مَعَهُمْ فِي أَيَّامِ صَبَاحٍ. وَقَالَ لَهُ: «تَهْلِهِلُ ثُوبِي يَا مُعْلِمِي، وَلَيْسَ لِدِي غَيْرِهِ، فَاسْمَحْ لِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى السَّوقِ وَأَسَوِّمْ، عَلَّ الحَظْ يَتَيَّحُ لِي أَنْ أَحْصِلَ عَلَى كَسَاءٍ جَدِيدٍ».

حَدَّقَ الْمُصْطَفَى مُلْيَا إِلَى الشَّابِ وَقَالَ: «اعْطِنِي ثُوبَكِ» فَخَلَعَهُ الشَّابُ وَوَقَفَ عَارِيًّا فِي الْهَجِيرَةِ.

وَعِنْدَ ذَاكَ، رَاحَ الْمُصْطَفَى يَقُولُ بِصَوْتٍ شَبِيهٍ بِالصَّوْتِ الَّذِي يَحْدُثُ مَهْرَ يَعْدُو عَلَى طَرِيقٍ: «الْعَارِي وَحْدَهُ يَعِيشُ فِي الشَّمْسِ. وَالسَّاذِجُ وَحْدَهُ يَرْكِبُ

الريح. والذي يضيع عن طريقه ألف مرة، هو الوحيد الذي يصلح متزلاً يطمئن فيه.

«لقد تعب الملائكة من الحاذقين المدرّعين بالفطنة. وجاءني البارحة ملاك، لم يأتني إلا البارحة، وقال لي: «خلقنا جحيناً لأولئك الذين يتباهون. أي شيء يمحو المظهر اللامع، ويذيب الشيء حتى يرده إلى جوهره سوى النار؟».

«وقلت: «ولكنكم تخلقون أيضاً، إذ تخلقون الجحيم، شياطين للقيام بأمره». فرد الملاك قائلاً: «إنما يقوم على الجحيم أولئك الذين لا تنال منهم النار».

«يا للملك الحكيم! إنه يعرف سُبُل الرجال وطرائق أنصاف الرجال. إنه واحد من أولئك الأبرار الذين يأتون لمعونة الأنبياء حين يosoس لهم المخادعون الأذكياء. ولا ريب أنه يبتسم عندما يبتسم الأنبياء، ويبكي أيضاً عندما يبكون.

«العاري وحده، أيها الأصدقاء والبهارون، يعيش في الشمس. والربان الذي لا دقة له وحده هو الذي يركب البحر العباب ولا يبالي، وذو النفس المظلمة هو الذي يُظلم في الليل ويستيقظ مع الفجر، والوحيد الذي يدرك الربيع هو الذي ينام مع الجذور تحت الثلج.

«ذلك بأنكم تشبهون الجذور، فأنتم رَتَاء كالجذور، ولكنكم مع ذلك حكمة بالغة، هي التي تستقونها من الأرض. وأنتم صامتون، ولكن لكم مع ذلك من أغصانكم التي لما تولد بعد، جرعة الرياح الأربع.

«أنتم واهون، لا شكل لكم، ولكنكم مع ذلك بداية أشجار سامة جبار، ومستهلل أدواح تناطح السحاب.

«أقول لكم ثانية وأكثر: لستم سوى جذور بين التراب والسماءات المتحركة. وكثيراً ما شاهدتكم ترتفعون لترقصوا مع النور. غير أنني رأيتكم أيضاً يخامركم الحياة وأنتم ترتفعون. وكل الجذور يخامرها الحياة. لقد

أخذت قلوبها زمناً طويلاً، فلا تعرف بعد ما تصنع بقلوبها.

«ولكن نواراً سياطي. ونوار عذراء لا تعرف الراحة، وسيكون منها أن تحنو على الروابي والسهول».

١٣

وتقديم إليه أحد الذين خدموا في المعبد، ضارعاً وقال: «علمنا يا معلم أن تكون كلماتنا مثل كلماتك، غناء للناس وطبيأ عابقاً».

أجابه المصطفى قائلاً: «سوف تسمو على كلماتك، ولكن طريقك ستظل نغماً وأرجأً: نغماً للمحبين وكل من هم أحباء على السواء. وأرجأً لأولئك الذين يودون الحياة في بستان».

«بيد أنك ستسمو على كلماتك إلى ذروة يناثر فوقها غبار النجوم وستفتح يديك حتى تمتلنا، وعند ذاك ستضطجع وتغفو كما يغفو الفرش في عش أبيض، وتحلم بالغد كما تحلم البنفسجة البيضاء بالربيع

«أجل! وستغوص إلى أعمق من كلماتك، ستتشد ينابيع الجداول التائهة، وستكون كهفاً مخباً يردد أصوات الأصوات الخافتة التي تعالى في الأعماق، وأنت لا تسمعها الآن».

«ستغوص إلى أعمق من كلماتك، إلى أعمق من كل الأصوات، إلى قلب الأرض، وهناك ستكون وحيداً «معه»، مع ذاك الذي يسير أيضاً على المجرة».

وبعد برهة، سأله أحد التلامذة قائلاً: «حدّثنا أيها المعلم، عن الكون، ما هو؟».

نظر المصطفى إليه مليأً، وشعر بانعطاف حبّ نحوه، ثم وقف، ومشى

بعض خطوات بعيداً عنهم، ثم عاد وقال: «هنا، في هذه الحديقة يرقد أبي وأمي، دفتهما أيدي أحياء. وفي هذه الحديقة ترقد مدفونة بذور الأمس، جاءت بها إلى هنا أجنحة الريح. وسيدفن أبواي هنا ألف مرة، وألف مرة ستدفن البذور هنا. ولذلك سوف نأتي أنا وأنتم وهذه الأزهار معاً لالاف سنة في هذه الحديقة، كما نحن الآن، ولسوف «نكون» نحب الحياة، ونحلم بالمدى، ونتسامي نحو الشمس.

«غير أن «الكينونة» الآن، إنما هي أن تكون حكيمًا، لا غريباً مع ذلك، عن المجنون، أن تكون قوياً ولكن لا لتسيء إلى الضعف، وأن تلعب مع الأطفال، لا كوالد بل كرفيق يود أن يتعلم العابهم.

«وهي أن تكون بسيطاً وديعاً مع الطاعنين في السن من الرجال والنساء، وتجلس معهم في ظلّ السنديانة العتيقة، وإن كنت لا تزال تمشي مع الريح.

«هي أن تسعى وراء شاعر وإن كان يعيش وراء سبعة أنهار، وتهدا في حضوره، لا تريد شيئاً، ولا ترتاتب في شيء، ولا تنبس شفتاك بسؤال.

«هي أن تعرف أن القديس والخاطئ. آخران توأمان، أبوهما «الملك الغفور»، وأن أحدهما ولد قبل الآخر بلحظةٍ فقط، ولذا نحن ننظر إليه على أنه أمير متوج.

«هي أن تتبع الجمال حتى وإن قادك إلى حافة الهاوية، وهو، وإن كان مجنحاً وأنت بلا أجححة، وإن مرت فوق الهاوية، عليك أن تتبعه، لأنه حيث لا جمال، لا شيء هناك.

«هي أن تكون بستانًا بلا جدران، وكرمًا بلا حارس، وخزانة كنز مفتوحة للعابرين.

«هي أن تكون سليماً، مخدوعاً، مختيأً، أجمل وأمضلاً، وقع في الفخ، ومع ذلك كلّه تنظر من عليه ذاتك الرحبة إلى ما هو دونك، وتبتسم عارفاً أن ثمة ربيعاً لا بدّ أن يأتي إلى كرمك ليরقص في أوراقه، وخريراً ليُنسج عناقيده، عارفاً أنه لو ظلّ لديك شباك واحد مفتوح على الشرق، لن يفرغ

منزلك أبداً، عارفاً أن جميع أولئك الذين اعتبروا أشراراً، ولصوصاً، ومحتالين، وغشاشين، إنما هم إخوتكم في الفاقة، وأنك ربما كنت هؤلاء جميعاً في نظر أهل تلك المدينة اللامنظورة، القائمة فوق هذه المدينة.

«والآن أوجه الكلام إليكم أيضاً أنتم ذوي الأيدي البارعة التي تصوغ وتوجد جميع الأشياء الالزمة لرفاهية عيشنا في الليل والنهار:

«الكينونة هي أن تكون حائطاً ذا أنامل تبصر، وعماراً واعياً للنور والمدى، أن تكون حرّاناً وتشعر أنك تخفي كنزًا في كل بذرة تزرعها. أن تكون صياداً وقناصاً ذا رأفة بالسمكة والطريدة، وأن تكون إلى ذلك، أراف بالجائع والمح الحاج من بني الإنسان».

«وأقول فوق كل شيء ما يلي: أريد أن يكون كل واحد منكم، كائناً من كان، شريكًا وعوناً لغيره في تحقيق غايته الطيبة النبيلة».

«كونوا، يا أصدقائي وأحبابي، شجعانًا لا وديعين، رحاب الصدور لا محدودين محصورين، حتى إذا جاء أجلي وأجلكم كان في الحقيقة، ذاتكم الكبرى».

وانقطع عن الكلام، وخيم على التسعة ظلام دامس، وتحولت قلوبهم عنه، لأنهم لم يفهموا شيئاً مما قال.

وراح الرجال الثلاثة من البخارية يحتون في تلك اللحظة إلى البحر، والثلاثة الذين كانوا يخدمون المعبد، يتقدون إلى سلّو حالهم في حرمته، والثلاثة الذين لعبوا معه أيام صباه، يتشوقون إلى ساحة السوق. كان الجميع صُمّاً حيال كلماته، لدرجة أن أصدقاءها كانت ترجع إليه، كالطيور المتعبة التي فقدت المأوى تحوم بحثاً عن ملجاً.

ومشى المصطفى بضع خطوات نأى بها عنهم في الحديقة، دون أن يقول شيئاً، أو ينظر إليهم.

وراحوا يتشارون فيما بينهم ويبحثون عن عذر يبرر رغبتهم في الذهاب.

وهنا، انصرفوا، وذهب كل واحد منهم إلى مكانه، وظل المصطفى المختار، الحبيب، وحيداً، فريداً....

١٤

وعندما أقبل الليل، وضرب سرادقه على الكون كله، توجه نحو المقبرة التي ترقد فيها والدته تحت شجرة الأرز التي كانت تتعالى شامخة، وهناك، أطلق طيف نور عظيم على السماء، وائلت الحديقة ائتلافة حلية على صدر الأرض.

وصاح المصطفى، من قراره الوحيدة التي تلف روحه، وقال^(١): «القد أثقلت روحي بشرتها الناضجة. من ترى يأتي ويأخذها ويكون بها مسؤولاً؟ أما هناك من صائم طيب القلب، كريم النفس، يأتي ويفطر على أول نتاج لي، ويخفف بذلك من عبء خصبي؟

«إن روحي تتدقق بخمرة العصور. أما هناك من ظامن يأتي فيشرب؟ ها إن هنالك رجلاً وقف على مفترق الطرق، ويداه ممدودتان للعابرين، وقد امتلأتا بالحُليّ والجواهر، وهو ينادي المارة، قائلاً: «ارثوا لحالى، وخذلوا مني، أرجوكم باسم الله العلي العظيم أن تأخذلوا مني ما في يدي وتواسوني».

(١) ورد هذا المقطع بلغة جبران العربية في المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية صفحة ٥٧٧ تحت عنوان «نفسي مثقلة بأثمارها» - طبعة دار الجيل.

«ولكن المازة كانوا ينظرون إليه فقط، وما فيهم من أحد أخذ ما في يده.

« ولو أنه كان متسللاً يمدد يده ليأخذ نعم! يمدد يداً مرتعشة ويرجعها فارغةً إلى حضنه، لكان خيراً له من أن يمتدّها ملأها بالعطايا الوفرة، ولا يجد من يتقبلها.

«وها إن هنالك أميراً أيضاً ذا لطف وأريحية، ضرب خيامه الحريرية بين الجبل والصحراء، وأمر خدمه أن يشعّلوا النار علامَةً يهتدي بها الغريب والتابع، كما وجّه عبيده إلى الأمكنة النائية والطرق الموحشة يراقبونها بحثاً عن الضيوف، ولكنهم لم يجدوا فيها أحداً.

«لو أن ذلك الأمير كان رجلاً عادياً لا يُعرف من أين أتى ولا كيف أتى، راح ينشد القوت والمأوى، بل لو كان هو نفسه التائه المعدم الذي لا يملك سوى أسماله وكشكوله، لكان خيراً له، وللقي عند انسداد الظلام أشباهه من الشعرا والمشردين، وشاركتهم في تسولهم وتذكاراتهم وأحلامهم.

«وها إن هنالك ابنة ملك عظيم، استيقظت من سباتها وارتدى رداءها الحريري، وتحلت بلالتها وجواهرها، ونشرت المسك على شعرها، وغمست أناملها في العنبر، ثم نزلت من برجها العالي إلى حديقتها، حيث احتفل الندى بمقدم حذائها الذهبي.

«وراحت ابنة الملك العظيم تنشد الحب، في الحديقة، خلال هدأة الليل، ولكن أحداً من أبناء مملكة أبيها الواسعة، لم يكن يحبّها.

«لقد كان من الأفضل لها أن تكون ابنة حراث، جازة نعجتها في حقل، وعند المساء تعود إلى منزل أبيها، وغبار الطريق يعلو قدميها وعيّر الكروم يفوح من ثنياتها، حتى إذا أقبل الظلام، وخيم بأجنحته ملاك الليل على العالم، تتسلل إلى نعجتها وتنسلّ بها إلى نهر الوادي حيث ينتظّرها حبيبها.

«بل إنها لتؤذ لو كانت راهبة في دير يحترق فؤادها بخوراً، ويصاعد طيباً مع الريح، وتلفني روحها شمعةً في نور يصاعد نحو نور أسمى، برفقة جميع

أولئك الذين يتعبدون والذين يُحيتون ويُحيّتون.

«كان الأفضل لو أنها امرأة من الطاعنات في السن، تجلس تحت الشمس وتتذكرة ذاك الذي شاركها أيام صباها».

واشتد ظلام الليل، واريد وجه المصطفى مع الليل، وأمست روحه غيمة مثقلة، فصرخ ثانية :

«ناءت روحي بعبء ثمارها الناضجة.

ناءت روحي المثقلة بثمارها

من ذا الذي يأتي الآن فيقات ويُشيع؟

إنّ روحي لتفيض بخمرتها

من ذا الذي يستقي الآن ويتحسّي ويبترد من رمضان الصحراء؟

«ليتنى كنت شجرة لا زهر لها ولا ثمر

فإنّ عناء الخصب أمرٌ من القحط

وعذاب الموسر الذي لا يوجد من يأخذ منه

أكبر من عذاب المتسلّل الذي لا يوجد من يعطيه.

* * *

«ليتنى كنت بثراً ناضبة، جافة

والناس يلقون بي الأحجار

فإن ذلك أجدى وأخفت حملًا من أن أكون ينبوع ماء حتى،

يَمْرُّ به الناس ولا يشربون.

* * *

«ليتنى كنت قصبة يدوسها المارة بأقدامهم

فإن ذاك خير من أن أكون عودًا ذا أوتار فضية في بيت ليس لصاحبها
أنامل،

وأولاده ضمّ».

* * *

ثم انقضت سبعة أيام وسبع ليالٍ، لم يمر خلالها أحد قرب المديقة، وأقام وحيداً مع ذكرياته وعدابه. وذلك لأن الناس انصرفوا عنه، ومضوا يبحثون عن أماكن أخرى ينفقون فيها أيامهم، حتى الذين أصغوا إلى كلماته بحسب وآناء.

إلا أن كريمة وحدها أقبلت، والصمت يعلو محياتها كأنه حجاب، وبيدها قدح وصحن، ولحم وشراب، ثم مضت لشأنها، بعد أن وضعت هذه الأشياء أمامه.

وعاد المصطفى إلى صحبة أشجار الحور البيضاء، وجلس وراء بوابته يتأمل الطريق، وإذا به يبصر، بعد برهة، شبحاً كأنه غمامه لاهثة على الطريق، قد أقبل عليه. وانجلت تلك الغمامه عن الأشخاص التسعة، وأمامهم كريمة تقودهم.

تقدّم المصطفى ولاقاهم على الطريق، ومرّوا من البوابة، وكان كل شيء على ما يرام، ثم مضوا كما لو أنهم تابعوا السير، ولم ينقطعوا عنه سوى ساعة.

دخلوا وتناولوا عشاءهم معه على مائدته البسيطة، بعد أن أضافت كريمة إليها بعض الخبز والسمك وسكت آخر ما لديها من خمرة في الأقداح. وفيما كانت تسكتب، توجهت للمعلم برجاء قائلة: «اسمح لي أن أذهب إلى المدينة، وأبحث عن خمر أملأ بها الأقداح من جديد، بعد أن نفذ ما لدى منها».

ونظر إليها، وكان في عينيه طيف رحلة ويلد بعيد، وقال: «لا! إن هذا كافٍ حتى الساعة».

وأكل الجميع وشربوا و كانوا في سرور، حتى إذا فرغوا، تكلم المصطفى بصوت جهوري، عميق كالبحر، زاخر كالتيار الدافق في ضوء القمر، وقال: «يا أصحابي ويا رفاق طريفي، لا بدّ لنا من أن نسافر اليوم. لقد مضى علينا زمن طويل قطعنا به البحار المهلكة، وتسلقنا الجبال الوعرة

وصارعننا العواصف. ولقد عرفنا الجوع، غير أننا جلسنا أيضاً إلى مأدب الأعراس، وغالباً ما كنّا عراة، ولكننا ارتدينا أيضاً حلاً ملκية. ولقد سافرنا، في الحقيقة، إلى أماكن بعيدة، ولكننا الآن نرحل. ستذهبون معاً في طريقكم، ولكن سأسلك وحدني في طريقي.

«ولئنما سنظل، وإن كانت البحار والبراري الشاسعة ستفصل بيننا، رفاق سفر إلى الجبل المقدس.

«غير أنني أردد، قبل أن نمضي في مسالكنا الوعرة الشاقة، أن أقدم لكم حصاد قلبي ولقاطه:

«سيروا في سبيلكم وأنتم تغنون، ولكن لتكن كل أغنية قصيرة لأن الأغاني التي تموت باكراً على شفاهكم، هي وحدها التي تعيش في قلوب الناس.

«قولوا حقيقة جميلة في كلمات قليلة، ولا تقولوا أبداً حقيقة قبيحة أية كانت الكلمات. قولوا ل الفتاة التي يلمع شعرها في الشمس إنها بنت الصباح. ولكن إذا شاهدتم الأعمى، إياكم أن تقولوا له إنه هو والليل شيء واحد.

«أصغوا إلى عازف الشابة كما لو كنتم تصغون إلى نيسان، ولكن إذا أنتم سمعتم الناقدين والباحثين عن الزلات يتكلمون، كونوا صُمّاً كأنكم عظام جامدة، وابتعدوا إلى أبعد ما يشطح بكم الخيال.

«يا رفافي ويا أحبابي! ستلتقون في طريقكم رجالاً ذوي أخلاف، فأعطوهم من أجمنتكم، وأخرين ذوي قرون، فقدموا لهم أكاليل غار، ورجالاً ذوي مخالف، فأعطوهم عسلًا لکلامهم.

ـأجل! ستلتقون هؤلاء جميعاً وأكثر. ستلتقون عرجاً يبيعون العكاكيز، وعمياناً يبيعون المرايا، وستلتقون الأغنياء على أبواب المعابد يتسلّلون.

«أعطوا العزّج من رشاقتكم، والعُنْي من بصركم، وانظروا إذا كنتم تعطون من أنفسكم للأغنياء المتسللين، فهوّلء أفق أهل الأرض، لأن ما من

رجلٍ يمْدُّ يده للصدقات إِلَّا إِذَا كَانَ حَقِيقَةً فَتِيرًا، وَإِنْ كَانَ ذَا أَمْلاكَ وَافِرًا.

«يَا رَفَاقِي وَيَا صَاحِبِي! أَوْصِيكُمْ بِاسْمِ الْحَبَّ الَّذِي يَجْمِعُ قُلُوبَنَا، أَنْ تَكُونُوا مَسَالِكَ لَا حُصْرَ لَهَا يَتَلَاقِي بَعْضُهَا مَعَ الْبَعْضِ الْآخَرِ فِي الصَّحْرَاءِ حِيثُ تَسِيرُ الْأَسْوَدُ وَالْأَرَابِ، وَتَطُوفُ الذِّئَابُ وَالنَّعَاجُ.

«وَادْكُرُوا هَذَا عَنِّي، أَنَا لَا أَعْلَمُكُمْ أَنْ تَعْطُوا، بَلْ أَنْ تَأْخُذُوا، وَلَا أَقْنَكُمُ النَّكْرَانَ بِلِ الْوَفَاءِ، وَلَا الْإِسْتِسْلَامَ بِلِ الْفَهْمِ بِابْتِسَامَةِ عَلَى شَفَاهِكُمْ.

«أَنَا لَا أَعْلَمُكُمُ الصَّمَتَ، بَلِ الْفَنَاءِ وَلَكُنْ بِصُوتِ غَيْرِ صَاحِبٍ.

«أَنَا أَعْلَمُكُمْ أَنْ تَحْقِقُوا ذَاتَكُمُ الرَّحِيْبَةَ الَّتِي تَسْعُ النَّاسَ أَجْمَعِينَ».

وَنَهَضَ عَنِ الْمَائِدَةِ، وَذَهَبَ يَمْشِي فِي خَطَّ مُسْتَقِيمٍ نَحْوَ الْحَدِيقَةِ، وَسَارَ فِي ظَلَالِ السَّرُورِ، بَيْنَمَا كَانَ النَّهَارُ يَنْحدِرُ إِلَى مَغْرِبِهِ، وَتَبَعَوْهُ عَنْ مَسَافَةِ قَرِيبَةٍ إِذَا كَانَ أَفْتَدَهُمْ مُثْقَلَةً، وَأَسْتَهِمْ مَعْقُودَةً.

وَجَاءَتْهُ كَرِيمَةُ وَحْدَهَا، بَعْدَ أَنْ طَرَحَتْ فَتَاتَ الْمَائِدَةَ جَانِبًا، وَقَالَتْ: «أَوْدُّ يَا مَعْلِمَ أَنْ تَسْمِحَ لِي بِإِعْدَادِ الزَّادِ لِرَحْلَتِكَ وَغَدَكَ».

نَظَرَ إِلَيْهَا بَعِينِينَ تَطَلُّ مِنْهُمَا عَوَالَمٌ أُخْرَى غَيْرُ هَذِهِ «الْعَالَمِ»، وَقَالَ: «يَا أَخْتِي وَيَا حَبِيبِي! الْزَادُ مُعَدٌّ مِنْذَ بَدْءِ الزَّمْنِ. وَالطَّعَامُ وَالشَّرَابُ جَاهِزانَ لِلْغَدِ، وَهُنَّتِ لِأَمْسِنَا وَيَوْمَنَا».

«أَنَا ذَاهِبٌ، غَيْرُ أَنِّي إِذَا ذَهَبْتُ وَلَدِيْ حَقِيقَةٌ لَمْ أَقْلِهَا بَعْدَ، فَإِنْ تَلَكَ الْحَقِيقَةُ نَفْسَهَا سَتَسْعُ فِي نَشْدَانِي وَتَلْمِلْمِنِي، وَإِنْ كَانَتْ عَانِصِرَ جَسْمِي قَدْ تَبَدَّدَتْ فِي صَمَتِ الْأَبْدِيَّةِ، وَأَعُودُ ثَانِيَةً إِلَيْكُمْ، بِحِيثُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكْلِمُكُمْ مِنْ جَدِيدٍ بِصُوتٍ يَرْتَفِعُ مِنْ قَلْبِ ذَلِكَ السُّكُونِ الْأَبْدِيِّ».

«وَإِذَا كَانَ ثَمَةُ شَيْءٍ مِنْ جَمَالٍ لَمْ أَصْرَحْ بِهِ لَكُمْ، فَسَأَدْعُ ثَانِيَةً بِاسْمِي، أَجْلَ بِاسْمِي ذَاتَهُ «الْمَصْبِطُونِي»، وَسَأُعْطِيكُمْ عَلَمَةً تَعْرَفُونَ بِهَا أَنِّي رَجَعْتُ لِأَقْلُولِ كُلِّ مَا أَنْتُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى قَوْلِهِ، لَأَنَّ اللَّهَ لَنْ يَأْذِنَ بِأَنْ يَخْفِي عَلَى الْإِنْسَانِ، وَلَا أَنْ تَظَلَّ كَلْمَتَهُ مَحْجُوبَةً فِي حَفْرَةِ خَفِيَّةٍ مِنْ قَلْبِ إِنْسَانٍ».

وخرج المصطفى من حديقة أمه، وكانت خطواته هادئة، لا صوت لها.
وما هي إلا لحظة، حتى انطلق مرتفعاً عنهم وابتعد، كورقة ممزقة حملتها
الزعزع، وأبصروا من أثره، كلّ ما أبصروه، نوراً شاحباً يتحرك في أجواز
السماء.

وسار التسعة في طريقهم يهبطون، ولكن المرأة ظلت واقفة في الليل الزاحف، تشاهد كيف أصبح النور والغesc شيئاً واحداً، وراحت تواسي وحدتها ووحشتها بكلماته: «أنا ذاهب، ولكن إذا أنا ذهبت ولدي حقيقة لم أقلها بعد، فإن تلك الحقيقة نفسها ستسعى في نشدني وتلملمني، وأعود إليكم مرة ثانية».

• • •

1

شم و کان مسائے۔

وكان قد بلغ الروابي . وقادته خطاه إلى السديم ، ووقف وسط الصخور وأشجار السرو البيضاء ، ممحوجياً عن كلّ ما حوله ، فأخذ يتكلّم قائلاً:

«أيتها الغمامـة، يا أختـاه، يا نسمـة لم تـشاهد بعد في قالـب.
أعـرد إلـيـك نـسـمة بـيـشـاء لا صـوـت لـهـا،
وـكـلمـة لم يـفـهـ بـهـا أحـدـ بـعـدـ.

* * *

«أيتها الغمامـة، يا شـقـيقـتي المـجـنـحة، نـحنـ الآن مـعاـ
وـسـنـظـلـ مـعاـ إـلـىـ أنـ يـلـقـيكـ يومـ الـحـيـاةـ الثـانـيـةـ.
قطـرـاتـ نـدـيـ، فـيـ الـفـجـرـ، عـلـىـ حـدـيـقـةـ.
وـأـنـاـ طـفـلـ فـيـ حـضـنـ اـمـرـأـةـ
نـتـذـكـرـ مـاضـيـنـ مـعاـ.

* * *

«أيتها الغمامـة، يا أختـيـ! عـدـتـ قـلـبـاـ يـصـغـيـ إـلـىـ أـعـماـقـهـ،
مـطـمـئـنـاـ كـقـلـبـكـ
وـشـوـقـاـ خـافـقاـ لـاـ هـدـفـ لـهـ مـثـلـمـاـ هوـ شـوـقـكـ
وـفـكـرـةـ لـمـ تـجـنـ بـعـدـ كـفـكـرـتـكـ.

* * *

«أيتها الغمامـة، يا أختـيـ، وـيـاـ بـكـرـ أـمـيـاـ
يـدـايـ لـاـ تـزـالـانـ تـحـمـلـانـ الـبـذـورـ الـخـضـرـ الـتـيـ أـمـرـتـيـ أـنـ أـنـشـرـهـاـ.
وـشـفـتـايـ مـخـتـومـتـانـ عـلـىـ الـأـغـنـيـةـ الـتـيـ أـمـرـتـيـ أـنـ أـغـنـيـهـاـ.
وـأـنـاـ لـمـ اـتـلـكـ بـشـمـرـةـ، وـلـمـ أـحـمـلـ إـلـيـكـ أـصـدـاءـ
لـأـنـ يـدـيـ كـانـتـ عـمـيـاـوـيـنـ، وـشـفـتـيـ لـاـ تـبـسـانـ.

* * *

«أيتها الغمامـة، يا أختـيـ! أـحـبـبـتـ الـعـالـمـ كـثـيرـاـ، وـالـعـالـمـ أـحـبـتـيـ
لـأـنـ بـسـمـاتـيـ كـلـهـاـ كـانـتـ عـلـىـ شـفـاهـهـ، وـكـلـ دـمـوعـيـ فـيـ عـيـونـهـ
وـكـانـ، مـعـ ذـلـكـ، بـيـنـنـاـ بـرـزـخـ مـنـ صـمـتـ لـمـ يـضـعـ فـوـقـهـ جـسـراـ
وـلـمـ أـسـتـطـعـ مـنـ جـانـبـيـ أـنـ أـعـبـرـهـ.

* * *

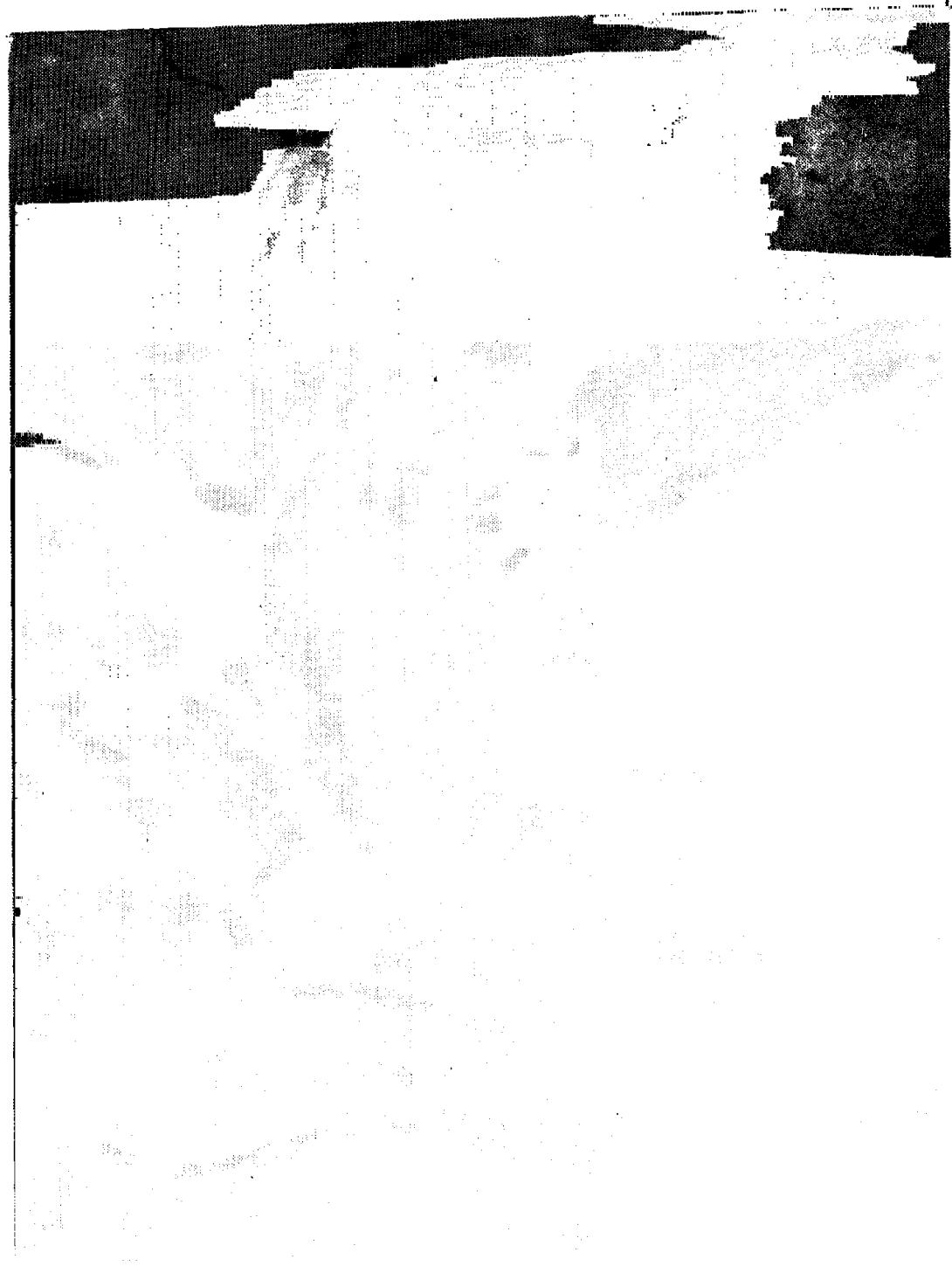
«أيتها الغمامـة، يا أختي، يا شقيقـتي التي لا يـنالـها الموت
أـنا أـنشـدـ الأـنـاشـيدـ العـتـيقـةـ لأـوـلـادـيـ الصـغـارـ
وـهـمـ يـنـصـتوـنـ، وـالـدـهـشـةـ تـعـلـوـ وـجـوهـهـمـ
وـلـكـنـ يـمـكـنـ أـنـ يـنـسـوـاـ الـأـنـشـودـةـ غـداـ
وـأـنـاـ لـاـ أـعـرـفـ إـلـىـ مـنـ سـيـحـمـلـهـاـ الـرـيـبـ
وـهـيـ وـإـنـ كـانـ لـيـسـ لـيـ، فـلـانـهـاـ بـلـغـتـ فـوـادـيـ
وـأـقـامـتـ بـرـهـةـ عـلـىـ شـفـتـيـ.

* * *

«أيتها الغمامـة، يا أختي
رـغـمـ أـنـ كـلـ ذـلـكـ مـضـىـ وـانـقـضـىـ، فـلـانـيـ فـيـ سـلـامـ
لـقـدـ كـانـ كـافـيـاـ أـنـ أـغـنـيـ لـمـنـ وـلـدـواـ
وـإـنـهـ، وـإـنـ كـانـ الـغـنـاءـ لـيـسـ لـيـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ،
لـيـرـتفـعـ مـنـ أـعـقـمـ أـشـوـاقـ فـوـادـيـ.

* * *

«أيتها الغمامـة، يا أختي الغمامـةـ
أـنـاـ وـأـنـتـ الـآنـ شـيـءـ وـاحـدـ
لـمـ أـكـنـ ذـاتـاـ مـنـذـ زـمـنـ طـوـيلـ
الـجـدـرـانـ انـهـارتـ
وـالـسـلـاسـلـ انـكـسـرتـ
وـأـنـاـ اـرـتـفـعـتـ إـلـيـكـ
وـسـتـبـحـرـ مـعـاـ إـلـىـ أـنـ يـأـتـيـ يـوـمـ الـحـيـاـةـ الثـانـيـةـ،
عـنـدـمـاـ يـلـقـيـكـ الـفـجـرـ قـطـرـاتـ نـدـىـ فـيـ حـدـيـقـةـ،
وـيـقـذـفـ بـيـ طـفـلـاـ فـيـ حـضـنـ اـمـرـأـةـ»ـ.



«الذات النائمة إلى الغمام»

فهرست

٥ مقدمة

المجنون

حفار القبور	٢٦	كيف صرت مجنوناً	١١
على درجات الهيكل	٢٧	الله	١٢
المدينة المباركة	٢٧	يا صاحبي	١٣
الإله الصالح والإله الشرير	٢٩	اللعين	١٤
في خيتي خلبي	٢٩	بين هجمة وبقظة	١٥
الليل والمجنون	٣٠	الناسakan	١٥
الرجوه	٣٢	الكلب الحكيم	١٧
البحر الأعظم	٣٢	اطليوا تجدوا	١٧
المصلوب	٣٤	الدروات السبع	١٨
الفلكي	٣٥	العدالة	١٩
الحنين الأعظم	٣٦	الشعلب	٢٠
وريقه عشب وورقة خريف	٣٧	الملك الحكيم	٢٠
اللعين	٣٧	الطموح	٢١
العالمان	٣٨	الللة الجديدة	٢٢
عندما ولدت كأبتي	٣٩	اللغة الأخرى	٢٣
وعندما ولدت مسْرَتِي	٤٠	الرمانة	٢٤
العالم الكامل	٤٠	القفصان	٢٥
		النملات الثلاث	٢٥

السابق

٥٩	دواره الريح	٤٥	أنت سابق نفسك
٥٩	ملك أردوسة	٤٦	البهلو
٥٩	طائر إيماني	٤٩	المحبة
٦٠	الخلافات	٤٩	الملك الناسك
٦٢	المعرفة ونصف المعرفة	٥١	الظلم مرتمه وخيم
٦٣	الصحيفة البيضاء	٥٢	بنت الأسد
٦٣	العالم والشاعر	٥٣	القديس
٦٥	الأثمان	٥٥	الطمع
٦٦	البحار الأخرى	٥٥	الذات العلمنى
٦٦	التربة	٥٦	الحرب والأمم الصغيرة
٦٦	المتحضر والشوحة	٥٧	النادون
٦٨	وزاء وحدتى	٥٨	الشعراء
٦٩	البيضة الأخيرة		

النبي

١١١	الشارع	٧٧	النبي
١١٣	الحرية	٨٢	المطرة
١١٥	العقل والعاطفة	٨٣	المحبة
١١٦	الألم	٨٧	الزواج
١١٨	معرفة النفس	٨٩	الأبناء
١٢٠	التعليم	٩١	العطام
١٢١	الصدقة	٩٥	الغداء
١٢٣	الحديث	٩٦	العمل
١٢٥	الزمان	٩٩	الفرح والترح
١٢٥	الخير والشر	١٠٢	المساكن
١٢٧	الصلوة	١٠٤	الثياب
١٣٠	اللذة	١٠٥	البيع والشراء
١٣٣	الجمال	١٠٧	الجرائم والعقوبات
١٣٥	الدين		

الموت ١٣٦ الوداع ١٣٩

رمل وزبد

مقدمة ١٥٣ رمل وزبد ١٥٥

يسوع ابن الإنسان

نعمان الغداريني	٢٥٠	يعقوب بن زبدي	١٩٧
توما	٢٥١	حنة أم مريم	٢٠٢
المقدم المنطقي	٢٥٣	عساف الملقب بخطيب صور	٢٠٦
إحدى العريمات	٢٥٤	مريم المجدلية	٢٠٧
رومانيوس الشاعر اليوناني	٢٥٥	فيليمون الصيدلي اليوناني	٢١١
لاوي التلميذ	٢٥٦	سمعان بطرس	٢١٣
أرملاة الجليل	٢٥٨	قيافا رئيس الكهنة	٢١٧
يهودا نسيب يسوع	٢٦٠	يونا امرأة حافظ هيرودس	٢١٨
رجل من الصحراء	٢٦٢	رفقة	٢١٩
بطرس	٢٦٣	فيلسوف فارسي في دمشق	٢٢١
ملائكي الفلكي البابلي	٢٦٤	داود أحد أتباعه	٢٢٣
فيلسوف	٢٦٦	لوقا	٢٢٣
أوريا الشيخ الناصري	٢٦٧	متى	٢٢٥
نيقولايموس الشاعر	٢٦٩	يوحنا بن زبدي	٢٢٩
يوسف الذي من الرامة	٢٧٢	كاهن شاب في كفرناحوم	٢٣١
جاورجيوس البيروتي	٢٧٣	لاوي غني بجوار الناصرة	٢٣٢
مريم المجدلية	٢٧٤	راع في جنوب لبنان	٢٣٤
يوناثان الناصري إلى أحد الرومانيين	٢٧٥	يوحنا المعandan	٢٣٥
أفرايم من أريحا	٢٧٦	يوسف الذي من الرامة	٢٣٧
برقا التاجر الصوري	٢٧٧	ثنائيل	٢٤١
فوفمية	٢٧٩	سابا الأنطاكي	٢٤٣
بنيامين الكاتب	٢٨٠	سالومه إلى صديقة لها	٢٤٤
زكا	٢٨١	راحيل إحدى التلميدات	٢٤٥
يوناثان	٢٨٣	كلوبا البتروني	٢٤٨

بربارية اليمونية ٣١٦	حننة من بيت صيدا سنة ٧٣ ٢٨٤
زوجة بيلاطس إلى امرأة رومانية ٣١٧	منسى المحامي الأروشليمي ٢٨٧
رجل خارج أورشليم ٣١٨	يفتح من قيسارية ٢٨٨
سركيس الراعي اليوناني الشيع ٣٢١	يوحنا التلميذ الحبيب في شيخوخته ٢٨٩
خنانيا رئيس الكهنة ٣٢٣	ماتوس من بومبي إلى يوناني ٢٩١
امرأة من جارات مريم ٣٢٤	بيلاطس البنطلي ٢٩٢
آحاز الجسيم صاحب الفندق ٣٢٥	برثولماوس في أفسس ٢٩٦
باراباس ٣٢٨	متى ٢٩٧
كلوديوس قائد المئة الروماني ٣٢٩	اندراوس ٢٩٨
يعقوب أخو الرب ٣٣١	رجل غني ٣٠٠
سمعان القيررواني ٣٣٦	يوحنا في بطمس ٣٠٢
سيبورية أم يهودا ٣٣٨	بطرس ٣٠٤
امرأة من جبيل ٣٤٠	إسكاف في أورشليم ٣٠٥
مريم المجدلية ٣٤١	سوسان الناصرية جارة مريم ٣٠٦
رجل من لبنان ٣٤٢	يوسف الملقب بيستوس ٣١٤
	فيلبس ٣١٥

آلهة الأرض

آلهة الأرض ٣٥١

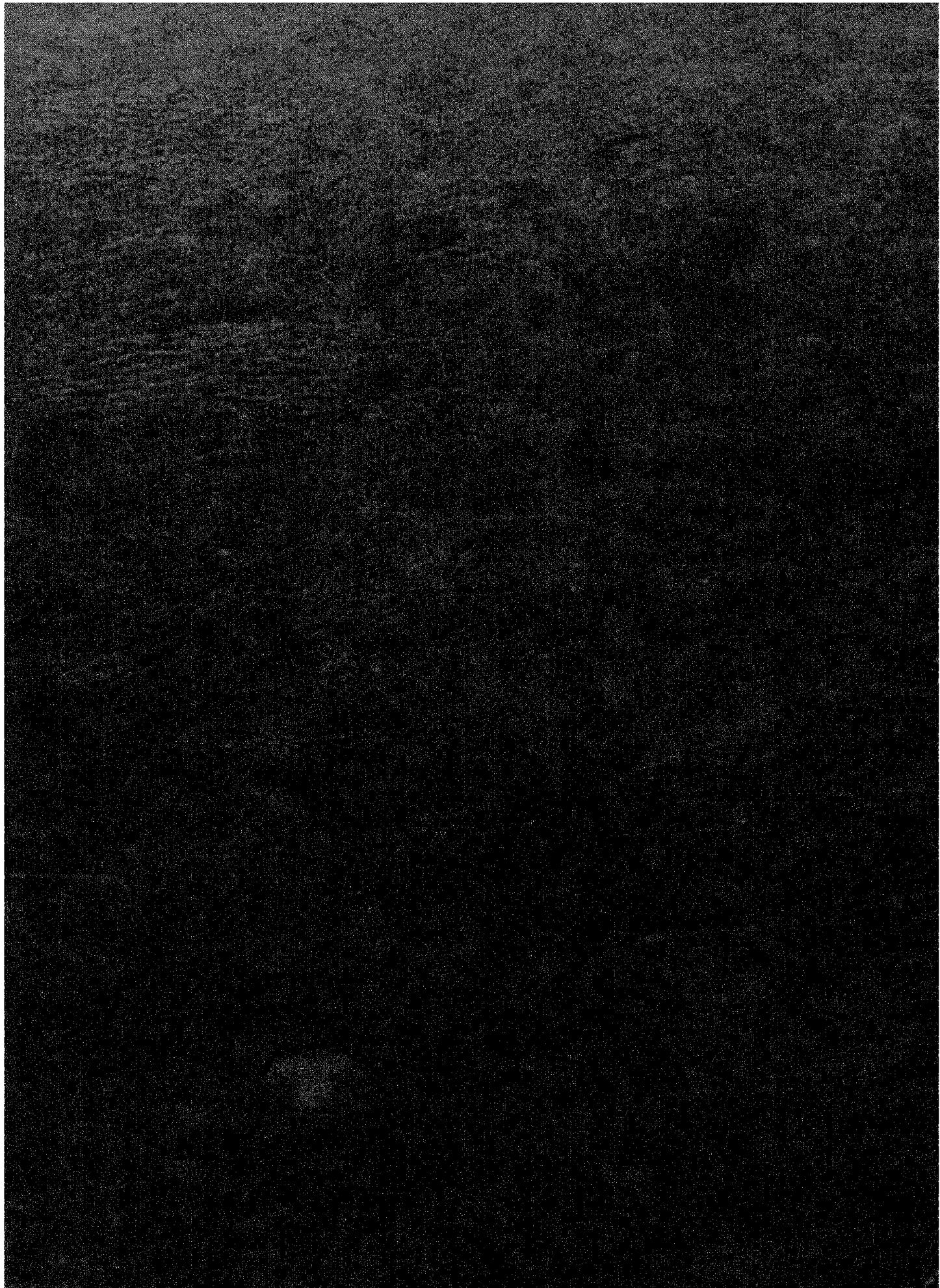
الثالث

النبي والغلام ٣٨٦	الثالث ٣٧٩
اللؤلؤة ٣٨٧	ملابس ٣٨٠
جسد وروح ٣٨٧	النسر والقبرة ٣٨٠
المملك ٣٨٨	أغنية الحب ٣٨٢
على الرمل ٣٩١	دموع وضحكات ٣٨٢
الهدايا الثلاث ٣٩١	في السوق ٣٨٣
السلم وال الحرب ٣٩٢	الأميرتان ٣٨٤
الراقصة ٣٩٣	وميض البرق ٣٨٤
الملائكة الحراس ٣٩٥	الراهب والوحش ٣٨٥

اللidayi Routh	٤٠٩	التمثال	٣٩٦
الفأرة والهر	٤١٠	المبادلة	٣٩٧
اللعنة	٤١١	حب ويغض	٣٩٨
الرمانت	٤١١	أحلام	٣٩٨
الله والألهة العديدة	٤١٢	المجنون	٣٩٨
تلك التي كانت صماء	٤١٣	الضفادع	٣٩٩
المسألة	٤١٤	الشرايع والتشريع	٤٠١
الصولجان	٤١٥	أمس، واليوم، وغداً	٤٠٢
الطريق	٤١٦	الفيلسوف والإسکافي	٤٠٣
الحوت والفراشة	٤١٧	بناء الجسور	٤٠٣
السلم يعدي	٤١٧	حقل زااد	٤٠٤
الظل	٤١٨	الحزام الذهبي	٤٠٥
سبعون	٤١٩	التراب الأحمر	٤٠٦
العثور على الله	٤١٩	البدر الكامل	٤٠٦
النهر	٤٢٠	النبي الناسك	٤٠٧
الصيادان	٤٢١	الخمرة العتيقة، العتيقة	٤٠٨
النائة الآخر	٤٢٢	القصيدتان	٤٠٨

حدائق النبي

حدائق النبي	٤٢٥
-------------------	-----



To: www.al-mostafa.com